موسوعة أسماء الله الحسنى

وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض

تأليف

أ. د عقيل حسين عقيل

جامعة الفاتح - كلية الآداب

ليبيا - طرابلس الغرب

الجزء السابع

المحيي المميت الحي القيوم الواجد

الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

مَوسُوعَة
أسماء الله الحسنى
وَأثرَها في استِخلافِ الإنسانِ في الأرضِ

الجزء السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-28-5

الموضوع : عقيدة

العنوان : موسوعة أسماء الله الحسنى 10/1

التأليف : أ.د. عقيل حسين العقيل

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5292

القياس : 17×24

التجليد : فني – كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : 53 dots – بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد – بيروت

تنضيد و إخراج ضوئي : مؤسسة الجعبري

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 – 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 – 2458541

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520285

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

المُحْيِي جلَّ جلالُه

المحيي : « خالق الحياة » [1] .

المحيي : « ٱلله الذي أحيا الخلق بأن خلق فيهم الحياة وأحيا الموات بإنزال الحيا » [2] .

الْمُحْيِي : « إِنَّهُ جَاعِلُ الْخَلْقِ حَيًّا بِإِحْدَاثِ الْحَيَاةِ فِيهِ » [3] .

المحيي : الذي يحيي الأشياء بإنشائها من الشيء الأول وهو الذي يحيي الأجساد ببث الروح فيها ، وهو معطي الحياة لمن شاء بإحياء النطفة الميتة ، وفي هـٰذا الإحياء تجلٍّ لله تعالىٰ من بدء وجود هـٰذه العلقة في رحم الأم ونموها مرحلة تلو مرحلة وبعث الروح فيها من عنده تعالىٰ ليبدأ بالحركة الدالة علىٰ انبعاث الحياة داخله ، فتطرق الحياة باب قلبه فيرد نابضاً وتتكون جميع أجهزة هـٰذا الجنين كالجهاز التنفسي والهضمي حتىٰ مرحلة الاكتمال وخروجه للدنيا بإذن ٱلله تعالىٰ ، فالروح التي وضعها المحيي في هـٰذا الجسد الآدمي هي سر بعث الحياة في أعضائه الساكنة ، وهي من الغيبيات التي لا يصل لمعرفة حقيقتها إلا المحيي والمميت لها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [4] ، فمهما تطورت الحياة وتقدم

---

(1) المواقف ، ج 3 ، ص 310 .
(2) تفسير أسماء الله الحسنىٰ ، ج 1 ، ص 56 .
(3) الأسماء والصفات للبيهقي ، ج 1 ، ص 186 .
(4) الإسراء ، 85 .

العلم يبقىٰ أمر الروح بيد خالقها يبثها فينا ويسترجعها منا وقتما يشاء بعلمه وقدرته دون تدخل للبشر في ذلك ، ولابد أن يكون حامل هـٰذه الروح شاكراً عابداً خاشعاً وتكون نفسه موطن إيمان وحب لا موطن كفر وحقد ، فكيف نكفر بمن وهب لنا الحياة ؟ ويكفي أن يتأمل الإنسان في طبيعة تكوينه لوجد أن كل عضو من أعضائه ينطق بالحياة طالما الروح فيها ، فكل عضو في جسد الإنسان له وظائف عدة بإدارة الروح ، لأنها هي التي تشحن هـٰذه الأعضاء وتدفعها للعمل والعطاء ، وبخروجها من هـٰذا الجسد فقدت كل تلك الأجهزة والأعضاء قيمتها وفائدتها وأصبحت عديمة الجدوىٰ بعد زوال الحياة بزوال الروح .

وبالرغم من ظهور العديد من الفنون الحديثة من صناعات وتقنيات إلا أننا نجدها جميعاً تجسيداً للمادة لا للروح ، فالجماد صفة لصناعة الإنسان مهما كانت هـٰذه الصناعة متطورة وحديثة ، ومهما أدخلوا عليها من تقنيات حديثة كالحركة والصوت لـٰكنها تبقىٰ جامدة تشغل حيزاً لا يمكن أن تتعداه بتوالي السنين مهما حدث ، لأن الروح التي من أمر ٱلله تعالىٰ هي وحدها التي تعطي الأمر بالنمو والتغير ، وبهـٰذا فإنها تكسب الحي صفات لا يمكن أن تتواجد في الصناعات المتقنة الحديثة التي تبقىٰ صناعة مهما أدخلوا عليها من أفكار متطورة .

ونحن نلحظ في كثير من المحلات المتنوعة عرضاً لهـٰذه الصناعات كدمىٰ الأطفال الناطقة بواسطة أشرطة مسجلة أو المتحركة بواسطة بطاريات شحن ، وكذلك نلحظ التحف المُصوّرة لأشكال طبيعية نابضة بالحياة كالطيور والزهور وغيرها ، ولـٰكن إذا قمنا بمقارنة بين وردة خلقها المحيي في الطبيعة ولو كانت وردة بسيطة وبين وردة مصنوعة من نوع فاخر من المواد ، فأقل وأول شيء يمكن أن نلاحظه هو الفرق بين الموت والحياة ، بين الخلق والصناعة ، فأين

حرارة الحياة من برودة الجماد ، وأين حركة وتفاعل الحياة من سكون الجماد ؟

وهٰذا ما اتخذه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حجة علىٰ من كانوا يعبدون الأصنام الجامدة ، التي لا حول لها ولا قوة بل إنها مصنوعة ومخلوقة لا خالقة ، فاتخذ سيدنا إبراهيم السكون والجمود حجة لإثبات بطلان ألوهيتها ، فقام بتحطيم جميع الأصنام تاركاً صنماً واحداً كي يسألوه باعتباره شاهداً علىٰ من قام بتحطيم جميع الأصنام ، وبما أن الكلام يتطلب وجود الحياة بما أنه حجارة لا تنطق فهو لا روح ولا حياة كي يفهم وينطق فيشهد ، فكيف تكون آلهة تهب الحياة لهم وهي ميتة لا تستطيع أن تحيي نفسها ؟ فأمر الإحياء للغير لابد أن يكون من محي عظيم أكبر وأعظم ممن يحييهم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يلفت أنظار الكافرين الذين يشركون بالله أن العبادة لا تكون إلا للحي الذي يخلق ويقدر علىٰ كل شيء ،

(1) الأنبياء ، 52 ـ 67 .

فلا يحصره مكان ولا زمان ، وأن الجماد لا يُحيي ولا يُميت ، ولا يقدر علىٰ شيء ، وهـٰذا بحد ذاته هو العجز ، ومن كان عاجزاً لا يمكن أن يكون محيياً لأن الإحياء يتطلب القدرة علىٰ الخلق وإعادة الخلق ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (1) ، فهل من كافر يرد علىٰ هـٰذه الحجة وهـٰذه القدرة الشاخصة أمام أعيننا ؟

بالطبع لن يجد أي كافر جاحد رداً مقنعاً لأن السماء تنطق والأرض تنطق بقدرة ٱلله وعظمته ، وكل هـٰذه المخلوقات هي دلائل بيّنة للمحيي الذي خلقنا وصورنا في أحسن صورة ، لذلك فلابد للأعين التي وهبها المحيي لنا وأمرها أن تقلب بصرها في الكون وتتأمل أن تحيا بالنظر والتمعن في قدرة ٱلله تعالىٰ علىٰ الإحياء .

وعلىٰ خليفة ٱلله أن يعبد الواحد القهار المحيي لكل الخلق ، وهـٰذا ما جاء به الرسل من عند ٱلله تعالىٰ للناس كافة وفي مختلف الأزمان والأماكن ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (2) ، وأن يستشعر نعمة الإحياء والهدف منها ، ويجعل حياته وسيلة لإحياء للغير عن طريق الدعوة إلىٰ الإصلاح وإحياء روح الإيمان بالذكر والموعظة الحسنة .

والمحيي بالإطلاق له عدة صور للإحياء منها :

أولاً : الإحياء من لا شيء :

وهي أول مرحلة من مراحل الإحياء ، إذ تكون بداية الخلق من لا شيء ، فيبث المحيي بإطلاق الروح في الجسد البشري معلناً بذلك بداية إحياء هـٰذا الإنسان ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

(1) الإسراء ، 99 .
(2) الرحمـٰن ، 26 ـ 27 .

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (1) ، فهو محيٍ أولاً بالأمر (كن) ، الذي قام به هـٰذا الكون الشاسع واهباً لكلٍ حياة تبدأ بحين وتنتهي بآخر ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (2) ، فالبشر لهم أجل معين وكذلك باقي المخلوقات المكونة لهـٰذا العالم الحي ، وهـٰذا أكبر دليل علىٰ أن الحياة موهوبة لنا من محيٍ عظيم لا يفنىٰ ولا يموت ، أهدىٰ لنا هـٰذه الحياة بهدف عبادته وتوحيده ، وذلك كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (3) ، وبهدف خلافة الأرض بالخير والمعروف والإصلاح ، لا للفساد والطغيان فيها هـٰذا الذي نهانا المحيي عنه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (4) ، فلا يكون الإحياء عبثاً ولهواً بل غايةً لا يدركها إلا عباد ٱلله الذين استحقوا الحياة الكريمة والآمنة في ظل المحيي ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (5) .

فليت عباد ٱلله يذكرون دائماً أصل خلقهم وغاية إحيائهم ، فلا يضيعوا في هـٰذه الحياة فيخسروها مع خسرانهم الآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (6) ، فكيف تحيا روحه من

---

(1) آل عمران ، 59 .
(2) لقمان ، 29 ـ 30 .
(3) الذاريات ، 56 .
(4) الشعراء ، 151 ـ 152 .
(5) الأنبياء ، 16 ـ 20 .
(6) الأعراف ، 9 .

كان خاسراً في الحياة الدنيا والآخرة ؟

ثانياً : إحياء الأجساد البالية بإعادة الأرواح إليها :

فما من روح قد فارقت جسدها بأمر من ٱلله تعالىٰ إلا وهي مردودة إليه بأمر من ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(1)] ، فالإحياء من الشيء ثم الإماتة ثم إعادة الإحياء من الموت كل ذلك بأمرٍ من المحيي بإرساء الروح في هـٰذه الأجساد ثم خروجها منها ثم عودتها إليها ، والروح لا تأتمر إلا بأمر خالقها فقط ، فلا تستقر ولا تخرج من جسد الإنسان إلا بأمر من ٱلله تعالىٰ ، والإحياء الثاني للبشر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإحياء الأول ، إذ أن إحياءنا يوم القيامة يكون لمحاسبتنا علىٰ الإحياء الأول لنا في الدنيا ، قال تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [(2)] ، فالإحياء الثاني للبشر سيكون المقر الأخير الذي سيبقىٰ فيه الإنسان نتيجة إحيائه الأول .

ويكون هـٰذا الإحياء يوم يعيد المحيي بالإطلاق إعادة الحياة في الأجساد في اليوم العظيم الذي يكون إحياؤنا فيه للحساب والوقوف بين يدي المحيي ، قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [(3)] ، هـٰذا اليوم آتٍ لا محالة وتلك الأرواح عائدة لأجسادها لا محالة ، والحساب قائم متوعد به المحيي ، فما أغرب بعد كل هـٰذه الدلائل أن يكون بعض البشر جاحداً كافراً بالذي وهب لها الحياة ووعدها بالعودة إليه ؟

أما الخليفة هو من يحيا في الدنيا عاملاً لحياته في الآخرة ، فلا يعيش

---

(1) الروم ، 11 .
(2) الجاثية ، 15 .
(3) الأنبياء ، 104 .

علىٰ أساس استفادته من الحياة الدنيا لهواً ومرحاً ، بل عليه أن يعمل في دنياه لأجل آخرته ، فيحيي الفؤاد بحب ٱلله ويحيي الليل بذكره تعالىٰ ويسعىٰ في حياته بالخير والمعروف ، مقيماً للصلاة وصابراً محتسباً ٱلله في أمره ، وهـٰذا هو سبيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، لذلك فقد أوصىٰ لقمان ابنه ناصحاً له ومرشداً ، كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (1) ، فتخيل أيها الخليفة حياتك القائمة علىٰ هـٰذه الوصايا ! إنك حينها ستكون مستحقاً للحياة التي خلقك المحيي من أجلها وما أروعها من حياة ، إذ أنه :

أ ـ في الصلاة إحياءٌ للقلب والروح :

فصلاتك تبعدك عن المفاسد التي تميتك في الحياة ، والصلاة من شأنها أن تحيي حب المحيي في وجدانك وروحك ، بقربك منه ووقوفك بين يديه ، وما أروع الحياة في وقفة بين يدي ٱلله ، وهي سكنٌ للروح ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ (2) ، فلتحفظ حياتك بصلاتك التي تحيا بها في الدنيا آمناً وفي الآخرة آمناً ، وهـٰذا هو الفلاح يوم الدين كما في قوله تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (3) .

ففي كل صلاة تقوم بها أيها الخليفة تجدد إحياءك في الدنيا ، لأن صلاتك

(1) لقمان ، 17 .
(2) العنكبوت ، 45 .
(3) البقرة ، 1 ـ 5 .

تطرد شبح المفسدة والضلال هٰذا الشبح الذي يقبع في قلوب تاركي الصلاة فيجرهم للضياع . قال تعالىٰ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (1) ، وهي تميت وسوسات الشياطين بإحياء ذكر ٱلله فيها والبعد عن المحرمات ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (2) ففي كل صلاة تقوم فيها تحيا المودة بين الخالق والمخلوق بالعبادة والتوحيد ، وبين المخلوق والمخلوق الآخر ، بالرحمة والمودة التي تحييهما الصلاة في النفوس .

ب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فهدف إحيائك هو السير بالمعروف والخير في هٰذه الدنيا اللذين أحياهما ٱلله في قلوبنا ، والابتعاد والنهي عن المنكر والمعاصي اللذين أحياهما الشيطان في النفوس ، فكيف ستكون لحياتك قيمة إذا عشتها بين المنكرات والرذائل ؟ لٰكنك بالأمر بالمعروف ستحيا إنساناً تدب الحياة الحق في كل أنحاء جسده وعقله ، لأن في المعروف حياة وفي المنكر هلاك وموت ، لذلك فإن طريق الفلاح لا يمكن أن تسلكه وأنت داعٍ للمنكر مبتعد عن المعروف ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (3) ، والخير معناه كل ما هو إصلاح وفلاح ، فإصلاح الأرض وعمارها فيه خير والصدقة فيها خير وإحياء المحبة فيها خير وإحياء التسامح فيه خير وإحياء غير ذلك لأن الخير لا يوجده عمل واحد فقط ،

---

(1) الماعون ، 4 ـ 5 .

(2) المائدة ، 90 ـ 91 .

(3) آل عمران ، 104 .

والأمر بالمعروف من أهم أسس قيام المجتمع السليم الحي ، أما المنكر فهو كل عمل قائم علىٰ الرذيلة والفساد ، لأن من شأنه إذا تفشىٰ في مجتمع فإنه يميته ويفنيه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (1) .

ج ـ الصبر علىٰ البلاء :

فالحياة تتطلب الصبر والرضا بقضاء ٱلله تعالىٰ ، لأن المحيي عندما خلق هٰذه الدنيا جعل فيها الشقي وفيها السعيد ، وفيها الغني وفيها الفقير ، وهٰذا التباين بين البشر يجعل الإنسان أحياناً غير قانع ومعترضاً ، لكّن خليفة ٱلله يكون في صبره علىٰ المصائب إحياء له في الدنيا والآخرة ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ » ، ففي الصبر حياة لا يدرك كنهها إلا الصابر المحتسب الذي يعلم أنه المحيي له سيجازيه عليه في الآخرة : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ (2) .

والصبر فيه أيضاً إحياءٌ للنفوس ، لأن الصبر علىٰ أذىٰ الناس فيه إحياء للعلاقات الاجتماعية لأنه يزرع المودة والتآلف بينهم ، والصابر يحييه ٱلله تعالىٰ بحبه ونصره إذا طلب .

إنها وصايا من اقتدىٰ بها وسار عليها كان محيياً لنفسه ولغيره بالخير

---

(1) النور ، 21 .
(2) البقرة ، 155 ـ 157 .

والصلاح ، فهي وصفٌ لمنهج الحياة الصحيحة التي أرادها المحيي بالإطلاق لنا .

ثالثاً : إحياء القلوب بنور الإيمان :

هٰذا نوع من الإحياء يخص المحيي به عباده الباحثين عنه ، والساعين وراء الهداية ، الذين يحملون قلوباً تستمد حياتها من المحيي لها ، وبما أنه الواهب لحياتها فهو الأعلم بها ، قال تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (1) ، لذلك يحيي ٱلله القلب الذي يريد أن يحيا في هٰذه الدنيا بذكر المحيي وبحبه ، فينير ٱلله تعالىٰ له دربه ، ويجعل حياته عامرة ومطمئنة ، أما القلب العاصي فلا حياة له ، فما فائدة القلب البشري الذي لا ينبض بحب المحيي له والذي يحسب أنه حي وما هو بذلك ؟ فالذي يملك قلباً جاحداً عاصياً فكأنه لا يحيا أبداً ، فيسير في هٰذه الدنيا دون هدف أو غاية ودون أن ينعم بحب المحيي ورضاه ، فيضل بذلك درب الحياة الحق ، وذلك كما في قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (2) .

ونحن نعلم أن هناك الملايين من البشر الذين يحيون فوق الأرض ويحملون جميعاً في صدورهم قلوباً تنبض والنبض دليل الحياة ، ويتنفسون ويتحركون لٰكنهم ليسوا جميعاً بأحياء ، وكم من قلوب تنبض وتجري فيها الدماء لٰكنها ميتة ! ذلك لأن تلك القلوب بعيدة عن معنىٰ الحياة التي خلقنا ٱلله تعالىٰ لأجلها وهي الإعمار والإصلاح ، والقلب الذي يمتلئ بحب ٱلله والزهد في الدنيا يبقىٰ عامراً ؛ لأنه لا يجتمع حب المحيي وحب الدنيا في قلب

---

(1) التغابن ، 4 .
(2) الحج ، 46 .

الإنسان الحي بالفعل ، فالله تعالىٰ يصطفي من عباده من يعلم أنه تقي وصادق فينير قلبه ودربه بنور الإيمان ، بذلك يحيا حياة سعيدة وراضية .

وقلب خليفة ٱلله تعالىٰ يحيا بالحب والإيمان ، فتسوده السكينة والطمأنينة في الدنيا والآخرة ، ذلك كما وصفها ٱلله تعالىٰ في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (1) ، فلا يكون هنالك مجال للبغض ، والحسد ، والنفاق الذي يملأ قلوب الجاحدين كما جاء في وصفهم في الآيات الكريمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (2) ، والخليفة الحق هو من تجرد قلبه من كل الأمراض الاجتماعية التي من شأنها إماتة الحب وإطفاء نور الإيمان به ، لأن الإيمان يحيي مشاعر الود والرحمة ، أما البعد عنه فإنه يحيي الفساد والبغض والتكبر ، كما جاء في وصف أصحاب القلوب المريضة في قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3) ، فقلب خليفة ٱلله تعالىٰ متجرد من كل ما سبق ذكره من هـٰذه الأمراض المميتة للأمة والتي تحيي

---

(1) الرعد ، 28 .

(2) آل عمران ، 118 ـ 120 .

(3) الحجرات ، 11 ـ 12 .

فيها نار الكراهية والفرقة ، ولا يمكن أن يحيا الخليفة بقلبٍ ميت بالجهل والجحود .

رابعاً : إحياء العقول بنور المعرفة :

لأن أساس الحياة هي المعرفة والعلم ، وقد خلق ٱلله النبات حياً ينمو ويكبر ويتنفس ، وخلق الحيوان حياً ينمو وينمو ويأكل ، وخلق الإنسان حياً ينمو ويكبر ويفكر ، الإنسان إذا كان يفكر فهو حي ويستحق أن يكون حياً بشرط أن يكون التفكير موجهاً لا مقلداً وإلا لما كان أصلاً تفكيراً ، والحياة البشرية بصفة عامة قائمة علىٰ الدعوة للتفكير للوصول للحق والنور ، لأن العقل طالما كان مظلماً انتهىٰ وهو يحسب أنه حي في هـٰذه الدنيا .

ولقد دعا المحيي بالإطلاق لاستخدام العقل والتفكير منذ أول بشارة هبطت علىٰ رسولنا الكريم ﷺ إذ أمره ٱلله تعالىٰ بالقراءة والعلم فهما أساس الدعوة منفراً بذلك من الجهل الذي يؤدي إلىٰ الكفر والهلاك ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1] ، فقد وضّح الخالق عز وجل طريق معرفته والإيمان به والاقتناع بربوبيته ، بالعلم يصل الإنسان إلىٰ أروع حياة قانعة وراضية ومستقرة في ظل حب المحيي ، وهـٰذا دليل علىٰ أن الإسلام دينٌ يدعو لإشعال نور العقل لا لإطفاء فتيله ، وما من عالِم قد وجّه علمه في الخير والإصلاح إلا وله الثواب الكبير عند ٱلله لأنه بذلك يساعد علىٰ إحياء العقول الميتة ، فالعقل يحيا بالعلم ويموت بالجهل ، ولذلك فإننا نلحظ الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تخاطب العقل البشري وتثيره للتفكير في خلق هـٰذا الكون الأمر الذي من شأنه أن يحيي الإيمان بالعلم ، قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ

(1) العلق ، 1 ـ 5 .

أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [1] ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [2] ، وأيضاً قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [3] ، والعديد من الآيات القرآنية التي تتوجه للعقل فتحاوره وتسأله وتثيره للبحث ، لأن البحث والتأمل هما طريق الحياة الصحيحة التي تصل بصاحبها إلىٰ الاقتناع والوصول إلىٰ الحق ، ولذلك ديننا جاء ليمسح آثار الجهل والعمىٰ الذي كان يدعو إليه أصحاب الضلال من عابدي النار والشمس والأصنام وغيرها من آلهة لا تنفع ولا تضر لو أنهم فقط أحيوا عقولهم بنور الإيمان ، فليس النظر أو السمع هما اللذان يقودان الإنسان إلىٰ الحق والصواب ، بل العقل الذي يقود هـٰذه الحواس ، فكم من مبصر هو أعمىٰ ، وكم من منصت هو أصم ؟ لأنه لا حياة في بصره ولا سمعه طالما أن العقل في ضلال ، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [4] ، فالإحياء لنا ليس بهدف الحركة للأعضاء بل بهدف الحركة للعقل في الاتجاه الصحيح .

---

(1) الأنبياء ، 30 ـ 33 .

(2) المؤمنون ، 80 .

(3) الغاشية ، 17ـ 20 .

(4) الرعد ، 15 ـ 16 .

خامساً : إحياء النهار بالعمل والليل بالذكر :

إن إحياء النهار بالعمل ذلك لأنه يحيي الإنسان وبحياته يحيي النهار ، قال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (1) ، والعيش هو الحياة والحياة هي الإنسان ، فإذا أمات الإنسان نهاره بالكسل والخمول والمفسدة ، فإنه أمات حياته بأكملها .

وإحياء الليل يكون بالذكر والعبادة ، فلا نميته بالسهر مع رفقاء السوء ، بل نحييه بذكر المحيي الذي بذكره نحيي ليلنا ونهارنا ، ولنا في رسول ٱلله ﷺ أسوة حسنة ، قال تعالىٰ : ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾ (2) .

لذلك فعلىٰ خليفة ٱلله تعالىٰ أن يحيي عقله وقلبه بالمعرفة والإيمان ، فلا يتركهما عرضة للفساد والضياع ، خاسراً بذلك حياته التي وهبها ٱلله له باللهو والشرور ، وليكن حياً بعلمه لا ميتاً بجهله ، فطوبىٰ لمن رحل عن هٰذه الحياة تاركاً علماً حياً يستفيد منه البشر ، وقد كرّم ٱلله تعالىٰ العلماء بقوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (3) ، وتشير هاتان الآيتين إلىٰ عدة نقاط مهمة منها :

1 ـ بدأ ٱلله تعالىٰ بلفت نظر الإنسان الحي إلىٰ ما في هٰذا الكون من دلائل واضحة علىٰ وجود إلـٰه واحد لا شريك له ، فبذلك يكون ٱلله قد خاطب

---

(1) النبأ ، 11 .

(2) المزمل ، 20 .

(3) فاطر ، 27 ـ 28 .

العقل البشري بالبراهين الواضحة ، التي من شأنها أن تحفّز العقل علىٰ التفكير للوصول إلىٰ قناعة تامة ودون إجبار من أي سلطة أخرىٰ ، فالإنسان بذلك وضعه ٱلله بين خيارين وهما إما إحياء العقل بالتدبر والتمعن وإما إماتته بالجمود والتقليد ، فالإسلام بذلك هو دين علم ونور يدعو لإحياء العقل بنور المعرفة التي تفتح له باب الجنة ، لأنه ما من عبد قد أحيا عقله بذلك إلا ووصل للحق الساطع للعين والقلب والروح ، فالحجة والبرهان إذاً هما الوسيلتان اللتان لا غنىً عنهما في الوصول للحقيقة والصواب والبعد عن الباطل والضلال .

2 ـ الإشارة إلىٰ فائدة العلم التي توصل العالم إلىٰ خشية ٱلله ، فلا فائدة في عقلٍ يستنتج ويفكر في اتجاه الباطل والظلام ، العلم الحق هو الذي يأخذ بيد صاحبه إلىٰ الأمان والحق ويبعده عن المهالك والفساد ، فالعالِم الذي سخّر علمه ليكون مصعداً للوصول إلىٰ أعلىٰ درجات خشية المحيي وطلب رضاه هو الذي استحق أن يكون من خلفاء ٱلله تعالىٰ في الأرض ، بعلمه الذي عرّفه ٱلله حق المعرفة فخشيَه وأحبه ، وأدرك خالقه بعلمه .

3 ـ في العلم معرفة لله أكثر ، وهـٰذا يتضح لنا حتىٰ في أبسط الأمور التي تمر بنا عابرة ، فمثلاً نلاحظ في أثناء استماعنا لمحاضرة دينية أو مشاهدتنا لبرنامج فتاوىٰ دينية أننا كنا علىٰ جهل ببعض الأمور التي تتعلق مباشرة بحياتنا ، ونستشعر بعد علمنا بها أن الكثير من الأمور التي تتجلىٰ واضحة أمامنا تفتح لنا باب تجديد وتمكين للعلاقة بين المحيي وبيننا ، مثل علمنا برحمة الخالق بنا ومقدار مغفرته لذنوبنا ، وذلك كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (1) ، فعلمنا بأن

(1) الأنعام ، 54 .

الجهل بالذنب يغفر لصاحبه ، ويفتح باب توبة وحب لله تعالىٰ ، أو مثلاً علمنا بقوته كما في قوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (1) ، هـٰذا من شأنه أن يبدد الجهل بقوة ٱلله وعقابه ، أو مثلاً علمنا بمدىٰ حبه لمن يطلبه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) ، وكذلك حرصه علىٰ تحذيرنا من المهالك بسبب اتباع الشيطان ، قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (3) ، أو بدقة حسابه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (4) ، هـٰذا من شأنه أن يصحح خطانا في الدنيا ويقرّبنا من المحيي الذي لا يبتعد عنه إلا كل جاهلٍ معاند .

4 ـ كلمة (عباده) تخصيص للعلماء الذين يستعملون علمهم للوصول للحق ، دون تقليد ، لأننا نجد أن هناك الكثير من العلماء ما يزالون رغم وصولهم لدرجات عالية من العلم هم كفرة لم يهتدوا للحق ، ذلك بأنهم يبحثون في العلوم بعقل ميت جاهل مقلد ، لا يتدبرون في خلق ٱلله ولا في طريقة إحيائهم ومماتهم ولا حتىٰ في هـٰذا الكون من حولهم الذي يشير كل

(1) غافر ، 21 ـ 22 .
(2) المائدة ، 54 ـ 55 .
(3) النور ، 21 .
(4) الأنبياء ، 47 .

شيء فيه إلىٰ قدرة ٱلله ، والذي هو عبارة عن دليل تلو الآخر لهم إن أرادوا إحياء عقولهم بعيداً عن التعصب لكفرهم والتعنت ، قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (1) ، فهناك صنف ممن يدّعون العلم لـٰكنهم يعملون علىٰ إماتته وإحياء الجهل ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رسول ٱلله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ ٱللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن الْعِبَادِ وَلَـٰكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (2) .

ولأن المحيي هو ٱلله فهو المحيي للأرض الميتة :

فالإحياء لا يكون للإنسان فقط بل حتىٰ هـٰذه الأرض تموت وتحيا بإذن ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (3) ، وموت الأرض وإحياؤها من جديد ما هو إلا آية من آيات المحيي يضربه للبشر لعلهم يتدبرون في ذلك فيرجع العاصي منهم للحق الذي خُلِقوا من أجل اتباعه ، ويزيد المؤمن إيماناً ، وتذكرة من الخالق للبشر أجمعين بقدرة المحيي علىٰ الإحياء والإماتة ، فهو الذي يحيي الروح في الجسد كما يحيي الأرض بالماء ، وليس هناك أدل علىٰ ذلك من هـٰذه القصة التي وردت في سورة الكهف ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ

(1) السجدة ، 27 .
(2) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 248 .
(3) البقرة ، 164 .

أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (1) ، فهـٰذا الحوار الذي قام بين هـٰذين الرجلين يحمل في طياته تجسيداً للفرق بين الإنسان الحي والميت ، إذ أنه تظهر هـٰذه الفروقات في التالي :

أ ـ إحياء الرجل الأول لروحه بشكر المحيي علىٰ ما أعطاه من نعم ، في مقابل إماتة الثاني لروحه بالجحود والتكبر علىٰ ما أعطاه ٱلله .

ب ـ التفاخر في نفس الثاني دليل علىٰ موت التواضع الموجود في الأول .

ج ـ كفر الرجل الثاني باليوم الآخر بظنه أن الساعة لن تقوم ، فقد أمات الإيمان في قلبه ، مع إيمان الأول بأنه مردود إلىٰ ٱلله هـٰذا الإيمان الذي أحياه راضياً .

د ـ رغبة الأول في إقناع الثاني في العدول عن تكبره وكفره وفي هـٰذا إصلاح وفي الإصلاح إحياء ، مع استحالة عدول الثاني عن عصيانه بإحيائه لوسوسات الشيطان .

---

(1) الكهف ، 32ـ44 .

هـ ـ ثقة الرجل الأول في ٱلله وأن ما عنده أبقىٰ ، مع جحود الثاني بذلك .

فالرجل الأول مثال للإنسان المحيي للخير والطاعة لله تعالىٰ ، والرجل الثاني كان مثالاً للإنسان الميت بجحوده وتكبره علىٰ نعم ٱلله عليه .

والإحياء للأرض يكون بإرسال الرياح لتحمل اللواقح فتنتج الثمار المتنوعة ، فتزدهر وتدب فيها الحياة وتزداد ، التي تنعكس علىٰ المحيي بالإضافة الذي لابد أن يسعىٰ لإبقاء الأرض حية بإذن ٱلله ، وذلك بالاهتمام بها والحفاظ عليها ، ففي إحيائها إحياءٌ له ، كما في موتها موتٌ له ، لأن رزقنا منها ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

فالله قد أعطىٰ وأحيا فوجب علينا الشكر ، لكنّ الإنسان كفر وجحد وأنسته الدنيا شكر المحيي ووسوس له الشيطان بالجحود فضرب ٱلله تعالىٰ أمام عينيه دليلاً لقدرته عز وجل علىٰ أنه يحيي ويميت .

ولابد لخليفة ٱلله أن يكون حريصاً علىٰ إرواء نفسه بالطاعات وشكر ٱلله تعالىٰ علىٰ ما أنعم به عليها من نعم لا تعد ولا تحصىٰ فتحيا نفسه بهٰذا الارتواء وتنتعش فتنبت بذور الخير والطمأنينة كما تُنبت الأرض وتزدهر بالحياة ، فكما الأرض ترتوي بالماء فالنفس البشرية ترتوي بحب المحيي لها .

وٱلله تعالىٰ محيي بعدة أمور منها :

أولاً : ٱلله محيي بكرمه :

الحياة أصلاً هي كرم من ٱلله تعالىٰ تكرّم بها علينا ، فقد تكرّم علينا بإحيائنا من الشيء الأول السابق علينا في الخلق منه عز وجل ، وخلْقنا في

---

(1) البقرة ، 22 .

أحسن صورة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (1) ، والله كريم بإحيائنا علىٰ نور الإسلام ، الذي أضاء لنا الدنيا ويسر علينا أمورنا وحياتنا ، والذي ارتضاه المولىٰ لنا ديناً كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (2) ، وهو كريم بإحياء الأرض منفعة ومصلحة لنا ، فلولا هـٰذه الخيرات التي تزخر بها الأرض بفضل المحيي لها ولنا لما كانت الحياة تستمر وتسهل علينا وتيسر أمر معيشتنا ، والمولىٰ لم يكرمنا بإحياء الأرض فقط بل بتنوع الحياة عليها حسب حاجتنا وظروفنا ، فهاهي الفواكه المتنوعة والحبوب المفيدة والتضاريس المتباينة كما توضح الآية هـٰذا التنوع : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (3) .

ولو لم يكن المحيي كريماً لما أحيانا وأحسن إلينا وخلّفنا في الأرض نرعاها ونصلحها .

والمحيي كريمٌ بإحياء من أحبوه واتبعوه فيجعل لهم حياة الخلد في النعيم ، فقد أكرم ٱلله تعالىٰ عباده الذين باعوا هـٰذه الحياة الدنيا في سبيله بإحيائهم بعد استشهادهم مكرماً إياهم بحياة الخلد في الجنة جزاءً لهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

(1) المؤمنون ، 12ـ14 .

(2) المائدة ، 3 .

(3) فاطر 27 .

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1) .

فالحياة إذاً هي في الأساس كرم من المحيي لنا ، وهبنا إياها بهدف الطاعة والعبادة ، وهـٰذا ما يجب أن يكون عليه خليفة ٱلله من وعي ومن امتنان للمحيي سبحانه وتعالىٰ ، فلا تغره هـٰذه الدنيا ولا تلهيه عن شكر الخالق ولا تنسيه كرمه وعطاءه ، بل يجب أن يكون كرم المحيي معه سبباً لأن يكون كريماً في الخير والمعروف ، لا يبخل بحبه ولا بعلمه ولا بماله علىٰ الغير ، فإذا كان ٱلله قد أكرمه بالحياة فهل سيبخل بالطاعة والاستسلام لله تعالىٰ ؟

ثانياً : ٱلله محيي بقوته :

لله القوة المطلقة وكذلك القدرة ، له الأمر في ملكه إذ لا يعتريه ضعف ولا قصور ، والمحيي يستوجب أن يكون قوياً لا يصيبه الوهن أو الضعف ؛ وإلا لكانت عملية الإحياء ناقصة يعتريها الخلل ، فلو لم يكن المحيي قوياً لما كان محيياً ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (2) ، فبهـٰذا الأمر الإلـٰهي تتكون الحياة وتبعث الروح في الأجساد وهـٰذا أساس خلقنا مما خلق من أشياء ، فمن يفعل ذلك سوىٰ القوي القادر ! وكل هـٰذا الكون دلائل تشير لقوة المحيي له ، ففي خلق الجبال والبحار تتجلىٰ قوة ٱلله تعالىٰ ، كما تتجلىٰ أيضاً في خلق السموات والأرض ، بل حتىٰ في خلق أبسط الكائنات الحية ، ذلك الذي تحدىٰ به المحيي العباد في قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ

(1) آل عمران ، 169 ـ 171 .

(2) غافر ، 67 ـ 68 .

ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (1) ، فكم من جبابرة عبروا هـٰذه الحياة وكم من أبطال سطّروا أمجاداً في تاريخ البشرية ، وكم من عالِم بهر البشر بعلمه واختراعاته ، لـٰكن هل منهم من يستطيع أن يقبل هـٰذا التحدي ؟

وعلىٰ الخليفة أن يستمد قوته من قوة المحيي ، فيوجهها بذلك للخير والصلاح ، فيحيا بقوة المصلح لا بضعف المفسِد ، لأن الضعف موت للحق الذي يجب أن يظهر في الدنيا ، الذي لن يعم إلا بإحياء العدل والمعروف والود ، لأن القوة إذا اسْتُخْدِمَت في فرض السيطرة والتكبر والاستعلاء علىٰ الغير انقلبت إلىٰ مقبرة يُدْفَن فيها هـٰذا الإنسان ، فكيف لا يتذكر هـٰذا المتعال المتباهي بقوته أن هناك القوي العزيز الذي وهب له هـٰذه القوة وهو القادر علىٰ استردادها منه وقتما يشاء .

المحيي مالكٌ :

فكيف يهب لنا الحياة إن لم يكن مالكاً لها وخالقها ؟ فالملك للشيء من دلائله حرية التصرف بالملك والقدرة عليه ، والمحيي قادر علىٰ كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (2) ، فملكية الشيء يعطي المالك السلطة والقدرة علىٰ التحكم والسيطرة علىٰ الملك بصفة عامة ، وإحياء البشر يدخل في ملك المالك لهم وإلا فكيف يمكنه أن يهب ويأخذ ما لا يملكه ، ٱلله تعالىٰ يملك حياتنا فيبثها فيمن يشاء لأنه الواهب لها ، قال

---

(1) الحج ، 73 ـ 74 .
(2) يونس ، 31 ـ 32 .

تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (1) .

لذلك علىٰ الخليفة أن يكون مالكاً لمفاتيح نفسه ، فلا تحكمه شهواته فتودي به إلىٰ نار جهنم وبئس المصير ، فبامتلاكه لنفسه وردعها سيحيا قوياً لا يتحكم به أي شيء آخر من شأنه أن يضيّع حياته سدىً ، لأن الذي عند ٱلله خير وأفضل ، قال تعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (2) ، والعاقبة الحسنة لمن يحيي الإيمان في قلبه بأن يكون مالكاً لزمامها أمام مغريات الحياة الماثلة في كل مكان وزمان ، فيميت قوة الشهوة التي يمتلكها ، وإن تغلبت عليه امتلكته .

المحيي معطٍ :

فالحياة بحد ذاتها هي عطاء سخي من المحيي ، وهـٰذا العطاء دائم من عنده عز وجل ، فمسيرة حياتنا إذا تأملنا فيها ما هي إلا عطاء متواصل من المحيي ، منذ بداية تكويننا في أرحام أمهاتنا وخروجنا للحياة وشق طريقنا فيها وتيسير سبل العيش فيها ، وهو معطٍ لكلٍّ حسب علمه ومشيئته ، وإذا حرم أي أحد من نعمة فهو معطيه من أخرىٰ كنعمة الرزق ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (3) ، أو نعمة الإنجاب كما في

(1) الأنعام ، 73 .
(2) آل عمران ، 14 ـ 15 .
(3) الإسراء ، 30 .

قوله : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، فالمحيي معطٍ كيفما يشاء ووقتما يشاء ، عطاؤه يكون بعلمٍ وحكمة وبحساب وخبرة بالعباد لا عن عبث ولهو .

إحياء المحبة بين العباد عطاء من ٱلله تعالىٰ يحيي به الروابط الاجتماعية ، وإحياء الأرض عطاء من ٱلله يحيي به الأجساد ، والصحة والستر والعلم والعقل وغيرها كلها عطاءات من المحيي تقوم عليها حياتنا .

وهٰذا أكبر داعٍ للخليفة أن تكون حياته عطاءاً ، لا يبخل بفعل الخيرات والسعي وراء المعروف ، فحياة الخليفة تنتعش بالعطاء الدائم الموجّه للحق والصواب ، فما دام الخليفة معطياً فهو حيٌّ بهٰذا العطاء لأن ذلك يؤدي إلىٰ رضا المولىٰ عنه ، هٰذا الرضا الذي يحيي الخليفة حياةً سعيدة هانئة .

المحيي رحيم :

رحمة المولىٰ تتضح منذ أول تكوين لخلقنا من مراحل يمر بها الإنسان لحين خروجه للحياة بوجود من يحيطونه بالحب والرعاية ، فيحيا الإنسان ويشتد عوده بينهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (2) ، فكما أنه رحيم بإحيائنا في أحسن صورة فهو أيضاً رحيمٌ بإحياء الأرض وتيسير سبل الحياة عليها ، قال تعالىٰ : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (3) ،

(1) الشورىٰ ، 49 ـ 50 .
(2) المؤمنون ، 12ـ14 .
(3) الروم ، 50 .

فرحمته تتجلىٰ لنا في هـٰذه الخيرات التي تمتلئ بها الأرض من أجلنا ، وفي إعادة الحياة للأرض الميتة التي لا فائدة ترجىٰ منها ، وهو رحيم بإحياء الفرص لنا للتوبة لمن أرادها وطلبها كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (1) ، ففي قبول التوبة بعد ارتكاب الذنب إعادة إحياء للأمل في نيل رضا المحيي بالإطلاق ، وإماتة شبح اليأس من رحمة الخالق ، وهو محيٍ لنا برحمته كل سبل الخير لمن أراد أن يهتدي ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (2) ، فهدايته لنا لسبيل الحق رحمة .

ولا يمكن أن تكون من خلفاء ٱلله علىٰ الأرض ما لم يمتلئ قلبك رحمة ومودة ، رحمة تبدأ بنفسك حين تنهاها عن المعاصي والذنوب رأفةً بها يوم الحساب ، فتُحييها بهـٰذه الرحمة ، وكذلك رحمة تخص بها من حولك من أهلٍ وأقارب ومعارف تحييهم بها ، ورحمة عامة لكل من تتعامل معهم ، لأن فيها إحياء للمودة والتآلف ، هـٰذا من شأنه أن يرقىٰ بالأمة الإسلامية إلىٰ أعلىٰ درجات التعاطف والإخاء ، فيرحم كبيرهم صغيرهم ، وغنيهم فقيرهم ، وصحيحهم مريضهم ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ » (3) .

---

(1) الشورىٰ ، 25 .

(2) المائدة ، 15 ـ 16 .

(3) صحيح مسلم ، ج 12 ، ص 468 .

المحيي مبدئ ومعيد :

ٱلله تعالىٰ محي لنا منذ بدء الخلق ، ومعيد لهـٰذا الإحياء بعد الموت ، فهو إذاً محي بالبداية والنهاية ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (1) ، وهـٰذه البداية والنهاية هما صورتان للإحياء في حق المحيي بالإطلاق لحكمة لا لحاجة ، وهـٰذا تفضّل منه تعالىٰ علىٰ العباد .

والله مبدئ بإحياء الحب فينا بحبه لنا إن صدقناه وأطعناه ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (2) ، فقد سبق حبه حبنا في الآية الكريمة ليكون بادئاً به كريماً بإحياء طاعته والبحث عن رضاه .

إن المحيي بالإطلاق إذاً ببدئه للحياة فهو محيي الإنسان ، والإحياء الأول هو بهدف خلافة الأرض بالإصلاح والإعمار ، وهو محي في إعادته للحياة بعد الموت بهدف الحساب يوم القيامة ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (3) .

وعلىٰ الخليفة أن يكون علىٰ يقين أن البدء في الإحياء إنما كان لأمر عظيم ، وأن يفكر في إعادة الإحياء لتظهر له حقيقة الإحياء ، فيكون مبتدئاً بالخير ومعيداً له ، ومهما كان البدء بالخيرات جميلاً فإن إعادته أجمل لما فيهما من إحياء للخليفة ، ويكمن هـٰذا الإحياء في طمأنينة النفس ورضا خالقها .

---

(1) البروج ، 13 .

(2) المائدة ، 54 ـ 55 .

(3) غافر ، 17 .

المحيي بصير :

إن عملية الإحياء تتطلب أن يكون المحيي بصيراً ، لا يفوته شيء من أمر من أحياهم فهو الذي يدبر أمورهم ويعلم خيرهم من شرهم ، حتىٰ يحين موعد الإحياء الثاني ، الذي يكون حسابه لعباده فيه عادلاً ، وكيف لا وهو البصير بهم ؟ قال تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (1) ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (2) .

ويجب أن يكون الخليفة بصيراً بما ينفعه ، ويعود بالنفع علىٰ غيره ، وأن يكون بصيراً بطريق العودة إلىٰ المحيي ، هـٰذا الطريق إذا أضاعه أمات الفرصة للفوز والنجاح في هـٰذه الحياة ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (3) ، إذاً الأعمىٰ هو من يتبع خطوات الشيطان رغم وجود نعمة النظر لديه ، والبصير هو من أدرك سبيل السير علىٰ طريق الحق وإن كان فاقد البصر ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (4) .

المحيي حيٌّ :

فاقد الشيء لا يعطيه . فكيف يحيي من لم يكن حياً ؟

---

(1) آل عمران ، 162 ـ 163 .

(2) الحديد ، 4ـ6 .

(3) الأعراف ، 201 .

(4) الأعراف ، 198 .

وحياة المحيي بالإطلاق لا يحدها زمان ولا مكان ، قائماً فيها ومطلعاً علىٰ أمور العباد ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (1) ، لا يغفل عمن خلقهم ووهب لهم الحياة ، فيسمع الدعاء ويبصر العباد وما يصنعون ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (2) ، وصفة الحي في حق ٱلله لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات ، فهو متوحد في أزلية الحياة ، وقد بعث الرسل والأنبياء لإحياء هٰذه الحياة بالحق والعدل ولتنبيه العباد من يوم الحساب الآتي ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (3) .

وعلىٰ خليفة ٱلله تعالىٰ أن يحيي خشية الحي في قلبه ، بالتوحيد والدعاء والتسبيح والحمد ، كما أمرنا ٱلله في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ (4) .

المحيي باعث :

لأن في الإحياء الأول أصلاً بعثاً للروح ، وفي الإحياء الثاني إحياء للبعث

---

(1) البقرة ، 255 .

(2) غافر ، 64 ـ 65 .

(3) الفرقان ، 56 ـ 58 .

(4) الفرقان ، 58 ـ 59 .

الأول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [1] ، إذاً المحيي باعثٌ للروح ، قال تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

وخلفاء ٱلله في الأرض كالرسل والأنبياء والأبرار هم بعثة للحق بأمر المحيي ، لأن الحق قد يُغمر في الدنيا إن لم نكن تابعين لهٰؤلاء البعثة ، فنبدأ بأنفسنا فنبعث فيها روح العدل والمحبة ونحيي الأمل بانتشار الحق والخير .

المحيي حسيب :

كل هٰذه الحياة خلقها ٱلله بحساب وبتقدير ، فبغياب المحاسبة تختلط الموازيين ببعضها ، ففي الحساب إحياء للعدل والحق وإماتة للظلم ، وبما أن الحسيب استوجب العدل في الحساب فقد لزم كل إنسان كتابه الذي يسجل فيه أعماله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [3] ، لكي لا يكون لأي إنسان حجة علىٰ ٱلله ، ولكي يحيي هٰذا الإنسان حسابه في الدنيا قبل أن يحييه المحيي يوم الدين ، فلا مجال للندم والرجوع ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [4] ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ

(1) المؤمنون ، 12ـ16 .
(2) البقرة ، 284 .
(3) الإسراء ، 13ـ15 .
(4) الزمر ، 58 .

﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (1) ، هـٰؤلاء من أماتوا أنفسهم بعدم حسابها فخسروا أنفسهم وخسروا آخرتهم .

لذلك علينا أن نكون مستعدين للحساب ، فنحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الخالق ، هـٰذا من شأنه أن يصحح خطانا ويقيّم سلوكنا .

المحيي عليم :

علمه مطلق لا حدَّ له ، فهـٰذا الكون حَيَّ بعلمه ، أحياه وهو عالمٌ بأحواله ، فكيف يحيي من لا علم له ، فهو يعلم ما يصلح لنا وما لا يصلح ، بل يعلم ما فيه خير هـٰذا الكون كإنزال الكمية الواجبة من المطر لإحياء الأرض ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ (2) ، والإحياء يتطلب علم التقدير لما يستحقه الأحياء الذين خلقهم في هـٰذه الدنيا ، لأنه هو المحيي فذلك يستلزم علمه المطلق الذي يضم كل صغيرة وكبيرة : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (3) ، من أجل ذلك لا بد للخليفة أن يكون عليماً بما يصلح لنفسه ولغيره بل ما هو صالح لأمته ، وأن تكون حياته بعيدة كل البعد عن الجهل الذي يؤدي إلىٰ إماتة الروح والعقل ، فتتفشىٰ الأمراض الاجتماعية والفساد ويعم الظلام جوانب الحياة .

المحيي قادر :

عملية الإحياء تستوجب القدرة المطلقة ، هـٰذه القدرة التي يتفرد بها

---

(1) الأنعام ، 27 .
(2) لقمان ، 34 .
(3) الأنعام ، 59 .

الخالق عز وجل ، وهي التي لا يستطيع أي مخلوق الادعاء بامتلاك مثلها ، وفي هٰذا المجال تحضرنا قصة الذي حاج سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في ربه ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (1) ، وهٰذا الطلب الذي رد سيدنا إبراهيم علىٰ الكافر به هو بحد ذاته تجسيد لتفرد الخالق بقدرة مطلقة لا يتخيلها العقل البشري ، وفي آية أخرىٰ تتضح لنا قدرة المحيي التي جسدتها عملية خلقنا ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) .

وعليه أتساءل : كيف يكون الخليفة محيياً ؟

1 ـ إحياء العقول بالعلم :

فالعقل البشري يحيا ويموت كالنفس البشرية تماماً ، وسبب إحيائه يكون بتزويده بالعلم الذي يقود إلىٰ الإيمان العميق القائم علىٰ الاقتناع والبرهان ، وهٰذا ما نلحظه في تكرار وتأكيد مخاطبة المحيي للعقل الإنساني داعياً إياه للتفكير والتحليل ، الذي بالضرورة سينتهي بالإيمان القوي ، قال تعالىٰ : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ

(1) البقرة ، 258 .
(2) البقرة ، 259 .

وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (1) ، وما هٰذا الكون إلا حافز لهٰذا العقل للتنبه والرجوع عن الضلال الذي قد يسيطر عليه فيميته .

وفي العلم إحياء للإيمان في النفوس ، أما الجهل ففيه إماتة لها ، لذلك لا يمكن أن يتساوىٰ كل منهما في الحياة ولا في الآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (2) ، فالعلم حياة والجهل موت وفناء ، يؤدي بصاحبه إلىٰ سوء المصير بكفره وعصيانه اللذين أحياهما جهله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (3) ، فالعقل هو الفيصل الذي به يفرّق بين الحق والباطل ، فيقود صاحبه إيماناً إلىٰ النجاة وكفراً وشركاً وضلالاً إلىٰ الهلاك .

وعملية إحياء العقل تتطلب من الخليفة عزماً وثباتاً علىٰ حبه ومداومته لطلب العلم ، لأن فيه نجاته من ظلمات الجهل ومهالكه وسوء عاقبته .

2 ـ إحياء الأخلاق بالإيمان :

الخُلق هو المكون الأساسي للإنسان فلا نستطيع أن نفصل بينهما ، لذلك نجد اختلافاً بين الناس يسببه اختلاف أخلاقهم ، فنجد منهم الصالح والكريم والصادق والحليم ونجد المفسد والمنافق والشرير ، وهٰذا التباين بين الناس

(1) النحل ، 11 ـ 14 .
(2) الزمر ، 9 .
(3) الملك ، 10 ـ 11 .

يوضح الحي منهم والميت بالرغم من أنهم جميعاً أحياء يتنفسون ويتحركون ، لـكنهم بقياس الأخلاق ليسوا جميعاً كذلك ، فالإنسان المتصف والملتزم بالإيمان الخالص المتمثل بالاستسلام والانقياد لأوامر ٱلله والسير علىٰ خطا رسوله ﷺ يكون محيياً لأخلاقه بهـٰذا الإيمان الذي بغيابه تموت هـٰذه الأخلاق وبموتها يُعتبَر الإنسان ميتاً في الحياة ، والميت لا يستحق أن يخْلُف الحي الذي لا يموت .

ولقد اصطفىٰ ٱلله خلفاءه وميّزهم بحسن الخُلق فكانوا أحياءً عبر التاريخ ، ولنا في رسول ٱلله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة ، قال تعالىٰ : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) ، وهـٰذا ما كان عليه بقية الأنبياء والرسل صلوات ٱلله عليهم من أخلاق حميدة وهم خلفاء المحيي بالإجبار ، فعلىٰ من يختار أن يكون خليفة ٱلله تعالىٰ أن يتحلىٰ بحسن الخلق ، فيحيي بذلك أمةً أرادها ٱلله أن تكون في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (2) .

3 ـ إحياء الخير في النفوس :

ولا يكون ذلك إلا بتثبيت العمل الدائب لنشر الصلاح بين العباد ، ومن ذلك :

أ ـ **الدعوة إلىٰ الصدقة** : لما فيها من إحياء لروح التآلف والأخوة ، وتنمية الإحساس بالغير وإماتة للشح في نفوسنا ، وفيها تلبية لدعوة ٱلله تعالىٰ لذلك : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (3) ،

(1) القلم ، 1ـ4 .
(2) آل عمران ، 104 .
(3) البقرة ، 276 .

وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (1) ، فطوبىٰ لمن أحيا الصدقات والخير بين الناس ، ولو كانت بكلمة طيبة ، لأن الكلمة الطيبة صدقة تحافظ بها علىٰ مشاعر وكرامة الفقير ، وكذلك عدم المن والتجريح بإشهارها أو التفاخر بها ، نزولاً لقوله تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (2) ومن هـٰذه الآية نستطيع أن نستدل علىٰ أن في الصدقة إحياء وذلك من وعد ٱلله بالأجر لمن تصدق كان ذلك إحياء للأمل في روح المنفق وتشجيعاً له ، فيعمل هـٰذا المنفق علىٰ إحياء نفسه بالصدقات والإنفاق .

ب ـ **الدعوة إلىٰ السلام والتسامح** : ففيهما اطمئنان للنفوس البشرية المختلفة ، فبذلك يكون إماتة للحقد والكراهية ، وهـٰذا ما حرص الإسلام علىٰ نشره والدعوة إليه ، وها هو رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يوضح لنا ذلك ، عَنْ أَبِي أَيُّوب الأنصَارِيِّ أَنَّ رسول ٱلله ﷺ قَالَ : « لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ » (3) .

(1) التوبة ، 104 .
(2) البقرة ، 261ـ264 .
(3) صحيح البخاري ، ج 19 ، ص22 .

4 ـ إحياء العلاقات الاجتماعية بالتواصل وصلة الرحم والحب :

فبالحب تحيا الأنفس وتنتعش الأمة المستخلفة في الأرض بهدف الإصلاح والفلاح فيها لا بهدف الإفساد وسفك الدماء بغير حق ، والحب لا يختص بأفراد محدودين بل إنه شامل لكل ما حولك ، بداية بحب المحيي الذي بحبه تحيي ذكره في نفسك ، وثانيها حبك لذاتك لأنك أن أحببتها أحييتها بهٰذا الحب ، وحبك للوالدين والأقرباء والأصدقاء والفقراء والجيران ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (1) .

5 ـ إحياء سنة الرسول ﷺ :

هو إحياء لمكارم الأخلاق وللخير بعمومه ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (2) .

6 ـ إحياء الدين :

بالالتزام وإماتة الشهوات التي تسبب انحراف الإنسان عندما يكون حجم الإيمان أقل من قوة الشهوة ، فتتغلب علىٰ الإنسان شهوته الأمر الذي يعمل علىٰ خسارة حياته وآخرته ، قال تعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (3) .

---

(1) النساء ، 36 .
(2) الأحزاب ، 38 ـ 39 .
(3) آل عمران ، 14 .

7 ـ إحياء الحق بالعدل والجهاد :

والعدل يكون بالقول والفعل ، فلا يدوم الحق إلا بالنيل من الباطل في كل أمر ، وبوقفة شجاعة وجرأة من دعاته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] .

8 ـ إحياء الأرض بزراعتها :

فالخليفة لا يرىٰ في البذرة بذرة بل يراها شجرة تفيد الناس وتُظِلهم فيعمل علىٰ إحياء هـٰذه البذرة لتصبح شجرة .

وفي مقابل هـٰذا الإحياء الصالح نجد هناك نوعاً من الإحياء المفسد ، مثل إحياء بعض الأشخاص للعصبيات والفتن ، وهـٰذا بالتأكيد لا يستحق أن يكون خليفة .

في إحياء بعض الأشياء إماتة لغيرها مثل :

أولاً : في إحياء الحق إماتة للباطل :

إن في الحق قوة وعزة ، ولا يمكن أن يجتمع الحق مع الباطل ، لأن في زوال الباطل ظهور الحق والعكس صحيح ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [2] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [3] ، فعندما عم الفساد بين الناس بعث ٱلله الرسل والأنبياء لإحياء الحق وإماتة الباطل .

---

(1) الحجرات ، 9 ـ 10 .

(2) الإسراء ، 81 .

(3) الأنبياء ، 18 .

وفي القصاص إحياء للحق وإماتة للظلم ، فبتطبيق القصاص العادل تحيا العباد بأمن وسلام : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (1) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (2) .

والمحيي بالإضافة لابد أن يكون محيياً للحق دائماً لا يخشىٰ في ذلك لومة لائم فيصدع به ويسخِّر قوته في سبيل تحقيقه .

ثانياً : في إحياء الخير إماتة للشر :

الخير نقيض الشر وهما موجودان في الدنيا منذ الأزل ، وهما ملازمان للبشر منذ بدء الخلق ، وليس أدل علىٰ ذلك من قصة ابني سيدنا آدم عليه السلام ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (3) ، وهٰذا المشهد الذي صوَّره ٱلله لنا هو

---

(1) المائدة ، 45 .

(2) البقرة ، 178 ـ 179 .

(3) المائدة ، 27 ـ 31 .

تجسيد للخير والشر معاً ، ولابد أن ينتصر أحدهما علىٰ الآخر لاستحالة إحيائهما معاً .

ونحن نلاحظ كلما ساد الشر وهن الخير ، والعكس صحيح ، لذلك علىٰ المحيي بالإضافة أن يكون سهماً قاتلاً للشر في النفوس ، فيسير بين الناس محيياً للخير ، هـٰذه هي الأمة التي أرادها المحيي ، فالخير أساس كل نجاح وإصلاح ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (1) ، فالدعوة إلىٰ الخير هي دعوة لإحياء النفوس الميتة بإماتة الشر فيها ، لذلك كانت دعوة الرسل جميعاً والأنبياء لإحياء الخير وتعمير الأرواح به ، وعلىٰ خلفاء المحيي بالإطلاق أن يسيروا علىٰ هـٰذا الدرب في زمنٍ كثر فيه الشر ونقص فيه الخير .

ثالثاً : في إحياء الحب إماتة للبغض :

فالحب هدية من عند المحيي يضعه في قلوبنا ، وينشره حولنا ويدعو إليه ، فلو تأملنا نجد أن الطفل في أول خروجه للحياة يتلقاه أعظم حب بعد حب ٱلله تعالىٰ وهو حب الأم والأب وهـٰذا دليل علىٰ تأكيد ٱلله تعالىٰ علىٰ أن نحيي بالحب ونُحْيي به ، كما أننا لا نجد من خلفاء ٱلله تعالىٰ من يمتلئ قلبه بالكراهية والحسد بل من صفاتهم أن قلوبهم حية نابضة بالحب والرحمة ، لأن الحب يستوجب الرحمة ، ولنا في رسول ٱلله ﷺ قدوة حسنة إذ علمه ٱلله تعالىٰ كيف يحيا وكيف يحب ويُحَب ، قال تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (2) ، فمن كان محباً يرغب في القرب من الحبيب دائماً وهـٰذا ما كان عليه رسولنا الكريم ـ عليه الصلاة

(1) آل عمران ، 104 .

(2) آل عمران ، 159 .

والسلام ـ مع المحيي عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (1) ، فما أروع هٰذا الحب الذي يحيي القلب ويعمّره فلا يستشعر التعب والكرىٰ ، بل يطلب القرب والرضا ، فكيف لمثل هٰذا القلب المعمر بالحب أن يدخله الحقد والبغض ؟ لا أرض هناك في قلب المحب تنبت فيها أشواك الكراهية ، فمتىٰ عمِرَ وكبر الحب تراجع البغض الذي لا مكان له إلا في قلوب أتباع البغيض ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (2) .

وهناك ثلاثة أنواع من الإحياء ، نوع حي في الحياة ونوع ميت في الحياة ونوع حي في الموت .

النوع الأول : هو الحي في الحياة :

وليس المقصود بالحي هنا هو الإنسان الذي يأكل ويشرب ويتنفس ويتحرك ، بل الذي يعرف حق المحيي عليه ، فيخشاه ويطلب رضاه ، ويحيي الليل بذكره ودعائه ، محسناً مستغفراً الذي خلقه ورزقه وأحسن إليه ، قال

---

(1) المزمل ، 20 .

(2) آل عمران ، 118ـ120 .

تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (1) ، إن الحياة في عينه عطاء وحب وحلقة وصل بالآخرة التي يتشوق إليها ، إذاً هو حي في الحياة له أثر طيب فيها ، وهو حيٌّ بإحياء العقول بالعلم وإحياء القلوب بالدعوة للخير ، وإحياء الأرض برعايتها ، بذلك يمتد أثر حياته الإيجابي علىٰ الحياة بصفة عامة فيُؤثر ولا يتأثر بما في هٰذه الدنيا من مفاسد وشرور ، فحياته يكمن فيها إحياء للغير في الدنيا وإحياءٌ له في الآخرة ، فالفائز برضا المحيي في الدنيا والآخرة هو حيٌّ ، والفائز بشفاعة النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو حيٌّ ، وهٰذا هو مقياس الحياة الصحيح الذي يقيس به الخالق الحي من الميت ، وعلىٰ الرغم من توارد وتوالي الأمم والأجيال نجد أن هناك الكثير ممن جاء للدنيا وخرج منها ميتاً لا حياة فيه ، أحياه ٱلله بكرمه وحبه فأمات نفسه بولائه للشيطان بخسرانه المبين ، قال تعالىٰ : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (2) .

لكن طالب الحياة بحق هو الفائز ، لعلمه بقيمة هٰذه الحياة واستفادته منها كما أراد المحيي ، فكان حياً في الدنيا وسيحيا في الآخرة ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ ٱللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ ٱلله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلان تَحَابَّا فِي ٱللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ ٱللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » (3) .

---

(1) الذاريات ، 15ـ19 .
(2) النساء ، 120 ـ 121 .
(3) صحيح مسلم ، ج 5 ، ص229 .

فكيف يموت من عَمِر قلبه بالخير ونبض بحب المحيي ؟

والتائب من ذنبه أيضاً يكون كمن لحق بالحياة بعد أن شارف علىٰ الهلاك ، لأن في التوبة عودة للمحيي وفي هـٰذه العودة استرجاع لحياة كانت قد شارفت علىٰ الفناء ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1] ، فرحمة المحيي بنا هي بحد ذاتها إحياء لنا ، فالمحروم من رحمة ٱلله تعالىٰ هو هالكٌ وخاسر ، والعودة إلىٰ ٱلله هي عودة من الموت إلىٰ الحياة من جديد ، فلنبحث عن رحمته بالعودة إليه ونحافظ علىٰ حياتنا بالحفاظ علىٰ إحياء حب المحيي في قلوبنا ووجادننا ، فهـٰذا الحب الذي لا تفنىٰ معه الحياة ولا تنتهي ، لذلك فقد شرّع المحيي لنا أبواباً واسعة لإحياء النفس في الدنيا ، بقبوله مغفرة كل الذنوب صغيرها وكبيرها إذا صدق الإنسان التوبة ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [2] ، ما أعظم حب ٱلله لنا وحرصه علىٰ إحيائنا في الدنيا ! وبالرغم من ذلك فكم من الفرص الضائعة من البشر لكي يستعيدوا حياتهم قبل أن تفلت منهم وتنتهي .

والنوع الثاني : هو الميت في الحياة :

وهو بعكس النوع الأول ، فهو الذي يتنفس ويتحرك لـٰكنه ليس بحي ، أي أنه أقرب للميت ، فلا فائدة من حياته الفاسدة المليئة بالشرور والمعاصي ، أولـٰئك أتباع الشياطين لا حياة لهم في الدنيا ولا في الآخرة فقد خسروا الدارين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

(1) الزمر ، 53 .
(2) النساء ، 116 .

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [1] ، ففي الخسارة موت وفي الربح حياة ، وإن لم تكن الحياة معبراً للجنة وفسحة أمل للتوبة ونيل رضا ٱلله تعالىٰ فكيف ستكون حياة ؟

هـٰذه الحياة تنادي ضعفاء النفوس خدّام الشهوات ، يهرولون خلفها فلا يشبعون منها ولا يستفيدون ، بل إنهم يخسرون الحياة في حين أنهم يظنون أنهم يستمتعون بها ، فالساعي وراء الشهوات ميت ، لأن فيها ضياعاً ومفسدة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [2] ، وقاسي القلب ميت ، لأن حياة القلوب هي الرحمة والحب ، قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [3] . والمنافق والجاحد كلهم أموات يسيرون ويتحركون ، قال تعالىٰ : ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [4] .

النوع الثالث : هم الأحياء في الموت :

وهم فئة خصهم ٱلله تعالىٰ بهـٰذه الحياة الخاصة بهم تكريماً لهم ومكافأة

---

(1) هود ، 18 ـ 22 .
(2) النساء ، 27 ـ 28 .
(3) البقرة ، 74 .
(4) الأنفال ، 49 ـ 51 .

لما بذلوه في سبيله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1) ، وقد أكد ٱلله حياة أولـٰئك الشهداء الأبرار بعدة دلائل منها :

1 ـ **الرزق الذي يصلهم من عند خالقهم** : فالميت لا رزق له بل كيف يرزق من كان ميتاً ؟ وجاء الرزق هنا للتأكيد علىٰ إحياء هـٰؤلاء الشهداء تكريماً ومكافأة لهم علىٰ حرصهم لإحياء أرواحهم بالشهادة في سبيل ٱلله تعالىٰ .

2 ـ **الفرح الذي هو سمة لمن كان حياً** : فالمعروف أن الإنسان عندما يفارق الحياة يغيب عنه الشعور بالفرح والحزن وغيرها من المشاعر التي تتطلب الحياة ، لكّن ٱلله أكّد حياتهم واصفاً حالها بالفرح والسعادة .

3 ـ **الاستبشار الذي هم عليه هو ينطق بالحياة في حقهم** : فلا بشرىٰ لميت يشعر بها ويعيشها ، لأنها تتطلب الحياة .

وقد خصص المحيي بالإطلاق هـٰذه الصفات لطمأنينة أهلهم ولإحياء الرغبة لمن بعدهم بالشهادة ، وهو أن الدنيا في عيون المسلمين .

فحياتنا وموتنا بيد المحيي والمميت ، فهو يحيي من يشاء ويميت من يشاء ، فنجد من يعيش أكثر من مائة عام ، وغيره لا يرىٰ حتىٰ نور الحياة ، وغيرهما من يتوفىٰ في سن الطفولة أو الشباب ، فكلٌّ له قدر لا مفر له منه ، فالحي المطلق يهب الحياة بحق لمن أحبه فيلقي بحب هـٰذا الإنسان في قلوب الناس ، ويهب الموت والفناء والعدم حتىٰ في الدنيا لمن أراد الشيطان وتولىٰ

---

(1) آل عمران ، 169 ـ 171 .

عن حب ٱلله فلا حياة له في الحياة ولا في الآخرة ، لأن حب ٱلله لا يجتمع مع حب الدنيا والمفاسد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ (1) .

والحياة بنفسها تهدي لنا العبر والمواعظ التي من شأنها تقييم سلوكنا وكبح شهواتنا ، التي إذا حكمتنا ضاعت قيمة الحياة وخسرنا خسراناً عظيماً والتاريخ أكفأ معلم لنا إذا شئنا ، لأنه يوضح لنا أن داخله هو الحي الذي يحيىٰ الناس بعلمه أو حكمته أو اكتشافه ، وكم من ملايين الخلق الذين عبروا هـٰذه الحياة دون أن يسجلوا أسماءهم فيه فمضوا دون أن يلتفت إليهم أحد ، فقد مات وانتهىٰ من كانوا جبابرة عبر التاريخ وملوكاً وطغاة أمثال فرعون وقارون وغيرهما لم يستطع أي منهم أن يُخّلد في الحياة بماله أو ملكه أو جبروته ، بل إنهم أصبحوا عبرة للانكسار والهزيمة والفناء ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ (2) ، وهـٰذا قارون الذي كانت نهايته كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ۝٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (3) ، فأين هم من الذين بقوا أحياءاً بعلمهم وحبهم للمحيي الذي أحياهم بحبه لهم ، كمثل الأئمة الأربعة الذين أناروا الدنيا بمذاهبهم التي نسير عليها ليومنا هـٰذا علىٰ الرغم من فقرهم وبساطتهم ، لـٰكنهم ملكوا مفتاح الحياة في الباقية في القلوب

(1) النحل ، 20 ـ 21 .
(2) آل عمران ، 10 ـ 12 .
(3) القصص ، 81 ـ 82 .

وهو حب ٱلله تعالىٰ لذلك أحياهم ٱلله بالذكر الجميل في الدنيا ، والكثير ممن بقوا أحياءاً بآثارهم في الإصلاح .

والخليفة يكون محيياً لحب ٱلله تعالىٰ بكل ما يملك ، فبعينيه الدامعتين لتلاوة القرآن خشوعاً : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [1] ، وجسده الذي يرتعش من خشية المحيي : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [2] ، وبقلبه النابض بالحق والرحمة والاطمئنان بالمحيي ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [3] ، فيسعىٰ في الأرض ناشراً للفضيلة داعياً للمعروف والإصلاح ، متصلاً بالمحيي اتصالاً لا ينقطع بزوال نعمة ، لأن من انقطع اتصاله بالمحيي انقطع بذلك عن الحياة لأن الاتصال الدائم بالخالق دليل حياة الإنسان .

والباحث عن أن يكون محيياً لابد أن يبحث عن الإصلاح ، لأن فيه حياة تدوم وتعمر ، والإصلاح له عدة صور منها :

أ ـ إصلاح النفس البشرية بتخليصها من الأمراض والكفر والشرور : ففي الإصلاح حياة وفي الفساد موت وهلاك ،والرغبة في الإصلاح سبب رئيسي لقبول العمل ، قال تعالىٰ : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [4] ، ولنا في رسول ٱلله ﷺ أفضل مثل نحتذي به ، إذ

---

(1) المائدة ، 83 .
(2) الزمر ، 23 .
(3) الرعد ، 28 .
(4) النساء ، 114 .

أنه بُعث في زمن كثرت فيه المفاسد والمعاصي ، فشق طريقه بالدعوة للإصلاح والهداية ، لأنه ما من إنسان اهتدىٰ إلىٰ الحق إلا وأصلح ما كان في نفسه أولاً وكانت له الرغبة في إصلاح غيره ، ولا يكون الإصلاح إلا بالتمسك بالله واتباع أوامره والبعد عن نواهيه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (1) ، وفي المقابل فإن المفسدين في الأرض هم قتلة لأنفسهم أولاً وللحياة ثانياً ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (2) ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (3) ، فالكفر يستتبع الفساد ، والفساد يستتبع الخسارة ، والخسارة لا حياة فيها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ

---

(1) الأعراف ، 170 .

(2) البقرة ، 6ـ16 .

(3) البقرة ، 27 ـ 28 .

وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [1] .

فكن أيها الخليفة مصلحاً بادئاً بنفسك محيياً إياها ، لأن حياتك أمانة ولابد لك من أن ترعىٰ هٰذه الأمانة ، ومصلحاً لغيرك محيياً لهم بما أهداك المحيي من قوة بدنية أو من علم أو من حكمة ، محققاً هدف إحيائنا علىٰ هٰذه الأرض وهو خلافتنا لها ، فهدف خلقنا من الأساس كان للاستخلاف في الأرض ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، إذاً خلافتنا في الأرض تتطلب الإصلاح الذي يميت الإفساد والدمار .

ب ـ **إصلاح الأرض البور** : الأرض التي سخّرها وأحياها المحيي بالإطلاق من أجلنا ، لا بد أن نحافظ علىٰ حياتها فنرعاها ولا نفسدها : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [3] ، إنها نعمة ٱلله لنا الأولىٰ أن نحمده ونشكره عليها لا أن نجحد ونتكبر ، فالأرض أمانة حمّلها لنا الخالق منذ بداية الحياة ، فإن صلحت فبنا وإن فسدت فبنا أيضاً ، والأرض تشبه الإنسان لأنها تحيا بالإصلاح وتموت بالفساد ، فطوبىٰ لمن زرع شجرة استظل بها إنسان ما من شدة الحر ، أو من رعىٰ الدواب والنبات ، أو حتىٰ من أزاح الأذىٰ من

---

(1) البقرة ، 204 ـ 205 .

(2) البقرة ، 30 .

(3) الرعد ، 3 ـ 4 .

علىٰ الطرقات ، عَنِ الأعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ »[1] .

أليست هي من أطعمت مريم بأمرٍ من ٱلله تعالىٰ لمريم بذلك ؟ قال تعالىٰ : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[2] ، فهـٰذا المشهد الذي يصوّر كرم الأرض باستجابتها لرغبات وطلبات الإنسان يوحي بمدىٰ الحياة التي تدب فيها .

فكن من خلفاء المحيي بالإطلاق في الحفاظ علىٰ هـٰذا الإحياء للأرض ، متبعاً وصية رسولنا الكريم ﷺ عندما أمر أن لا يقطع المسلمون في الحرب شجرة ، مقرناً إياها بوصيته بعدم قتل الشيوخ والأطفال ، وهـٰذا بحد ذاته يدل علىٰ أن الأرض لها حقٌّ علينا كما للإنسان ، فإن سلبناها هـٰذا الحق بالفساد فيها فقد خالفنا أمر المولىٰ عز وجل ، لأن إحياء الأرض إحياء للبشر لارتباطهما معاً فلا حياة لأرضٍ ميت أصحابها ، ولا حياة لأناس ميتة أرضهم .

أيها الخليفة عش مستحضراً في ذهنك وقلبك وروحك مبادئ السمو والرفعة في هـٰذه الدنيا ، لأن خلفاء ٱلله تعالىٰ هم من جعلوا من حياتهم الدنيا باباً يمرون عبره للفوز العظيم يوم الدين ، وهـٰذه المبادئ والقيم لم تخف يوماً علىٰ أحد ، فهي كل خير وكل عمل صالحٍ من شأنه أن يتغلب علىٰ الدنيا فلا تقوىٰ عليه فتغويه وتودي به للهاوية ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ

---

(1) صحيح مسلم ، ج 13 ، ص47 .
(2) مريم ، 23 ـ 26 .

وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ
ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] ، بذلك يصل الخليفة إلىٰ الاستقامة التي تجمع كل ما هو خير وصالح وهي اختصار لكل الصفات التي يجب أن يسير عليها ، وهـٰذا ما أوضحه لنا رسولنا الكريم ﷺ الذي علّمه ٱلله ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلله الثَّقَفِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ ! قَالَ : « قُلْ رَبِّيَ ٱللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ » [2] .

وهـٰذه الأساسيات تيسر للخليفة كيفية إحياء ذاته بالشكل الذي تستحقه ، فقد كرّمنا المحيي بهـٰذا الإحياء وخلّفنا في الأرض نرعاها ونعمرها ، فكيف يكون السبيل لتحقيق ذلك إلا بهـٰذه الأخلاق التي خصت خلفاء ٱلله تعالىٰ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ ٱللهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ! مَا عَلَىٰ مَنْ يُدْعَىٰ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أحد مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟ ! قَالَ : نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » [3] .

---

(1) آل عمران ، 133 ـ 140 .
(2) سنن الترمذي ، ج 8 ، ص341 .
(3) موطأ مالك ، ج3 ، ص378 .

اللهُمَّ يا المحيي اجعل الطمأنينة ملء نفوسنا ومحبتك ملء قلوبنا ! اللهُمَّ يا المحيي ازرع فينا طاعة الوالدين في غير معصيتك واجعلنا من المحسنين إليهم !

اللهُمَّ اجعلنا من الذين يُحيون الأرض بإصلاحها وفلاحها وإعمارها وزرع الخير والأعمال الحسان فيها ولا تجعلنا من المفسدين والعابثين !

اللهُمَّ يا المحيي أحينا علىٰ الإيمان وأمتنا عليه ، وأحي في قلوبنا طاعتك وأمت معصيتك ! اللهُمَّ أحينا حياة طيبة في الدنيا والآخرة ، واجعلنا من أصحاب الحياة في الجنة ولا تجعلنا من أصحاب النار !

اللهُمَّ أحي في قلوبنا ما تحب وترضىٰ ، واجعلنا من الساعين في إحياء ما تحب وترضىٰ ! اللهُمَّ أحينا علىٰ طاعتك ولا تحينا علىٰ معصيتك إنك مجيب الدعاء محيي القلوب !

اللهُمَّ أحينا علىٰ الإيمان وأمتنا علىٰ الإيمان وابعثنا أحياء علىٰ الإيمان سبحانك يا المحيي أنت الرحمـٰن !

اللهُمَّ يا المحيي أحينا علىٰ ملة الإسلام وأمتنا عليها ، وأحينا إن كانت الحياة خيراً لنا ، وأمتنا إن كانت الحياة شراً لنا ! اللهُمَّ يا المحيي أحي قلوبنا بالإيمان وبنور معرفتك ! اللهُمَّ أحي بصائرنا بنورك العظيم لنتبع خطوات عبادك من الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولـٰئك رفيقاً !

اللهُمَّ يا المحيي اجعلنا من الذين تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقتهم ينفقون ! اللهُمَّ أكرمنا بعفوك ورحمتك وفضلك يا المحيي للنطفة الميتة فتخرج منها النسمة الحية ، والمحيي للأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث ، والمحيي للأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق ، أحيينا برحمتك يا المحيي يا ٱلله !

المُمِيتُ جلّ جلاله

المميت : هو من لا يطاله الموت ، فهو الباقي وبيده الأمر الذي يحيي ويميت ، أي : إنه خالق الحياة والموت معاً ، وهو المتصرف في شأنهما .

المميت : « هو خالق الموت » [1] .

المميت : ٱلله تعالىٰ « خلق الموت كما أنه خالق الحياة لا خالق سواه استأثر بالبقاء وكتب علىٰ خلقه الموت » [2] .

الْمُمِيت : « هُوَ الَّذِي يُمِيتُ الأَحْيَاءَ ، وَيُوهِنُ بِالْمَوْتِ قُوَّةَ الأَصِحَّاءِ الأَقْوِيَاءِ : يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تَمَدَّحَ سُبْحَانَهُ بِالإِمَاتَةِ كَمَا تَمَدَّحَ بِالإِحْيَاءِ ، اسْتَأْثَرَ بِالْبَقَاءِ ، وَكَتَبَ عَلَىٰ خَلْقِهِ الْفَنَاءَ » [3] .

والمميت هو الذي بيده إماتة الحياة وإماتة الموت لتبقىٰ الحياة سرمدية لا موت فيها ويبقىٰ الخالدون في جنات النعيم ، والمعذبون حطب جهنم .

المميت في حق ٱلله تعالىٰ هو من قدّر الموت علىٰ كل مخلوق ، فلا أحد يملك أمر الموت غيره ، لأنه المقرر والقادر عليه الذي به يحدد لكلٍ أجله باختلاف الأسباب ، فهو الذي أودع الحياة وبث الروح فينا ، وهو الذي

(1) المواقف ، ج 3 ، ص 311 .
(2) تفسير أسماء الله الحسنىٰ ، ج 1 ، ص 56 .
(3) الأسماء والصفات للبيهقي ، ج 1 ، ص 186 .

يسترجع هـٰذه الروح منا بخلقه للموت الذي يسلب الأرواح من الأجساد .

إن المميت هو فاعل أمر الموت الذي يوكله لملك الموت ، ليقبض أرواح الخلق ، فكل من علىٰ وجه الأرض فانٍ ولا يبقىٰ إلا وجه الخالق ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (1) ، فالفناء قدر جميع الخلق ، مصلحين ومفسدين ، مؤمنين وكافرين ، جميع الأجناس والأعمار ، فقد رحل كل من كان من خلق ٱلله تعالىٰ وطوتهم الأرض حتىٰ الأنبياء والرسل والصالحين ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (2) ، وسيرحل الباقون ، فالله هو المميت بقدرته جميع الأحياء ، وهو الوحيد الذي لا يطاله الموت .

واسم المميت فيه يظهر لنا مصير هـٰذا الكون بجميع من عليه ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (3) ، ولأن هـٰذا الكون ملكٌ لله ؛ فإنه مالك له بالتصرف في أموره ، فالحياة والموت أمران مرتبط كل منهما بالآخر ، وهما بأمر المولىٰ عز وجل فقط ، وهـٰذا من شأنه أن يجعل الإنسان دائماً علىٰ استعداد للقاء المميت في أحسن حال ، لأنه لن ينفع ندم ولا أسف علىٰ ما قصّر الإنسان في حق ٱلله أولاً وفي حق نفسه ثانياً ، فمن أهمل اسم المميت في حياته أهمله ٱلله ولم يتلفت إليه ، فهو الغني عن كل ما خلق . فالإنسان هو المحتاج إلىٰ المولىٰ ويسعىٰ لرضاه ، هـٰذه هي حقيقة العلاقة السوية التي يجب أن تكون بين العبد وربه ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ

---

(1) الرحمـٰن ، 26 ـ 27 .
(2) الزمر ، 30 .
(3) الأنعام ، 73 .

ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) .

واسم ٱلله المميت يحمل في طياته عدة معانٍ أخرىٰ منها :

المميت مبدئ للحياة ومبدئ للموت :

البداية تكون بالإحياء ، فالله تعالىٰ يبدأ الحياة بالخلق ، فيبث الروح في الأجساد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (2) ، فلا يستطيع أن يميت من لا يستطيع أن يكون مبدئاً ، ولا حساب دون أعمال ، والأعمال تبدأ ببدء خلق الإنسان والحساب بإماتته وإرجاعه يوم الحساب .

والمميت مبدئ للموت بخلقه ، ومميت له يوم الحساب بإرجاع الروح فينا ، فلا يمكن أن يميت الخلق إلا من بدأ الخلق بأمره ، ولا يمكن أن يميت الموت إلا من بدأ خلق الموت ، فالإنسان والموت مخلوقان ألزم المميت أحدهما الآخر ، فلا يمكن لأي إنسان أن ينفصل عن الموت ، حتىٰ لو أنه هرب واختبأ ، قال تعالىٰ : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (3) .

والله تعالىٰ بدأ خلق الموت لإماتة الخلود للإنسان ، مع أننا نجد الكثير من البشر يتمنون الخلود وهم في اعتقادهم سيفرون من الموت : كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (4) ، فبما أن الإنسان مخلوق فالموت جارٍ عليه ، أما المميت فلا يطاله لأنه مبدئ

---

(1) المائدة ، 119 ـ 120 .

(2) الروم ، 27 .

(3) النساء ، 78 .

(4) البقرة ، 96 .

بخلق هـٰذا الموت ، والمخلوق لا يقوىٰ علىٰ خالقه .

ولنا في التاريخ أكبر شاهد علىٰ ذلك ، فقد رحلت كل الأقوام السابقة دون رجعة للدنيا ، أبدأهم ٱلله بالإحياء ثم أماتهم ، ليكونوا عبرة لمن بعدهم ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (1) .

فالمميت مبدئ بالخلق والموت لأنهما بأمره سبحانه وتعالىٰ ، ولا يمكن أن يتدخل أي مخلوق في سيرهما .

المميت قادر :

هـٰذه القدرة التي لا حدود لها والتي لا يصل إليها العقل البشري ، فالقدرة علىٰ الإحياء هي نفس القدرة علىٰ الإماتة ، لأن الفاعل القادر واحد لا يتعدد ولا يتغير ، ففعل الإماتة بيد المميت وحده لا يستطيع أحد أن ينهي حياة إنسان دون الأمر (كن) الذي هو بالنسبة لفعل الموت بيد المميت ، لأن لكلٍ قدراً كتبه ٱلله تعالىٰ ولا مفر منه ، فمثلاً إذا قام شخص بقتل آخر ليس هـٰذا معناه أنه أنهىٰ حياته بقدرته وقوته ، بل لأن ٱلله كتب عليه الموت ذلك الوقت بتلك الأسباب التي اقترفها أو التي كتبت عليه سواء كان بريئاً أو غير ذلك ، فإن كان بريئاً ، فالذنب سيكون علىٰ قاتله ، وإذا كان قد قتل بذنبه فيكون ذلك جزاءه ، وكم من الغرائب نسمع بها ونشاهدها بأعيننا من أنه قد وقع حادث لمجموعة من الأشخاص وماتوا جميعاً إلا طفلاً رضيعاً ! أو امرأةً مسنةً قضت

---

(1) فاطر ، 42ـ44 .

أياماً تحت دمار بيتها في الحرب دون أن تفقد حياتها ، وغير ذلك لأن ٱلله قادر علىٰ أن يهب الحياة ويُنهيها كيفما يشاء ، لأنه هو الذي يملك القدرة علىٰ كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، والله قادر علىٰ أن يجعل الحياة أياماً معدودة ثم يكون الموت جماعياً لكل البشر ، لـٰكنه تفاوت في ذلك لعلمه وحكمته تعالىٰ ، فهـٰذا التفاوت في الأعمار والأقدار دليل واضح علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ الإماتة والخلق ، ولكي لا يرتبط الموت بالتقدم في السن أو بالمرض مثلاً ، ولأخذ العبر ممن سبقونا في الحياة وتركوا كل الدنيا وراءهم ، هـٰذه الدنيا التي سلبت آخرتهم منهم باللهو والكفر والمعصية ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (2) .

فالمميت قادر ، والقادر مميت ، والفعلان مطلقان في حق ٱلله تعالىٰ ، فلا حدود لقدرته علىٰ الخلق ، ولا حدود لقدرته علىٰ الإماتة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (3) .

المميت خالق الحياة من بعد إماتته للموت ، والمميت ليس بقاتل ، القتل

---

(1) المائدة ، 17 .
(2) الحج ، 5 .
(3) الأنعام ، 73 .

فعل يتعلق بالمخلوق بشراً كان أم حيواناً (ثعبان ، أو عقرب ، أو ذئب ، أو أسد ، وغيرها كثير) أم كان طيراً ، أم سمكاً ، أم نباتاً ، ولكل أسباب ؛ ولذا علينا أن نفرق بين المميت الذي لا يميت أحداً قبل يومه الذي كتب له ، وبين القاتل الذي يجني علىٰ الحياة حتىٰ وإن كان أجلها المكتوب من عند المميت جل جلاله .

ولأن الموت مؤقت ، فإن الإماتة في أساسها بغرض الحياة ، ولذا المميت يميت من أجل الحياة ، ولهٰذا فالموت حق والإماتة حق ولا تفعل إلا بالحق .

ولأن الموت حق فكل من خلق سيأتيه الموت حقاً ، ولا يظلم ربك أحداً ، فلا إنس ، ولا جنَّ ، ولا موت ، إنه الحي الباقي ، قال تعالىٰ : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (1) ، لأنه القادر علىٰ كل من في الأرض والسماء ، بل إنه يمنح من يشاء من الجن والإنس بعض القدرات التي لا تتوفر لدىٰ غيرهم ، وهو القادر علىٰ إماتة هٰذه القدرات فيهم ، وهناك الكثير من الأمثلة علىٰ ذلك ومنها :

مثلما جعل للجن قدرة كبيرة علىٰ التصرف والإمكانيات التي يعجز عنها غيرهم ، كما حدث مع الجن الذي سخّره الله تعالىٰ لخدمة سيدنا سليمان ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا

(1) غافر ، 15 ـ 16 .

عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [1] .

لٰكنه أيضاً قادر علىٰ أن يميت هٰذه القدرة إذا شاء فهو الذي أمات قدرة الجن علىٰ استراق السمع ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [2] ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [3] ، هٰذا أكبر دليل علىٰ قدرة ٱلله علىٰ إماتة أي قدرة أمامه ، فلا يستطيع أي مخلوق أن يصل إليها .

ومثل منح ٱلله تعالىٰ القدرة لسيدنا سليمان علىٰ التحدث والتخاطب مع غير البشر ، كالنمل ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [4] ، أو تخاطبه مع الهدهد ، كما جاء في الآيات الكريمة : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [5] ، أو قدرته علىٰ امتلاك بعض مكونات الطبيعة فتأتمر بأمره وبقدرته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن

(1) النمل ، 38ـ41 .
(2) الصافات ، 6ـ10 .
(3) الحجر ، 16ـ18 .
(4) النمل ، 17ـ19 .
(5) النمل ، 20ـ22 .

يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [1] .

فمن أحيا هـٰذه القدرات في بعض الأشخاص لهدف وغاية هو قادر علىٰ إماتتها ، وهـٰذا أكبر رادع لأي إنسان يمتلك أي نوع من القدرات الفائقة للبشر العاديين أن يستغلها في نشر الفساد والرذائل ، لأنه قد يجد نفسه ضعيفاً معدوم القوىٰ بقدرة القادر المميت لأي قدرة سواه ، فالممتلك لقدرة جسدية أو ذهنية عليه أن يتذكر أنها من خلق الرحمـٰن وأنه قادر علىٰ أن يميتها وقتما يشاء فلا يتجبر بها ولا يتفاخر .

المميت لا يموت :

لا يهب الحياة إلا من كان حياً لا يموت ، ولا يملك أمر الموت إلا المبدئ للحياة ، والمحاسب عليها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [2] .

وهو إن لم يكن حياً لما استطاع الإماتة والإحياء ، فالموت يأتي بعد الحياة لأنه لا يموت من المخلوقات إلا من كان يتصف بالحياة والحركة ، أما المميت فهو دائم الحياة لا يموت ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [3] .

وصفة دوام الحياة هي للحي فقط دون سواه سبحانه وتعالىٰ ، فكيف يدرك الموت من كان خالقاً له الخلود والأزلية ؟

والخليفة المميت هو المميت للضغائن التي تحاك بين البشر ، والمكائد

---

(1) سبأ ، 12 .
(2) الفرقان ، 58 ـ 59 .
(3) الفرقان ، 58 .

والمكر الذي يدور بين الناس ظلماً لا حق فيه ، وذلك من أجل حياة طيبة بين الناس ، ومثل هٰؤلاء هم الوارثون والمستخلفون من أجل الإصلاح والهداية إلىٰ الحق ، ولهٰذا سيظلون أحياء ما بقيت ذكراهم تسطر في كتب التاريخ وسيظلون أحياء بجهادهم النفس وجهادهم بها وجهادهم بما يملكون مما يمتلكون .

إن المميت بالإضافة هو من يستمد صفاته من صفات خالقه الذي لا يميت شيئاً أو أحداً إلا بالحق ، وإحقاقاً للحق ، فمن تبع ذلك سيظل حياً علىٰ الحق ومميتاً علىٰ الحق ، وبهٰذا فهو المتصف بصفة المميت المطلق ، أما أولٰئك الذين يعتدون ويسفكون الدماء بغير حق فأولٰئك هم المفسدون في الأرض الذين استثناهم ٱلله من حق الاستخلاف ووراثة الجنة .

المميت قيوم :

هو القائم علىٰ الحياة ، وعلىٰ أمر الخلق ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (1) .

وهو قائم علىٰ أمر الرزق ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (2) .

وهو القائم علىٰ أمر الموت ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (3) .

(1) البقرة ، 255 .
(2) يونس ، 31 .
(3) آل عمران ، 185 .

وهو القائم علىٰ أمر الحساب ، قال تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (1) .

فهدف الإحياء أصلاً كان لخلافة الأرض بتعميرها وإصلاحها ، وبما أن البشر تباينوا في مسلكياتهم في الحياة فمنهم الصالح ومنهم المفسد فقد أوجد الخالق الحياة والموت من أجل أن يقوم الحساب العادل لكل إنسان ، والله عندما خلقنا علىٰ هـٰذه الأرض وضّح لنا طريق الحق من الباطل بإرسال الرسل وبالحجج والبراهين وترك للإنسان اختيار مسلك حياته ، أما الحساب فله وحده جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (2) .

المميت رحيم :

الرحمة أشد وأروع من الحب ، ففي الخلق رحمة وفي الموت رحمة ، فالله هو الرحيم حتىٰ في إماتته ، ومن الملاحظ أن الكثير من البشر متيقن من فكرة أن الموت نهاية الحياة فقط ، وأنه جالبٌ للحزن والألم ، ولم يخطر ببالنا أنه مع ذلك رحمة تتمثل في عدة أحوال منها :

الحالة الأولىٰ :

يرحم ٱلله البشرية بموت الجبابرة والظالمين ، فبموتهم راحة للبشرية واستعادة للأمان والطمأنينة لأن الظلم يميت حق الإنسان المظلوم في الحياة ونصيبه من الحرية والسعادة ، والله مميت للكفرة والجبارين الذين طغوا في الأرض وأفسدوا ، لأن بموتهم يتوقف أذاهم وفسادهم ، ولولا ذلك لتوسعوا

(1) الانشقاق ، 7ـ12 .
(2) الرعد ، 40 .

في دائرة الجحود والتجبر والظلم ، ولنا في التاريخ أكبر دليل علىٰ هـٰذا : لا يُذْكَر الطغيان والتجبر دون أن يُذْكر معه فرعون ، فهو علىٰ رأس الجبابرة الذين ساروا في الأرض بالفساد والتكبر ، فتوقف بموته هـٰذا الفساد والشر وفي ذلك رحمةٌ وسكينةٌ للعباد ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (1) .

والرحمة في موت الجبابرة تكون رحمة لبعض من قست قلوبهم بأخذ العبرة والحيطة ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ (2) .

فالمميت رحيم بعباده الضعفاء بإماتة الظالمين والمتجبرين الذي من شأنه رفع كابوس الجور الجاثم علىٰ صدورهم ، ورحيم بعباده الأقوياء أيضاً ، بإماتة روح الطغيان والتجبر في صدورهم فيخرجون من صفوف هـٰؤلاء الظلمة الخاسرين في الآخرة .

والخليفة لا يخاف الموت بل يخاف الظلم ، ويخاف الفساد في الأرض ، ويخاف عدم الإحسان إلىٰ الوالدين ويخاف أن تعم الرذيلة بين الناس وتختلط الدماء التي جعل لها الرحمـٰن صوناً من الفساد ، اللهُمَّ احفظ زوجاتنا وبناتنا وأولادنا وأخوتنا جميعاً من كل المفاسد والشرور واجعلهم آمنين وهم فيها مستخلفون !

---

(1) البقرة ، 49 ـ 50 .

(2) يونس ، 90ـ 92 .

ولأن الخليفة يؤمن بالموت حقاً فهو يحسب له كل يوم ألف حساب حتىٰ لا يفاجأ وهو منقوص ، أو علىٰ غير رضا من ٱلله إنه الخائف من الذنوب والعيوب فهو المجتنب لكل ذلك دون إفساد أو سفك دماء بغير حق .

الحالة الثانية :

يرحم المميت الإنسان بالموت عند تخليصه من الألم ، ففي حالة وجود الأمراض المستعصية والفتاكة وعند عجز الطب عن مساعدة المريض لوقف الألم أو الحد من المرض ، فإن الموت يأتي في صورة رحمة بالمريض وبمن يتألمون من حوله ، لأنه نهاية للإحساس بذلك الألم الذي نكون عليه في الحياة ، ولذا فالموت للمسن الكبير رحمة وللمريض رحمة وللعزيز من الذل رحمة ، وللكريم من الحاجة رحمة ، إنه الحق الذي ينتظره الخليفة في كل وقت .

الحالة الثالثة :

في الموت رحمة لمن تقدم في العمر ، فأصابه الوهن وبدأ يفقد قدراته بالتدريج ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، فكلما تقدم العمر بالإنسان تحول حبه للحياة وتمسكه بها إلىٰ ضيق وضجر ، ذلك أن الإنسان مخلوق حساس سريع التأثر بوجود كل هٰذه المشاعر داخله ، لذلك نراه في فترة الشباب والقوة يشتعل بالحياة الذي بغيابه ينطفئ ويذبل ، لأن الحياة تكون قد بدأت تدير ظهرها له ، وبدأت قواه تتلاشىٰ وتظهر الدنيا بثوب ضيق في عينيه ، وعليه فالمميت رحيم به بالموت أكثر ممن حوله من الأبناء والأحفاد الذين قد يجعلونه يشعر بأنه منبوذ وميت في حياته لدرجة أنه قد يتمنىٰ الموت ، فيأتي الموت

(1) النحل ، 70 .

رحمة لكل هٰذا الشعور المتألم داخل هٰذا الإنسان .

المميت محيي :

فالمميت هو المحيي ، لأنه لا يملك القدرة علىٰ إنهاء هٰذي الحياة إلا الوهّاب لها ، فلو لم يكن محيياً لما كان مميتاً ، والإحياء والإماتة لا يخصان الإنسان فقط ، بل يخصان كل شيء حي علىٰ هٰذه الأرض من إنسان ونبات وحيوان ، فالأرض تحيا وتموت بإذن ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (1) .

والحيوان يحيا ويموت أيضاً ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (2) .

والإنسان له بداية ونهاية بالحياة والموت ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (3) .

وفي الإحياء إماتة للموت مرتين :

المرة الأولىٰ : في إحياء الخلق من الشيء الأول مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (4) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (5) .

---

(1) الأنعام ، 99 .
(2) هود ، 6 .
(3) التوبة ، 116 .
(4) النحل ، 40 .
(5) يس ، 82 ـ 83 .

والمرة الثانية : في إحياء الموتىٰ للحساب ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ أيضاً : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (2) ، فهدف الخلق أصلاً لخلافة وإعمار الأرض ، والهدف من الإماتة الثانية هو الإحياء للحساب فيُجْزىٰ كل إنسان علىٰ أعماله لا يُظْلم شيئاً .

فالمميت إذاً لابد أن يكون قبلاً محيياً ، والمحيي لابد أن يتبع ذلك الإحياء بالموت ، لأن سنة الكون التي قام عليها هي الفناء لكل ما عداه سبحانه وتعالىٰ ، فلا خلود علىٰ وجه الأرض رغم هٰذه الحياة القائمة عليها .

المميت خالق :

هو خالق الحياة كما أنه خالق الموت الذي تفنىٰ به كل الأحياء ، وهو خالق للحياة السرمدية التي لا موت فيها أبداً بعد الحساب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (3) ، فكما تكون بداية الخلق بأمره كذلك لابد أن تكون نهاية أمره أيضاً ، فكيف يكفر الإنسان ويكذب بحقيقة الموت مع أنه قائم محيط به ، ومع أن الخالق واحد للحياة وللإنسان وللكون وللموت ؟ قال تعالىٰ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (4) .

---

(1) يونس ، 56 .

(2) الجاثية ، 15 .

(3) الأنعام ، 73 .

(4) الملك ، 1 ـ 2 .

المميت محاسب :

لأن الموت يخلفه إحياء للبشر مرة ثانية ويكون هٰذا الإحياء بهدف الحساب ، فالإنسان لم يُخْلق سدىً ، ولن يهرب من الحساب لأنه ميت لا محالة والموت يحيط به أينما كان ، قال تعالىٰ : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (1) ، والحساب عادلٌ يوم القيامة لا ظلم فيه ولا جور ، قال تعالىٰ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (2) ، وهٰذا الحساب شامل لكل العباد في كل الأزمان والأماكن ، وهٰذا أكبر دليل علىٰ أن الموت أيضاً شامل لكل مخلوقات ٱلله تعالىٰ .

فعلىٰ خليفة ٱلله أن يكون محاسباً في الدنيا نفسه ، قبل أن يأتي يوم لا ينفع الندم وليس فيه رجوع عما اقترف الإنسان من ذنوب في الدنيا ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (3) .

والله تعالىٰ مميت للبشر والأقوام لأخذ العبر لمن يأتي بعدهم في الحياة ، فلم يجعل الحياة مرحلة واحدة ولا سنوات معدودة لكل البشر ، بل جعلها

---

(1) النساء ، 78 .

(2) سبأ ، 1 ـ 5 .

(3) السجدة ، 12 .

مراحل وسنين متلاحقة ، يأتي أناس ويرحل أناس كي يأخذوا من تلاحق بعضهم البعض في الحياة ومصيرهم عبرة وموعظة ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [1] ، أين ذهب من كانوا ؟ ذهبوا إلىٰ حيث مستقرهم ومصيرهم عند خالقهم ينتظرون يوماً عظيماً أمره بيده تعالىٰ ، هٰذا المستقر الذي هو جامعٌ لكل ما خلق الخالق .

والموت هو سكون الحركة وانعدام الحياة ، لٰكننا نجد أن هناك تعدداً لأشكال الموت في الطبيعة والخلق ، ومن هنا نجد أن هناك أنواعاً للموت تزول الحياة فيه إما مؤقتاً أو بنسبةٍ ما أو يكون الموت معنوياً لا مادياً مثل :

أولاً : موت الطبيعة بالتلوث :

الطبيعة تشبه الإنسان فهي كائن حي ، تتنفس وتنمو وتتحرك وبما أنها حية فإنها قابلة للموت والانتهاء ، فأسباب حياتها أولاً بيد المحيي لها ، لأنها لا تحيا ولا تنمو إلا بالماء الذي يحييها كما يحيا الإنسان والحيوان ، ولا تسر الناظرين إلا بالطهارة التي تجعلها علىٰ نظافة تامة فسحة وسياحة للذين يرثون الأرض ويستخلفون فيها وهم مصلحون . قال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2] ، فحياة الأرض يبثها الخالق فيها ، ويمنع عنها هٰذه الحياة بمنعه لأسبابها ، أي : بأن يمسك عنها المطر فيكون نصيبها من الجفاف المؤدي لموتها ، وبما أن الإنسان عليه أن يكون خليفة الخالق في الأرض

---

(1) الحج ، 43ـ46 .
(2) الأنبياء ، 30 .

فيدخل ضمن واجباته المحافظة علىٰ إبقاء هٰذه الأرض تتنفس وتحيا ، بإصلاحها وإعمارها والاهتمام بها ، فيكون الخليفة بذلك مميتاً للموت الذي يصيبها بسبب الإهمال ويكون متصفاً بصفة من صفات ٱلله حقاً ، وهٰذا الإصلاح يكون بزراعتها وريها ، وبمحبته لها ولمن عليها ، لٰكننا اليوم نقف علىٰ أطلال مساحات كبيرة من هٰذه الأرض المدمرة نتيجة الحروب والصراعات البشرية ، ومن الممكن للإنسان إذا تجرد من الماديات أن يشم رائحة الموت في ذرات التراب اليابسة ، وأن يقرأه علىٰ بقايا أوراق الأشجار المحترقة ، فأين من تحمل أمانة الحفاظ عليها ؟ وكيف سيعيد الحياة لها ؟

ثانياً : موت العقل بالجهل :

إن إحياء العقل بالمعرفة والعلوم من شأنه أن يصل بصاحبه إلىٰ الحقيقة مع الأدلة للإثبات ، فلو لم يكن هٰذا العقل هبة لما رفع الخالق التكاليف عمن تنقصهم نعمة العقل ، فالمجنون مثلاً رفع ٱلله العتب عنه فلا يُعاقب ولا يُحاسب ، عَنِ عَلِيٍّ رضي ٱلله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنِ ثَلاثةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ » (1) بعكس أصحاب العقول الصحيحة الذين وهبهم المولىٰ هٰذه النعمة للتمييز والتفكير والتحليل وبالتالي للوصول إلىٰ الحق ، فلا حجة لهم في سلك طرق الضلال واتباع خطوات الشيطان ، وليس أدل علىٰ هٰذا من قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أدرك بعقله البشري الذي ظل يبحث عن إلٰه لهٰذا الكون دائم الحياة لا يموت وهو عظيم وكريم ، قال تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ

(1) سنن أبي داود ، ج 11 ، ص481 .

يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (1) ، فعقله قد هداه بالتفكير والتحليل إلىٰ البحث والوصول إلىٰ الحقيقة .

ثالثاً : موت المشاعر الإنسانية :

الإنسان خليط من مشاعر وأحاسيس تكوّن شخصيته ، وهـٰذه المشاعر تتغير تبعاً لعدة عوامل منها ما يتعلق بالتربية وبالمجتمع والدين ، ومن هـٰذه المشاعر :

موت الأمان بالخوف :

فالشعور بالخوف يسيطر علىٰ الإنسان الفاقد لمعنىٰ الأمان في حياته ، هـٰذا الأمان الذي توفره عدة عوامل مثل الأسرة المترابطة المستقيمة ، والمعروف أن أغلب الأشخاص الذين يعانون من الشعور الزائد من الخوف لا يحيون داخل أسرة متكاملة بل أغلبهم يعانون من طلاق الوالدين أو مشاكل نفسية لأحدهما ، لذلك راعىٰ ديننا الإسلامي ودعا إلىٰ أن تكون الأسرة المسلمة مثالاً للاستقامة . فالخليفة الحق لا بد أن يكون محيياً للعلاقات الأسرية الصحيحة ومحافظاً عليها من أجل إماتة الخوف والقلق في نفوس أبنائه وإنشاء أسرة سليمة كريمة مؤمنة بالله مطيعة لأوامره باعتبارها اللبنة الأولىٰ لأعمار الكون .

وأيضاً مثل اعتناق الدين ، فالدين له أثر بالغ في توفير الأمان في القلوب ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (2) ، إذاً مجرد التفكير بأن ٱلله واحد وهو المالك والقادر علىٰ كل شيء يشعرنا بالأمان ، وأساس الإيمان زرع الثقة والأمان في نفوس

(1) الأنعام ، 76ـ79 .
(2) الرعد ، 28 .

المؤمنين ليصنع منهم أبطالاً وقادة ، فلا يمكن المراهنة علىٰ ضعاف النفوس في الأزمات .

ولأن الثقة بيت الأمان لذا فهي قيمة معيارية ، تستوجب معطيات موضوعية ومنطقية ، فمن يكن مَحَلاًّ لها ينلها ، ومن لا يكن سيكون محلاًّ للظنون التي في مقابلها تسود الخيانة والتآمر بدلاً من الأمان . وعليه كلما سادت الثقة بين الناس سادت الطمأنينة ، وكلما انعدمت سادت المخاوف . ولا سبيل لغرس الثقة إلا بتأكيد الكرامة ، والكرامة هي : تأصل القيم والفضائل في الأقوال والأفعال والسلوكيات البشرية ، التي تربي عليها الشخصية حقائق ثابتة وبها تنال الاحترام والتقدير من الذين ساهموا في غرسها أو أنهم في حالة تماثل قيمي مع من يُكوِّن كبرياءهم .

وهي قيمة ذاتية تأصيلية تربط الإنسان بالتاريخ ، والفضائل الاجتماعية التي تجعل من الفرد أمة بحالها ، أو وطناً بكامله ، أو ديناً شمولياً . ولهٰذا يصبح الشرف والوطن والأمة والدين من المكونات الرئيسة لذات الفرد . الذي يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها . ولذلك هل يمكن أن يكون للإنسان كرامة إذا حُرِمَ من ممارسة حقوقه وتأدية واجباته وحمْل مسؤولياته بإرادة ؟ بالتأكيد لا . ولهٰذا تعد الكرامة قيمة رئيسة لممارسة الحرية . ولذا لا ينبغي أن يغفل الخليفة عن تفطين الناس إلىٰ أهمية القيم التي تجعلهم ينالون رضا ٱلله عليهم .

وعليه عندما يشك الرئيس في شعبه ، فأين يا ترىٰ سيجد الثقة ؟ وعندما يشك الشعب في رئيسه فهل يمكن أن ينام الرئيس هانئاً ؟ وإذا ما ساد هٰذا الشعور والإحساس بين الشعب والحكومة ، فهل يمكن أن يجد الإخلاص محلاًّ له في البلد أو الإقليم أو القطر ؟

والمؤمن دائماً في حالة ابتلاء واختبار ، وهٰذا الأمان يموت بموت المسبب أو ضعفه ، وإذا لاحظنا لوجدنا أن أكثر الناس خوفاً من الموت وحرصاً

علىٰ الحياة هم المفسدون فيها وسافكو الدماء بغير حق ، لأن الحياة في نظرهم هي الابتعاد عن الموت ، والموت يمثل لهم النهاية الأخيرة ، أما الخلفاء فهم يستشعرون الأمان بالقرب من المميت ، لإيمانهم بأن طاعتهم له تنجيهم من سخطه وعذابه بل تجلب لهم رضاه ونعيمه ، فيموت بذلك شعور الخوف في نفوسهم ويحل محله الشعور بالأمن والطمأنينة .

رابعاً : موت الأمل باليأس :

بالأمل نشق سبل الحياة ، هـٰذا الأمل الذي يحيي الحياة في نفوسنا ، وبموته تموت كل معاني الحياة في نفس الإنسان ، فلولا إحياء الأمل في النفوس لما سعىٰ الفقير لسعة الرزق ، وما انتظر العليل الشفاء ، وما تاب المذنب لله تعالىٰ أملاً في قبول توبته ومغفرة ذنوبه ، والمميت هو الذي يميت اليأس في نفوس المؤمنين ، ويحيي الأمل مكانه ، فقد تسلح أوائل المسلمين بهـٰذا الدرع الواقي من اليأس فانتصروا رغم قلتهم ، وانتشروا رغم كثرة أعدائهم ، ولنا في رسول ٱلله ﷺ أفضل مثال نحتذي به ، فسيرة حياته كانت ميلاداً للأمل بنصر ٱلله مرة تلو الأخرىٰ هزم به الكفار ودانت له الأرض ، ولولا فسحة الأمل في النفوس لتمكن اليأس منا فقتلنا في الحياة .

خامساً : موت الوقت باللهو :

إن لم يكن الوقت ذا أهمية في نظر الإنسان فتأكد أنه ميت ، لأن الحياة تفرض علينا الاهتمام بالوقت ، لأنه إذا ضاع منا استحال رجوعه ، فالثواني تتسارع ماضية لا تعود ، والأيام تتسرب من عمرنا بشكلٍ مستمر ، ولا سبيل لعودتها ، والغريب أنه بالرغم من أهمية الزمن إلا أن الكثير من البشر يتعمدون قتله باللعب والتلهي ، فلا يتلفتون لما فاتهم من زمن أضاعوه وضاعوا معه ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ

ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [1] . فاللهو دائماً فعل يترتب عليه فعل الندم الذي في بعض الأحيان يؤدي إلىٰ انفصال الشخصية ، وأحياناً إلىٰ الانتحار هروباً من الأمر الذي فاته وقت التعويض . فالحياة دون قيم وأهداف ومبادئ تموت وتفنىٰ وتضيع سدىً ، قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [2] .

خليفة ٱلله هو الذي يميت كل أنواع اللعب واللهو بإحياء الوقت فيما ينفعه من ذكر ٱلله تعالىٰ ، والعمل الصالح .

سادساً : موت الحرية بالاستعباد :

لكلٍ منا مساحته الخاصة من التفكير والتصرف وهٰذه هي حريته دون أن يتخطىٰ مساحة غيره ، فالله خلق الإنسان حراً وطلب منه المحافظة علىٰ حريته وحرية الآخرين بجميع أنواعها من حرية التعبير والتفكير إلىٰ حرية التصرف ، إذاً الإسلام يُؤَكِّد علىٰ حرية الإنسان في ماله ونفسه وعرضه بصيانة كلٍ منها

(1) الفرقان ، 21ـ32 .
(2) الفرقان ، 25ـ29 .

وعدم التعرض لها بل أقر حرية التفكير أيضاً ، حتىٰ أنه دعا لحرية الأديان طالما أن الدعوة للإسلام قائمة ، فالإنسان لا يجب أن يُكره علىٰ اعتناق الإسلام ، قال تعالىٰ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، وقد كانت دعوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ للإسلام دعوة سلامٍ ومحبة ، لا إجبار ولا تسلط فيها . وقد ترك الخالق حرية التحليق في الفكر لكل إنسان فقيراً كان أم غنياً ، رجلاً أم امرأة بعد أن أظهر الحقائق وأوضح الحق من الباطل ، وقد خلق ٱلله هـٰذا الكون حراً لا يحق لأحد سلب آخر أي شيء يخصه ، وطلب من الإنسان الدفاع عنها بكل شيء يملكه بالنفس والمال والقلم ، سواء كان ديناً ، كأمره تعالىٰ : ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [2] ، أو أرضاً ، أو عرضاً ، أو فكراً .

وممارسة الحرية في الفكر الإسلامي كانت تمارس وفقاً لفلسفة الشورىٰ ، والتي تعني فيما تعني : أخذ الرأي بعد تبيان الأمر واستيضاحه مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [3] ويقول ابن منظور : « شاورهم تعني : استخرج آراءهم » [4] ، أما الشيخ الشعراوي فيقول : « فالمشورة هي : تلقيح الرأي بآراء متعددة » [5] . وهـٰذا يدل علىٰ أن الشورىٰ في الفكر الإسلامي تماثل الديمقراطية عندما تكون ممارستها حقاً للجميع

(1) البقرة ، 256 .
(2) النساء ، 84 .
(3) آل عمران ، 159 .
(4) تفسير الجلالين ، ص 94 .
(5) محمد متولي شعراوي ، تفسير الشعراوي . القاهرة ، أخبار اليوم ، ج 3 ، ص 1840 .

الذكور والإناث ، ولذلك يستوجب ممارسة الشورىٰ في الأمر . والأمر هو ، كل ما يتعلق بالإنسان من حقوق وواجبات ومسؤوليات ، سواء كان هـٰذا الأمر سياسة داخلية أم خارجية ، أو كان هـٰذا الأمر في حالة السلم أو في حالة الحرب ، وسواء كان اقتصاداً أو علاقات اجتماعية ، ولذلك في الآية السابقة يخاطب ٱلله عزّ وجلّ رسوله الكريم ويلزمه بالمشاورة في الأمر ، أي وكأنه يقول ، في وجودك يا رسول ٱلله لا ينبغي أن تقرر أي شيء يتعلق بالناس نيابة عنهم ، بل ما يتعلق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورىٰ معهم ، ولذلك كانت الآية (وشاورهم في الأمر) موجهة إلىٰ رسول ٱلله ﷺ لتبين له أهمية المشاورة في الأمر مع الذين يتعلق الأمر بهم .

وفي حالة ما لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام معهم يصبح الأمر بينهم شورىٰ مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [1] . إذاً بكل وضوح إن الأمر الذي يتعلق بالناس في فترة الرسول ﷺ كان في حالة شورىٰ بين الرسول والآخرين الذين يتعلق الأمر بهم . أما من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلق بهم شورىٰ يقررون ما يشاؤون فيه ، وينفذونه كما يشاؤون في غير معصية ٱلله جل جلاله ، ولهـٰذا لا ينبغي أن يتقدم أحد لينوب عن الناس فيما يتعلق بهم من أمر .

وكلمة أمرُهُم : تتكون من جزأين هما : (أمْـرُ) ، و(هُـم) ، فالأمر هو ما سبق تبيانه ، أما هـم فجاءت مطلقة أي : كل من هم علىٰ علاقة ارتباط مع الأمر ، وهـٰذا يعني لا وجود في الممارسة الديمقراطية بالمفهوم الفكري الإسلامي لأقلية وأغلبية ، بل الوجود فقط للكل دون استثناء ، وكلمة (بينهم) الظرفية تعني ، أن تقتصر الشورىٰ في الأمر علىٰ الذين يعنيهم الأمر فقط ، ولا مكان لغير ذلك في المشورة ، ولتأكيد هـٰذا الاقتصار قال عزّ وجل بينهم ،

(1) الشورىٰ ، 38 .

ولم يقل بين الحاكم والمحكومين ، أو بين السادة والعبيد ، أو بين المسؤول وغير المسؤول .

وقد يتساءل البعض : إذا كان الأمر هـٰكذا حاله ، فإن الديمقراطية إذاً مطبقة في المجتمعات الإسلامية ، أليس كذلك ؟ وللأسف الإجابة بأجل ، وذلك لأن الفكر الإسلامي في الشرق والتطبيق الإسلامي في الغرب (أعني وللأسف في اتجاهين مختلفين) ، ولذا تمارس الديمقراطية في ظل الأحزاب والنواب والبرلمانات والطوائف والعشائر والقبائل المتعصبة لرؤاها وغير متفاعلة مع رؤىٰ الآخرين من بني جنسهم وبلدهم أو وطنهم .

وعبر التاريخ كانت هناك محاولات فكرية لممارسة الديمقراطية من الناحية النظرية ، وهناك من الناحية العملية والتطبيقية ما يخالف ذلك بالتمام ، حتىٰ أصبح المعنىٰ السائد للديمقراطية التي تعد أسلوباً حديثاً لممارسة الحرية هو حكم الأغلبية ، مع العلم أن هـٰذا التفسير ليس له علاقة بمعنىٰ الديمقراطية ودلائلها اللفظية ، ولذا أصبح التهرب عن دلائلها بتعويضات منقوصة ، فالديمقراطية هي واحدة لا تتجزأ ، إذاً من أين جاءت دلائل الديمقراطية السياسية التي تعني أن كل شيء بالشعب ؟ وكذلك من أين جاءت دلائل الديمقراطية الاجتماعية التي تعني أن كل شيء للشعب ؟

جاءت في اعتقادنا لغياب رقابة الشعب علىٰ نفسه . وقد يتساءل البعض : عما هو الشيء الذي غيب هـٰذه الرقابة ؟ الذي غيّبها هو رقابة الشعب علىٰ الحكومة . ولهـٰذه المبررات أصبحت الديمقراطية هي التعبير الشعبي . وإذا قال أحد نعم ، ليس هناك ما هو أفضل من أن تكون الديمقراطية هي التعبير الشعبي . بالتأكيد ستكون إجابتنا عليه بأن الديمقراطية هي : الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي ، وحكم الشعب لا يتأتىٰ إلا بالشورىٰ التي أبوابها مفتوحة للجميع الذين يتعلق الأمر بهم وبأحوالهم وهمومهم ومستقبلهم .

وبناء علىٰ ما تقدم عرفنا أن : الديمقراطية واحدة لا تتجزأ ولا تتنوع ،

وأن كل المسميات التي حاول البعض إلصاقها بها ليست هي المعبر عنها ، بقدر ما هي مسميات لبعض الأساليب التي تظهر بين الحين والآخر في أماكن مختلفة ومدىٰ قربها أو بعدها عما تعنيه من دلالة ومعنىٰ . ولذا لا يمكن أن تكون الديمقراطية متطورة ، بل الذي يمكن أن يكون في أي وقت من الأوقات هو أن تطبق الديمقراطية بما تعنيه الكلمة ، وحينها يعرف الجميع أنه لا جديد يذكر في فلسفة الديمقراطية سوىٰ التطبيق ، وهٰذا لا يعني تطوراً في الديمقراطية بقدر ما يعني زيادة وعي الناس بأهميتها ، وعلىٰ خليفة ٱلله بالإضافة أن يحافظ علىٰ إحياء حريته وحرية الآخرين التي تتمثل في الآتي :

أ ـ **حق حماية الحياة** : فلكل إنسان نصيب وحق في هٰذه الحياة التي لا يحق لأحد التعدي علىٰ حياة الآخر ، فبذلك يحفظ حياته وحياة الغير ، قال تعالىٰ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (1) .

ب ـ **حق صيانة الأموال والممتلكات** : فالأموال والممتلكات تدخل ضمن الأشياء المعصومة فلا يحل لأي كان وبأي سبب من الأسباب الاعتداء علىٰ هٰذه الحرية ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (2) .

ج ـ **حق التجول في هٰذه الدنيا** : فلا يجوز لأي جهة أن تمنع إنساناً ما من التنقل علىٰ هٰذه الأرض ، ولا يجوز نفي أو ابعاد أي شخص بالإكراه إلىٰ

---

(1) المائدة ، 32 .

(2) النساء ، 29 ـ 30 .

مكان لا يرغبه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (1) .

فبهٰذه الحقوق يستطيع الإنسان أن يبدع وينطلق ليكون خليفة ٱلله في الأرض ، فيرتقي وترتقي معه الحياة .

سادساً : موت الصلة بالله بالكفر :

الخروج عن طاعة ٱلله وجحود نعمته والإشراك به موتٌ لصلة الإنسان بخالقه ، فالكافر لا يكلمه ٱلله ولا يسمع دعاءه ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2) .

سابعاً : موت الحياء بالتجرد من الأخلاق :

الحياء أصل الأخلاق وبدونه يصبح الإنسان متجرداً من الإحساس ، فالحياء لا بد أن يبدأ من ٱلله ، لأن من استحىٰ من ٱلله نأىٰ عن فعل السوء ، والذي يملؤه الشعور بالحياء أمام ٱلله تموت فيه كل أنواع الفواحش والفساد ، لأنه يعلم أنه أمام الخالق العظيم ، والحياء أيضاً يكون من الذات ، فلا يجب أن يرضىٰ الإنسان لنفسه إلا معالي الأخلاق وأنبلها ، والحياء يكون أمام الغير من أهل وأقارب .

---

(1) البقرة ، 84ـ86 .

(2) آل عمران ، 77 .

الأخلاقية تُستمد من الإطار المرجعي (الدين أو العرف) وهي قيم تضبط القول والفعل والسلوك ، ولها صفة الثبات النسبي الرصين ، بها تُثمّن جهود الأفراد والجماعات بما يُرضي المجتمع الذي يمدها بالاستحسان والقبول والرضا . وبها وإليها يحتكم من ينضوون تحت لوائها . إنها الفضائل المقدّرة بمرضيات المجتمع ، مما يجعل المتخلين عن التمسك بها في حالة انحراف بالمنظور الاجتماعي والإنساني العام ، وهي الشيء الثمين الصانع للخصوصية والهوية الاجتماعية والإنسانية والمستمد من التاريخ والمُتمكِّن من نيل التقدير والاحترام في كل أمة .

فمن القيم تُستمد المبادئ التي تُسهم في تنظيم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتمدهم بالثقة تجاه ما يلتزمون به من أدبيات المجتمع وأخلاقياته وهي التي تُكوِّن كبرياءهم وتحثهم علىٰ التماسك والوحدة والألفة والتعاون علىٰ كل ما من شأنه أن يحقق لهم الرضا النفسي والاطمئنان الاجتماعي والتآلف الإنساني .

وفي هـٰذا العصر أصبح للقيم تصانيف مقننة ، لفرز أبعادها وما تتركه من آثار تفضيلية علىٰ الفعل والسلوك . هـٰذه التصانيف تُبرمِج العلاقات القيمية وفقاً للمعايير المحددة لكل قيمة وهـٰذه المعايير تتراتب علىٰ السلم القياسي للتصنيف الذي به تحدد مستويات الثقة والدلالة إحصائياً لكل علاقة قيمية ، وحسب كل مجال من المجالات التي تمتد القيم من خلالها بين الأفراد والجماعات والمجتمعات .

والقيمة كدلالة ومعنىً عندما تتوحد في الشخصية تضفي عليها الهيبة التي تجعل الآخرين يميلون إلىٰ الاقتداء بها ، وكذلك عندما تكون القيمة هي المضمون الذي يتمركز عليه الخطاب أو النص أو الموضوع تشد المستمعين والقراء إليها ، وعندما تفقد المواضيع قيمها ينفصل الناس عنها وتوصف بالطاردة .

وعليه أتساءل : متىٰ يكون الموت مطلباً ؟

1 ـ عندما تطغىٰ المحبة علىٰ كل المشاعر الأخرىٰ في النفس البشرية ، فتحيي فضيلة الإيثار ، وهنا يفرض موقف علي بن أبي طالب رضي ٱلله عنه نفسه عندما رقد في فراش الرسول ﷺ مضحياً بنفسه في سبيل ٱلله ورسوله ، مميتاً لشعور حب الذات والدنيا ، وأيضاً يحضرنا هنا مبايعة الصحابة للرسول ﷺ علىٰ الموت ، عَنْ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَىٰ ظِلِّ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا خفَّ النَّاسُ ، قَالَ : يَا ابْنَ الأكْوَعِ أَلا تُبَايِعُ ؟! قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ الله . قَالَ : وَأَيْضًا فَبَايَعْتُهُ الثَانِيَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : عَلَىٰ الْمَوْتِ » [(1)] .

2 ـ عندما تهون الحياة الدنيا وتصغر في أعين وقلوب تحمل إيماناً كبيراً ، ونفوس تتوق للقاء المولىٰ حباً وطاعة ، فيكون الموت عندهم مطلباً ورغبة ، أولـٰئك الذين قال ٱلله تعالىٰ فيهم : ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [(2)] .

فعلىٰ خليفة ٱلله بالإضافة أن يميت الصراع من أجل الدنيا ، قال سبحانه تعالىٰ : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [(3)] ، لأن الصراع والقتال من أجل الحياة الدنيا إنما هو مميت للسعي بالفوز بالآخرة .

وبما أن ٱلله تعالىٰ هو المحيي والمميت ، وهو باعث الروح فينا أمانة يستردها وقتما يشاء ، فلا يحق لأحد أن يتصرف في هـٰذه الأمانة ، غير أننا نجد

---

(1) صحيح البخاري ، ج 19 ، ص118 .

(2) النساء ، 74 .

(3) الأنفال ، 46 .

من يجهل ذلك من ضعاف النفوس الذين تغلبهم الحياة الدنيا وهم علىٰ عدة وجوه ، فمنهم من نجدهم فارين من هموم الدنيا وأثقالها ، يظنون أن الموت خلاص لهم من ذلك ، وهو مكان للراحة والهدوء ، فيقدمون علىٰ الانتحار هرباً مما يحيط بهم من أزمات وهموم ، فيضيفوا إلىٰ حياتهم همّاً في مماتهم بذنوب الانتحار .

ومنهم من يقتلون أولادهم مخافة الفقر والحاجة ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [1] ، ووأد البنات قديماً مخافة العار ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [2] .

وقد خلق ٱلله تعالىٰ الطبيعة فيها أيضاً الحياة والموت لبعضها البعض :

أ ـ إماتة الشمس للبرد :

الطبيعة مزيج عجيب تتجلىٰ فيها قدرة الخالق علىٰ الإحياء والموت ، فنجد أن في إحياء بعض الظواهر إماتة لغيرها ، كشروق الشمس التي تميت برودة الليل ، فلا تحيا إحداها مع الأخرىٰ .

بإماتة الحرارة والبرد للجراثيم للحفاظ علىٰ موازين الطبيعة ، لأن الطبيعة لها قوانين وسنن تسير عليها ، وضعها الخالق عند إحيائه للمخلوقات جميعاً ، ومنها الجراثيم والفيروسات المتناهية في الضآلة ، والتي لا نستطيع رؤيتها بالعين المجردة لـٰكنها تملأ الكون ، فجعل ٱلله في حرارة الشمس موتاً وفناء لها ، فهي سريعة التكاثر والانتشار .

وفي الإيمان بالله المميت العديد من الثمرات :

---

(1) الإسراء ، 31 .
(2) التكوير ، 8 ـ 9 .

1 ـ في الإيمان بالمميت إماتة للجبن في النفس البشرية :

إذا تمكن الإيمان من قلب الإنسان كان درعاً قوياً لا يصدأ ضد الجبن والحرص علىٰ الدنيا وما فيها ، فلا يمكن أن يقف المؤمن موقف الجبناء في وقت يتطلب الشجاعة والإقدام ، هـٰذا الموقف الذي لا يرضاه إلا المنافق عندما يتولىٰ ويفر حيث يكون الإقدام واجباً : كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (1) .

والجبن يموت بالإيمان بأن الموت بيد ٱلله وحده لا يقرره سواه ، فلا ملك ولا سلطان ولا حاكم بيده أمر الموت بل أمر إماتتهم جميعاً بيده عز وجل ، وهـٰذا من شأنه أن يميت الجبن ، فلا يستطيع أي مخلوق أن يمنع إنساناً من النطق بكلمة الحق ، لأنه لن يخشىٰ إلا من أحياه ومن هو مميته ، فحياته وروحه بيد الخالق لها ، بذلك لن يهاب سوىٰ ٱلله ، ولن يهمه أي من البشر مهما علا مكانه ومنزلته ، مادام هو علىٰ الحق ، أما الذين يخشون بعض الناس أكثر من خشيتهم من ٱلله فهم علىٰ ضلال من الأمر ، كأن يخشىٰ الإنسان رئيسه في العمل لدرجة أنه قد يغضب ٱلله في مسألة ما إذا طلب منه رئيسه القيام بها ، خوفاً من أن يصرفه من العمل ، وكأن الرزق بيده والقدر كذلك ! وأيضاً نجد بعضاً من الناس يفرون من أرض القتال خوفاً ورهبة من الموت ، وعندما يكون القتال الحق يكون الفرار جريمة وضلالاً ، فالذين يقتلون في سبيل ٱلله هم دائماً أحياء عند ٱلله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا

(1) آل عمران ، 166 ـ 168 .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (1) ، ألم يعلموا أن المميت هو ٱلله عز وجل ؟ قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (2) ، هـٰؤلاء يميتون الشجاعة بالجبن داخل أنفسهم ،علىٰ عكس من وهب حياته وكل ما يملك بشجاعة في سبيل ٱلله تعالىٰ ، وليس أدل علىٰ ذلك من موقف المسلمين في غزوة بدر ، إذ تكاثر الكفار عليهم وزادت عدتهم ، وبالرغم من ذلك أماتوا الخوف والجبن في نفوسهم بالإيمان بأن النصر من عند ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ (3) ، وهناك نوع آخر من الشجاعة التي تميت الجبن ، وهي شجاعة الإنسان في مواجهة نفسه ومحاسبتها وعدم الهروب منها ، فبعض الناس نجدهم يبحثون عن ركن بعيد يختبئون فيه بمبررات غير موضوعية ، فمثل هـٰؤلاء هم الذين لا يستطيعون المواجهة ولا يتخذون قراراً يمكن أن يسهم في صناعة المستقبل .

---

(1) آل عمران ، 169 ـ 173 .

(2) النساء ، 77 .

(3) آل عمران ، 123 ـ 128 .

2 ـ هوان الحياة الدنيا :

الحياة الدنيا ليست عزيزة إلا علىٰ من اغترب قلبه عن ٱلله فأضاعه ٱلله تعالىٰ ، لـٰكنها هينة ورخيصة علىٰ من اشتروا حب المولىٰ فاختاروا قربه في الآخرة ، فلم تكن الدنيا كل همهم وأدركوا في اسم المميت معنىٰ فناء هـٰذه الحياة وقصر الرحلة عليها فهانت في أعينهم وفي قلوبهم من أجل أن يكونوا في الجنة من الوارثين ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (1) ، فمن كان يسعىٰ للفوز بالآخرة ترك الدنيا لمن اشتراها من الجاهلين والعصاة ، الذين خسروا خسراناً كبيراً ، قال تعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (3) .

والخليفة هو من تظهر في سلوكه مدركات للاسم المميت جل جلاله ، فلا ينغمس في هـٰذه الدنيا لاهثاً وراء جمع المال وكأنه يعلم أنها ملكه وأنه غير تارك لما جمعه ، بل تميزه بحبه للإنفاق كما أمره تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ

(1) التوبة ، 20 .
(2) البقرة ، 212 .
(3) النحل ، 105ـ109 .

لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (1) .

ولأن ٱلله جعل في الأرض خليفة ممن خلقهم في أحسن تقويم ، فبدون شك جعل لهم فيها نصيب طيب ، وحق كريم فلا ينبغي لهم تركه ، بل عليهم بأخذه منها ، ولا ينسوا ذلك أبداً ، لـٰكن لا يجعلوا ذلك مبلغ همهم ، فهم الوارثون في الدارين ، لذا لا ينبغي أن تكون الحياة الدنيا علىٰ حساب الحياة العليا في الآخرة الكريمة بالجنة . قال تعالىٰ : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (2) .

إذاً اسم المميت يحمل في طياته للعاقل المفكر الخليفة في الأرض استرخاص وهوان الحياة الدنيا ، فلا يشتري بها الآخرة فيكون من الخاسرين ، بل إنه يشتري الآخرة بهـٰذه الدنيا فيكون من الفائزين ، ولا يمكن أن تشترىٰ الآخرة إلا بالعمل الصالح في الدار الدنيا ، فمن فاتته فرصة أخذ النصيب من الدنيا ومن لم يأخذه خسر الدنيا والآخرة .

النصيب في الدنيا يتم بأخذ الحقوق التي كتبها ٱلله للعباد في الكتاب دون تفرقة ، وأداء الواجبات من رعاية الأبناء وصون العرض والشرف ، والذود عن الدين والوطن ، ورعاية الوالدين وطاعتهما في غير معصية ٱلله تعالىٰ ، والالتزام بما أمر والانتهاء عما نهىٰ عنه عز وجل ، من إحقاق الحق إلىٰ إزهاق الباطل دون رأفة . وحمل المسؤوليات في سبيل ما أمر وما نهىٰ وما أوجب وما فرض وما شرع به .

---

(1) البقرة ، 261 ـ 262 .

(2) القصص ، 77 .

3 ـ الاستعانة بٱلله والثقة في قوته لقهر الظالمين والطغاة :

لأن في معنىٰ المميت أن الموت سيطول كل جبَّار وكل طاغٍ وكل عنيد ، فلن يمتد العمر بهم للأبد وهـٰذا من شأنه تدعيم الثقة بالله وبأنه المعين علىٰ رد الحقوق والانتقام من المتجبرين ، فاليقين بموت هـٰؤلاء هو يقين بقدرة ٱلله عليهم ، فمهما تجبر وطغىٰ فإن الموت يغلبه ويقهره ، الكل منتهون من هـٰذه الدار وراحلون إلىٰ الدار الأخرىٰ التي فيها الجنة للصالحين والمصلحين ، وفيها النار للكفرة والمفسدين .

المميت للحركة بالسكون :

الحركة حياة مؤقتة في الدار الدنيا وباقية مع الباقين في الدار الآخرة ، والسكون مؤقت إلىٰ أن تنفخ الروح فيه فيمتد بالحركة حتىٰ يصبح جزءاً منها ، ولذا لا سكون بالمطلق في الدار الدنيا ، حتىٰ الأموات هم في حالة حركة مع حركة الأرض ، فالأرض تتحرك بما فيها وما عليها ولهـٰذا كل سكون علىٰ ظهر الأرض هو في حالة حركة مع الحركة العامة بالرغم من سكونه علىٰ ظهرها أو في باطنها . والموت نقيض الحياة تماماً ، فإذا وُجِد إحداها انتفت الأخرىٰ فلا يجتمعان ، وفي الدار الدنيا تعد الحركة دليل الحياة والسكون دليل الموت ، فالرياح تموت إذا سكنت ، والإنسان يموت في نومه ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) ، والأرض تموت بالجفاف ، فتسكن حركة الأوراق ، وحياة الأغصان والجذور .

المميت للمتوقع بالممكن :

هنالك بعض الظواهر التي يستحيل وقوعها في التصور البشري ، لـٰكن

(1) الزمر ، 42 .

الخالق يحولها إلىٰ ظاهرة ممكنة الحدوث كبرهان أو دليل لقدرته وعظمته ، كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام حين ألقوه في النار لإحراقه ، عقاباً له لما فعله بآلهتم ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [1] ، فقد كان الكفار متوقعين إحراق النار لجسد سيدنا إبراهيم ، فأمات ٱلله شعورهم المتوقع هـٰذا بأنه جعل النار بأمره برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم ، وهـٰذا أمر مستحيل وقوعه في الأوضاع الطبيعية .

المميت للعناد والكفر بالحجة :

المحاجّة جدل وبرهنة تستند علىٰ المنطق وكشف الحقائق ، ولذا لا يدحض الحُجّة إلا الحُجّة (لا يبطل الحُجَّة إلا الحُجَّة) ونتيجة المحاجّة هو بلوغ الأحكام الموضوعية بعد كشف الزيف وتحييده ، واثبات الحق والعمل به أو التمسك به .

التحليل والبرهنة بالمحاجة هو تحليل تقبُّل ودحض ، حُجَّة بحُجَّة ، وسبب بسبب ، وهـٰذا النوع من التحليل ، يؤدي إلىٰ التغير ، والتغيير . تغيير موقف بموقف ، وفكرة بفكرة ، أما إذا اقتصر التحليل علىٰ العناد نتيجة أفكار أو أحكام مسبقة ، فإن نتائج التحليل لا تؤدي إلىٰ أهداف علمية وموضوعية ،

(1) الأنبياء ، 59ـ70 .

وتضعف الحُجَّة عندما تكون مبنية علىٰ عناد ليس إلا ، ولهٰذا فالحُجَّة التي تُطرح للنقاش والجدل دون تعصب ، لا تشكل عبئاً علىٰ المدافعين عنها ، من خلال تقديمهم البراهين التي تؤيدها ، وتقبُّل الآراء التي تعارض تأييدهم لها ، وذلك من أجل المحاجَّة العلمية .

إن التحليل بالمحاجة بين الأطراف المتجادلة أو المتحاورة والمتفاوضة ، قد يؤدي إلىٰ انسحاب ضعيف الحُجَّة من ميادين النقاش ، وقد يؤدي إلىٰ انسحاب قوي الحجة أيضاً ، نتيجة تحامل الطرف الآخر عليها أو علىٰ صاحبها ، ما يجعل التفاوض أو النقاش في حالة خروج عن صوابه ، فيترتب علىٰ ذلك انسحاب أحد الأطراف ، وقد يكون المنسحب صاحب الحُجَّة الصادقة ، مما يفسح المجال لضعيف الحجة ، بأن يستمر في عرض حُجَجِه الواهية ، علىٰ من تبقىٰ من الذين لا حُجَجَ لهم ، أو الذين تم استغفالهم بغير حق ، ولهٰذا ينبغي أن يكون الحوار والجدال بالتي هي أحسن ولا أن تكون فيه سيادة إلا للحُجَّة بالمصادق .

وعليه لا يتمكن الإيمان من قلوبنا إلا بالحجة والبرهان ، والحجة والبرهان يحتاجان للعقل المدبر والقلب السليم ، وبما أن الإسلام يحترم العقل ويثيره للتفكير فلا يصل إلا بالقناعة فإن ٱلله ضرب لنا العديد من البراهين والحجج للتفريق بين الحق والباطل ، سواء في القدرة مثل قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] ، وكذلك ضرب الأمثال للتمعن في نهاية الجبابرة والعصاة ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى

(1) الحج ، 73 ـ 74 .

مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾ (1) ، ونهاية الجاحد بنعم الله عليه كما جاء في قصة قارون ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (2) .

وكذلك ضرب الأمثال للمقارنة بين الكفر والإيمان ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا

---

(1) الزخرف ، 51ـ56 .

(2) القصص ، 76ـ82 .

وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (1) ، وأيضاً قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (2) ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (3) .

المميت للآثام والذنوب بالحدود والقصاص :

تولد الآثام وتكثر الذنوب في غياب الرادع وهو تطبيق الحدود الشرعية في معاقبة مرتكبيها ، فنحن نلاحظ أن الكثير من المجتمعات الإسلامية تفتقد إلىٰ الأمن والطمأنينة في حين أن الدين الإسلامي دعا إلىٰ تكوين مجتمع ينعم بكل وسائل الأمان والحماية ، بعيداً عن الظلم والافتراء بسن هٰذه الحدود ، ولٰكن مع تغير الزمن أصبحت هناك قوانين دخلت علىٰ الشريعة من صنع البشر ، وطبعاً الموازين والقوانين الدنيوية تختلف عن موازين وقوانين الخالق فإن الفجوة بدأت تتسع في تطبيق الحدود الشرعية .

فالقصاص المفروض علينا تطبيقه من شأنه أن يميت في النفوس الإجرام والمعصية ، بذلك يحفظ الحياة والسلامة للجميع : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ

(1) التحريم ، 10ـ12 .
(2) إبراهيم ، 24ـ27 .
(3) النحل ، 76 .

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (1) .

والحدود الشرعية والأحكام يميتان الفوضىٰ واستغلال الأوضاع الضعيفة للبعض ، وقد أوضح لنا القرآن الكريم كافة تلك الأوضاع والحدود المناسبة لها ، مثل العلاقات الزوجية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2) . كذلك قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ (3) .

والأمر غير مقتصر علىٰ العلاقات الزوجية بل هي تشمل كل ما من شأنه تنظيم المجتمع الإسلامي وحفظ العلاقات والحقوق البشرية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (4) .

المميت للمرض بالشفاء والصحة :

المرض موتٌ مؤقتٌ للصحة ، فلا تحيا ولا تقوم إلا بزوال هـٰذا

(1) البقرة ، 178 ـ 179 .

(2) المجادلة ، 3 ـ 4 .

(3) الطلاق ، 1 .

(4) الحجرات ، 9 ـ 10 .

المرض ، والمرض قد يكون جسدياً أو معنوياً ، فالشرك والنفاق والكفر أمراض لا صحة للروح والقلب في وجود أحدها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (1) ، هـٰؤلاء مرضىٰ بالاختيار لا ينظر إليهم ٱلله ولا يرحمهم ، فهم ليسوا كمن كتب عليهم ٱلله نوعاً من الأمراض الجسدية أو أكثر ، فهـٰؤلاء يرفع عنهم ٱلله الحرج ويرحمهم ، قال سبحانه تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (2) .

المميت للفقر والحاجة بالعطاء وسعة الرزق :

لا يمكن أن يحيا الفقر في مكان يحيا فيه الإنفاق والصدقات والعطاء ، فالفقر بنوعيه يموت بالزكاة والصدقات والعطاء ، ويموت بالعمل المنتج الذي يجعل الإنسان معتمداً علىٰ جهده لا معتمداً علىٰ الغير ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (3) ، الصدقات تحيي الرحمة والمحبة بين الناس المستخلفين فيها ، ولهـٰذا أساس الاستخلاف هو العمل لا الاتكال علىٰ الآخرين ، ومن واجب الخليفة أن يحث ويحرض علىٰ العمل ، فالعمل رحمة للعباد ، به تصان الأنفس من الضياع والعبودية التي كانت تتم في عصور الجاهلية حيث العبد يمتلك العبيد ، ولذا فمن يحث علىٰ

(1) التوبة ، 125 .
(2) الفتح ، 17 .
(3) التوبة ، 103ـ106 .

العمل قال معروفاً وعمل معروفاً لمن قال لهم ذلك أو حثهم عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (1) ، بشرط أن تكون خالصة لوجه ٱلله تعالىٰ ، فلا تكون للمباهاة وإرضاء الغرور البشري ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (2) ، بل تكون من يد ممدودة بالرحمة والحب ومن قلب مملوء بالرغبة في رضا المميت الذي هو مقابله يوم الحساب ، هٰؤلاء من تميت صدقتهم الفقر النفسي والمادي للفقراء ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (3) . وهناك الفقر المادي أي : انعدام القدرة علىٰ توفير الاحتياجات الضرورية للحياة ، وقد حدد ٱلله مستحقيها في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (4) ، وكذلك قوله سبحانه تعالىٰ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (5) ، كذلك قوله تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ

---

(1) البقرة ، 263 .

(2) النساء ، 38 ـ 40 .

(3) البقرة ، 274 .

(4) التوبة ، 60 .

(5) البقرة ، 215 .

وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [1] .

فلا حياة لفقير في ظل حياة الكريم المعطاء ، ولا شعور بالفقر في ظل قلوب مليئة بالرحمة والحنان ، فالموت يكون من نصيب الفقر في مجتمع يحيا فيه المنفقون والمتصدقون والمزكون الكرام زادهم ٱلله من رزقه .

ولذلك قد أوجد ٱلله هـٰذا التباين في الرزق بين الناس فهو اختبار لمن سيحيي الصدقة ومن سيميتها ، فالأول هو الغني وإن كان معتدل الحال ، والثاني هو الفقير وإن كان ميسور الحال .

فعلىٰ خليفة ٱلله أن يميت الفقر بالإنفاق والدعوة للإنفاق في سبيل ٱلله ، بذلك يميت الشح في النفوس ، ومن شأن اسم المميت أن يجعل خليفة ٱلله بالإضافة أن يميت مرض البخل في نفسه ، لأنه ملاقٍ ٱلله تعالىٰ وما عنده مرجعه للخالق عز وجل .

المميت للضعف والوهن بالقوة :

ولأن ملكة التمييز قوة ، فإن تنميتها تجعلها في حالة فطنة ، ولذا فان تنميتها تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن . ولهـٰذا في ملكة التمييز الفطنة دائماً في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة ، وتحقيق نجاحات علىٰ المستوىٰ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وعليه فالقاعدة هي :

1 ـ ملكة التمييز قوة .

---

(1) البقرة ، 272 ـ 273 .

2 ـ تنمية ملكة التمييز فطنة .

والاستثناء هو :

1 ـ ملكة التمييز ضعف .

2 ـ عدم تنمية ملكة التمييز غفلة .

ولذا فإن تنمية ملكة التمييز يؤدي إلىٰ الآتي :

ـ زيادة درجة الوعي والفطنة .

ـ التبيُّن عن ثقة .

ـ معرفة ما يجب والإقدام عليه .

ـ معرفة ما لا يجب والإحجام عنه .

ـ استبصار مكامن القوة ومكامن الضعف .

وتكمن قوة العقل في الطريقة التي يُفكر بها الإنسان ، وفيما يفكر . وإذا ما تمكّن الخليفة من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها بنو جنسه من حوله ، وفيما يفكِّرون ، واكتشف مكامن القوة والضعف فيهم ، يستطيع أن يرشدهم إلىٰ كيف يُفكرون بقوة فيما هو أصح وأصوب وأفيد وأنفع .

إن عقل الإنسان ، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية ، ونقلها إلىٰ الدماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ .

والخليفة ينبغي أن لا يقف عند حد السلوك والفعل المُشاهد والمُلاحظ ، بل عليه أن يدرك مصدر هـٰذا السلوك والفعل ، وهو العقل وما يحويه من قوة هائلة . هـٰذه القوة هي التي جعلت مجموع قوة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوة المجمّعة ، وليس من حاصل القوة المتفردة .

وعليه : هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هٰذه القوة ، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع) ، ومن ثمَّ نجد المبررات التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكاً سلبياً ، أو سلوكاً إيجابياً ، كما نتمكَّن من تصحيح مسارات بعض الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها إن لم تكن علىٰ الهداية التي يرتضيها ٱلله تعالىٰ ، وبذلك نستطيع خلق نُقلة في عقله أو عقل الجماعة ؛ أي في خلق النقلة في كيفية التفكير وفيما يُفكر ، وبما يعود عليهم من منافع وفوائد قيميّة . وهٰذه الخطوات هي :

1 ـ تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة ، وكل معلومة أو فكرة تتحرك في مسارها الخاص ، بما يُعطي ترابطاً عصبياً بين المعلومة المختزنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان . فعلىٰ سبيل المثال : الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه ، كلما مر بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجيناً تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة .

2 ـ في كل مرة يحدث فيها ترابط عصبي ، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة ، ويُسجِّله في جهازه العصبي ، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل . مثلاً : الفرد الذي قام بفعل السرقة وعوقب عن فعله ، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هٰذا الفعل .

3 ـ أما الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأول مرة ، ولم يقم بتكراره ، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز علىٰ تكرار السلوك والفعل ، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية .

لذا يأتي دور الخليفة المرشد للحق والصلاح والإصلاح ، والذي يسعىٰ إلىٰ إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافاً سالباً ، حيث عليه أن يدرك أن أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن ، تحتاج إلىٰ طريقة فعّالة لإحداث التغيير ؛ ذلك لأنها كوّنت روابط عصبية قوية في العقل البشري ، ما يجعل الضرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير .

فعليه الخليفة : المربي للنشء والموجه إلىٰ أفعال الخير في مرضاة ٱلله عز وجل عليه بالعمل علىٰ غرس الثقة في نفوس بني جنسه قولاً وعملاً حتىٰ يرشدهم إلىٰ العمل النافع فيقول :

- قوِّ إرادتك .
- صحِّ نفسك من غفلتها .
- نمِّ قدراتك .
- هيئ استعداداتك .
- استثمر إمكاناتك .
- استرجع ماضيك ، وأخضعه للتقييم .
- استقرئ حاضرك ، وقارنه مع أهدافك .
- تطلّع لمستقبل أفضل .
- تحدَّ الحاضر ، واقبل بتحدي الصعاب .
- أقدم علىٰ العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط .

الإنسان مقوَّم بحواسه ، فبها يُميّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويُلاحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن .

ولذا فإن القاعدة هي :

قوة الحواس .

والاستثناء هو :

ضعف الحواس .

ولأن الحواس قوة ؛ فهي تكمن في الآتي :

1 ـ قوة البصر .

2 ـ قوة البصيرة .

3 ـ قوة الاستماع .

4 ـ قوة الإنصات .

5 ـ قوة الإحساس .

6 ـ قوة الذوق .

7 ـ قوة اللمس .

8 ـ قوة الشم .

9 ـ قوة الحاسة التامّة .

وبما أن الخليفة قوة ليس له علاقة بالضعف إلا إذا قورن بخالقه . إذاً الذين يركنون إلىٰ الضعف هم الذين اختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء . التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قوياً . ولأن الأفراد والجماعات قوة مندمجة بوحدتهم ، فهم بها قادرون علىٰ إحداث النقلة كلما تمكنوا من اكتشاف القوة فيهم .

الخليفة قوة هائلة ، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل . يستمدها من القيمة التي قوَّمه ٱلله بها . هـٰذا التقويم هو الذي جعل من الخليفة قوة .

وبما أن الإنسان خُلِق في أحسن تقويم .

إذاً هو مقوّم بما هو عليه من قوة .

ولهٰذا كل ما نراه قوياً هو ضعيف أمام قوة الإنسان العقلية والحسية والذوقية . وأيضاً مهما ننظر للإنسان بأنه قوة ، فهو الضعيف أمام قوة خالقه . ولذا فإن كل شيء ممكن هو في دائرة النسبية ، حيث لا مطلق إلا من عند ٱلله تعالىٰ .

فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر ، ويستقرئ ، ويستنبط ، ويخطط ، ويقدم فينجز ، ثم يُقوّم ، فيُصحح ، أو يُطوّر .

ولذا فالقاعدة هي :

الإنسان قوة في دائرة الممكن .

والاستثناء هو :

الإنسان ضعف في دائرة الممكن .

ولأنّ الضعف والوهن هو خروج عن القاعدة ، لذا يعمل الخليفة عليه في دعوته إلىٰ الهداية للحق ، لأجل تحويله إلىٰ القوة أو عودته إليها .

وبالرغم من أن الإنسان قوة ؛ إلاَّ أن هناك بعضاً من الأفراد الذين يواجهون وهناً في طبيعتهم الخَلقية ، حيث المعتوه الذي يعاني من تأخر في قدراته العقلية ، والذي تعطّلت بعض من حواسه ، ونجد البعض يعيش في تأزماته الحياتية ، هٰؤلاء هم في حاجة لمن يقدم إليهم المساعدة الهادفة ؛ الخدمية والتأهيلية والإصلاحية والمعرفية .

إذا قوي الإنسان مات الضعف ، وهناك نوعان من القوىٰ داخل البشر تشدان أزره عند الحاجة ، وهما :

القوة الجسدية : وهي البنيان القوي للجسد ، وهٰذه القوة غير متوفرة

عند جميع الخلق ، فقد تفاوت البشر في القوىٰ البدنية بين شدة القوة وتوسطها وضعفها ، وبوجود هـٰذا التباين وجد الظلم والاستعباد والإكراه ، بأن استغل القوي هـٰذه القوة وسخرّها للمفسدة والضلال .

والقوة المعنوية : هي ينبوع يتفجر داخل النفس ولا علاقة له بالجسد ، فكم من متين الجسد ضعيف النفس ، وكم من ضعيف الجسد قوي النفس ، وهـٰذه القوة تمنح صاحبها رباطة الجأش والصبر علىٰ البلاء والثبات عند الخوف ، وهـٰذه القوة التي يدعمها الإيمان القوي ويرسخها في النفوس ، وأكبر دليل علىٰ ذلك أن كثيراً من الشعوب الضعيفة التي ناضلت الاستعمار بقوته وسلاحه وتمكنت بهـٰذه الروح التي يفتقدها المستعمر أن تنال الفوز والانتصار ، كذلك لنا في رسول ٱلله ﷺ أسوة حسنة ، ومثالٌ يُحْتذىٰ به ، فقد مر عليه عام الحزن وعلىٰ المسلمين معه ماتت فيه السيدة خديجة ـ رضي ٱلله عنها ـ زوجته التي وقفت إلىٰ جانبه وكذلك توفي فيه عمه أبو طالب الذي كان يشد أزره ويدعمه وهـٰذا كله وهو في شعاب مكة ومن معه من المسلمين يعانون قلة الطعام والشراب ، ورغم ذلك فقد كان في داخله ينبوع شديد التدفق من الثقة بالله والإيمان يمدانه بالقوة الكافية لتحمل ذلك الوضع الصعب .

فكن أيها الخليفة ممن يملكون هـٰذه القوة ويحافظون عليها فلا يكن صدرك مكمناً للرعب والخوف والضعف كشأن الكافر الجاحد الذي ملأ الرعب قلبه من المسلمين فحاقت بهم الهزيمة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (1) .

المميت للكفر بالإيمان :

لا يمكن أن يجتمع الكفر مع الإيمان ، فكل منهما قاتل للآخر ، ومنذ

---

(1) الأحزاب ، 26 .

بداية خلق الإنسان وبداية تفتح مداركه وعقله إما أن يشتري الإيمان ويبيع الكفر أو أن يشتري الكفر ويبيع الإيمان ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [1] . والفارق بين من يحيون علىٰ الأرض يوم الحساب هو الكفر والإيمان ، فالكفر موت للإنسان في حياته ، والإيمان حياة للمؤمن في موته ، قال تعالىٰ : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [3] .

والفائز هو من يميت أي بذرة للعصيان داخله بالإيمان ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [4] .

المميت للقسوة بالرحمة :

قام الدين علىٰ أساس من الرحمة واللين ، بعكس ما تدعو إليه حالياً الأديان الأخرىٰ ، أو من يغالون في الدين الإسلامي ، لأن أساسه هو رحمة للعالم ورأفة بالبشرية من الظلم والتمييز والقهر ، ونجاة من عذاب الحريق ،

---

(1) آل عمران ، 177 ـ 178 .
(2) الأنعام ، 122 .
(3) الأعراف ، 51 .
(4) آل عمران ، 176 ـ 178 .

لذلك فقد كان المميت رحيماً رؤوفاً بنا وبهدايتنا وإرسال الرسل لنا ، هـٰذه الرحمة التي وسعت كل الذنوب إلا الشرك بالله والتي فتحت باب الأمل أمام التائبين الخائفين ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (1) ، كذلك قَالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (2) هـٰذه الرحمة التي من شأنها أن تولّد الرحمة في النفوس البشرية وتميت القسوة والجبروت .

كذلك نجد أنه من أهم ما تميز به رسولنا الكريم محمد ﷺ الرحمة واللين في التعامل كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (3) ، لأن من شأن الرحمة أن تذيب جليد الكفر والقسوة التي كانت متحكمة في النفوس ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (4) .

وحتىٰ أننا نجد أن صورة الرحمة واضحة حتىٰ في تقرير الحرب في الإسلام ، إذ أننا سنجد أن ديننا الإسلامي لم يدع للحرب من باب فرض السيطرة ، بل إنها كانت ضرورة من الضروريات ، وآداب الحرب التي دعا إليها الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ توضح مدىٰ رحمته ولينه ، فقد حرّم الإسلام قتل امرأة أو مريض أو طفل أو عابد ، وحرم حتىٰ التمثيل بالجثث بل الأروع من ذلك وأوضحه لرحمة الإسلام وأخلاقه أنه حرّم قتل الحيوان وإفساد الزرع وتهديم البيوت ، عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَىٰ عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ أَنَّهُ بَلَغَنَا : أَنَّ رسول الله ﷺ كانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً يَقُولُ

(1) الزمر ، 53 .

(2) الحجر ، 56 .

(3) الأنبياء ، 107 .

(4) آل عمران ، 159 .

لَهُمْ : « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ تُقَاتِلُونَ مَنْ كَفَرَ بِٱللهِ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَقُلْ ذَلِكَ لِجُيُوشِكَ وَسَرَايَاكَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ »[1] .

ولا يمكن أن تكون خليفة لله في الأرض وأنت تحمل في قلبك قسوة وتشدداً لا يتركان للرحمة مكاناً فيه للمسلمين من حولك ، بل كن كما كان أصحاب رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[2] . فالرحمة شعور يرقىٰ بالإنسان لأعلىٰ درجات الإنسانية وليته موجود في الكثير من المسلمين لتغيرت إذاً معالم مجتمعاتنا الإسلامية اليوم .

والمميت وهب لنا الحياة وهٰذا وحده كافٍ لكي نستشعر قيمة هٰذه الحياة ، فلا نعتدي علىٰ حياة أحد ولا نسلبه حقه فيها ، لأنها نعمة من ٱلله علينا وهي نعمة لها أجل ستزول بزوال الحياة فلا يبقىٰ إلا رصيدنا من تلك الأيام المعدودة ، ولأنها نعمة من ٱلله تعالىٰ فقد استحقت المحافظة عليها وعدم ضياعها ، قال تعالىٰ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[3] .

---

(1) موطأ مالك ، ج 3 ، ص 323 .
(2) الفتح ، 29 .
(3) المائدة ، 32 .

فكن أيها الخليفة من دعاة الحياة الآمنة السعيدة التي أهدانا ٱلله إياها ، بذلك تشرق أنوار الإيمان واليقين والعفة بين جنباتك ، وبذلك لا تلقىٰ المميت إلا في أعلىٰ درجات الإيمان باستعدادك وعملك وحفاظك علىٰ الحياة كما أراد الخالق .

ومع أن الخليفة يعلم أنه جاهل بموعد ومكان وكيفية موته إلا أنه علىٰ يقين بأنه ميت وأن الموت حق ، فلا يرضىٰ أن يموت إلا وهو من المسلمين ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (1) ، ويكون استعداد الخليفة للموت بعدة أمور منها :

أ ـ طاعة ٱلله :

طاعة المسلم لله سبحانه وتعالىٰ هي أصل الفلاح في الدنيا والآخرة ، فبغيرها لا يمكن أن يصل الإنسان إلىٰ أي نجاح أو فوز ، فطاعته عز وجل لا يمكن أن تقودنا لمفسدة أو هلاك ، بل هي تنير درب الحياة والصلاح لنا ، وطاعته تستوجب طاعة الرسول ﷺ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (2) ، كذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (3) ، هـٰذه الطاعة التي تكلل كل الأعمال بالنجاح والرضا ، وهـٰذا من شأنه أن يزرع الثقة برحمة المميت يوم يقوم الحساب ، هـٰذه الثقة والطمأنينة اللتان تنميان الرغبة بلقاء المولىٰ عز وجل ، فتصغر الحياة الدنيا في أعينهم ولن تكون مطلبهم أبداً ، علىٰ عكس من غرتهم الدنيا فتاهوا وركضت السنون بهم ليخسروا

---

(1) آل عمران ، 102 .

(2) الأحزاب ، 71 .

(3) النساء ، 69 ـ 70 .

آخرتهم باللهث وراء دنياهم ، فلم يطيعوا ٱلله في أوامره ونواهيه بل انغمسوا في هـٰذه النواهي إلىٰ أن وصلوا لدرجة تمني الحياة الدائمة وعدم وصول الموت إليهم خشية لقاء المميت ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (1) ، وكالذين عصوا أوامر ٱلله ولم يخرجوا للقتال خشية الموت فرحين بهروبهم منه ، محذّرين المقاتلين من الخروج كي لا يصيبهم الموت ، متناسين أنهم خرجوا يطلبون الحياة لا الموت ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (2) .

وليس لخلفاء ٱلله في الأرض من خروج عن طاعة ٱلله وعصيانه ، فإذا أردت أن تكون من هـٰؤلاء الخلفاء فتمسك بطاعته وحافظ عليها بكل ما لديك من إيمان وصبر وثبات ، لأن مفتاح الوصول إلىٰ رضا ٱلله في طاعته .

ب ـ العمل الصالح :

العمل الصالح هو المحدد للغنىٰ والفقر في نظر الإسلام ، فالغني هو من كان رصيده منه وفيراً ، والفقير هو من خلت خزائنه منه ، والعمل الصالح ليس ميراثاً نتوارثه من أجدادنا أو آبائنا إن كانوا صالحين ، بل هو يخص الإنسان نفسه لا يشاركه فيه أحد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن

(1) البقرة ، 94ـ95 .
(2) آل عمران ، 166ـ168 .

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (1) .

والعمل الصالح جامع لكل أعمال الخير كالإنفاق في سبيل ٱلله ، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل ٱلله ، والمحافظة علىٰ صلة الأرحام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرحمة بالضعفاء والعجزة ، وقول الحق وغيرها من الأعمال التي تقربنا من المميت وتجعل قلوبنا في حالة اطمئنان وسعادة دائمين ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (2) ، كذلك قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3) .

فعلىٰ خليفة ٱلله بالإضافة أن يسعىٰ لعمل الخير في الدنيا ، فبذلك لن يضعف ولن يستسلم لهٰذه الدنيا ولن تهزه ريح ضلالية تأخذه بعيداً عن المميت سبحانه وتعالىٰ ، وأن يكون ذاكراً أن عمله الصالح هو زاده الذي سيبقىٰ معه عند لقائه بالمميت يوم الحساب ، وأن يدرك أن العمل الصالح هو أمنية الكافر والعاصي يوم تضيع منهم الفرصة للنجاة فتأتي ساعة فراقهم للحياة الدنيا ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (4) .

---

(1) النساء ، 124 .
(2) النساء ، 36 ـ 37 .
(3) البقرة ، 218 .
(4) المؤمنون ، 99 ـ 100 .

ج ـ التوبة :

من منا لا يخطئ في هٰذه الدنيا ؟ ومن منا لا يقع في فورة غضب تؤدي به للزلل ؟

المعصية تولّد الندم ، والندم يولّد التوبة في النفوس السوية ، لأن الندم لا يستشعره فاقد الإحساس أو العاصي بل من بقلبه بذرة الإيمان التي توجه الإحساس للندم والرجوع إلىٰ الخالق سبحانه وتعالىٰ ، الذي يترك بابه مفتوحاً مشرعاً أمام التائب التائه في خوفه وخشيته منه ، قال تعالىٰ : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ (1) . فمن العبد التوبة الصادقة ومن الخالق المغفرة الواسعة ، فبذلك يكون الخليفة علىٰ صلة بالمميت ، هٰذه الصلة التي من شأنها أن تحقق التوازن والطمأنينة في نفس الخليفة ، هٰذه الصلة التي في انقطاعها أنت ميت ، تفقد الحياة بانعدامها ، فصلتك بالله هي التي تحدد ما إذا كنت ميتاً أو حياً ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ (2) فإذا توصلت إلىٰ هٰذه المرحلة من الإيمان فقد فزت وأنت من الأحياء في الدنيا والآخرة .

واعلم أنك علىٰ موعد مع الموت في كل ليلة ، قد يأتي وقد لا يأتي مؤجلاً إياك لموعد آخر يقدّره المميت ، فسكون الحركة وتوقف العقل عن التفكير هو بحد ذاته موت مؤقت لأن الحياة هي الحركة في كل أجزاء الجسد والنفس ، لكنَّ ٱلله تعالىٰ خلق النهار للمعيشة والحركة وخلق الليل للسكون والنوم ، هٰذا النوم الذي قد لا نحيا بعده أبداً ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ

(1) غافر ، 3 .
(2) فاطر ، 19ـ22 .

وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] ، وما عليك إلا أن تتدبر في معنىٰ هٰذه الآية الكريمة التي يقرر فيها المميت هٰذه الحقيقة التي تغيب عن الكثير من المسلمين اليوم ، فنراهم ينامون بثقة المتيقنين من الاستيقاظ وذلك بأنهم لا يتهيئون لذلك ، ولذا فعليهم بالآتي :

1 ـ الإكثار من ذكر ٱلله قبل النوم ، فلا ينام المؤمن إلا ولسانه رطب باسم ٱلله تعالىٰ .

2 ـ طلب المغفرة علىٰ ما قصّر فيما فات ومضىٰ ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2] .

3 ـ أن يكون طاهراً في فراشه بالتسامح ، فلا ينام إلا وهو حريص علىٰ أن يلاقي ٱلله بنقاء نفسي وروحي ، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَىٰ ذِكْرٍ طَاهِراً فَيَتَعَارُّ مِنْ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ ٱللهَ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إلا أَعْطَاهُ إِيَّاه » [3] .

4 ـ أن لا يغمض جفنيه إلا علىٰ الحمد والشكر والتسبيح والدعاء ، قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [4] .

5 ـ أن يراجع ما عمل بالنهار ليتعرف علىٰ ما ارتكب من زلات أو هفوات

---

(1) الزمر ، 42 .

(2) آل عمران ، 147 .

(3) سنن أبي داود ، ج13 ، ص237 .

(4) السجدة ، 15ـ18 .

ليعظ نفسه عن تكرارها ثانية في اليوم الغد .

هـٰذا هو الإنسان المؤمن الذي استخلفه ٱلله في الأرض ، يسعىٰ في الحياة بإحياء ذكر المميت في قلبه ، لا ينسىٰ أمر الموت وهو حي يرزق ، فتكون حياته بذلك منجاة له في الآخرة من سوء المصير ، كلما أرادت الدنيا أن تلهيه وتنسيه ، أرجعه التدبر في اسم المميت إلىٰ أحضان الإيمان .

وأن يكون علىٰ وعي كامل بأنه وُجِد علىٰ هـٰذه الأرض لخلافتها ، وأن خلافة الأرض تتطلب منه أن يكون مميتاً للظلم بالعدل وللقسوة بالمودة والرحمة وللأنانية بالإيثار والتضحية وإنكار الذات ، مما يجعل له تأثيراً طيباً في النفس البشرية ، ومما يلطّف الحياة البشرية ويُعْليها ومما يؤاخي بين الناس وينشر الفضيلة بينهم ، لأن رسالة الإسلام جاءت لتجمع القلب إلىٰ القلب ، فإذا اجتمعت القلوب اجتمعت بها الأيدي والعقول والصفوف ، فيموت التفرق والعداء والفشل فيحققون بإماتة هـٰذه الأسباب المقاصد السامية من التوجه لله وحده وإقامة الحق .

اللهُمَّ يا المحيي الأموات ويا مميت الأحياء نتوسل إليك بأسمائك الحسنىٰ ما نعرف منها وما لا نعرف أن نكون من عبادك الطائعين ، وخلفائك المخلصين المتصفين بصفاتك الحسان !

اللهُمَّ أمت فينا روح الإفساد ، والظلم ، وأمت شهواتنا لمعاصيك ومعصيتك ، واجعل لنا الموت راحة لنا ، وخلاصاً من كل شر ، واجعل الحياة لنا من كل خير !

اللهُمَّ أمت فينا شعور الذل والضعف بعزتك وقوتك وقدرتك ، وأمت فينا شعور الحقد والكره برحمتك وعفوك وحبك ، وأمت فينا النقائص بالتكبر عليها وتركها بحبك وحب ما يقرب إليك من طاعات ! وأمت فينا اللهُمَّ جهلنا بنور علمك وهدايتك ، وأمت فينا الخوف من غيرك بالخوف منك ،

وأمت فينا الرجاء في غيرك بالرجاء فيك ، وأمت فينا الطمع في غيرك بالطمع في رحمتك ومغفرتك !

اللهُمَّ اجعلنا مميتين لكل ما يغضبك ، وما لا ترضاه في نفوسنا ، وفي أقوالنا ، وأعمالنا ، واجعلنا من الشاهدين !

✍ ✍ ✍

الحَيُّ جل جلاله

الحمد لله الحي بلا انتهاء ، والبادئ بلا ابتداء ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (1) . والصلاة والسلام علىٰ من بعث بين يدي ربه بشيراً ونذيراً للعالمين .

الحي : الذي قامت به الحياة ، وهو الذي يُميت ولا يموت (2) .

الحي : « يعني ، الذي له الحياة الدائمة ، والبقاء الذي لا أول له بحد ، ولا آخر له بأمد » (3) .

الحي : « اسم ٱلله مختص به » (4) .

الحي : « اسم من أسماء ٱلله يُؤخذ منه صفة الحياة » (5) .

الحي الدائم ، دائم الحياة المطلقة ، والحي بالإضافة هو الذي يستمد حياته من الحي المطلق بالقول والعمل الذي لا يزول ، ولهـٰذا يكون متبعاً لما أمر به الحي المطلق جل جلاله ، ولذا الحي بالإضافة هو من يكون حياً بأقواله وأعماله وأفعاله التي تُحتسب مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(1) الملك ، 2 .
(2) جامع الرسائل ، ج 1 ، ص 166 .
(3) تفسير الطبري ، ج 5 ، ص 386 .
(4) شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسنة ، ج 1 ، ص 27 .
(5) شرح الفتوىٰ الحموية ، ج 1 ، ص 138 .

قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (1) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (2) .

الحي : هو خالق الحياة ، ولأن كل مخلوق يفنىٰ ، وخالق المخلوق لا يفنىٰ فجاء اتصافه بالحي جل جلاله . ولذا فمن يخلق الحياة لابد وأن يتصف بها .

ولأنه الحي خلق الموت ليكون باقياً حياً أمام امتثال الموت للموت بعد مماته للحياة غير الباقية . قال تعالىٰ : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (3) .

اسم الحي من أسماء الصفات التي اتصف بها في عليائه ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ

---

(1) آل عمران ، 169 .

(2) البقرة ، 264 .

(3) الملك ، 1ـ10 .

ﱡﭐ ٱلۡعَظِيمُ ﱠ [1] . ففي قوله تعالىٰ : ﱡﭐ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﱠ تقدم الحياة علىٰ القيومية ، إذ لو لم تكن هناك حياة لم تكن هناك قيومية علىٰ أي أمر من أموره ، فالله هو الحي بلا ابتداء ، أي من ظلمات الأزل إلىٰ ظلمات الأبد ، وترتب علىٰ هـٰذا الاسم كونه جل جلاله :

1 ـ **الأول بلا ابتداء** : قال تعالىٰ : ﱡﭐ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﱠ [2] .
فهو جل جلاله موجود قبل وجود الزمان ، لأنه موجود قبل الأشياء كلها ، والسابق لها ، وهو الموجد لها ، والمحدث لها ؛ لابتداء المسببات منه جل في علاه ؛ وبذلك تكون الأولية ذاتية .

2 ـ **الآخر بلا انتهاء** : قال تعالىٰ : ﱡﭐ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﱠ [3] .
إن ٱلله جل جلاله ليس بعده آخر ، فهو الآخر بلا انتهاء كما هو الأول بلا ابتداء ، وليعلم الخليفة أن الخلائق كلها تفنىٰ ويبقىٰ ٱلله تعالىٰ في علاه ، قال تعالىٰ : ﱡﭐ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﱠ [4] .

3 ـ **المحيي لكل حي** : قال تعالىٰ : ﱡﭐ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﱠ [5] . إن ٱلله جل جلاله خلق

---

(1) البقرة ، 255 .
(2) الحديد ، 2 ـ 3 .
(3) الحديد ، 2 ـ 3 .
(4) الرحمـٰن ، 26 ـ 28 .
(5) آل عمران ، 26 ـ 27 .

كل حي ، وذلك لأن الخلائق تحت أمره أوجدها كيف شاء وأراد ، وكل ذلك تحت كلمة (كن) ، قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (1) . إنه القادر علىٰ كل شيء سبحانه الحي الدائم ، كل شيء يعود إليه في الخلق والموت والبعث لا إلـه إلا هو ، ولذا لا رجوع إلا إليه :

الرجعة الأولىٰ في الحياة : قال تعالىٰ : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ

(1) يس ، 81 ـ 83 .
(2) هود ، 32 ـ 37 .
(3) القصص ، 88 .
(4) آل عمران ، 83 .

بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (1) .

الرجعة الثانية في الممات : قال تعالىٰ : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (4) .

الرجعة الثالثة في البعث : قال تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ

---

(1) مريم ، 40ـ 50 .

(2) يونس ، 55 ـ 56 .

(3) الأنبياء ، 34 ـ 35 .

(4) الأنعام ، 36ـ 40 .

(5) البقرة ، 28 ـ 29 .

تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (1) .

والخليفة هو الحي بالإضافة أي هو الذي علمه ٱلله الأسرار الباقية جميعها ثم طلب منه أن يُعلِمهم بها ، وبذلك فهو الخليفة الذي حمل الأمانة الباقية من الحي القيوم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ (2) . وبهٰذا فالخليفة يستمد علمه من العليم الحكيم فيصنع حياة بين المستخلفين فيها مؤسسة علىٰ المحبة والتعاون وإصلاح الأرض وإحيائها بعد جدب إذا ما استخرج الماء من بطنها لتعمها الحياة بالإنتاج وهو المحيي بفكره ثقافة وحضارة وعلماً (سلطان) ، وهو محيي الكافة بنشره دين الكافة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (3) . والمراد بالسلطان هنا هو العلم والمعرفة والدراية والفهم لكل ما يجري في هٰذا الكون ، وهو الذي يكون عليه خلفاؤه في أرضه ، حتىٰ

(1) الشعراء ، 69ـ88 .

(2) البقرة ، 30ـ33 .

(3) الرحمٰن ، 33 ـ 34 .

تكون الرسالة التي كلفوا بها علىٰ أكمل وجه .

ولأن الخليفة يستمد حياته من الحي الذي لا يموت ، فهو الباقي بأعماله من بعده التي ستظل إلىٰ يوم يبعثون ، وهي التي بها سيجازىٰ ثواباً ويكون من الوارثين ، أما غيره من بني آدم الذين لم تبق لهم أعمال علىٰ قيد الحياة سيكونون مع أعمالهم الفانية في الدار التي لا تبقي ولا تذر ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ (1) .

4 ـ **المميت لكل حي** : قال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (2) . ليعلم الخليفة من علىٰ الأرض أن كل من علىٰ الكون سيموت ، لوجود الموت والتي ستكون آخر من يموت ، ولٰكن علم المستخلفين في الأرض بموتهم لا يعني تركهم لحقوقهم وواجباتهم في الحياة ، وإلا فما قيمة الحياة التي خلقوا لها ، فما يتركه الإنسان خلفه من إعمار أو دمار هو دليل حياته ؛ ولأن الحياة الباقية بالنسبة للخليفة هي حياة

(1) المدثر ، 25ـ47 .
(2) آل عمران ، 185 .

الأعمال الحسان قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (1) . ولذلك علىٰ الخليفة أن يجتهد في خدمة مستخلفيه ويجتهد في بناء الأرض بالخير والنماء ، ويكون ذلك :

أ ـ **بالتحريض** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ﴾ (2) .

ب ـ **بالتبشير** : قال تعالىٰ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ

---

(1) آل عمران ، 169 ـ 173 .
(2) الأنفال ، 65 .
(3) البقرة ، 213 .
(4) النساء ، 137 ـ 139 .

ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) .

ج ـ **بالإنذار** : قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (4) .

د ـ **بالعدل** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

(1) الأنعام ، 48ـ50 .
(2) الأنعام ، 51ـ52 .
(3) ق ، 1ـ5 .
(4) الشعراء ، 214ـ220 .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) .

هـ ـ بإيفاء العهد : قال تعالىٰ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (4) .

و ـ **بإيفاء الكيل والميزان** : قال تعالىٰ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ

---

(1) البقرة ، 282 .
(2) النحل ، 90 .
(3) النحل ، 91 ـ 92 .
(4) الأنعام ، 152 ـ 153 .
(5) هود ، 85 .

أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (1) .

ز ـ **بالمشاورة** : قال تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (3) .

ح ـ **بالإنفاق** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (5) .

ط ـ **بالصدقة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

(1) الشعراء ، 177ـ183 .
(2) آل عمران ، 159 .
(3) الشورىٰ ، 37ـ44 .
(4) البقرة ، 254 .
(5) البقرة ، 267 ـ 268 .

يُظْلَمُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

ي ـ **بالزكاة** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [5] ، وقال تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [6] .

ك ـ **بالمعروف** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [7] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ

(1) البقرة ، 280 ـ 281 .
(2) التوبة 103ـ106 .
(3) المجادلة ، 12 ـ 13 .
(4) المائدة ، 55ـ57 .
(5) البقرة ، 43 .
(6) الأعلىٰ ، 14 ـ 15 .
(7) البقرة ، 263 .

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] .

ل ـ **بالمغفرة** : قال تعالىٰ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [3] .

م ـ **بحسن التحية** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [5] .

وعليه : فإن للخليفة مهاماً في إصلاح الأرض بما أنه قد قبل بحمل الرسالة التي أبت الجبال أن تحملنها ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ

(1) البقرة ، 240 .
(2) البقرة ، 268 .
(3) آل عمران ، 133 ـ 136 .
(4) النساء ، 86 .
(5) الفرقان ، 75 ـ 76 .

ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [1] ، ولذا فعليه أن يعدل وأن يكيل ويزن بالقسطاس المستقيم ويتقي ٱلله ربه في نفسه وأسرته ومجتمعه مراعياً لاعتبارات الأعراف والتشريعات الإنسانية دون أن يغفل عن أداء العبادات كاملة فيزكي ويتصدق ويغفر ويرحم ويعفو ويصفح ويصلح ويُفلح ويعمر ولا يفسد ولا يسفك الدماء في الأرض بغير حق .

وعلىٰ الخليفة أن يعمل بكل ما في وسعه لأجل بناء العقول بالعلم فتبني وتُعمِّر وبهٰذا المعنىٰ يكون الخليفة حياً ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [2] .

ولذا فالبناء يؤدي إلىٰ العمار ، والعمار حياة تشيد علىٰ أرض ٱلله الواسعة ، فكلما كان الإنسان في وضع مستريح كلما كان عطاؤه أكبر وأعظم ، وليكن كل ذلك في عمار الأرض بناء المأوىٰ الذي هو سترة لإشباع الحاجة للفرد والعائلة المحترمة وفي ذلك حياة لمن يتقي ربه .

وباستصلاح الأرض بالزراعة وشق الأنهار والقنوات والترع ، وتوفير ما يلزم من الأسمدة والبذور المحسنة ، واستغلال الوجه الأمثل لتوفير ما يحتاجه الإنسان من الغذاء ، وليوفر الحلول المناسبة للمشاكل التي تترتب علىٰ عدم إشباع الحاجة للمأكل والمشرب ، وبما يحق المن للمستخلفين فيها .

وعليه فالحي هو :

ـ **القادر علىٰ الخلق** : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ

---

(1) الأحزاب ، 72 .

(2) الكهف ، 103 ـ 106 .

بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (1) . والقادر بالإضافة إلىٰ ٱلله جل جلاله هو الخليفة الذي يمكن أن يشارك في القدرة علىٰ خلق الإبداع في نفسه ومجتمعه ، وأن يكون طموحاً واثقاً من نفسه في القدرة علىٰ الدفع والنفع بمجتمعه ، فالخليفة الحي بالإضافة هو الذي يجعل الحياة حية في الأرض وأن يجعل لنفسه حياة ذات تاريخ يبقىٰ حياً ما بقي ثم من بعدما يبقىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (2) .

ولهٰذا الخليفة هو الذي يعمل ، ويتقي ٱلله في كل ما يعمل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (3) . ولا يكون ذلك إلا بما يقدمه من إنجازات وأعمال نافعة صالحة ، وبكل إخلاص وود لبني عصره ، ولا يكون ذلك

---

(1) الروم ، 51 ـ 54 .

(2) آل عمران ، 169 ـ 173 .

(3) النساء ، 122 ـ 124 .

إلا بالتفاني والجد وبكل همة ونشاط حتىٰ يحصل التقدم الذي هو هدف الخليفة الذي استخلفه ٱلله في الأرض ليعمرها بكل ما هو مصلح ، وليصل بذلك الخليفة إلىٰ العمل بأمره تعالىٰ : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [1] .

ـ **المبدئ لكل مخلوق** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [3] .

والخليفة الحي هو الذي يستمد صفاته من صفات خالقه ، فيحيي الكلمة لتكون باقية للفعل ، ويحيي الفعل ليكون صائباً في العمل ، ويحيي العمل ليكون منتجاً لما يفيد وينفع . كما أنه يحيي الجملة لتكون حاقة للحق وزاهقة للباطل ، وتكون عادلة بين الناس وذلك من خلال ما تتضمنه من حكم وحجة ،

---

(1) الحديد ، 7 ـ 11 .

(2) البروج ، 12 ـ 16 .

(3) الأنبياء ، 103 ـ 106 .

وتحيي العدل ليكون بين الناس محبة لا فتنة . كذلك يحيي الخليفة النص والخطاب ليكون رسالة تصلح ولا تفسد وتُعمِّر ولا تُدمِّر ، تبني علاقات الوحدة بين المستخلفين في الأرض ، وتبطل مفعول كل فعل من أفعال الفساد وسفك الدماء فيها بغير حق .

قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (2) .

ـ **المعيد لكل مخلوق** : قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ

(1) المائدة ، 87 ـ 88 .
(2) البقرة ، 267 ـ 269 .
(3) إبراهيم ، 19 ـ 20 .

مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [1] . وللخليفة الحي أن يعيد إحياء ما يحتاج إلىٰ إحياء من أراض بور ، وذلك بالاستصلاح والاستزراع ، وبناء وإعادة الترميم لكل قديم ، من البناء المادي والمعنوي والمعرفي ، وذلك ليعيد الحياة في مستخلفيه ببناء البناء الصالح للأمة .

وعليه : الكلمة الطيبة تحيي أنفساً ، والصدقة الطيبة تحيي أنفساً ، والزكاة الطيبة تحيي أنفساً ، والصلاة الطيبة تحيي أنفساً ، والجهاد في سبيل ٱلله يبقي النفس حية بين المستخلفين فيها إلىٰ يوم يبعثون ، فهي المستخلفة في الأرض والوارثة في الجنة .

ـ **القائم علىٰ كل شيء** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [2] . وقال تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ [3] . والخليفة يكون حياً بقيامه علىٰ ما كلف به من واجبات ، وأمور تجاه ربه ونحو مجتمعه ، ولـٰكن علىٰ أساس من العدل والتقوىٰ والمحبة ، وحياته في ذلك لا تكون إلا بإخلاصه وصدقه ووفائه علىٰ ما كلف به ، وعلىٰ ما أداه من واجبات ومارسه من حقوق وحمله من مسؤوليات .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ

---

(1) الروم ، 17 ـ 24 .
(2) طه ، 111 .
(3) آل عمران ، 1 ـ 4 .

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [1] .

ـ **العالم بكل شيء** : قال تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [3] .

ولذا فالخليفة يكون حياً بعلمه بكل ما يدور حوله ، وذلك بمتابعة الأحداث والمجريات كل ساعة بساعة بالليل والنهار ، ولا يكون غافلاً عن مستخلفيه ، وذلك بمتابعتهم باستمرار ، وتقديم التوجيهات والنصائح اللازمة لهم ، ليكونوا سعداء في الدنيا والآخرة ، ويكون قد حمل المسؤولية فأحسن حملها ، وأخذ حقوقه فأحسن ممارستها ، وعمل واجباته فأحسن أداءها .

ـ **المهيمن علىٰ كل شيء** : قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ

(1) النساء ، 135 ـ 136 .

(2) البقرة ، 28 ـ 29 .

(3) الحجر ، 85 ـ 86 .

(4) البقرة ، 116 ـ 117 .

وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ (1) . وهيمنة الحي بالإضافة تكون بالقضاء علىٰ مظاهر الفساد والفتن وكل ما يؤثر علىٰ سير مجتمعه إلىٰ الأمام ليكون مجتمعاً حياً مزدهراً راقياً ، ومتبعاً لكل ما أمر الله به ومبتعداً عن كل ما نهىٰ عنه .

ـ **الخبير بكل شيء** : قال تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ (3) .

الحياة تعلم المستخلفين ، أي : أن حياتهم في الدار الدنيا تعلمهم أساليب الحياة فيها ، فيتعرفون علىٰ الكيفية التي يجب أن يكون قولهم عليها مع مراعاة الزمان والمكان اللذين يستوجبان المراعاة عند كل حديث أو قول ، ويتعرفون علىٰ السلوك الذي ينبغي أن يسلك وفقاً لكل عرف سليم ، ويتعرفون علىٰ العمل المستوجب للأداء والعمل الذي ينبغي تجنبه مع احترام وتقدير الآخر مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (4) .

ـ **مدبر الأمر** : قال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ

---

(1) المائدة ، 48 ـ 50 .
(2) الفرقان ، 58 ـ 59 .
(3) الإسراء ، 15 ـ 17 .
(4) الكافرون ، 6 .

ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (1) . بطبيعة الحال لو لم يكن عز وجل حياً ما كان مدبراً للأمر ، وهٰكذا لن يكون الخليفة مدبراً للأمر الذي يتعلق به لو لم يكن حياً ، ولهٰذا فالقاعدة تقول : (لا يدبر الأمر إلا من قبل المتعلق به) ، ولذا فإن الأمر المطلق يتعلق بالحي المطلق ، والأمر النسبي يتعلق بالحي النسبي ، ولهٰذا علاقة ترابط تمتد بين الأمر ومدبر حاله .

واسم الحي المطلق يطلق علىٰ من يكون علىٰ أكمل أحواله وصفاته الحسان ولا يكون ذلك إلا لله عز وجل ؛ ولأنه كمال فهو باقٍ لا يزول ولا ينتهي ، فالحي الباقي لا سبيل للموت عليه ولا الفناء . وهو الذي يعلم ويقدر وإلا فما قيمة الحياة عنده ، قال الطبري :« وهو الذي له الحياة الدائمة ، والبقاء الذي لا أول له بحد ، ولا آخر له بأمد ، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود ، وآخر ممدود ، ينقطع بانقطاع أمدها ، وينقضي بانقضاء غايتها . « الحيّ » : الباقي ، الذي لا يزول ، ولا يحول . وهو المصرّف للأمور ، والمقدّر للأشياء . حيّ كما وصف نفسه ، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه » (2) . واسم « الْحَيِّ » فيه تأويلات :

أحدها : أنه سمىٰ نفسه حياً لصَرْفِهِ الأمور مصارِفها .

ثانيها : تقدير الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتقدير .

ثالثها : أنه حي بحياة هي له صفة .

رابعها : أنه اسم من أسماء ٱلله تَسَمَّىٰ به ، فقلناه تسليماً لأمره .

---

(1) يونس ، 31 ـ 32 .

(2) تفسير الطبري ، ج 5 ، ص 386 .

خامسها : أن المراد بالحي الباقي [1] .

وسادسها : بدوامه الذي لا يزول يتصف بالحي . قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [2] .

وسابعها : بخلقه للحياتين الأولىٰ والآخرة . قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [3] .

وثامنها : بخلقه للموت الذي به يميت الأحياء . قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [5] .

وتاسعها : بقتله للموت بعدما تفنىٰ الخلائق لا يبقىٰ إلا هو بصفته الحي . قال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [6] ،

---

(1) النكت والعيون ، ج 1 ، ص 188 .
(2) البقرة ، 115ـ118 .
(3) القصص ، 70 .
(4) ال عمران ، 143 .
(5) ال عمران ، 185 .
(6) هود ، 7 ـ 8 .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (2) .

وعاشرها : إنه الحي بوجود الحركة . قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (5) .

وعلىٰ ذلك فإن الخليفة حي بالإضافة بكل ما تعنيه هـٰذه الكلمة ، وليعلم أن من ورائه الموت ، ويعلم أنه الحي الباقي من بعدها ، أي : أنه الحي الباقي

---

(1) الرحمـٰن ، 26ـ 28 .
(2) القصص ، 88 .
(3) النمل 86ـ 88 .
(4) البقرة ، 58ـ 61 .
(5) المائدة ، 23 .

بعد أن يموت الموت ، وتكون له الحياة الحيوان ، ولتكن سيرته كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] . وعلىٰ خلفائه في أرضه أن يمضوا أوقاتهم في إدراك معاني اسم (الحي) ، ويمعنوا النظر في مظاهر هٰذه الحياة ، ليتعظوا ، وليعظوا غيرهم ، ومن مظاهر ذلك أن ينظر إلىٰ :

ـ **خَلقهُ للموت** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [4] . وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [5] . والخليفة تجاه هٰذه سواء أكان الموت جهاداً في سبيله أو لأي سبب كان لابد أن يكون متقبلاً لما يحدث تجاهه ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ

(1) المؤمنون ، 51 ـ 52 .
(2) العنكبوت ، 64 .
(3) آل عمران ، 156 ـ 157 .
(4) الأعراف ، 158 ـ 159 .
(5) آل عمران ، 185 .

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [1] .

ـ **إحياؤه للقلوب بالإيمان** : قال تعالىٰ : ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

ـ **إحياؤه للأرض الجدباء** : قال تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [4] ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [5] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [6] .

ـ **إحياؤه للسماء بحفظها بالنجوم** : قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى

---

(1) البقرة ، 154 ـ 156 .
(2) الأنعام ، 120 ـ 122 .
(3) الفرقان ، 48 ـ 50 .
(4) الزخرف ، 11 .
(5) ق ، 7 ـ 11 .
(6) فصلت ، 39 .

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (1) ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ (2) .

ـ **توزيعه للأقوات** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٦٢ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (4) . وعلينا أن نشكر هٰذه النعم التي جعلها لنا رب العزة سهلة ميسورة ولا نكفر بأنعمه تعالىٰ في علاه وإلا سيلحق بنا ما لحق بالأمم السابقة التي عتت عن أمر ربها وكان عاقبة أمرها خسراً ـ والعياذ بالله ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١١٣

(1) فصلت ، 11 ـ 12 .
(2) الصافات ، 4 ـ 13 .
(3) هود ، 6 ـ 7 .
(4) العنكبوت ، 60 ـ 63 .

فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ (1) .

ـ **إحياؤه الأرض بالتعمير** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (3) ، وعلينا أن ننظر في الأمم السابقة ولتكن فيهم للخلفاء موعظة حسنة وإلا فإنه مصيبهم ما أصاب الذين عتوا عن أمر ربهم ، قال تعالىٰ : ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم

---

(1) النحل ، 112 ـ 116 .
(2) البقرة ، 60 .
(3) البقرة ، 168 ـ 169 .
(4) الروم ، 7 ـ 11 .

بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ (1) .

ـ **إجابته للدعاء** : قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (4) . ومن المستخلفين من عمل مخلصاً حتىٰ بلغ في حياته مراتب الخلافة التي منها الآتي :

1 ـ **داعي ٱلله** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ

(1) سبأ ، 15 ـ 22 .
(2) النمل ، 62 .
(3) غافر ، 60 .
(4) البقرة ، 186 .

بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (1) .

2 ـ **داعي الحق** : وذلك بالدعوة إلىٰ الحق وما يصلح به المجتمع وليكونوا صالحين ، وأهلاً للخلافة والتي لا تكون إلا بدواعي الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، هـٰذا ما يجب أن يستجيب له كل من هو مستخلف علىٰ أرضه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (2) .

3 ـ **إحياؤه للموتىٰ** : قال تعالىٰ : ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى

(1) الأحقاف ، 31 ـ 35 .

(2) الأنفال ، 24 ـ 25 .

(3) البقرة ، 70 ـ 73 .

(4) البقرة ، 260 .

ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ (2) .

وللخليفة من بعد تلك الآيات والمكارم العظام التي أظهرها ٱلله علىٰ عباده الصالحين ينبغي أن يقدم علىٰ إحياء كل ما من شأنه أن يترك أثراً طيباً يرضاه الحي جل جلاله وذلك من خلال الآتي :

1 ـ **إحياء القلوب** : وذلك بدعوة المستخلفين للإيمان بالله والعمل بما يرضيه ، والابتعاد عن نواهيه ، قال تعالىٰ : ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ

(1) الحج ، 6 ـ 15 .
(2) الروم ، 19 ـ 20 .

﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (1) .

2 ـ **إحياء الدين** : ويكون ذلك بالدعوة إلىٰ الحق والرد علىٰ الباطل ممتثلاً لأمر ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (2) .

3 ـ **شفاؤه للمرضىٰ** : بالعلم يتمكن الخليفة من معرفة ما يؤدي إلىٰ الشفاء وما يؤدي إلىٰ العلة والمرض ، وبالعلم يتمكن الإنسان من التوكل علىٰ العليم الحكيم فيزيده علماً وحكمة ، ومن يؤتىٰ ذلك يؤتىٰ خيراً كثيراً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّالِحِينَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (4) .

4 ـ **إحياؤه للبذرة** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (5) . ويكون الخليفة حياً بغرسه للبذرة الصالحة في مجتمعه ، وتوفير الجو الملائم ، التربة الخصبة لها لتحيا حياة سليمة طاهرة ، وبذلك تنتج الذرية الطيبة التي تعمر الأرض بالصلاح والخير والبركة ، وبالتالي تعود علىٰ الخليفة الحياة التي تبقىٰ في ذاكرة التاريخ ، ليعلم مستخلفيه أن من يغرس البذرة

---

(1) الأنعام ، 120 ـ 124 .
(2) الإسراء ، 81 ـ 82 .
(3) الشعراء ، 79 ـ 83 .
(4) الإسراء ، 81 ـ 82 .
(5) الأنعام ، 95 .

الصالحة يكون له نصيب من أجرها والعكس بالعكس ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ (1) .

5 ـ **خلقه لليل والنهار** : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (2) . وقال تعالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (3) .

6 ـ **خلقه النجوم** : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (4) . وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (5) .

7 ـ **خلقه للنفس البشرية** : قال تعال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ

(1) النساء ، 85 ـ 86 .
(2) الأنعام ، 96 .
(3) الفرقان ، 61 ـ 62 .
(4) الأنعام ، 97 .
(5) النحل ، 16 .
(6) الأنعام ، 98 .

بَهِيجٍ ﴾ [1] . ويجب في الخليفة الحي بالإضافة أن يخلق النفس البشرية التي تأمر بالخير وتحث عليه دونما كلل ، أو مِنَّة ، وذلك بالعمل علىٰ دعـوتهـا للحيـاة السليمـة والصحيحـة الـرابحـة فـي الـداريـن ، قـال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [2] .

8 ـ **خلقه لأصناف النبات** : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [3] . ويكون الخليفة حياً باختيار الأصناف الصالحة من الأشجار والبذور ولتعطي ما يكفي لحاجة المستخلفين من الثمار والغلال ، والبذور الصالحة لتسد حاجة البشرية من الغذاء والكساء .

9 ـ **إبداعه للسمٰوات والأرض** : قال تعالىٰ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5] .

10 ـ **خلقه للعقل** : قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا

---

(1) الحج ، 5 .
(2) الأنفال ، 24 .
(3) الأنعام ، 99 .
(4) البقرة ، 117 ـ 118 .
(5) الأنعام ، 101 .

تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (1) . وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (2) .

والخليفة الحيُّ الذي يحيي العقول بالمعرفة والدراية والفكر الذي يحيي العالم ، وينهض به ، ويخرجه من الظلمات إلىٰ النور ، هـٰذا الذي ينال به رضا ٱلله جل جلاله في الدنيا والآخرة عندما يكون العلم موظفاً للإصلاح والعمار والفلاح لا للفساد والخراب والدمار .

11 ـ **بسطه للعلم** : قال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا

(1) الأنفال ، 20 ـ 25 .
(2) الحج ، 46 .
(3) الحج ، 46 .
(4) البقرة ، 247 .

يَعۡـلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۞٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ (1) .

12 ـ **تنويعه لأصناف الكائنات الحية** : قال تعالىٰ : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۞١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞١٩ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۞٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۞٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۞١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (4) .

13 ـ خلقه للشمس والقمر : قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ

---

(1) آل عمران ، 7 ـ 8 .

(2) الرعد ، 4 .

(3) النمل ، 18 ـ 22 .

(4) النحل ، 13 ـ 14 .

ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (1) . وقال تعالىٰ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (2) .

14 ـ **خلقه للأرض والجبال** : قال تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (6) .

15 ـ **تذليله الحيوان لخدمة الإنسان** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (7) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ

(1) الرعد ، 2 .
(2) النحل ، 12 .
(3) الرعد ، 3 .
(4) البقرة ، 30 .
(5) الأعراف ، 74 .
(6) الكهف ، 47 .
(7) النحل ، 5 ـ 9 .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [1] .

16 ـ **إنزاله للمطر** : قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] .

17 ـ **تسخيره للبحر وما جعل فيه من منافع** : قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [4] .

18 ـ **تثبيته للأرض** : قال تعالىٰ : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [5] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [6] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

---

(1) النحل ، 13 .
(2) النحل ، 10 ـ 11 .
(3) النحل ، 14 .
(4) الشورىٰ ، 32 ـ 34 .
(5) النحل ، 15 .
(6) البقرة ، 22 .

تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ ﴾ (1) .

19 ـ **إيجاده للخلق** : قال تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (5) .

20 ـ **ابتلاؤه للمؤمنين** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (6) . ما أجمل الصبر عندما يكون طاعة لأمر الحي الدائم ، وما أجمل الحياة بين الصابرين في طاعة الحي الدائم .

---

(1) البقرة ، 60 ـ 61 .
(2) النحل ، 17 ـ 18 .
(3) الحجر ، 85 ـ 86 .
(4) البقرة ، 29 .
(5) الرعد ، 3 ـ 5 .
(6) آل عمران ، 186 .

اللهُمَّ يا حي يا دائم لا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به وأعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علىٰ القوم الكافرين وعلىٰ الكاذبين والمنافقين أنت مولانا بك أمنا وعليك توكلنا وأولينا أمرنا وأسرنا إليك فنعم المولىٰ ونعم النصير !

الابتلاء امتحان من ٱلله فالمؤمن يتعرض لمواقف إن نجح في مواجهتها بما يرضي ٱلله فقد فاز ، وإن فشل في الفرصة الأولىٰ تعطىٰ له فرص أخرىٰ ، وكلما نجح بتغلبه علىٰ الصعاب كلما كان جزاؤه أعظم ومكانته عند ٱلله أرفع .

21 ـ **بعثه للحياة ببعثه الرسل** : ما قبل الرسل كانت الأمم تعيش عصور الجهالة المظلمة ، حياتها غم علىٰ غم ، ضالة السبيل لا تعلم بما يجب لتتبعه ولا تعلم بما لا يجب فتجتنبه ، إلىٰ أن بعث ٱلله فيهم الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ومحرضين علىٰ أفعال الخيرات يرشدون علىٰ الحق ويسلكون سلوك القدوة الحسنة ، فكانت سننهم متماثلة مع كل عمل يرضي الحي الدائم . قال تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [1] ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

(1) النساء ، 64 ـ 65 .

(2) البقرة ، 87 .

ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (1) .

22 ـ **خلقه لليل والنهار** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (3) ، الليل نعمة من نعم الحي الخالق فيه تستقر الأنفس وتنام لتريح بالها من متاعب النهار وأعبائه ، ولتستريح بدنياً بغرض تجديد نشاطها وواجباتها التي تنتظرها في النهار القادم بعد كل ليل ،

(1) آل عمران ، 144 ـ 148 .
(2) الأعراف ، 54 ـ 56 .
(3) الرعد ، 2 ـ 4 .

فسبحانه جعل النعم متنوعة ومتعددة فمنها ما يمسك باليد ويحمل بها ومنها ما يشرب ليروي الظامي ، ومنها ما يؤكل ليسد رمقاً ويشبع حاجة جائع ، ومنها ما هو سكينة للراحة البدنية والنفسية معاً ، ولهـٰذا كان النوم رحمة للكائنات الحية ، وهـٰكذا كان النهار رحمة . قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (1) ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (2) . وللخليفة أن يمضي ليله ونهاره في خدمة المستخلفين علىٰ أرضه ، وألا يضيعه في غير مصلحتهم ، وذلك بتوجيههم في النهار والدعاء لهم بالصلاح في جوف الليل ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (3) .

23 ـ **خلقه للزمن** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (5) ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ

---

(1) الفرقان ، 47 .
(2) الروم ، 16 ـ 17 .
(3) يوسف ، 108 .
(4) النبأ ، 17 ـ 18 .
(5) النساء ، 103 .
(6) ص ، 79 ـ 83 .

ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

خلقه للزمان وخلقه لليل والنهار وخلقه للحركة والسكون كلها خلق إعجازي ، وإلا هل هناك من يخلق الزمان ؟

ـ وهل هناك من يخلق الحركة لو لم تكن الحياة في أساسها علىٰ حالة حركة ؟

ـ وهل هناك من يخلق الشمس أو القمر أو أن يكون له نور لو لم يكن النور من خلقه تعالىٰ ؟

ـ أم هل هناك من يخلق النوم الطبيعي الذي خلقه ٱلله راحة للعقل والبدن والنفس ؟

ـ أم هل هناك من يخلق الصحوة الفطرية التي بها يفطن الكائن من نومه ليكون متحركاً في النهار ؟

ـ أم هل هناك من يخلق منظومة بيولوجية ذات مواقيت ثابتة في جسم وعقل ونفس الكائن الحي ؟

ـ أم هل هناك من يخلق الحياة بعد الممات كما يخلق الحي الدائم ؟

ـ أم هل هناك من يخلق الروح وغيره لا يعلم أمرها بالمطلق ؟

وعليه الخليفة يؤمن بالمطلق أن هٰذا الأمر بيد الحي الباقي الذي يُزيل كل شيء متىٰ شاء وكيف يشاء وهو الباقي الذي لا يزول ، ومع ذلك فهو يفكر في كل أمر حتىٰ يدرك كنهه ، ويتذكر ما استطاع أن يتذكر حتىٰ يعرف ويتعظ أو يكتشف ويضيف الجديد . ويعلم أن علمه بالحي باقٍ ، وعلمه بغيره زائل . ولذا فهو المتوكل في أمره علىٰ الحي الدائم فيبحث ويتقصىٰ ويتعرف من أجل

---

(1) البقرة ، 189 .

أن يضيف الجديد النافع للحياة الإنسانية وذلك من خلال ما يهدف إليه من عمار للأرض وإصلاح فيها طاعة لأمر الله مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (3) .

24 ـ **عقابه للكافرين آيات في الحياة الدنيا والآخرة** : قال تعالىٰ : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ

(1) المائدة ، 32 ـ 34 .
(2) البقرة ، 11 ـ 12 .
(3) هود ، 115 ـ 117 .

ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (3) .

25 ـ **خلقه للتعارف** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (4) . المعرفة هي أساس الحياة ، والعلائق بين البشر هي المعرفة

---

(1) الأنفال ، 17 ـ 25 .
(2) فصلت ، 41 ـ 46 .
(3) غافر ، 4 ـ 7 .
(4) الحجرات ، 13 .

الحق ، ولأجل المعرفة كان التكاثر والخلق الزوجي مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ (2) .

26 ـ **خلقه للألفة بين القلوب** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (3) . وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) . وعليه من واجبات الخليفة أن يعمل علىٰ التآلف بين

---

(1) النجم ، 45 ـ 55 .

(2) الليل ، 1 ـ 14 .

(3) آل عمران ، 102 ـ 105 .

(4) الأنفال ، 62 ـ 64 .

الناس دون التخالف ، وأن يعمل علىٰ إصلاح ذات البين ، وأن يسعىٰ دائماً لتقريب القلوب دون إبعادها فإنه كلما سعىٰ الخليفة في الصلاح والإصلاح وبنية حسنة وصادقة ، كان له الأجر والثواب ، ويكون موفقاً بإذنه تعالىٰ ، وقد جاء ذلك صريحاً وواضحاً في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝٣٥ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (1) .

الألفة والمحبة دائماً هي نتاج توادد وتراحم بين الناس ، ومن طبيعة الحياة الإصلاح في الأرض والفلاح فيها ، وهٰذا لا يتم إلا بتعاون وتوافق وتكيف علىٰ جميع المستويات الاجتماعية من المستوىٰ الفردي إلىٰ المستوىٰ الجماعي ثم إلىٰ المستوىٰ المجتمعي ، ولهٰذا دائماً الأعمال الخيرة لا يؤديها أو يفعلها ويقوم بها إلا حيٌّ مدرك لما يجب ويقدم عليه ويدرك ما لا يجب ويبتعد عنه ويحرض الآخرين علىٰ تجنبه ، وذلك حتىٰ لا يعم الفساد الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه . وعليه فإن التعاون والتآلف والتوافق يقوي العلاقات ويجعل الألفة بين الناس فيتمكنوا من العمل الصالح ويتمكنوا من إحقاق الحق وإزهاق الباطل كلما استوجب ذلك ودعت الضرورة ، وما أجمل أن تكون الألفة بين الزوجين وبين أفراد الأسرة والجيران أقارب وأباعد وبين المواطنين علىٰ مستوىٰ البلاد .

27 ـ **خلقه للمعرفة** : أوسع أبواب المعرفة المستخدمة من الخليفة هي أبواب

---

(1) النساء ، 35 ـ 36 .

معرفة ٱلله الحي الدائم ، ثم معرفة ما أمر به وما نهىٰ عنه ، ثم معرفة حاله وما يجري من حوله ، ومعرفة الأسباب التي تمكنه من معرفة المستقبل الذي يخطط له ويأمله لنفسه أو لبنيه أو من تربطه به علاقة . قال تعالىٰ : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (3) . وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (4) .

28 ـ **خلقه للهداية** : قال تعالىٰ : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا

(1) الرحمـٰن ، 39ـ44 .
(2) محمد ، 6 .
(3) البقرة ، 272ـ274 .
(4) محمد ، 30 ـ 31 .
(5) محمد ، 5 .

تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (3) .

29 ـ **خلقه للنصرة** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (5) .
والخليفة الحي بالإضافة لابد وأن يكون ناصراً للمظلومين آخذاً لحقوقهم وعارفاً بواجباتهم فيوجههم التوجيه الصحيح السليم ليفوزوا بالدارين ، ولتكون لهم العزة والنصرة في الدنيا والآخرة ، وقد صدق قول ٱلله جل جلاله في قوله : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

(1) البقرة ، 272 .
(2) البقرة ، 142 ـ 143 .
(3) الفتح ، 17 .
(4) محمد ، 7 ـ 9 .
(5) آل عمران ، 160 .

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

30 ـ **خلقه للبحث** : البحث تقصي لأجل المعرفة الحق ، ولهـٰذا فإن الحي بالإضافة يسعىٰ دائماً لمعرفة الحقيقة ، وبمعرفته لها يحافظ علىٰ صفته حياً ، ولذا فهو يسعىٰ لمعرفة الحياة في بعدها الزماني والمكاني والحركي والسكوني ، وذلك من خلال أبعادها في كل ما خلق الخالق سبحانه . قال تعالىٰ : ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (4) .

31 ـ **خلقه للموعظة** : كل مخلوق خُلق لغاية منها ما نعلمه ومنها ما لم نكن عالمين به ، وهـٰذه بطبيعة الحال حيث لا كمال إلا لله تعالىٰ ، أما ما دونه فغير كامل ، ولهـٰذا كان للاستغفار دلالة ومعنىٰ ، وكان للاعتذار دلالة ومعنىٰ ، ولهـٰذا أيضاً كان للقصص دلالة ومعنىٰ ، وكان للتذكر دلالة ومعنىٰ ، وكان للتفكر دلالة ومعنىٰ ، ومن كل ذلك يمكن لبني الإنسان أن يعتبروا مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ

(1) المنافقون ، 8 ـ 11 .
(2) محمد ، 10 .
(3) يونس ، 101 .
(4) الغاشية ، 17 ـ 20 .

بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (3) .

32 ـ **خلقه للظل** : والظل سترة تقي من الرمضاء ، والظل يأتي بمعنىٰ الحجاب الساتر في مدلوله المباشر عندما يحمي من إشعة الشمس الحارقة ، ومدلوله غير المباشر وهو الإحاطة والحفظ في معانية المتعلقة بالموضوع قيد البحث أو الحديث أو الدراسة . قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (5) .

33 ـ **خلقه للرياح** : الريح نعمة تنقل السحب وتلقحه كما تلقح النباتات

---

(1) الحشر ، 2 ـ 3 .

(2) هود ، 120 ـ 121 .

(3) المؤمنون ، 21 ـ 22 .

(4) الفرقان ، 45 ـ 46 .

(5) النحل ، 80 ـ 83 .

والأشجار ، ولذا لو لم تكن الرياح ما كانت الحركة ، ولهٰذا لا يمكن أن تكون الحياة بدون حركة ومتحرك ، ولأن للحركة أهمية فكذلك كان للسكون أهمية ، قال تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (2) . وقال تعالىٰ : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (3) .

34 ـ **خلقه للبرزخ** : معجزات ٱلله كثيرة وواسعة ، فهو القادر علىٰ الفعل كيفما يشاء ومتىٰ يشاء وأينما يشاء ، فكان البرزخ آية جعلت الماء المالح في ملامسة للماء العذب وهما في حالة حركة وجريان دون حاجز مادي يفصل بينهما ، إنه ٱلله الحي الذي يرينا كل شيء حي لنؤمن ولا نشرك بعبادته أحداً . قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ

(1) الفرقان ، 48 ـ 50 .
(2) البقرة ، 164 ـ 165 .
(3) الأعراف ، 56 ـ 57 .

نَسَبًا وَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (3) .

35 ـ **خلقه للتخيير** : لقد خلق الحي الإنسان في أحسن تقويم ، ليكون مخيراً في أن يفعل أو لا يفعل ما يشاء بعد أن يعرف ويتقي ٱلله ربه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (7) ،

---

(1) الفرقان ، 53 ـ 54 .
(2) الرحمـٰن ، 19 ـ 23 .
(3) فاطر ، 12 .
(4) الكهف ، 29 ـ 30 .
(5) يونس ، 99 ـ 100 .
(6) النحل ، 93 .
(7) المزمل ، 19 .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (1) .

36 ـ **خلقه للتسيير** : قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (5) .

37 ـ **خلقه للغيب** : المعجزات تتوالىٰ من الحي الذي لا يموت ، خلق الإنسان وعلمه جميع الأسرار إلا سراً واحداً لم يعلمه له ألا وهو علم الغيب الذي اختص به نفسه ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا

(1) الشورىٰ ، 38ـ40 .
(2) الإنسان ، 30 ـ 31 .
(3) آل عمران ، 91 .
(4) آل عمران ، 12 ـ 13 .
(5) النحل ـ 40 .
(6) الحجرات ، 18 .

تَعۡمَلُونَ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [2] . وعليه فالخليفة خليفة في كل ما يعلم وهو لم يكن كذلك فيما لا يعلم ، ولهٰذا من يستمد علمه من العليم الحكيم تتسع دائرة معارفه وعلومه ، ومن لم يستمد ذلك منه فيكون علمه في دائرة الممكن القاصرة والمحدودة .

38 ـ **خلقه للمشيئة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ [5] ، وقال تعالىٰ : ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾

---

(1) هود ، 123 .

(2) النحل ، 77ـ79 .

(3) الشورىٰ ، 8 ـ 10 .

(4) الكهف ، 23 ـ 24 .

(5) الأعراف ، 88 ـ 89 .

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ (1) .

39 ـ **خلقه للعزة** : قال تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (3) .

40 ـ **خلقه للعمر** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (5) .

41 ـ **خلقه للتوبة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ

---

(1) الإنسان ، 28 ـ 31 .
(2) فاطر ، 10 .
(3) آل عمران ، 26 .
(4) فاطر ، 11 .
(5) البقرة ، 94 ـ 96 .

عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [2] .

42 ـ **علمه للسر والجهر** : قال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [4] . وقال تعالىٰ : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [5] .

---

(1) النساء ، 15 ـ 18 .

(2) التوبة ، 103 ـ 106 .

(3) آل عمران ، 29 .

(4) آل عمران ، 154 .

(5) هود ، 4 ـ 5 .

43 ـ **خلقه للطاعة** : قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٣٢ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ (3) .

44 ـ **خلقه للرأفة** : قال تعالىٰ : ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (5) .

45 ـ **خلقة للرحمة** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ

---

(1) النساء ، 59 .

(2) آل عمران ، 31 ـ 32 .

(3) محمد ، 32 ـ 34 .

(4) آل عمران ، 30 .

(5) النور ، 54 ـ 56 .

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٖ مِّنْهُ وَفَضْلٖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطٗا مُّسْتَقِيمٗا ﴾ (4) .

46 ـ **خلقه الأزواج** : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجٗا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٖ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (7) .

---

(1) البقرة ، 218 .
(2) الأعراف ، 54 ـ 56 .
(3) ال عمران ، 158 ـ 159 .
(4) النساء ، 174 ـ 175 .
(5) الروم ، 21 .
(6) النجم ، 45ـ 55 .
(7) الذاريات ، 49 .

47 ـ **خلقه للغة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [2] .

48 ـ **خلقه للترغيب والترهيب** : قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [5] .

وعليه فإن الحياة جلالة لله تعالىٰ ، وهي صفة من صفاته الحسان ، والحياة بيده تُخلق خلقاً ، وبيد الخليقة تُصنع صنعاً ، والحياة هي القوة التي بها خلقت الأشياء وما يستمد منها من توالد وتكاثر ، وهي صفة متلازمة من

---

(1) الروم ، 22 ـ 23 .

(2) النساء ، 163 ـ 164 .

(3) الروم ، 24 .

(4) الحشر ، 7 .

(5) الفرقان ، 19ـ20 .

ذات ٱلله فهو الأول والآخر ، وهي كذلك هي أول وآخر (حياة الدنيا وحياة الآخرة) .

الحي المطلق هو الذي تستمد منه الحياة فلو لم يكن ما كانت ، ولأنها الكائنة فهو الذي من وراء كينونتها ، ولأنه جل جلاله هو الحي الدائم فهو : ٱلله الذي لا إلـٰه إلا هو الرحمـٰن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفَّار ، القهَّار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المعيد ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الولي ، المتعال ، البَرُّ ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور !

اللهُمَّ يا الحي إننا نصلي ونسلم علىٰ سيدنا محمد فاجعل صلاتنا وسلامنا عليه يحيا بها الإيمان والخير في صدورنا ، ويموت بها الكفر والشر في أنفسنا وأعمالنا ! اللهُمَّ يا الحي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعل يا الحي يا الدائم أجمل أيامنا يوم لقاك فنحيا حياة لا نموت بعدها أبداً في ملكك الذي لا يبلىٰ ونعيمك الذي لا ينفد ! اللهُمَّ يا الحي يا القيوم برحمتك نستغيث لا إلـٰه إلا أنت ، أصلح لنا الأمور كلها ولا تكلنا إلىٰ نفوسنا طرفة عين أو أقل وتولنا في الأمور كلها !

اللهُمَّ يا الحي أحي في قلوب عبادك الرحمة والمودة والألفة والمحبة ، وأحي في نفوسهم طاعة الوالدين في غير معصيتك ، والإصلاح والفلاح في الأرض التي استخلفتهم فيها إنك رؤوف رحيم ، فارحم !

اللهُمَّ إنك الحي القيوم فاجعل أعمالنا شاهدة قائمة بالحق يوم لقاك ! اللهُمَّ إنك الحي الذي أحيانا من لا شيء ، وجعلنا مستخلفين ، فارحم ، وكفِّر ، واغفر إنك قريب سميع مجيب لا إلـه إلا أنت سبحانك !

✍ ✍ ✍

القَيُّومُ جلّ جلاله

القيوم : « هو كامل القيومية ، وله معنيان :

هو الذي قام بنفسه ، وعظمت صفاته ، واستغنىٰ عن جميع مخلوقاته .

وقامت به الأرض والسمـٰوات وما فيهما من المخلوقات ، فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها » [1] .

القيوم : مدبِّر الأمر والقائم به علىٰ كل ما خلق .

القيوم : « الذي قام بذاته واستغنىٰ عن جميع المخلوقات ، وهي مفتقرة إليه في كل شيء ، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وجميع ما في السَّماوات والأرض عبيده ، وتحت قهره وسلطانه » [2] .

وابن القيم يقول :

وكذاك يشهد أنه القيوم قام بنفسه ومقيم ذي الأكوان [3] .

القيوم : « القائم علىٰ كل نفس بما كسبت ، وقيل القائم بذاته المقيم لغيره وقيل القائم بتدبير خلقه وحفظه ، وقيل هو الذي لا ينام ، وقيل الذي لا بديل له » [4] .

---

(1) شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسنة ، ج 1 ، ص 81 .
(2) نور التوحيد وظلمات الشرك ، ج 1 ، ص 23 .
(3) شرح قصيدة ابن القيم ، ج 2 ، ص 199 .
(4) المصدر السابق ، ص 236 .

القيوم : « الذي قام بنفسه واستغنىٰ عن غيره المقيم لما سواه » [1] .

والقيّم عن مجاهد في قول ٱلله جل ثناؤه : « الحي القيوم » ، قال : القائم علىٰ كل شيء » [2] ، وقال آخرون : « معنىٰ ذلك : القيام علىٰ مكانه » . ووجَّهوه إلىٰ القيام الدائم الذي لا زوالَ معه ولا انتقال ، وأنّ ٱلله عز وجل إنما نفىٰ عن نفسه بوَصفها بذلك ، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلىٰ مكان ، وحدوثَ التبدّل الذي يحدث في الآدميين وسائر خلقه [3] .

القيوم : « القائم علىٰ كل نفس بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره ، وقيل : القائم بتدبير الخلق ، وحفظه ، وقيل : هو الذي لا ينام ، وقيل : الذي لا بديل له » [4] .

اسم (القيوم) من أسمائه الحسنىٰ جل جلاله ، والتي جاء ذكرها مقترناً مع اسمه الحي ؛ لاقتران القيام بالحياة وهي رمزها ودلالتها فكيف تعرف الحياة إذا لم يعرف ويظهر قيامه علىٰ الأشياء ، وجاء اسم (القيوم) بهٰذه الصيغة البلاغية لما تحمله من معنىً دقيق في قيامه علىٰ الأشياء الدقيقة وبما تحمله من معنىً واسع لاشتماله علىٰ كل الأكوان من السمٰوات والأرضين وما بينهما ، فهي التي يتضح بها معنىٰ الأسماء الأخرىٰ بما لها من ارتباط وثيق وأساسي ، فنعرف الحياة بالقيام ، وبها نعرف الثواب والانتقام ، فتظهر علامات قيامه فيما حولنا من الأمور والأشياء جلية وخفية ، ومنها :

1 ـ **قيامه علىٰ كل نفس** : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ

---

(1) مختصر الأجوبة الأصولية للسلمان ، ج 1 ، ص 24 .
(2) تفسير الطبري ـ ج 6 ، ص 15 .
(3) المصدر السابق ، ج 6 ، ص 158 .
(4) فتح القدير ، ج 1 ، ص 366 .

بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (1) . والخليفة القيوم هو الذي يرعىٰ النفوس من الهلاك الجسدي والمعنوي ، فيقوم برعاية الأجساد عن أسباب الهلاك بالنصيحة السليمة ويدعوهم إلىٰ الطريق القويم وينهاهم عن الرذائل والموبقات التي بعدت بهم عن الطريق المستقيم .

2 ـ **قيامه علىٰ استجابة الدعاء** : قال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) . والخليفة دوره أن يدعو العباد المستخلفين في الأرض إلىٰ العمل الناجح والصلاح والفلاح في الدين والدنيا ؛ إن إعمار الأرض والحكم بما أنزل ٱلله تعالىٰ هو صفة من صفات القيوم بالإضافة الذي استمد صفاته من صفات القيوم المطلق ، وبذلك فإن تعليم العباد القيم الخيرة التي بها تعمر الأرض وتقوىٰ

(1) الرعد ، 31 ـ 34 .

(2) النمل ، 59 ـ 62 .

العلاقات بين الناس هو خير وسيلة لاستجابة الدعاء ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] . فعلىٰ الخليفة أن يحث الناس ويحرضهم علىٰ الإكثار من أفعال الخيرات ، ويعلمهم بأن لهم رباً قيوماً يقوم ويرىٰ حوائجهم ليلاً ونهاراً ، ويعلمهم أنه تعالىٰ قريب مجيب ، ولكون الخليفة قيوماً بالإضافة فلابد أن يرىٰ للناس أمرهم وأن يستجيب لمطالبهم ، وأن يرعىٰ حقوقهم ، بالمتابعة عيناً وأثراً ، وأن يشجعهم علىٰ أداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم وأن يتقوا ٱلله وهم مدركون بأنه لا قيوم عليهم بالمطلق سواه .

3 ـ **قيامه علىٰ علم ما تكنه الصدور** : القيوم هو الذي لا يغفل ولا يهمل وإن أمهل ، ولذا فهو القيوم علىٰ كل قول وكل فعل سواء كان قولاً أو فعلاً ذا أثر موجب أو كان ذا أثرٍ سالبٍ ، قال تعالىٰ : ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

(1) التوبة ، 103 ـ 105 .
(2) لقمان ، 23 ـ 24 .

مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (1) .
لما كان جل جلاله قيوماً لابد وأن يعلم خفايا الأمور ، وإلا كيف يكون قيوماً من لا يستطيع أن يعلم الخفي والمستتر ، فالقيوم لتكتمل قيوميته لابد أن يكون عليماً بما في الصدور وبما هو أخفىٰ من ذلك ، فكما قال تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (2) .

علم الصدور لا يعلمه بالمطلق إلا الحي القيوم ، ولا يعلمه هو كما هو بأثره النفسي أو التفكري أو التذكري إلا صاحبه الذي يحس به أو بأثره عليه ، ومع ذلك قد يكون صاحبه قاصراً خاصة إذا دخلته الأمراض النفسية والبدنية أو الضغوط والمؤثرات العقلية .

والخليفة القيوم بالإضافة لم يطلب منه ليعرف خفايا الأمور بالتجسس والتحسس لأحوال الناس ؛ لأنه تعالىٰ نهىٰ عن التجسس وتقييد أحوال الناس والدخول في أمورهم الداخلية ما لم يطلب منه ذلك ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (3) . ولـكن يجب أن يكون فطناً عارفاً

(1) الفرقان ، 5 ـ 9 .
(2) طه ، 5 ـ 8 .
(3) الحجرات ، 11 ـ 13 .

لما يدور حوله من الأمور يقظاً لكل من يحاول أن يعبث أو يفسد في الأرض بعد إصلاحها ، فحين ذاك وجب عليه الرد وصدهم تنفيذاً لأمر ٱلله جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (2) .

وعليه فإن الحي القيوم هو الذي يعلم ما تكنه الصدور وما تظهره (باطن وظاهر) والقيوم هو المسؤول عن كشف ما ظهر وما بطن ، ولهـٰذا فالأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوىٰ ، ولهـٰذا ألزم كل طائر بعنقه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا

(1) الأعراف ، 54 ـ 57 .
(2) الأعراف ، 85 ـ 86 .

مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [1] .

4 ـ **قيامه علىٰ خلق النبات** : قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [3] . وقال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] . لينظر الإنسان إلىٰ ما حوله من الشجر باختلاف أنواعها وأحجامها سيجد أنها لم تأتِ عبثاً بل بقدرة صانع عالم قادر مسيطر علىٰ ما يصنع بقوة وعزة فمهما يكبر حجم الشجرة فهي تحت قدرته وقوته ، وهيمنته الذي لا يعزب عن علمه الشجر مهما كثر أو صغر ، ولأنه الحي فهو الذي يستطيع إيجادها دون تكلف أو عناء وبذلك كان اسم (القيوم) من أسمائه التي يجب علىٰ الخليفة أن يتحلىٰ بها وليكون قيوماً بالإضافة فعليه : أن يرعىٰ الشجر والعشب من حيث السماد لتقويتها وتحقيق الاستفادة القصوىٰ منها للحيوان عامة والإنسان خاصة ، وبذلك يتحقق له العناية الإلـٰهية لأنه قام بواجبه نحوها ، والله المستعان .

---

(1) الإسراء ، 13 ـ 17 .
(2) النمل ، 60 .
(3) يس ، 78 ـ 83 .
(4) النحل ، 10 ـ 11 .

5 ـ **قيامه علىٰ خلق الأرض** : الأرض هي الطينة التي منها طينة آدم عليه الصلاة والسلام ، فلو لم تكن الأرض سابقة ما كان آدم بالأمر (كن) مخلوقاً خلقاً مباشراً منها ، ولأن القيوم خلق الشيء وخلق من الشيء أشياء كان التكاثر والتعدد والتنوع ، ومع أن الأرض لم تعد سراً في خلقها ، إلا أن في خلقها سراً لا يعلمه كاملاً ويقيناً إلا هو ، ونحن نعلم من هـٰذا السر خلق آدم منها ، ولأنه منها وفي أحسن تقويم كان هو المستخلف فيها .

وعليه فخلق الأرض نعمة كاملة غير منقوصة بالنسبة للمخلوقين منها والمخلوقين عليها ، وذلك بتماثلها مع العمر الزمني الذي يحدده القيوم لكل مخلوق كبير أو صغير يُرىٰ بالعين المجردة أو بالعين المضخمة للرؤية ، أو أنه لم يُرَ بعد وهو علىٰ نصيبه في الأرض يعيش .

ومن الواجب الإصلاح والفلاح ، في الأرض ، ومن المحرم سفك الدماء فيها بغير الحق ، ومن المحرم الإفساد فيها ، فالأرض هي الكنز الذي منه تعيش المخلوقات ومنه ترتزق ومنه تكتنز ومنه تستثمر ، فهي السطح المناسب للحياة وهي بجاذبيتها ربَّت كبداً حنوناً علىٰ من فيها ، فهي المتمسكة بمن فيها ومن عليها في ثبات وملاطفة وراحة تامة ، إنها في حالة حركة دائمة ومع ذلك لا تحسس من تحتضنهم بما يقلقهم من علىٰ ظهرها إذا لم يحدث القيوم أمراً بزلزلة أو بركان أو فيضانات ومع ذلك فهي التي تحمل الماء الذي يروي عباد ٱلله والنبات الذي يشبع حاجاتهم للأكل ، والثمار المتنوعة التي فيها كل ما يحتاجه الجسم والعقل والبدن وسبحان ٱلله والحمد لله علىٰ فضله الواسع الذي لا يُحصىٰ . قال تعالىٰ : ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا

(1) النمل ، 61 .

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (3) .

إن في خلق الأرض دلالة واضحة علىٰ قيوميته وقدرة قيامه عليها وبكل دقة لأكبر دليل علىٰ سعة علمه بالأشياء أياً كان حجمها أو بعدها في عمق الأرض ، فهٰذه الأرض وما خلق فيها من الأنهار والسهول والجبال والهضاب كلها لم تكن عبثاً بل جعلها لتخدم مستخلفيه الذين هم قائمون عليها بالإضافة والذين وجب عليهم أن يعمروها بالخير والبركة وأن يراعوا حدود ٱلله فيها دونما طغيان أو بطر ؛ لأن الذين أعجبتهم أنفسهم من الأمم السابقة ولم يحمدوا ٱلله علىٰ ما آتاهم ، وبدلوا نعمة ٱلله كفراً كان مصيرهم جهنم كما قال تعالىٰ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

---

(1) البقرة ، 28 ـ 29 .

(2) البقرة ، 267 ـ 269 .

(3) البقرة ، 284 ـ 286 .

وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا
وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا
لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ
وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ (1) .

6 ـ قيامه علىٰ خلق الرياح وتسخيرها : الرياح دائماً في دائرة الممكن تأتي بالمتوقع وتأتي بغير المتوقع ، فقد تأتي بالأمطار وقد تأتي بالرياح الجافة وقد تأتي بالكوارث ولكل حساب ، فالمتوقع وغير المتوقع متغيران رئيسان في دائرة الممكن . تؤسس عليهما تساؤلات أو فروض يمكن إثبات صحتها ويمكن بطلانها .

الممكن :

هو الذي (لا شك في حدوثه ، أو ظهوره كلما توفرت معطياته أو شروطه) . ولهـٰذا لا يعد الممكن مستحيلاً . وبما أنه غير مستحيل . إذاً بالضرورة سيقع وفقاً لما نتوقع أو وفقاً لما لا نتوقع .

دائرة الممكن :

تتكون دائرة الممكن من (المتوقع وغير المتوقع) . التي تتساوىٰ فيها فرص ظهور كل منهما وفقاً للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها 50 ٪ .

---

(1) إبراهيم ، 27 ـ 34 .

المتوقع :

هــو الــذي (بحــدوثــه أو ظهــوره أو وجــوده لا تحــدث المفــاجــأة ، ولا الاستغراب) .

ولهٰذا المتوقع معطيات حدوثه أو ظهوره متوفرة بين أيدي الباحثين ، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) . وعليه إذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب .

غير المتوقع :

هو الذي (لا تتوفر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره ، بين أيدي البحاثة ومع ذلك قد يقع) . ما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقع في دائرة الممكن . ولهٰذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب .

المستحيل : هو الذي لا إمكانية لوصوله أو بلوغه عبر الزمن .

ولـٰكن بما أن كل شيء ممكن ، فلماذا الاستغراب ؟

الاستغراب : لحدوث أو ظهور غير المتوقع ، بدلاً مما هو متوقع . أي : ظهور ما لم يكن في الحسبان . وإذا فكر الخليفة في المتوقع فقط قد يواجهه غير المتوقع . ولذا عليه أن يتدبر ويفكر ويتذكر ويعتبر من القصص والحكم قال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ

(1) النساء ، 82 ـ 83 .

﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [1] .

ولذا فإن الممكن امتداد متوقع وغير متوقع في دائرة الزمان . وبما أن الممكن امتداد متوقع وغير متوقع في دائرة الزمان . وأنّ الزمان يمتد في الماضي والحاضر والمستقبل .

إذاً : بالضرورة ستتباين صوره من وقت لوقت آخر وتتباين الأعمال وتتعدد القيم وهو واحد أحد ، لا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه !

في الماضي : بالنسبة لنا ونحن في هـٰذا الزمن الحاضر . ما كان متوقعاً أو غير متوقع قد وقع بالفعل أو لم يقع بالفعل . ولهـٰذا يعد الممكن مثبتاً ولن يعد متوقعاً من حيث الحدوث أو عدمه . ولـٰكن مع أنه أصبح مثبتاً إلا أنه في حاجة لبرهنة تُمكِّن المتحاورين أو البحاثة أو الدارسين من معرفته دليلاً وحقيقة .

فعلىٰ سبيل المثال : قيل لأحد الأصدقاء أنّ الشيخ الفلاني أو العلامة الفلاني أو عالم علوم الفقه والدين الذي تعرف عنه كل خير قد قدمَ علىٰ أفعال لا أخلاقية (هتك عرض) مع أحد أقاربه قبل خمس سنوات ، فأجاب علىٰ الفور وبكل سرعة . هـٰذا ليس ممكناً . أنا لا أصدق . وطلب الدليل والبرهان .

مع أن الأمر قد وقع قبل خمس سنوات إلا أنّ صديقنا لا زال لم يُصدِّق ، وبالنسبة له وكأن الأمر لم يقع بعد . وعندما أثبت له دليلاً وبرهاناً قاطعاً دخل في دائرة الاستغراب وكأنه لم يُصدِّق .

(1) محمد ، 20 ـ 24 .

التعليق :

في الأمر الواقع أن الممكن يرتبط بالزمان (الآن) في كل وقت من الأوقات الثلاثة . ولهـٰذا يسبق الممكن وقوع الفعل أو المترتب علىٰ ما هو متوقع أو غير متوقع (أي نتوقع أولاً ، ثم يقع ما توقعنا ، أو لا يقع) . وهـٰذا ما لا ينطبق علىٰ الزمان الماضي الذي فيه وقع الفعل أو الحدث .

ولذا مع أن الفعل قد حدث قبل خمس سنوات ، إلا أنّ الاستغراب لازال يلاحق الممكن في غير زمانه . وهـٰذا هو الاستثناء ، الذي يحيد عن القاعدة التي تنص علىٰ أنّ (المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن) يسبقان حدوث الفعل .

وعليه : لا تُصدِر أحكاماً مسبقة علىٰ الأشياء السابقة علىٰ أحكامك . ولـٰكن تبيَّن ، ثم احكم .

ولذا فالمتوقع وغير المتوقع المتعلق بالزمان الماضي هو في حاجة للبحث عن دليل إثبات أو برهنة تُثبت وقوعه بالفعل أو عدم ثبوته لأجل أن تطمئن القلوب .

أما في الزمان (**الآن**) الحاضر ، فالتوقع وغير التوقع يسبقان حدوث الفعل أو وقوعه ، ويظل الانتظار إلىٰ أن يحدث أو لا يحدث . أما الفعل أو الحدث المتوقع أو غير المتوقع سيظل في الزمان المستقبل . ويكون المتوقعون وغير المتوقعين في دائرة الممكن هم في حالة انتظار إلىٰ أن يأتي الزمان الذي فيه الفعل أو البرهان أو الدليل المثبت .

بناء علىٰ ما سبق فالقاعدة هي : أنّ دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) يسبقان الفعل والسلوك . والاستثناء يقع الفعل أو يحدث السلوك قبل توقعه أو عدم توقعه في دائرة الممكن .

ولهـٰذا :

فالممكن يُلاحق الماضي .

ويتزامن مع الحاضر .

ويسبق المستقبل .

وعلىٰ الإنسان الذي كرمه ٱلله في البر والبحر أن يعرف ، أنّ علاقة قوية تربط بين الممكن والقدرة . قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [1] ، تكريم القيوم لبني آدم هو تكريم في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع ، فمن المتوقع أن كل بني آدم هو خليفة ، ومن غير المتوقع أن يكون من بني آدم من هو غير خليفة ، أفلا يتدبرون القرآن ! ليكونوا جميعاً خلفاء يستمدون صفاتهم من صفات مستخلفهم في الأرض . ولا غرابة أن يكون بعضهم من المستخلفين وبعضهم الآخر في غير دائرة المستخلفين ، فالأمر يتعلق بالتخيير ، والقيوم من حيث الخلق خلق الإنسان بالمطلق في أحسن تقويم ، ووفقاً لقاعدة (لا إكراه في الدين) فالمسألة اختيارية فمن تدبر وتبين واهتدىٰ فقد أصبح خليفة يورث في الدارين خيراً ونعيماً كثيراً ، ومن لم يؤمن بذلك فالقيوم عليه قائم بالحساب والعقاب الشديد .

وعليه :

فالإنسان يتوقع ما هو ممكن ، ولـٰكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته . فما يشاهد أو يُلحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه أو شمه أو

---

(1) الإسراء ، 70ـ72 .

سمعه فهو الواقع في حدود الممكن . وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة للمدركات والقدرات والأحاسيس حيث هناك البعض يمّيز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر .

فعلىٰ سبيل المثال : الوصول إلىٰ القمر كان في الزمان الماضي مستحيلاً وفقاً لقدرات الإنسان وعلومه ، وفي زماننا أصبح ممكناً .

وبما أن كل شيء ممكن .

إذاً فلماذا الاستغراب ؟

الاستغراب هو حدوث غير المتوقع في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقع . أي ظهور ما لم يكن في الحسبان ، وعليه يجب أن يضع الخليفة في حسبانه كل ما هو ممكن حتىٰ لا يفاجأ .

الممكن برغم وجوده المتجزئ إلا أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع) .

مثال : البحث عن العمل ، لو لم يكن ممكناً ، ما كان البحث عنه . ولهـٰذا البحث عن العمل ممكنٌ ، والحصول عليه ممكنٌ .

وعدم الحصول عليه أيضاً ممكنٌ . هـٰذا الأمر هو المتوقع (ما يوضع في الحسبان) . لـٰكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان ، وأنت تبحث عن فرصة عمل ، فهـٰذا الأمر بالنسبة لك غير متوقع .

وعليه : فالحب متوقع ، والزواج متوقع ، والطلاق كذلك ، والإنحراف متوقع ، والإنجاب متوقع ، وأيضاً عدم الإنجاب متوقع . الخيانة متوقعة ، والطاعة والعصيان متوقعان ، الكذب والصدق متوقعان ، وأيضاً أن يُعطىٰ لك موعد ويُخَل به متوقع ، وفي مقابل ما ذكرناه من متوقعات يكون غير المتوقع وفي ذلك علىٰ سبيل المثال : أن تقدم الأم علىٰ ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهـٰذا غير متوقع ، أو أن يقدم الأب علىٰ فعل الفاحشة مع ابنته ، فهـٰذا غير

متوقع أيضاً ، لأنه لم يوضع في حسبان القيم والأخلاق البنائية المستمدة من الدين الخاتم ، الذي جاء فيه التحريم القاطع ، ومع ذلك كل شيء في دائرة المتوقع وغير المتوقع هو ممكنٌ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1] .

ولهٰذا ، معايير المتوقع هي التي علىٰ ضوئها تكون القواعد ، وعلىٰ معايير غير المتوقع تكون الاستثناءات .

ـ غير الممكن : هو المستحيل ، الذي لا يمكن الإقدام علىٰ فعله ، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزمن .

مثال :

ـ من غير الممكن أن نأتي بالشمس من المغرب .

ـ من غير الممكن أن ندمج الشمس في القمر .

ـ من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين .

ـ من غير الممكن أن نفكر إن فقدنا عقولنا .

ـ من غير الممكن أن نحي الموتىٰ بقدراتنا هٰذه . وقد يتساءل البعض : ماذا تعني بقدراتنا هٰذه ؟

---

(1) النساء ، 22 ـ 23 .

أعني : إنَّ إحياء الموتىٰ عبر الزمن كان ممكناً لبعض الرسل والأنبياء عندما إذِنَ لهم القيُّوم جل جلاله بذلك وذلك لتطمئن قلوبهم وليعلم من حولهم أنه علىٰ كل شيء قدير ، ولـٰكن في زمننا هـٰذا فهو غير ممكن . قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (3) .

ومع أن إحياء الموتىٰ اليوم لا يدخل دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع (مستحيلاً) إلا أنه بإذن المحيي لمن اصطفىٰ من الأنبياء والرسل كان ممكناً إعجازاً منه للآخرين ومناصرة لإظهار الحق كما هو حال الذي تم إحياؤه ليقول من الذي قتله .

وبناء علىٰ ما سبق فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل ؟

ـ الممكن ، قابل للإثبات أو الاكتشاف . أي : أنه في حاجة لمن يثبته ويبرهن علىٰ معطياته .

أما المستحيل فمثبت . وهو الذي نعلم به ولا نعرفه .

---

(1) المائدة ، 110 .
(2) البقرة ، 73 .
(3) البقرة ، 260 .

إذاً المستحيل : هو الذي لا يمتلك أمره إلا الحي القيوم جل جلاله ، الخالق له والقائم علىٰ أمره والعالم بما يجب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (2) .

ولأن زمن الأنبياء والرسل صلوات ٱلله عليهم وسلم تسليماً الذين يطلعهم القيوم جل جلاله علىٰ الغيب لم يعد بعد الرسالة الخاتمة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعث للكافة مبشراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورحمة للعالمين ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) .

وعليه ، يقع (غير المتوقع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة ، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة علىٰ وقوعه ، مما يجعله يقع (كما هو) إثباتاً . ولهٰذا يتطلب التعرف عليه وعلىٰ علله ومسبباته لاحقاً ،

---

(1) يونس ، 20 .
(2) النمل ، 65 .
(3) هود ، 47ـ53 .

ليتم التعرف علىٰ نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق . فعلىٰ سبيل المثال : كان إعصار كاترينا (Katrina) 2005 بالولايات المتحدة الأمريكية متوقعاً ، ما جعل الاحتياطات تؤخذ وفقاً لما هو متوقع . ولـٰكن الذي لم يكن في الحسبان درجة شدته ومستوىٰ الدمار الذي خلفه ، ولهـٰذا كانت الاحتياطات المأخوذة ليست في مستوىٰ وقوع الإعصار .

قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ

(1) النمل ، 63 .
(2) البقرة ، 164 ـ 165 .
(3) الأعراف ، 56 ـ 57 .

إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) .

إن الذي يرىٰ ما للرياح من حركة منظمة من خلال فصول السنة وما يتبعها من الأنواء ، وموجات البرد واختلاف سرعتها من موسم لآخر وما تقوم به من وظائف مهمة ومفيدة للإنسان ففي بعض الجهات تأتي قوية لتحمل ما بذلك المكان من الغبار لتحمله إلىٰ أناس في بقعة ثانية تكون لهم فيه فائدة ، وكذلك اختلاف سرعتها من فصل لفصل ففي الربيع تكون خفيفة في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان الأخرىٰ قد تكون قوية وهي حاملة بحبوب اللقاح التي بها تتنوع وتتسع الرحمة وفي ذلك فضل من القيوم عظيم ، أي : إنها لا تتحرك إلا وهي تحت رعاية القيوم جل جلاله ، الذي جعل كل شيء بحسبان ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) ، وكذلك الرياح في موسم الشتاء تكون محملة بالسحب الثقال فتكون سرعتها هادئة لئلا يتمزق السحاب أو يذهب لغير موضعه فتمطر رحمة وغيثاً نافعاً لإغاثة العباد الذين هم في حاجة إليها ، ولهـٰذا فالذي يعلم الأمر قادر علىٰ التصرف متىٰ ما شاء كيف شاء سبحانه لا إلـٰه إلا هو . قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا

---

(1) الروم ، 46 ـ 50 .

(2) الحجر ، 19 ـ 25 .

كَبِيرًا ﴾[1] ، لذلك جعل للرياح فوائد ومنها ما يأتي رادعاً للطغاة والمعاندين الذين يظنون أن حصونهم مانعتهم من ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

وبذلك وجب علىٰ الخليفة أن يستفيد من هٰذه النعمة في إعمار الأرض بالنبات وذلك باستغلال مواسم الأمطار بالحرث والبذر ، وكذلك الاستفادة منها في استخراج المياه من جوف الأرض ، وفي توليد الطاقة اللازمة لحركة الإنسان وما ينتج عنها من زيادة في الإنتاج ويترتب علىٰ ذلك من الرفاهية والراحة التي توفر للخليفة في الأرض قدراً أكبر من الوقت للذكر والدعاء والتضرع ، وإلا كيف يكون قيوماً بالإضافة إذا لم يكن مراعياً لأنعم ٱلله في البر والبحر ، ومن جميع جوانبها ، فهٰذه الرياح بقدر ما تأتيه من النذر الذي تظهر فيه قيوميته وقدرته وسطوته ، فإنها مظهر من مظاهر رحمته بما تأتي به من الأمطار النافعة التي تجعل الأرض الجدباء خضراء وبما تأتي به من الراحة للنفوس .

(1) الفرقان ، 48 ـ 52 .
(2) فصلت ، 13 ـ 20 .

7 ـ **قدرته علىٰ الإفناء** : قال تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) . بقيوميته تعالىٰ فإنه قادر علىٰ الفناء وإعادة البناء من جديد لما يشاء وكيف يشاء ومتىٰ يشاء دونما شريك أو نديد ، ويظهر ذلك في :

أ ـ حياة النبات الذي تراه مخضراً ثم يصير أصفر اللون يابساً ، ثم يبقىٰ في مهب الريح يرفعه ٱلله إلىٰ أي مكان شاء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (2) .

ب ـ **إفناؤه للمال والإنسان** : قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (3) .

ج ـ **إفناؤه للجبال يوم القيامة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (4) .

ولذلك علىٰ الخليفة أن يكون قادراً علىٰ اتخاذ القرار فيما يرىٰ ما هو صواب ليحيي ما يحيي علىٰ بينة ويفني ما يفني علىٰ بينة ، ليكون خليفة لله في

---

(1) المائدة ، 17 .
(2) الكهف ، 45 .
(3) الكهف ، 46 .
(4) الكهف ، 47 ـ 49 .

أرضه ويكون قادراً بذلك علىٰ التجديد واتخاذ القرار الصائب بإذنه تعالىٰ ، وعليه في ذلك أن يستخير ربه في كل الأمور ، فلا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار .

8 ـ **ملكه السمـٰوات والأرض** : عندما نقول ملكه للسمـٰوات والأرض نعني ملكه لكل شيء ، ومالك كل شيء وحده الذي يتصرف في كل شيء ، ووحده القادر علىٰ ما نعلم في دائرة الممكن وما لا نعلم في دائرة علم الغيب ، ولهـٰذا فهو القيوم علىٰ كل شيء والحمد لله رب العالمين علىٰ ملكه الذي لا يبلىٰ ولا يزول إلا بأمره . قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (1) . وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (4) .

وعليه أتساءل :

ـ ألا يكون بحق مالك السمـٰوات السبع والأرضين السبع بغني لا مجال للمقارنة معه ؟

ـ ألا يكون مالك هـٰذا الملك العظيم بقادر علىٰ الهيمنة عليه ؟

ـ ألا يكون محرك هـٰذا الملك بقيوم علىٰ كل حركة وسكون فيه ؟

---

(1) البقرة ، 107 .

(2) آل عمران ، 189 .

(3) المائدة ، 120 .

(4) النور ، 41 ـ 42 .

ـ ألا يكون مزامن الحركة والسكون بعليم بكل أمر متعلق بكل زمان وحركة ؟

ـ إلا يكون القادر العظيم بقادر علىٰ أن يخلق ما هو أعظم ؟

ـ ألا يكون من خلق وهو يخلق في كل حين بقادر علىٰ إنهاء ما خلق ؟

ـ ألا يكون من أوجد هـٰذا الخلق بقادر علىٰ استبداله بخلق جديد ؟

ـ ألا يكون من خلق الحياة والممات بقادر علىٰ جعل الحياة سرمدية بعد أن يقضي بأمره (كن) علىٰ أفعال الموت ؟

ـ ألا يكون من بيده أمر كل شيء مجازياً بالحسنات من يكون له طائعاً ، ومجازياً أصحاب السيئات بالعذاب الشديد ؟

ـ ألا يكون من المفيد أن نضع مقارنة بين الذين يركعون ويسجدون لخالق السمـٰوات والأرضين وجعل لهم فيها أرزاقاً ، وبين الذين يركعون ويسجدون لمن لم يخلق جناح بعوضة ؟

ـ ألا يكون من الأليق بنا أن نركع ونسجد للوأحد الأحد الذي لم يكن له كفواً أحد وهو يخلق ولا يُخلق ولا نركع لمن يمرض وينافق ويفسق ويكذب ويسرق ويزني ويطفف الميزان وإذا حكم بين الناس ظلم ومال ؟

9 ـ **قيامه علىٰ خلق السحاب والسيطرة عليه** : السحاب ماء معلق بغير عمد في السماء المرفوعة بغير عمد نراها ، وبالرغم من أنه الماء إلا أنه يوقد ناراً فتكون برقاً يضيء الأرض والسماء في دائرة النسبية المكانية والزمنية ، ومع أن ماء المطر في أساسه مرفوع من الأرض إلا أنه سيسقط عليها مطراً نافعاً بعد أن كان خليطاً بملح أجاج .

ماء البحار والمحيطات هو الماء الغالب علىٰ سطح الأرض ولذا فالسحاب الكثيف في معظمه هو مستمد من هـٰذه المجمعات للمياه الملحة ،

وسبحان ٱلله بدون أجهزة تحلية ينقىٰ الماء العذب من الماء الملح وينقل من هـٰذه الخزانات الراسية ليسقط مطراً علىٰ الأرض اليابسة فيحييها فتصبح مخضرة لونها يسر الناظرين ، ويشبع حاجاتهم رزقاً من القيوم الذي يتولىٰ الخلائق بالرعاية والعناية .

ولأن مياه البحار والمحيطات في أماكن من الأرض المنخفضة وهي ملحة فلا تنفع الأرض الجرداء بل إن انتقلت إليها جعلتها أكثر بوراً وفقراً ولهـٰذا فالقيوم القادر بالمطلق بأمره (كن) جعلها تتطاير وتتبخر حتىٰ تصعد بالغصب عن قانون الجاذبية إلىٰ ما هو ممكن ولتسقط مطراً رحمة منه إنه الرحمـٰن الرحيم . قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (2) . بقيوميته تعالىٰ قادر علىٰ خلق السحاب والسيطرة عليه وإرساله إلىٰ حيث يشاء دون أي استعانة أو نجدة بأحد ، أما القيوم بالإضافة إلىٰ خالقه لابد له وأن يستغيث ربه في طلب السحاب النافع له وللمستخلفين علىٰ الأرض ليقوموا به شؤون حياتهم ، وليستعينوا بذلك للقيام علىٰ الشجر والزرع والذي به يصلح شأن البهائم والتي تمدهم بكل ما يحتاجونه من الجلود والأصواف والأوبار ومن الحليب واللحم وغيرها من المنافع ، تلك التي خلقها جل جلاله لتعين الإنسان علىٰ صروف وظروف الحياة المختلفة ، ومن واجب الخليفة في ذلك أن يتضرع لخالقه بالدعاء في طلب الاستسقاء كلما تأخرت عنهم الأمطار ، وأن يدعو

---

(1) النور ، 43 .

(2) الرعد ، 12 ـ 13 .

المستخلفين بالاستغفار لذنوبهم ليستعجلوا الماء النافع لهم ولغيرهم من البهائم والمزروعات . ولأنهم المستخلفون فهم القيومون بالإضافة وعليهم بالعمل والبحث العلمي الذي يمكنهم من بلوغ الأسرار وكشفها في نقل المياه واستعمار الأرض التي أوصاهم القيوم المطلق بإصلاحها وإعمارها وفلاحها .

10 ـ **قيامه علىٰ جناته** : ولأنه القيوم فهو القائم بكل شيء وعلىٰ كل شيء ، وله في ذلك ملوك وسلاطين مما خلق من الملائكة المكرمين ومما لا نعلم مسخرين للخدمة والمراقبة والمتابعة وهم من حول العرش يحيطون بحمله ويسبحون بحمده .

وكما سبق أن بينَّا كيف بقيوميته يرفع الماء إلىٰ السماء وعرفنا : أن الماء الذي يطفئ النار يوقد ناراً فتكون برقاً بإذنه ، هـٰذه آيات عظيمة فمن نظر إليها ونضر تفكر وتذكر وتدبر حتىٰ أيقن أنه الحق من الحي القيوم جل جلاله ، ومن لا يتمكن من ذلك لا يمكنه أن يفكر في الكيفية التي بها تتم هـٰذه العملية العجيبة ولماذا تتم هـٰكذا ؟ ومن أجل من ؟

والخليفة وحده أدرك هـٰذا الأمر وأدرك الأمر الأعظم وهو ما يخلق في الجنة من نعم لا مثيل لها في الخلق الأرضي ، قال تعالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ

(1) الفرقان ، 10 ـ 11 .
(2) البقرة ، 25 .

مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ [3] .

11 ـ **قيامه علىٰ تدبير الأمر** : الأمر كلمة ذات دلالة مطلقة غير محددة في دائرة الممكن ، فهو يحتوي ما يتعلق بالشيء المتعدد باستمداد الأشياء منه ، ولهٰذا فالأشياء لا تحصىٰ وفي مجملها هناك أشياء تتعلق بالوجود وهناك أشياء تتعلق بالعدم ، وهناك أشياء تتعلق بالبعث ، وهناك أشياء تتعلق بالجنة اللهُمَّ لا تحرمنا منها ومن الخيرات الحسان التي فيها وهي لا تعد ولا تحصىٰ ! وهناك أشياء تتعلق بالنار اللهُمَّ احفظنا منها ومن شرها . إنه مدبر الأمر بأسبابه ومعطياته وبأغراضه وغاياته وما يترتب عليه سبحانه ما أعظم شأنه إنه بكل شيء عليم وعلىٰ كل أمر قيوم . قال تعالىٰ : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ

---

(1) آل عمران ، 15 .

(2) آل عمران ، 195ـ198 .

(3) النساء ، 56ـ57 .

وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ (1) .

12 ـ **مكافأته النفوس بأعمالها** : ولأنه قيوم فهو العليم بكل حال وبكل أمر ولا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السمـٰوات العلا وما بينهما وفي كل مكان نعلمه أو لا نعلمه ، إنه القيوم العليم جل جلاله ؛ إنه يعلم ما تكنه وتظهره النفوس وهو بكل أمر عليم حكيم . قال تعالىٰ : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (2) .

13 ـ **قيامه بالرعاية لخلفائه** : المستخلفون هم دائماً في حفظ القيوم وفي رعايته من الشرور ومن كل بلية ، وذلك باختيارهم للحق واتباعه والاهتداء به فيما يقومون من عمل ومن قول ومن فعل وسلوك ، وهـٰكذا يتكفل أمر المحسنين والصالحين من عباده الوارثين ويتقبلهم بقول حسن . قال

(1) السجدة5ـ 11 .

(2) السجدة12ـ20 .

تعالىٰ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (1) .

وقال تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (3) . فهـٰذه الرعاية التي منحها القيوم لمستخلفيه لابد أن يقابلها الشكر منهم بما منحهم من الرعاية والعناية الإلـٰهية التي لا تدوم إلا بالشكر والثناء ويكون ذلك بالعبادة واتباع ما أمر واجتناب ما نهىٰ عنه ؛ لأن النعم تدوم بالشكر لا بالجحود كما قال تعالىٰ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(1) آل عمران ، 37ـ45 .

(2) الحجر ، 39ـ42 .

(3) الحجر ، 95ـ99 .

وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (2) .

14 ـ **قيامه علىٰ المحو والتثبيت** : قال تعالىٰ : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ (3) .

15 ـ **قيامه علىٰ أمر الروح** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ (4) .

16 ـ **قيامه علىٰ إرسال الرسل** : القيوم هو الذي يصطفي الرسل ويقوم عليهم حتىٰ يؤدوا الأمانات لأهلها شعوباً وقبائل وأمماً وللكافة كما هو حال الرسالة المحمدية . قال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

---

(1) النساء ، 146 ـ 147 .
(2) إبراهيم ، 7 ـ 8 .
(3) الرعد39 ـ 40 .
(4) الإسراء ، 83ـ87 .

ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ ﴾ [4] . ولأن الرسل مستخلفون مباشرة باصطفاء من ٱلله تعالىٰ فإن المؤمنين برسالاتهم هم خلفاء بالاتباع (اتباع الرسالة ، والاهتداء بهديها) .

17 ـ **قيامه علىٰ نصرة ومكافأة خلفائه** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ

(1) إبراهيم ، 4 ـ 5 .
(2) آل عمران ، 184 .
(3) الأنعام ، 130 .
(4) الأعراف ، 52ـ53 .

مُرِيبٍ ﴾[1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[3] .

18 ـ **قيامه علىٰ هداية خلفائه** : قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ

(1) إبراهيم ، 6ـ9 .
(2) البقرة ، 213 ـ 214 .
(3) العنكبوت ، 9ـ11 .
(4) إبراهيم ، 12ـ15 .

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

19 ـ **قيامه علىٰ التبديل والتجديد** : مالك الأمر لا ينتظر الاستئذان من أحد فهو بيده الأمر يقدم ويؤخر ما يشاء متىٰ ما شاء إن شاء أن يفعل ما يشاء . قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [3] .

20 ـ **قيامه علىٰ الخلق** : خلقه بشر منهم المهتدون ومنهم ما دون ذلك ولكل منهم حسابه ثواباً أو عقاباً ، وهم في خلقهم علىٰ قدرات متعددة غير متساوين ، فمنهم العلماء العظام ومنهم العلماء الذين يفتقدون لعظمته إن لم يكونوا مؤمنين به وبما خلق وبما أرسل من رسول ، فهو يعلم بحال كل منهم ويعلم بحال كل ما خلق من إنس وجن وملائكة وما خلق من طير وحيوان وسمك ونبات ومما نعلم مما خلق ومما لا نعلم من كبيرة

(1) البقرة ، 1ـ5 .

(2) البقرة ، 143 ـ 144 .

(3) إبراهيم ، 19ـ21 .

وصغيرة . قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (4) .

21 ـ **قيامه علىٰ العذاب** : الحمد لله الذي خلق العذاب عقاباً للكافرين والمشركين والمفسدين في الأرض وسافكي الدماء فيها بغير حق ، فلو لم

---

(1) إبراهيم ، 32 ـ 33 .

(2) البقرة ، 106ـ 108 .

(3) البقرة ، 116ـ 119 .

(4) آل عمران ، 179 ـ 180 .

يخلق العذاب ما آمن من آمن ولا اختشىٰ الكثير مما هم الآن في خشية من ربهم في أن يعملوا ما لا يرضيه . وبرغم كيد الكائدين فإن ٱلله هو خير الكائدين وخير الرازقين ، ومهما مكر الماكرون فإن ٱلله هو خير الماكرين . قال تعالىٰ : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٨٤ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ

(1) إبراهيم ، 46ـ52 .
(2) الكهف ، 29ـ31 .
(3) البقرة ، 84ـ86 .

ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [1] .

22 ـ **قيامه علىٰ حفظ القرآن** : قال تعالىٰ : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [2] .

23 ـ **قيامه علىٰ حفظ السماء** : قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [5] .

---

(1) الأنعام ، 65ـ67 .
(2) الحجر ، 8ـ10 .
(3) الحجر ، 16 ـ 18 .
(4) الصافات ، 4 ـ 10 .
(5) فصلت ، 8 ـ 12 .

24 ـ **قيامه علىٰ المعاش والرزق** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ (1) .

25 ـ **قيامه علىٰ خزائن الدنيا** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (4) .

26 ـ **قيامه علىٰ أمر الحياة والموت** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ

(1) الحجر ، 19 ـ 20 .
(2) الحجر ، 21 .
(3) النبأ ، 6ـ16 .
(4) الأعراف ، 10 ـ 11 .
(5) الحجر ، 25 .
(6) يس ، 11 ـ 12 .

ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (1) .

27 ـ **قيامه علىٰ خلق الإنسان** : خلقه للإنسان خلق للطينة التي منها الخليفة ، والخليفة علىٰ أربعة :

الأولىٰ : استخلافه لآدم عليه الصلاة والسلام من التراب مباشرة أي من أديم الأرض الكريمة خلقه ثم قال له كن فكان علىٰ الحياة والممات والحركة والسكون وسيكون يوم البعث في جنة النعيم في حياة دائمة لا تنتهي أبداً .

الثانية : استخلاف الأنبياء والرسل باصطفاء مباشر وبأمانات منه ورسالات من قصص وحكم وكتب وزبر وصحف وألواح وتوراة وإنجيل وقرآن كريم .

الثالثة : استخلاف بالاتباع أي اتباع ما جاء به الأنبياء والرسل ، صلوات ٱلله وسلامه عليهم .

الرابعة : استخلاف بالتوحيد به واحداً أحداً ودينه الخاتم واحد لا يتعدد ، ورسوله الخاتم بالرسالة الخاتمه هو الحق فمن تبعه كان خليفة ومن لم يتبعه فقد ضل .

قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ

(1) ق ، 38ـ45 .
(2) الحجر ، 26 .

إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [3] .

28 ـ **قيامه علىٰ خلق الجن** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [5] .

29 ـ **قيامه علىٰ تسخير البحر والبر للإنسان** : قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ

(1) الحجر ، 28ـ31 .
(2) النحل ، 1ـ4 .
(3) السجدة ، 4ـ11 .
(4) الحجر ، 27 .
(5) الرحمـٰن ، 14ـ16 .

تَشۡكُرُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [2] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [4] .

30 ـ **قيامه علىٰ مفاتيح الغيب** : قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [5] .

31 ـ **قيامه علىٰ الشجر** : قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ

---

(1) النحل ، 14 .
(2) الأنعام ، 63 ـ 64 .
(3) النحل ، 5ـ9 .
(4) الأنعام ، 60 ـ 62 .
(5) الأنعام ، 58 ـ 59 .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (1) .

32 ـ **قيامه برعاية الأرض** : قال تعالىٰ : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

33 ـ **قيامه علىٰ السر والعلن** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (5) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ

---

(1) النحل ، 10ـ13 .

(2) النحل ، 15ـ18 .

(3) النحل ، 19 .

(4) النحل ، 23 .

(5) طه ، 6ـ8 .

ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (1) .

34 ـ **قيامه بعذاب الكافر** : قال تعالىٰ : ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (2) .

35 ـ **قيامه علىٰ سؤال خلقه** : قال تعالىٰ : ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (3) .

36 ـ **قيامه علىٰ ما بجوف الأنعام بجعله لبناً** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (4) .

---

(1) الفرقان ، 3ـ11 .
(2) النحل ، 22ـ26 .
(3) النحل ، 55 ـ 56 .
(4) النحل ، 65 ـ 67 .

37 ـ **قيامه علىٰ رعاية النحل** : قال تعالىٰ : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1) .

38 ـ **قيامه علىٰ أعمار خلقه** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (2) .

39 ـ **قيامه علىٰ درجات الرزق** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (3) .

40 ـ **قيامه علىٰ خلق الأزواج** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (4) .

41 ـ **قيامه علىٰ الغيب** : قال تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (5) .

42 ـ **قيامه علىٰ نعمتي السمع والبصر** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (6) .

---

(1) النحل ، 68 ـ 69 .
(2) النحل ، 70 .
(3) النحل ، 71 .
(4) النحل ، 72 .
(5) النحل ، 77 .
(6) النحل ، 78 .

43 ـ **قيامه علىٰ الطير في طيرانه وسكناته** : قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (1) .

44 ـ **قيامه علىٰ أثاث الإنسان** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (2) .

45 ـ **قيامه علىٰ راحة الإنسان** : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (3) .

46 ـ **قيامه علىٰ العذاب يوم القيامة** : قال تعالىٰ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (4) .

47 ـ **قيامه علىٰ مكارم الأخلاق** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ

---

(1) النحل ، 79 .

(2) النحل ، 80 .

(3) النحل ، 81 ـ 82 .

(4) النحل ، 83 ـ87 .

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (1) ، ومن قيامه علىٰ مكارم الأخلاق : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (2) .

48 ـ **قيامه علىٰ الرزق** : قال تعالىٰ : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (4) .

49 ـ **قيامه علىٰ ردع الشيطان عن المؤمنين** : قال تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ

(1) النحل ، 90 ـ 91 .
(2) الإسراء ، 32ـ38 .
(3) النحل ، 96 ـ 97 .
(4) الإسراء ، 30 ـ 31 .

مُشْرِكُونَ ﴾ (1) ، ولأنه بقيامه يفرض سيطرته علىٰ الشيطان : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (2) .

50 ـ **قيامه علىٰ إسراء الرسول** : قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ (3) .

51 ـ **قيامه علىٰ الحساب بدقة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (4) .

52 ـ **قيامه علىٰ تفضيل الخلق** : قال تعالىٰ : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ

---

(1) النحل ، 98ـ100 .
(2) الإسراء ، 61ـ66 .
(3) الإسراء ، 1 ـ 2 .
(4) الإسراء ، 13ـ17 .

فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (1) .

53 ـ **قيامه علىٰ كل تسبيح** : قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (3) .

54 ـ **قيامه علىٰ كل شيء** : فما ذكرناه هو فقط للتذكير أما إحصاء ما هو قائم عليه فهو لا يحصىٰ سبحانه لقد أحصىٰ كل شيء وعده عداً ، قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (5) . ومن

---

(1) الإسراء ، 18ـ22 .

(2) النور ، 41 .

(3) الإسراء ، 44 ، 45 .

(4) المجادلة ، 6 .

(5) مريم ، 85ـ95 .

قيامه علىٰ الشيء المطلق أذكر اثنين فقط هما :

قيامه علىٰ الزمان والحركة :

الزمان هو الملاحظ الذي لا يمكن مشاهدته ، والذي لا يقاس بغيره أو من خارجه ، فالزمان لا يقاس إلا بالزمن ، والدهر ، كزمن ، لا يقاس إلا بالأعوام والسنين ، والأعوام لا تقاس إلا بالشهور كمواقيت طبيعية ، والشهور لا تقاس إلا بالأيام ، وهـٰكذا عرفنا الساعات كزمن لقياس اليوم كزمن ، إذاً الزمان هو المتدرج من الكل إلىٰ الجزء الذي هو الآخر يتجزأ ، أما في حالة جموعة فهو دائماً المتدرج من المتجزئ إلىٰ الكل .

وقد يتساءل البعض : ما علاقة الزمان بالحركة ؟ وأيهما الأسبق علىٰ الآخر ؟ تكون الإجابة : لا حركة بلا زمان ، ولا زمان بلا حركة . ولهـٰذا لا يمكن أن يكون أحدهما سابقاً علىٰ الآخر . فلو كان الزمان سابقاً علىٰ الحركة ، لكانت الحركة عبارة عن حدث من أحداث الزمان ، وهـٰكذا لو كانت الحركة سابقة علىٰ الزمان لكان الزمان عبارة عن حدث حركي أو مولود الحركة الأول ، وكل منهما مترتب وجوده مع الآخر ، وليس مترتباً عليه . ولهـٰذا لو توقفت الحركة يتوقف الزمان ، وإذا توقف الزمان توقفت الحركة ، فلا حركة إلاّ بزمان ، ولا زمان إلا بالحركة . إذاً الزمان والحركة هما الشيئان المكملان الواحد للآخر في الوجود المترتب عليهما .

وبما أن الزمان والحركة شيئان ، إذاً هما الموجودان في الآن الواحد ، ولهـٰذا لا يمكن أن يكون الآن بأحدهما ، ولا يمكن أن يكون الماضي ، ولا يمكن أن يكون المستقبل . فالزمان والحركة هما الشيئان اللذان كانا لحظة الانفجار العظيم ، وهما السابقان في الخلق الذي يتكوّن من الزوجين ، مصداقاً لقول ٱلله تعالىٰ : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] ،

---

(1) الذاريات ، 49 .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (2) ، فالزمان والحركة شيئان اثنان كغيرهما من الأشياء الأخرىٰ التي تم خلقها من عند ٱلله عز وجل . وبقوله تعالىٰ : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (3) .

والليل كزمن أو ميقات يتوحد مع حركة الأرض والذي يسبح (يتحرك) وكأنه في حالة انطفاء ، وهو في حركة منتظمة ومتناهية مكاناً وزماناً .

ونتيجة انتظام حركة المتحرك مع زمانه فلا يمكن له (المتحرك) أن يدرك أحده الآخر (الليل والنهار والشمس والقمر) ومع أن الزمان والحركة يلاحظان ولا يشاهدان ، إلاّ أن المواقيت تشاهد ، والليل والنهار والفجر والصبح والمغرب مواقيت كلها تشاهد . ولهٰذا لا متحرك إلاّ في مواقيت أو بمواقيت . إذاً لا متحرك إلاّ والزمان معه ، ولا وجود لمواقيت إلاّ والحركة معها ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (4) .

---

(1) النجم ، 45ـ47 .
(2) الرعد ، 3 ـ 4 .
(3) يس ، 37ـ40 .
(4) يس ، 40 .

الآن :

يقول ابن سينا : الآن هو (دائماً وصل بين قبل وبعد ، وهو قبل ما بعده ، وبعد ما قبله) (1) . فالآن كالعلامة علىٰ الزمان ويشار به إلىٰ الوقت الحاضر الذي يربط الزمنين الماضي والمستقبل اللذين هما الآخران علامتان علىٰ الزمان ، والزمان متصل غير منفصل ، أما الوقت الذي هو المتكون من الماضي والحاضر والمستقبل فمتجزئ بأحداثه ، وعندما نقول الزمان في تشبيهه كالحبل علىٰ البكرة ، فالذي تم سحبه منه أصبح في الوقت الماضي ، وما هو علىٰ البكرة هو في وقت الآن ، وما لم يسحب بعد يقع في الوقت المستقبل ، ولهٰذا تجزأ الوقت ولم يتجزأ الحبل (الزمان) فالحبل متصل لأنه حبل واحد ، أما الوقت فلم يكن واحداً .

الآن إذاً هو الظاهر في الحاضر ، والكامن في الماضي ، والمتناهي في المستقبل .

الآن البداية :

هو الذي لم يكن كما قال عنه ابن سينا (الآن دائماً وصل بين قبل وبعد) (2) ، بل الآن البداية هو بداية التوأم (الزمان والحركة) فلا زمان إلاّ من بعده ولا حركة إلاّ من بعده ، ولا حياة إلاّ من بعده ، وذلك لعدم وجود ماض سابق علىٰ وجوده ، ولهٰذا الآن البداية هو دائماً بداية لما بعده .

الآن الأوسط :

هو الذي ينطبق عليه ما قاله ابن سينا بأنه (دائماً وصل بين قبل وبعد ،

---

(1) إبراهيم ، العاتي ، الزمان في الفكر الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ ، دار التخب العربي ، 1993م ، ص183 .
(2) المرجع السابق ، ص 183 .

وهو قبل ما بعده ، وبعد ما قبله) ، ولـٰكن ليس بالضرورة أن يكون هو الوسط الحسابي بحيث تتعادل أطرافه ، فإذا اعتبرنا الآن في هـٰذا اليوم نقطة وصل بين الماضي من البداية ، والمستقبل إلىٰ النهاية ، فهل نحن متأكدون بأن ما قضيناه من الزمان يساوي ما تبقىٰ منه ؟

الآن النهاية :

هو دائماً بعد ما قبله ، وليس وصلاً بين قبل وبعد ، فإذا كان للحجرة باب ، فالآن هو المفتاح الذي أُقفلت به الحجرة . ولهـٰذا الآن النهاية هو دائماً نهاية لما قبله .

الآن الماضي :

هو المستوعب للتجارب التي وقعت أو التي حدثت بموجبها وسالبها ، وهو الذي يكتمل بعد حدوث الفعل أو الانتهاء من التجربة ، ويتصل مع كل حاضر بالنقطة الآن . الماضي هو الوقت الذي سجلت فيه الأحداث والأفعال والتجارب في الزمان والحركة ، وهو القابل للاستدعاء كأحداث وغير قابل للاستدعاء كزمان وحركة ، والسبب هو الأفعال الماضية إلىٰ جانب كونها تسجل في الزمان والحركة ، فهي أيضاً تسجل في العقول المدركة التي عندما تحاور بالأسلوب العلمي تتمكن من أن تستدعي ما سجل لديها من مخزون الماضي . أما الزمان الماضي والحركة الماضية فلا يمكن استدعاؤهما مع الأحداث الماضية إلاّ كمواقيت ودلائل لتسجيل الأحداث والمواقف والمواضيع والظواهر ، ولذلك لا يمكن استدعاؤهما مجردين مع أنهما يتكرران وفقاً للدورة الفلكية المنتظمة . ولذلك نلاحظ تكرار الزمان والحركة ، ونلاحظ اختلاف المحتوىٰ ، بمعنىٰ أن اليوم يتكرر كل أربع وعشرين ساعة ، ولـٰكن مضمون اليوم ومحتواه قد لا يتكرر ، فعلىٰ سبيل المثال : قد نجد اليوم درجة الحرارة أكثر أو أقل من حرارة يوم أمس ، أو أنها أكثر أو أقل من حرارة اليوم المماثل لهـٰذا اليوم من العام الماضي ، مع أن هـٰذا

اليوم يماثل يوم العام الماضي من حيث الزمان والحركة ، ولهٰذا يختلف المضمون والمحتوىٰ لكل وقت سواء من حيث الكم أو الكيف ، ولٰكن بالنسبة إلىٰ الحركة الذاتية والزمان الذاتي لا يختلفان بين هٰذا اليوم ويوم العام الماضي ، فيوم 23 يوليو من هٰذا العام لا يختلف عن يوم 23 يوليو من العام الماضي ، باعتباره أطول أيام السنة نهاراً ، ولٰكن من حيث المضمون والمحتوىٰ فقد لا يكون بينهما تماثل ، وهٰكذا يكون يوم الفاتح من سبتمبر من هٰذا العام لا يختلف عن يوم الفاتح من سبتمبر من العام القادم من حيث الزمان والحركة . إذاً الماضي كأعمال لها مضمون ومحتوىٰ يمكن استدعاؤها في الوقت الآن ، والآن هو لحظة بداية ولحظة نهاية ، ولهٰذا يقع الآن في الزمان كما يقع الزمان في الحركة ، فلا حركة بدون الآن ، ولا الآن بدون زمان ، فالماضي لا يبدأ إلاّ به ولا ينتهي بغيره (بغير الآن) ، وهٰكذا الحاضر هو الآخر بدايته الآن ونهايته الآن ، وكل مستقبل لا يكون إلاّ به ، فهو أمر البداية والنهاية ، فسبحان ربي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ولذلك قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [1] . فالأعمال التي وقعت في الماضي ستكون في المستقبل كما هي أمام مرتكبيها ، ولهٰذا استدعاء الماضي ممكن ، ولٰكن إعادة الزمان والحركة بالنسبة إلىٰ المخلوقات غير ممكنة .

الآن المستقبل :

المستقبل هو الوقت المنتظر الذي يحتوي علىٰ الآمال وهو غير قابل للتذكر ولٰكنه قابل للتفكر ، والتفكر لا يهتم باستدعاء المعلومات الجاهزة ، بل هو المتطلع إلىٰ ما هو متوقع ، نتيجة استنتاجه واستقرائه لمضمون الماضي الذي تكمن فيه المعلومات والتجارب وتتراكم فيه الخبرة ، ولذلك يستمد

(1) الكهف ، 49 .

المستقبل تطوره وتجديده من الماضي الذي يرتبط به في الآن ، ولذلك تتداخل المعلومات كما يتداخل الزمان مع الحركة ، مما يجعل الحياة نسيج الأفعال في الزمان والحركة ، فلا زمان بلا حركة ، ولا حركة بلا زمان ، ولا حياة بدونهما .

المستقبل لا يحصىٰ ، وذلك لعدم تسجيله بعد في سجلات التاريخ ، مع أنه مسجل كوقت في الزمان والحركة ، ولهـٰذا سيأتي بالقوة الفاعلة من خلال قوة الزمان والحركة الفلكية ، فبما أن اليوم قد دخل والحركة مستمرة إلىٰ النهاية مع الزمان ، فبالضرورة سيأتي غداً لا محالة ، وغداً قد يكون نهاية لما سبق وقد يكون استمراراً له ، وهـٰذه بالنسبة إلينا غير معلومة مع أنها متوقعة .

المستقبل هو الذي سيأتي بعد كتابة هـٰذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة ، وهو الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه ، وهو الزمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقع ، والذي من أجله نتنفس ، ونشرب ، ونأكل ، ونفكر ، ونتعلم ، ونعمل ، ونتصدق ، ونصلي ، ونحب ، ونتزوج ، وندَّخر وفق حاجاتنا ، ونؤمن علىٰ أرواحنا وممتلكاتنا ، ونخاف ، وهو نهاية البداية وثبات الحركة ، وعليه كل حركة من أجل المستقبل .

تتحرك الأرض والكواكب والنجوم بالأمس ، فكان اليوم ، وتستمر في حركتها من أجل أن يأتي غداً ، وهـٰكذا تكون الحركة إلىٰ النهاية ، وعندما تأتي النهاية يكون الثبات ، وإذا كانت الحركة تتضمن وجود طاقة ، فإن المستقبل يتضمن زمان ومجال توليدها ، وهـٰكذا تستمر الحركة والمستقبل ، فلا حركة إلاّ لمستقبل ، ولا مستقبل بدون حركة ، ومنهما يحدث التغير ، سلباً أو إيجاباً .

يتكـوّن كـل مـن المستقبـل والحـركـة مـن زمـان ، وفعـل (محتـوىٰ ومضمـون) . وعليـه لا يمكـن أن يتحقـق المستقبـل بـدون زمـان وفعـل ،

ولا يمكن أن تكون الحركة بدون زمان وفعل ، وعندما تصل الحركة إلىٰ لحظة النهاية ، يكون العدم ، وينتهي المستقبل بالنسبة إليها مادامت في حالة عدم ، وعليه يستمر المستقبل كلما كانت هناك حركة ، وتستمر الحركة كلما كان هناك مستقبل .

ولو لم يكن هناك مستقبل ما كان هناك أمل ، ولا أمانٍ ، وما فكرنا فيما ينبغي أن نفكر فيه وهو ما يشغلنا . وبناء علىٰ ذلك ينبغي أن تكون مناهجنا مستقبلية ، لكي نعرف من نحن ، وما يجب علينا القيام به ، ونعرف من أجل ماذا نفكر ، ومن أجل ماذا نتعلم ؟ ومن أجل ماذا ندرس ، ونحلل ، ونعالج ؟ ولماذا طرحت هـٰذه الأسئلة ؟ وهل ينبغي أن يتجاوز تفكيرنا الزمان ، أم يقتصر عليه ؟ إذا كانت الإجابة بتجاوزه فإننا نفكر ، وإذا كانت بالاقتصار عليه فإننا نتذكر وننتظر ، نتذكر الماضي ، وننتظر حتىٰ يأتي الغد في لحظة الآن المستقبلية ، أي نعطل قدراتنا ومواهبنا ولا نفكر ، لأن الغد لم يأتِ بعد . كل هـٰذه وتلك الأمثال تجعلنا كما قال تعالىٰ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) ، ويقول تعالىٰ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (2) .

والمستقبل يكمن في الزمان والحركة كما تكمن الشجرة في البذرة ، مما يجعل الشجرة تكمن في الزمان المستقبل في البذرة الآن ، مع أن هـٰذه

---

(1) الحشر ، 21 .

(2) الأعراف ، 175ـ178 .

البذرة كانت في الماضي من الشجرة ، وعندما تصبح البذرة شجرة مثمرة تكون البذرة في الماضي ، وتكون الشجرة في الآن ، وتكون الثمار في المستقبل . وهٰكذا في التقاء الأحبة الآن بين الحيوان المذكر مع البويضة يكمن المستقبل الذي تكمن فيه هو الآخر معاني الأمومة والأبوة والأخوة بين البشر عندما تأتي الآن المستقبلية في وقت النضج العقلي والعاطفي والوجداني للبشر من مرحلة الطفولة المبكرة إلىٰ مرحلة الشيخوخة المتأخرة .

إن ما وقع في الآن الماضي سيكون بالضرورة حاضراً في الآن المستقبل ، ولهٰذا لا يمكن أن يكون الماضي ولا المستقبل إلا في الآن ، فالمؤمن الذي يعمل صالحاً في دنياه يعمل في حقيقة الأمر من أجل المستقبل ، ومستقبله سواء أكان خيراً أو لا ، هو ما كان له حاضر في الماضي . إذاً الماضي كأحداث وأفعال سيكون حاضراً في المستقبل (الحاضر المستمر) ويسأل صاحبه عليه فيعاقب أو يجازىٰ به ، فيقول ٱلله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [1] .

تؤكد هٰذه الآية علىٰ أن كل عمل ماض هو من أجل المستقبل ، وهٰكذا عمل الحاضر الذي هو الآخر سيقع في الزمان الماضي ، فهو لم يكن من أجل الماضي ، بل إنه من أجل المستقبل ، ولذلك يكون الماضي كالخزينة المملوءة التي لم تفتح بعد الفتحة النهائية ، بل إنها في الحياة الدنيا لا تفتح إلا بمقدار استدعاء المعلومات التي يمكن أن تفيد في صنع تاريخ قريب ، ولهٰذا ينبغي أن نعمل في حاضرنا خيراً لكي يكون لنا مستقبل خير . وكل الأعمال التي تقع في الآن تمسي في الماضي وتصبح علىٰ خير المستقبل ، وحتىٰ إن نسيها أصحابها فلا يضيع منها شيء بالنسبة إلىٰ سجل الزمان والحركة ، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا

(1) آل عمران ، 30 .

فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . تؤكد هـٰذه الآية علىٰ أن كل شيء وجد يمكن إحصاؤه ، ولـٰكن لقصور القدرات البشرية عن ذلك عجزت عن إحصائه مع أنه محصي من قبل الخالق عز وجل ، ولهـٰذا كل عمل قد حدث سيكون حاضراً في المستقبل لتتم المسألة ويتحقق له الجزاء .

الوقت منتظم في الزمان كانتظام حبات المسبحة في خيطها ، وبالتالي يمكن التعرف علىٰ الأوقات وحصرها وعدها ، ولـٰكنه من غير الممكن عد الزمان ، فعندما تعد واحدة من حبات المسبحة المتكونة من المائة حبة تصبح هـٰذه الأولىٰ في الماضي ، وتكون الحبة الثانية الواقعة بين أصابعك في الآن ، وتكون 98 حبة واقعة في المستقبل ، ولـٰكن إذا قررت أن تكرر التسبيح أو عد حبات المسبحة أكثر من مرة واحدة ، تكون الحبة التي وقعت في الزمان الماضي هي الأخرىٰ واقعة في المستقبل وذلك لأنها هي الأخرىٰ سيتم عدها أو التسبيح بها مرة ثانية ، وفي هـٰذه الحالة لن يكون عدد الحبات المتبقية للتسبيح كما سبق وأن ذكرنا هي 98 حبة ، بل يكون عدد الحبات المتبقية 99 حبة ، وعلىٰ هـٰذا النحو يكون عدد الحبات في جميع الدورات هو 99 حبة عندما تكون الاستمرارية في التسبيح علىٰ أن تكون في كل دورة تسبيحية حبة واحدة في الآن بين الأصابع ، ولا يكون العد التناقصي إلىٰ الصفر إلا في الدورة التسبيحية الأخيرة ، وعليه كل الماضي هو واقع في المستقبل المعلوم بما أنه سيكون حاضراً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [1] . إذاً كل ما قمنا به من أعمال سيكون حاضراً في المستقبل ونكون نحن مساءلين عنه ، ولهـٰذا لن ينتهي الماضي بعد ، لأن نهايته هي في الآن المستقبلية وليست في الآن الماضية التي كنا نعتقد بأنها النهاية .

---

(1) آل عمران ، 30 .

ويكون قولنا إن الزمان كالخيط والأوقات منظومة عليه كحبات المسبحة هو المثال القريب لتوضيح أحداث الماضي التي وقعت في الآن الحاضرة وأصبحت في الماضي وفق دورة الحركة والزمان فلكياً . وستكون جميعها في المستقبل قبل المساءلة والمراجعة ، وتكون بالضرورة في المستقبل عند بدء المراجعة ، وكل حاضر منها سيكون هو الآخر في الماضي بعد إتمام عملية المراجعة أو المساءلة . فعند دراسة الحالات الفردية من الناحية السلوكية والاجتماعية والصحية . تتطلب بالضرورة مراجعة سجل الماضي الذي يتعلق بالحالة ، والذي يتضمن الأحداث والأفعال والظروف التي أثرت في السلوك أو أثرت في الحالة الصحية ، أي دراسة الماضي لمعرفة الأسباب والعلل التي تحتويها الحالة مما يجعل هٰذه الحالة بالنسبة إلىٰ الباحث أو الأخصائي قبل بدء الدراسة هي في المستقبل ، وفي أثناء التشخيص والتحليل تكون في الحاضر ، وبعد العلاج تصبح الحالة في الماضي .

ومع أن الزمان لم يكن له شكل ولا صورة كما هو حال الأجسام الأخرىٰ المتحركة ، إلا أنه هو الآخر في حالة حركة ، فيقول ٱلله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [1] . ولو لم يكن هناك ليل ونهار ما كانت الأيام ولا كانت الشهور ولا السنون والدهور ، ولا كانت هناك حركة ، أي لم يكن لدينا ما نعد من الزمان ونحن علىٰ سطح الأرض ، أما رواد الفضاء عندما يخرجون عن قوانين حركة الأرض فقد تناسبهم مقاييس فيزيائية أخرىٰ لا تعتمد علىٰ حركة الأرض ، ولذلك لم يقل ٱلله عز وجل لتعلموا عدد الزمان بل قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ

(1) الإسراء ، 12 .

يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [1] ، ولهٰذا قلنا الزمان والحركة لا يعدان ، بل الذي يعد هو المتحرك الأرض والقمر والشمس وبقية الكواكب كل في فلكه ، وهٰذه جميعها قابلة للمشاهدة والملاحظة ، وهٰكذا حال الليل والنهار والفجر والمغرب كمواقيت تشاهد وتلاحظ وبالتالي فهي تعد . والفارق بين الأجسام والمواقيت هو أن الأجسام قابلة للمس المادي ، أما المواقيت الزمنية كالليل والنهار والفجر فلا يمكن لمسها مادياً ، ولهٰذا من الممكن الاحتفاظ بشيء ما من الأجسام المادية كالأهلة والساعات الذرية في قوارير المعامل والمختبرات ، ولا يمكن الاحتفاظ بشيء ما من المواقيت الزمنية في قوارير المعامل والمختبرات . وعليه لو لم يكن الزمان في حالة حركة ما كان الليل والنهار ، وما كان الفجر والمغرب ، وما عرفنا عدد السنين والحساب ، وما عرفنا الوقت الذي تستغرقه الكواكب والنجوم والأجسام في حركتها الذاتية في مجال فلكها الذي تسبح فيه أو تمتد إليه .

والحركة والزمان شيئان لا يمكن مشاهدتهما مع أنهما يلاحظان بسهولة ويسر ، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة ، الكواكب تلمس وتشاهد وتلاحظ حركتها ، أما الليل والنهار والفجر والمغرب فمع أنها تشاهد وتلاحظ إلاّ أنها لا تلمس ، ومع ذلك كل ما يشاهد يعد حتىٰ لو لم يلمس كالليل والنهار ، وذلك لأن لكل منهما بداية ونهاية يمكن رصدهما وتحليلهما وتسجيلهما .

الحركة والزمان كما سبق وأن وضحنا لا يمكن مشاهدتهما ولا لمسهما ولا ذوقهما ولا شمهما مع أنهما يلاحظان ، ولذلك يمكننا التمييز بين الحركة والمتحرك ، وبين الحركة والامتداد . فالامتداد هو مجال حركة الجسم أو

---

(1) يونس ، 5 ـ 6 .

الشكل ، فالمثلث هو امتداد بين نقاط زواياه الثلاث ، ولو لم يحدث بينها امتداد ما كان للمثلث صورة أو شكل متصل ، وهـٰكذا مجال تكوين الشكل الدائري أو الرباعي أو أي شكل من الأشكال الهندسية ، فالامتداد يكون في تكوين الشكل وفي تحديد اتجاه حركة الشكل ، كاتجاه حركة الأرض في دورانها حول نفسها ، ودورانها حول الشمس ، فهي لا تمتد إلا في مجالها الفلكي ، ولهـٰذا فالامتداد هو الذي يرسم شكل الدائرة ، أما الحركة فهي الطاقة التي بها يمتد المتحركة سواء أكان المتحرك قلماً لرسم مستقيم أو منحنٍ أو أي شكل ، أو حركة كوكب ، أو حركة كائن من الكائنات .

الزمان والحركة متناهيان حيث أنهما محصوران بين قوة الأول والآخر الذي خلقهما وجعل لهما امتداداً ، ولذلك فهما المخلوقان في الآن والمكان الواحد ، مما يجعل لهما أجلاً واحداً (نهاية واحدة) ولو لم نؤمن بأن الزمان متناه فكيف نؤمن إذاً باليوم الآخر ؟ فاليوم الآخر هو الذي لا يكون فيه الليل والنهار والفجر والمغرب (المعروفات) في حساباتنا ، والتي بها تعد أيامنا وشهورنا وأعوامنا ودهورنا ، والتي جميعها ستنتهي ليكون اليوم الآخر ، واليوم الآخر هو الذي لم يكن مثل يومنا هـٰذا الذي نعرفه ، ولأنه الآخر فهو المختلف بالضرورة عما عرفناه في يومنا الأول . وبما أن للزمان بداية وللحركة بداية إذاً ممّا لا شك فيه ستكون لهما نهاية .

حركة الزمان تماثل حركة الأجسام في قوتها وانتظام سرعتها ، ولهـٰذا تنتظم حركة المواقيت وتتزامن مع حركة الكواكب ، فلا يأتي الليل مرتين في اليوم الواحد ، ولا تتأخر حركة الأرض عن ميقاتها ومكانها ليتأخر الشروق عن النهار ويتضاعف زمن الليل ، بل الكل في فلك يسبحون وفق سرعة ثابتة ومدارات ثابتة . فاليوم هو اليوم في كل دورة للأرض حول نفسها وحول الشمس ، وذاك اليوم من العام الماضي لا يختلف عن هـٰذا اليوم الذي يماثله من عامنا هـٰذا ، الاختلاف بينهما في المحتوىٰ الذي تتضمنه الأيام ، فمحتوىٰ

هـٰذا اليوم قد لا يماثل محتوىٰ العام الماضي من حيث درجة حرارته أو برودته أو من حيث الأحداث التي وقعت فيه ، وعليه زمن اليوم لا يختلف وفق كل دورة سنوية ، والمحتوىٰ اليومي مختلف بين الحين والآخر ، فاليوم الذي ولد فيه محمد رسول ٱلله ﷺ هو اليوم الذي توفي فيه ، ولذلك قلنا اليوم واحد والمحتوىٰ مختلف .

الزمان دائرة متصلة يتواجد فيها الماضي جنباً إلىٰ جنب مع الحاضر والمستقبل ، ولو عدنا إلىٰ الماضي البعيد إلىٰ أن نصل إلىٰ النقطة الآن فلا نجد ماضياً علىٰ الإطلاق ، بل نجد الاثنين معاً الآن والمستقبل ، ولا نجد الماضي ، وذلك لعدم تكونه بعد ، وبعد أن قُضيت الآن أصبحت ماضياً وحدها ، وكل ما عداها مستقبل ، ولهـٰذا كان المستقبل هو الأكثر والأوفر الذي لا يقارن بأي وقت آخر ، لا بالماضي الذي في تعداده إلا الآن الواحدة ، ولا بالحاضر الذي لا يمتلك إلا اللحظة الآنية ، وعليه بداية الحياة مستقبل ونهايتها مستقبل ، فالمستقبل الأول هو المتكون من الحياة الدنيا ، والمستقبل الآخر هو المتكون من نهايتها ، ممّا يجعل نهاية الحياة الدنيا بداية للحياة الآخرة ، والتي يكون فيها كل الماضي كمحتوىٰ هو المستقبل الحسابي لمن وجد في اليوم الأول (الحياة الدنيا) ، ولهـٰذا لا يتم الاتفاق مع أرسطو ومؤيديه بأن كل ما هو ماضٍ قد فسد ، فالزمان الماضي لم يفسد بل إنه في السجل المحفوظ الذي فيه حسابنا ثقيله وخفيفه [1] .

وعليه أتساءل :

هل الزمان والحركة كيفان لا يشاهدان ، أم أنهما كمَّان يشاهدان ، أم أنهما شيء آخر ؟

---

(1) أرسطو طاليس ، الطبيعة ، ترجمة إسحاق بن حنين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، ص408 .

إذا كان الزمان جسماً فبالضرورة يكون كمّاً ، وإذا لم يكن جسماً فماذا يكون إذاً ؟ ولذلك الكم يشاهد ويلاحظ إلىٰ جانب تداخل الحواس الأخرىٰ في إثباته ، أما الكيف المجرد فيلاحظ ولا يشاهد ، وهـٰكذا حال الحركة فهي تلاحظ ولا تشاهد علىٰ الإطلاق ، ولذلك فهي كيف ، حالها حال الزمان . وإلاّ هل هناك من يشاهد الحركة ؟ في اعتقادنا لا يوجد من يشاهدها ، ولـٰكن قد يدّعي البعض بأنه يشاهد الحركة ، وفي هـٰذه الحالة أتساءل : هل هناك من يستطيع رسم صورة للحركة أو صورة للزمان أو حتىٰ تصويرهما فوتوغرافياً ؟ إذا لم يكن هناك من يستطيع إثبات ذلك فلا حجة لأحد علينا ولنا في ذلك حجة .

الحركة والزمان يلاحظان ولا يشاهدان ، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة ، والمتحرك دائماً جسم يشاهد ويلاحظ ، فالقمر كمتحرك يشاهد ويلاحظ ويلمس ولذلك يمكن تصويره أو رسمه ، أما حركته فلا تشاهد ولذلك لا ترسم ولا تصور ، وهـٰكذا حركة البشر والكائنات والسيارات والطائرات وغيرها من الأجسام المتحركة هي الأخرىٰ لا ترسم ولا تصور . وبناء علىٰ ذلك ، لا يعد الزمان ولا تعد الحركة ، وإلاّ هل هناك من يستطيع عد شيء لا يراه (غير قابل للمشاهدة) ؟ فالليل والنهار والفجر والمغرب واليوم والشهر والعام هـٰذه مواقيت يمكن عدها ، والمواقيت ليست الزمان ، يقول ٱللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [1] ، فالليل والنهار آيتان (علامتان) في الزمان تمكّنان البشر من معرفة عدد السنين ومعرفة الحساب الذي ييسر عملية تعاقب الليل والنهار وحركة الكواكب والنجم فلكياً ، ولذلك ينبغي أن نميِّز بين المواقيت التي هي علامات دالّة علىٰ

(1) الإسراء ، 12 .

زمان وحركة ، وبين الزمان المتصل الذي لا يفصله ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل . فالمواقيت تشاهد (الليل والنهار والفجر والمغرب) ، وهي نتاج الحركة الطبيعية للأرض حول نفسها وحول الشمس مع توازن حركة الكواكب الأخرىٰ التي تسبح في فلكها ، ولذلك يعرف اليوم بالليل والنهار ، ويعرف الشهر بحركة القمر من هلال إلىٰ هلال ، وتعرف السنة من حركة الأرض حول الشمس . ومع أن اليوم ، والشهر ، والسنة ، والدهر مواقيت إلاّ أن كلاًّ منها زمن يختلف عن الآخر ، ومثلما تختلف المواقيت في زمانها كذلك تختلف الكواكب والأجسام في حركتها وأحجامها . وعليه لو كان الليل والنهار هما الزمان لكانا هما مقياسي الحركة ، ولو لم يكن هناك حركة وزمان ما كان هناك شيء متحرك ، ولهٰذا كل متحرك هو في حالة زمان ، وكل حركة وزمان هما في حالة اتصال لا انفصام منذ البداية إلىٰ النهاية .

الزمان والحركة تراكميّان ، أي أنهما في حالة تزايد إلىٰ النهاية ، فالزمان في حالة إضافة ، والحركة كذلك ، ولم يكونا في حالة تناقص . ولهٰذا قلنا الزمان في حالة زائد لا في حالة ناقص ، ويرمز إلىٰ ذلك بالآتي : (ن + لا) .

والحركة هي الأخرىٰ في حالة زائد لا ناقص ، ويرمز إلىٰ ذلك بالآتي : (ح + لا) .

ولهٰذا الزمان لا ناقص (ن ـ لا) .

والحركة لا ناقص (ح ـ لا) .

والذي ينقص ويزيد هو المتحرك سواء في وزنه أو طوله أو عمره أو عرضه أو مساحته أو حجمه أو سرعته ، أو عدده وكمه ، ويرمز إلىٰ ذلك بالآتي : (م + أوـ) .

متحرك ـ متحرك = كم من المتحرك .

فإذا كانت سرعة كتلة المتحرك الأول 80 كيلو جرام ، وسرعة كتلة

المتحرك الثاني 50 كيلو جرام فيكون الفرق بينهما = 30 كيلو جرام .

متحرك + متحرك = كم من المتحرك .

فإذا كان عدد المتحرك الأول 122 متحركاً ، وعدد المتحرك الثاني 323 متحركاً ، فيكون مجموع المتحركات = 445 متحركاً .

والوقت هو الآخر يكون في حالة زيادة ونقصان سواء في طوله أو قصره أو عدده وكمه ، ويرمز إلىٰ ذلك بالآتي :

(و + أو ـ)

وقت + وقت = كم من الوقت .

30 ليلة + 7 ليالٍ = 37 ليلة .

وقت ـ وقت = كم من الوقت .

7 ليالٍ ـ 7 ليالٍ = 0 من الوقت ، والوقت 0 هو وقت البداية أو وقت النهاية أو الاستمرارية .

سرعة الحركة والزمان :

سرعة الحركة = سرعة الزمان (س ح = س ن) .

فعندما تكون س ح = 0 ، تكون من المسلمات س ن = 0 . وعليه لا يمكن أن تكون الحركة أسرع من الزمان ولا الزمان أسرع من الحركة ، ولهٰذا لا نسبية في الحركة المطلقة بل النسبية في الحركة الجزئية والمتجزئة .

وكذلك سرعة المتحرك = سرعة الوقت .

فلو كان المتحرك هو الأرض ، والوقت هو الليل ، فتكون سرعة الأرض = سرعة الليل ، وإذا كانت سرعة الليل = 12 ساعة عندما يتعادل مع طول النهار ، تكون من المسلمات سرعة الأرض وهي تتحرك حول نفسها = سرعة الليل أي أنها = 12 ساعة . والليل والنهار هما الزوجان

المكوّنان لليوم ، وأمس ، وغد ، وهـٰذه جميعها مواليد التوأم (الحركة والزمان) ، أما إذا تكلمنا بشكل خاص عن القطب الشمالي الذي يختلف فيه توازن الليل مع النهار ، كما هو في المناطق غير القطبية ، فهـٰذا يعود إلىٰ اختلاف مجال الحركة وسرعة المتحرك مما يجعل عدم توازن بين زمن الليل والنهار علىٰ الساكنين في المنطقة القطبية . وعليه فالأمس واليوم والغد لم تكن هي الزمان ، بل هي مواقيت تقع في الزمان ، فبما أن اليوم هو المتكوِّن من الليل والنهار ، فإن الليل زماناً يستغرقه من الزمان العام وهو الممتد من الآن الغروب إلىٰ الآن الشروق ، وإلاّ هل هناك من يعتقد بأن الليل والنهار ليس لهما زمان ؟ وبما أن لهما زماناً ، إذا فهما ليسا بزمان . وبما أنهما هـٰكذا فما هما ؟ هما ولدا التوأم (الحركة والزمان) ، ولهـٰذا تكون الأيام هي الأخرىٰ مواليد التوأم وليست من مكوناته أو مسبباته وعلل وجوده .

وعندما تكون سرعة الحركة = 0 فمن المسلمات تكون سرعة المتحرك هي الأخرىٰ = 0 ، وقوته المتحركة = 0 ، وبما أن سرعة المتحرك = 0 ، إذاً سرعة الزمان بالنسبة إلىٰ حركة المتحرك = 0 . ولذلك يكون كل شيء بالنسبة إلىٰ الحركة العامة هو في حالة توقف ، وعندما يحدث التوقف العام فلا تكون الحياة . أما بالنسبة إلىٰ المتحرك الجزئي إذا توقف عن الحركة المتولدة أو المدفوعة بقوة فلا يمكن أن تكون الحركة العامة = 0 ، وذلك لأنها سابقة ومستمرة علىٰ المتحرك الجزئي .

فإذا كانت الحركة العامة عند بدء المتحرك الجزئي في الانطلاق من مكانه = 1000000 يوم من الزمان ، وسرعة المتحرك الجزئي = سرعة دوران الأرض حول نفسها ، وإذا توقف المتحرك الجزئي بعد قضائه 48 ساعة من الزمان ، فهـٰذا يعني أن التراكم الزمني عندما يتوقف المتحرك الجزئي = 1000002 يوم من الزمان . ولذلك عندما كانت حركة المتحرك الجزئي = 0 كانت الحركة العامة = 1000000 يوم من الزمان . وبعد دوران

المتحرك الجزئي 48 ساعة بعدها أصبحت حركته = 0 ، وزمان حركته هو الآخر = 0 ، ولذلك نتيجة لتوقفه ، ويكون زمانه في هـٰذه الحالة هو زمان وجوده (فترة بدايته ونهايته) وهي الفترة التي تحتوي ما قبل صفر بداية الحركة وصفر نهايتها . فإذا كان زمان وجود المتحرك السابق سابقاً علىٰ زامن حركته المدفوعة بمائة (100) يوم ، وهي فترة الزمن الصفري (زمن بداية الحركة) ، واستمر مائة (100) يوم بعد زمن نهاية الحركة (بعد صفر النهاية) ، ثم انتهىٰ من الوجود (أعدم) ، فتكون فترة وجوده = 202 يوم ، وهي مجموع 100 يوم قبل صفر البداية + 2 يومين (48 ساعة) فترة الحركة المحصورة بين صفر البداية وصفر النهاية + 100 يوم فترة ما بعد صفر النهاية الحركية .

وعليه لم يكن هناك زمان طويل وزمان قصير ، ولا زمان سريع وآخر بطيء ، بل السريع والبطيء هو المتحرك ، فإذا كان المتحرك سريعاً كانت الحركة في حالة تساوٍ مع الزمان بالنسبة إلىٰ المتحرك ، وكلما كان المتحرك بطيئاً كذلك يكون حال الحركة والزمان في حالة تساوٍ بالنسبة إلىٰ المتحرك . ولا يمكن أن يختل توازن الزمان مع الحركة ، ولهـٰذا الزمان والحركة لا يختلفان ، بل الذي يختلف بين الحين والآخر هو السرعة (سرعة المتحرك الجزئي) ، ولهـٰذا الزمان لا يختصر أو يُطوىٰ وكذلك الحركة ولا تطوىٰ ولا تختصر ، فالذي يطوىٰ ويختصر هو المسافة بالنسبة إلىٰ المتحرك الجزئي سواء أكانت سيارة أو طائرة أو مقذوفاً صاروخياً أو غيرها من المتحركات الجزئية والمتجزئة ، وكل منها يقارن بالآخر من حيث السرعة ولا يقارن به من حيث النوع ، فالنوع يقارن بالنوع نفسه ، الغزال مع الغزال والزرافة مع الزرافة والذئب مع الذئب ولا يقارن الذئب مع الكلب ولا الغزال مع الزرافة . ولهـٰذا ينبغي مراعاة عناصر المقارنة وهي الخصائص والصفات والنوع والجنس ، فإذا كان الهدف من المقارنة هو معرفة عناصر الالتقاء والتقارب فهـٰذا يختلف عن

الهدف من معرفة عناصر الافتراق واختلاف . فالأولىٰ لكثرة معطيات التفرق . فالقمر كمتحرك فلكي يقارن بكوكب المريخ كمتحرك فلكي ، فكل منهما يشاهد ويلاحظ ويحس ويلمس ، وبالإمكان أخذ عينات منهما للمعامل والمختبرات . والليل يقارن بالنهار لأنهما من جنس واحد هو اليوم . إنهما يشاهدان ويلاحظان مع أنهما يختلفان عن القمر والمريخ من حيث أنهما لا يلمسان ، ولذلك لا تؤخذ منهما عينة للمعامل والمختبرات . وعليه إذاً للشمس والقمر حركة زمنية علىٰ الأرض هي في حالة حركة الليل والنهار . والليل والنهار في حالة حركة مكانية علىٰ الأرض وهي حركة الشمس والقمر . ولهٰذا ليس كل مشاهد ومحسوس ملموساً كما هو حال الليل والنهار اللذين يشاهدان ولا يلمسان ولا تؤخذ منهما عينة لهٰذا الغرض اللمسي .

دائرة التوأم : (الزمان والحركة) :

المستقيم عبارة عن مجموعة نقاط متصلة بداية ونهاية ، وتعد كل نقطة بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها ، وهٰكذا يستمر المستقيم في اتجاهه إلىٰ أن تتصل آخر نقاطه بأولها فيكوّن المستقيم دائرة ، ولٰكن لا يمكن أن تقفل هٰذه الدائرة ولا أي دائرة إذا لم تكن هناك حركة . وعندما تقفل الدائرة بآخر نقطة تكون هٰذه النقطة في منظومة تكوين الدائرة ، وتصبح بعد ذلك بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها . وعندما يكون وقتها الآن تكون الآن في حالة حركة ، وتصبح كل النقاط السابقة لوقتها هي في الماضي ، وبعد قفل دائرة الزمان بآخر نقطة فلا يكون لغيرها من النقاط مستقبل في تكوين هٰذه الدائرة التي أقفلت بها ولذلك عندما تقفل دائرة الزمان والحركة فلا يكون في هٰذه الدائرة مستقبل ، ولهٰذا فمن أراد المستقبل فليعمل عليه قبل قفل دائرة التوأم التي لم يعد فيها مكان للمستقبل بعد النهاية ، وأصبح اليوم الآخر . واليوم الآخر هو يوم الوقت المعلوم ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [1] ،

(1) الحجر ، 37 ـ 38 .

ويوم الوقت المعلوم هو الذي نعلمه ، ونعلم أننا لا نعلم يوم حدوثه ، ولأن اليوم هو الوقت وليس الزمان ، فقال ٱلله تعالىٰ : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ ولم يقل اليوم المعلوم . إذاً اليوم هو الوقت ، والليل والنهار والشروق والغروب هي أوقات ، والوقت يرتبط بالمواقيت وهي العلامات الدالة علىٰ الحركة والزمان ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ [1] ، بمعنىٰ أن الأهلة علامات دالة علىٰ وجود الحركة والزمان . ومن خلال حركة الأهلة وفق المنظومة الفلكية نتعرف علىٰ اليوم وغد وأمس كمواقيت زمنية تلاحظ ولا تشاهد يحس بها ذهنياً ولا تلمس مادياً ، وبما أنها لا تشاهد فكيف إذاً تعد ؟ تعد لأن مكوناتها تشاهد وتلاحظ ، فمكوّنات اليوم هي الليل والنهار والشروق والغروب ، وهٰذه جميعها تشاهد وتلاحظ ، ولذلك تعد الأيام بمواقيتها الحركية (الأهلة) ومواقيتها الزمنية (الليل والنهار) . ولذلك تكون (الآن ، وقبل ، وبعد) مؤشرات لمواقيت حركية وزمنية ، أما (أسرع ، وأبطأ ، ومتساوٍ) فهي مؤشرات لمتحرك .

وعليه أتساءل : هل الزمان يعد ؟ لا ، الزمان لا يعد ، وذلك لأنه لم يقع تحت سيطرة حواسنا ، فهو لا يلمس ولا يشم ولا يذاق ولا يشاهد ولا يسمع ، ولٰكنه يدرك ويعقل مجرداً ، وبما أن الزمان لا يعد ، فما هو الذي يعد ونعتقد بأنه الزمان ؟ الذي يعد ، ويعد به هو اليوم والشهر والعام والدهر ، وهٰذه مواقيت لها بداية ونهاية معلومة ترتبط بحركة الفلك المكونة الليل والنهار والشروق والغروب والأهلة . ولذلك نعرف كم عدد الأيام والشهور والسنين وبما تحسب أعمارنا (كم قضينا من العمر) وتؤرخ أعمالنا وتسجل ، ولٰكن هل اليوم الذي به تؤرخ أعمالنا هو اليوم المساوي لأي يوم في حركة الكواكب والنجوم ؟ من المسلمات لا . فاليوم الذي نعيشه علىٰ

---

(1) البقرة ، 189 .

الأرض لم يكن هو اليوم علىٰ الكوكب عطارد ، فعدد أيام السنة علىٰ الأرض 365 يوماً تقريباً ، في حين عدد أيام السنة علىٰ الكوكب عطارد يساوي 88 يوماً تقريباً ، وهـٰذا يعني أن اليوم علىٰ الكوكب عطارد أطول بكثير من اليوم علىٰ الأرض . والسنة علىٰ الكوكب الزهرة تساوي 224 يوماً تقريباً ، وهـٰذا يعني أن اليوم علىٰ الزهرة أطول من اليوم علىٰ الأرض وأقصر من اليوم علىٰ عطارد . واليوم الذي يعد به ٱلله تعالىٰ يساوي ألف يوم ممّا نعد علىٰ الأرض وذلك لأنها أيام شدائد ، وأيام الشدائد بالضرورة تكون طويلة بالنسبة إلىٰ من خفّت موازينه وهو في الهاوية ، وكذلك قد يكون المعنىٰ بأن خيرات ربك والتي لا تحصىٰ سيكون اليوم فيها كألف سنة مما تعد علىٰ الأرض ، وذلك جزاء لمن ثقلت موازينه وهي العيشة الراضية ، وطبيعياً قد تختلف الحركة وذلك من حيث مجال امتدادها ، أو من حيث سرعتها ، ولهـٰذا بالضرورة تختلف الأيام في الدنيا عن الأيام في الآخرة ، ولا ينبغي أن ننسىٰ أن الأيام التي يعد بها ٱلله هي أيام الحركة الكلية للكون ، وليس أيام الحركة الجزئية للأرض حول نفسها ، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (1) .

الزمان والحركة هما توأم الوجود الحي ، وهـٰذا الوجود بشكله المطلق مادي ولا مادي ، ولهـٰذا لا يكون المادي لو لم تكن هناك حركة وزمان مصاحبان له ، ولا غير المادي يكون لو لم يكن هناك حركة وزمان مصاحبان له ، وفي هـٰذه الحالة لا يكون أحدهما سابقاً علىٰ الآخر ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (2) . فلا الحركة سابقة علىٰ الزمان ولا الزمان سابق علىٰ الحركة ، والكل في فلك يسبحون .

---

(1) الحج ، 47 .

(2) الذاريات ، 49 .

ومن خلال دراستنا للزمان والحركة نلاحظ ما يخالف القول بنسبيتهما ، فالزمان مطلق بسبب عدم تحكمنا فيه وسيطرتنا عليه ، وهٰكذا تكون الحركة هي الأخرىٰ مطلقة . ولتوضيح ذلك أعرض المثال الآتي علىٰ مطلق الزمان ونسبية السرعة : إذا انطلق متسابقان من النقطة ٠ صفر في وقت واحد وليكن 0 الصفر الافتراضي ، ووصل الأول نقطة 0 صفر النهاية بعد أن قطع مسافة 100 متر ، في زمن 10 ثوان ، ووصل المتسابق الثاني نقطة 0 صفر النهاية بعد أن قطع المسافة السابقة نفسها في زمن 20 ثانية ، فماذا يعني هـٰذا الاختلاف مع أن زمن البداية واحد والمسافة المستهدف قطعها واحدة ؟

هـٰذا يعني أن في الزمن الواحد قد تختلف السرعة بين المتحركات مما يؤدي إلىٰ اختلاف المسافة المقطوعة في الزمن الواحد . فعندما قطع المتسابق الأول المسافة في (10 ث) ، قطع الثاني نصف المسافة تقريباً في الزمن نفسه الذي وصل فيه المتسابق الأول إلىٰ نقطة النهاية (10 ث) ، وعندما سُلمت راية النصر للمتسابق الأول (الفائز) في الزمن (15 ث) بعد الزمن الصفر (زمن البداية) لازال المتسابق الثاني يجري في المضمار لعدم وصوله نقطة النهاية . وعليه فالزمن لم يتباطأ مع سرعة الثاني ولم يسرع مع سرعة الأول ، فالزمن هو الزمن تراكمي متصل ولم يختلف واختلفت السرعة بين المتسابقين ، وذلك باختلاف قوة الامتداد لكل منهما ، ممّا جعل متوسط سرعة الأول تساوي (10) متر في الثانية ، ومتوسط سرعة الثاني تساوي (5) متر في الثانية ، ولهـٰذا قلنا الزمان مطلق وثابت ، والسرعة نسبية ومتغيرة .

والفرق يكون أيضاً بين الحركة والامتداد ، فالحركة مطلقة لأنها خارج سيطرتنا وتحكم أدواتنا ، والامتداد نسبي حيث أنه متوافق مع قوة الجسم الممتدة ، فحركة الكون متصلة طبيعياً ومنتظمة ، وحركة الأرض حول نفسها حركة مطلقة ، وهي جزء من الحركة العامة ، وهي المقدرة باليوم المتكون من الليل والنهار ، وحركتها حول الشمس هي الأخرىٰ حركة جزئية مطلقة (خارج

قدرة تحكمنا) وهي المقدرة بالنسبة المتكونة من فواصل الأهلة الشهرية . ولهٰذا يتصل الزمان بالحركة كاتصال التوأم بحبل المشيمة في رحم الأم ، مما يجعل بينهما ثباتاً واتصالاً ، فثبات الزمان بثبات الحركة ، وثبات الحركة بثبات الزمان ، ولهٰذا كل منهما مطلق . أما الامتداد ، فنسبي ، فامتداد الأرض حول نفسها نسبيّ بالنسبة إلىٰ امتدادها حول الشمس ، ولذلك يكون زمن امتدادها (دورانها) حول نفسها وامتدادها حول الشمس = (365 : 1) يوماً تقريباً ، وقد يختلف طول اليوم عن أمس وغد ، وذلك نتيجة اختلاف مجال الامتداد مما يجعله (الامتداد) هو الآخر مختلفاً باختلاف مجاله ، ولهٰذا لا يختلف طول اليوم نتيجة اختلاف الحركة ، فالحركة ثابتة ومطلقة ، بل الذي يختلف هو مجال الامتداد ، وعليه تكون الحركة ثابتة والامتداد متغير .

وقد يتساءل البعض : بما أننا لا نشاهد الحركة فما هو الذي نشاهده عندما يكون الجسم في حالة حركة ذاتية أو مدفوعة وهو منطلق من النقطة أ إلىٰ النقطة ب ؟ الذي نشاهده في هٰذه الحالة هو أولاً : المتحرك وثانياً : الامتداد ، فالمتحرك هو الجسم ، والامتداد هو اندفاع الجسم بين صفر البداية وصفر النهاية ، فامتداد الرجل وفق خُطاها يُشاهد ، وامتداد الفراشة من زهرة إلىٰ زهرة يُشاهد ، وامتداد الكرة من الهداف إلىٰ الهدف يشاهد ، وهٰكذا امتداد المستقيم أو المنحرف وكل ممتد بقوة دفع ذاتية أو معتمدة علىٰ قوة . وعليه الامتداد مادي وكل مادي يشاهد .

مجال الامتداد :

لا امتداد ولا حركة إلاّ في حدود الممكن ، ولذلك يكون الممكن هو مجال الامتداد ، ومجال الحركة والزمان ، ولأنه ممكن فهو متوقع الحدوث وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل وعليه فالممكن ضروري الحدوث ، ولٰكن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض

لها ثلاثة احتمالات وهي :

الاحتمال الأول : يكون الممكن مساوياً للمتوقع .

الاحتمال الثاني : يكون الممكن أقل من المتوقع .

الاحتمال الثالث : يكون الممكن أكثر من المتوقع .

وعليه لا يكون الامتداد إلاّ من مجال الممكن ، ولا ممكن إلاّ في دائرة الزمان ، فما نشاهده أو نلاحظه ونحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه فهو الواقع في حدود الممكن ، ولذلك يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجال الممكن بالنسبة إلىٰ مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا ، فمنّا من يميز بين الأشياء أكثر من بعضنا وهـٰذا يعني أن للبعض منّا قدرة تمييز أقل ، والبعض الآخر يساوينا .

وعندما نتحدث عن الممكن فلا ينبغي الإغفال عن غير الممكن حيث لا وجود لغير الممكن بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1] . أما بالنسبة إلىٰ البشر فهناك الممكن ، وهناك غير الممكن ، الممكن في نضج القدرة ، وغير الممكن في قصورها ، ولهـٰذا قد يتوقع المفكر ما هو ممكن ، ولـٰكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته .

يقع الممكن في الزمان الحاضر والزمان المستقبل ، ولا يقع في الزمان الماضي ، وذلك لأن الممكن هو افتراض قابل للتحقق وليس افتراضاً محققاً ، فالمحقق هو الكائن أو الكائنة ، أما الممكن فهو الذي لم يكن بعد ولـٰكنه سيتحقق في الآن أو في المستقبل ولهـٰذا يكون الفرق واضحاً بين المحقق ككائن ، وبين الممكن الذي سيتحقق . وعليه يمكننا الآن الحوار مع السؤال الذي طرح منذ زمن بعيد في الفكر الفلسفي وهو : ما هو الأسبق في

---

(1) البقرة ، 117 .

الـوجـود : الممكـن أم الـواقعـي ؟ ونحـن نطـرح تسـاؤلاً نعتقـد أنـه أهم : أيهما أسبق الممكن أم المستحيل ؟

لتكون الإجابة علىٰ السؤال الأول : أنه لا واقعي إلا بممكن ، أي أن الممكن يحتاج كي يوجد إلىٰ واقعي يسبقه . والإجابة علىٰ السؤال الثاني : لو لم يكن المستحيل ، ما كان للممكن وجود ، أي أن الممكن دائماً فعل مترتب علىٰ فعل سابق . ولذا علىٰ مستوىٰ القيوم لا وجود للمستحيل ، فالمستحيل مخلوق من الخالق الذي لا مستحيل أمامه ، وعلىٰ مستوىٰ العباد فلا ممكن إلا من مستحيل .

ولذا لولا وجود مصدر للأمر ما كان للأمر وجود ، ولٰكن من ناحية أخرىٰ فالأمر السابق غير مطلق مما يجعلنا نقول : لا يمكن أن تتواجد الأشياء ما لم تكن ممكنة . فالله سابق الوجود علىٰ الممكن ، وكل ما تحقق من بعده وما سيتحقق هو الممكن بالنسبة إليه ، والبشر كمحقق من هٰذا الممكن عندما يسعون إلىٰ تحقيق ما هو ممكن من ناحية عقلية ، يكون الممكن في هٰذه الحالة سابقاً علىٰ المحقق ذهنياً أو إدراكياً . وهٰكذا يكون حال الممكن الإلٰهي الذي لم يحقق بعد للمشاهدة والإدراك العقلي ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [1] بمعنىٰ عندما يصدر ٱلله أمراً وهو الممكن لابد وأن يتحقق في الوقت المحدد له ، وفي هٰذه الحالة يكون الممكن سابقاً علىٰ المحقق . وعليه يكون الممكن قراراً معطياته مثبتة للتحقق ، والتحقق فعل تنفيذ الممكن وهو الكائن أو الكائنة ، والبشر لا يحققون إلاّ الممكن ، أما ٱلله فيحقق الممكن والمستحيل ، فسبحان ٱلله العظيم .

الامتداد الفكري :

هو محتوىً لفظي عام في مضمونة حركة ، ولهٰذا لا يمكن أن يكون هناك

---

(1) البقرة ، 117 .

امتداد بدون حركة سواء أكان هـٰذا الامتداد جسمياً أو فكرياً ، والامتداد قد يكون طبيعياً كما هو عند حالات النمو ، وقد يكون بالإرادة كما هو في حالات الاختيار ، وقد يكون بالقوة عندما يكون في مقابلة انكماش بالمغالبة ، ويعتبر الامتداد مساحياً سواء أكان فكرياً أو مادياً ، وقد يكون ميسراً ، وقد يكون بالقوة ، وقد لا يكون .

الامتداد في الفراغ ميسر مثله مثل الامتداد المجالي المسموح به لأنه لم يشكل أي عائق ولا يمتد خارج حدوده ، وامتداد المغالبة بالقوة يؤدي إلىٰ الاستزادة والفقدان بين الأطراف الممتدة ، والامتداد المساوي في الصلابة قد لا يكون . والامتداد خارج الحيز يكون علىٰ حساب حيز آخر ، وعندما تتلامس الأفكار أو الأجسام الممتدة يحدث الاحتكاك بينها ، وقد ينجم عنه استيعاب أو صدام يكون له تراض أو مغالبة . وهـٰكذا تمتد الأرقام المستقلة إلىٰ النهاية بيسر وهي متصلة ، وتستقل بالآحاد وتتصل بالجموع . امتداد الواحد إلىٰ ما بعده من أعداد يساوي جموعاً ، ولهـٰذا لا جموع إلاّ بالامتداد ، امتداد الواحد خارج حدوده يشغل حيزاً من المرتب عليه والذي لا يمكن أن يكون إلاّ به (بالواحد) ، ولذلك لا وجود لأي كميات إلا بالامتداد الآحاد . فلو رسمنا مستقيماً طوله 5 سم ، فإن ذلك يعني امتداد خمس وحدات متصلة بالجموع تكوّن هـٰذا المستقيم كما في الشكل رقم (1) .

أ ـــ ب

الشكل رقم (1)

وبما أن الوحدات الخمس منفصلة فكيف تكوِّن مستقيماً متصلاً ؟ تكوّنه بالامتداد ، امتداد الواحد إلىٰ خارج قيمه (مجال حدوده) ، بالإيجاب تجعله يتماس مع مجال القيم للعدد اثنين بالسلب ، وهـٰكذا تتصل بقية الأرقام الخمسة مسطرة مما يجعلها ترسم الخط المستقيم الذي أشرنا إليه . ولو لم تكن للأعداد نهايات بالسلب والإيجاب ما كانت هناك صلة بينها ، ولهـٰذا

لا يمكن أن تتصل الأعداد بعضها ببعض لو كانت تمتد إلىٰ مالا نهاية . وعليه تجمع الأعداد المستقلة ، وتطرح الأعداد المتصلة ، والأعداد المتساوية في الكم قد لا تتساوىٰ في المقادير .

لقد عرفنا أن جمع 2 + 2 = 4 ، ولـٰكن هل الاثنان الأولىٰ تساوي الاثنين الثانية في المقدار ؟ ولتوضيح ذلك لو افترضنا أن الاثنين الأولىٰ غزالان والاثنين الثانية أيضاً غزالان ، ولـٰكن الاثنين الأولىٰ عمرها سنة واحدة ، والاثنين الثانية عمرهما أربع سنوات ، فهل هم في حالة تساوٍ قيمي أو عمري ؟ وحتىٰ من الذهب قد لا تتساوىٰ ، فهل 50 جراماً من الذهب تساوي 50 جراماً من الذهب ؟ مع أنه من حيث الكم نعم أنهما متساويتان إلاّ أنه من حيث القيمة ليس بالضرورة أن تكونا متساويتين ، لأن الخمسين جراماً الأولىٰ عيارها 18 والثانية عيارها 22 . إذاً الأعداد المتساوية في الكم ليس بالضرورة أن تتساوىٰ في العمر أو النوع أو اللون أو المقدار . وهـٰكذا لو تحصل أحد الطلبة في مادة الفيزياء علىٰ نسبة عالية ، ولتكن 90 ٪ ، هل هـٰذا يعني أن كل من تحصل علىٰ هـٰذه النسبة هو ممتاز في مادة الفيزياء ؟ ليس بالضرورة أن يكون ممتازاً في المادة مع أنه ممتاز في هـٰذا الاختبار ، ولو أعيد له الاختبار باختلاف الأسئلة فقد لا يحصل علىٰ هـٰذه النسبة العالية ، وتكون النتيجة السابقة في شك لفقدانها مصادق الثبات . وعليه ينبغي أن يهتم التحليل العلمي والتفسير العلمي بعناصر الاختلاف والاتفاق بين النتائج المتساوية في الحاصل الحسابي ، وألاّ يقتصر علىٰ المجامع الإحصائية فقط ، لأن اتصال الأعداد وتساوي محصلاتها لا يعني تساويها .

وعند دراسة المواضيع تتصل الأفكار وتترابط في نسج منهجي ينظم وحدة الموضوع ، ويظهره في شكله اللائق ليحل محله بين البحوث الناجحة التي سبقته . وتتصل الأفكار والمواضيع من أجل اكتمالها ، وتحلل علمياً عندما يتمكن الباحث من معرفة نقاط الاتصال والترابط بين تنقله من الكل إلىٰ الجزء ،

ثم إلىٰ المتجزئ ، أو منه ، إلىٰ الجزء ، ثم إلىٰ الكل عند محاولته التعرف علىٰ العلل والأسباب الكامنة والظاهرة . ولا يمكن أن يكتمل الموضوع بدون امتداد أفكاره ، ولا يمكن أن يحلل بدون معرفة نقاط اتصاله . والباحث كمتقص للحقائق لا يسترسل في دراسته ، أو تشخيصه ، أو علاجه للحالات ما لم تكن أفكاره متصلة ، وإلمامه بالموضوع متكاملاً . وهـٰكذا تتكوّن الظواهر والمشاكل المستقلة من علل وأسباب متصلة ، ومن الصعب أن تحلل ، أو تفسر المواضيع قيد البحث ما لم يراع الباحثون ذلك الامتداد الذي يربطها فيما بينها . فعدم التعبير عن الكبت علىٰ سبيل المثال قد يؤدي إلىٰ الانفجار السلوكي المتوقع وغير المتوقع ، ولا غرابة في ذلك لأن الانفجار السلوكي مرتبط بكبته المفروض ، ويحدث الانفجار برغبة الإنسان في التنفيس الوجداني الذي يحقق له الرضاء ، حتىٰ وإن ترتب عليه ثمن عقابي ، وكذلك كبت الغرائز ، قد يؤدي إلىٰ عدم الانضباط النفسي ، وعدم الانضباط النفسي قد يؤدي إلىٰ انحراف السلوك . إذاً هناك امتداد بين الكبت وعدم الأنضباط ، فكبت الغرائز قد يؤدي إلىٰ التمرد والثورة علىٰ أدوات الكبت ، بغرض التخلص من سيطرتها ، ويحدث الصراع نتيجة تواجه امتدادين بالقوة تجعل أحدهما يمتد علىٰ حساب الآخر إذا انهزم أو ضعف ، وعندما تتعادل الكفتان قد تكون بينهما مواجهة بتماس حدود اتصال القوة المتكافئة مما يجعل لامتدادهما نهاية .

لا امتداد إلاّ بحركة ، وكل كائن أو جماد هو في حالة حركة كلية ، أو جزئية ، أو متجزئة ، فالأرض علىٰ سبيل المثال ككل تتكون من أجزاء تتجزأ إلىٰ يابسة وماء ونار وكلها تتجزأ ، ولكل منها بداية ونهاية ، وكلها في حركة مستمرة ، وإذا تساءل أحد : بما أن الكل في حالة حركة ، فهل للثبات وجود ؟ نعم لكل حركة مستمرة ثبات في الاستمرار ، ولكل مستمر نهاية يثبت عندها . وإذا تساءل آخر : لمن يكون الثبات ؟ بالتأكيد للحركة . إذا شاهدنا

أي شيء ثابت كما يعتقد المشاهد علىٰ سبيل المثال للأرض والجبال ، فإن ذلك الثبات يعبر عن وجود الحركة ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [1] ، ولذلك لا يوجد الثابت المطلق ، بل الذي يوجد السكون ، والسكون دليل علىٰ وجود حركة كامنة تظهر للمشاهدة عندما تتوفر اشتراطاتها .

الحركة والسكون متلازمان ، ويستوعب كل منهما الآخر ، ويحمله في أحشائه ، وهٰكذا لكل متحرك حركة ، ولكل ساكن سكون ، ويترتب كل منهما علىٰ الآخر ، يبدأ السكون حيث تنتهي الحركة أو تتوقف ، وتبدأ الحركة حيث يبدأ السكون أو يتوقف ، فلا حركة إلاّ لسكون ولا سكون إلاّ لحركة ، ويكمن كلّ منهما في الآخر كما تكمن البراكين في باطن الأرض ، وكما تكمن الحقيقة في صدر حاملها ، وكما تكمن الفراخ في البيض (كمون المتحرك في الساكن) ، فالبركان لا يمكن أن ينفجر إلاّ بقوة الحركة الكامنة فيه ، ولا يهدأ البركان ولا يتوقف إلاّ بقوة الحركة الكامنة فيه ، ولا يهدأ البركان ولا يتوقف إلاّ بقوة السكون فيه ، وهٰكذا تكون الحقيقة كامنة في الصدور الواعية بحركتها إلىٰ أن يتم الإدلاء بها ، وبقوة وجوبها ، ولهٰذا يعتبر الـكندي الحركة هي حالة من التبدل والتغير ، ولكل حركة بداية ، ونهاية [2] . ويتم الاتفاق معه في هٰذا القول العلمي ، بأن للحركة بداية ، ونهاية ، وأنها في حالة تبدل كما تتبدل الأرقام في جمعها وطرحها ، وبقية حساباتها الرياضية ، ولهٰذا لم يكن السكون عدماً للحركة ، ولم تكن الحركة عدماً للسكون ، بل كلّ منهما معرض للعدم ، باعتبارهما وجوداً . وكما يكمن السكون في الحركة ، تكمن الحركة في السكون ، وكذلك تكمن الحركة في الحركة ، ككمون حركة الدم في حركة

---

(1) النمل ، 88 .

(2) حسام محيي الدين الآلوسي ، فلسفة الـكندي وآراء القدامىٰ ، والمحدثين فيه ، بيروت ، دار الطليعة ، 1985م ، ص195 ، 205 .

القلب . ويكمن المتحرك في المتحرك ، ككمون الجنين في بطن أمه ، وكمون حركة الركاب في السيارة أو الطائرة ، أو البالون أو السفينة ، وعليه قد تكون الحركة ذاتية ، وقد لا تكون (قد تكون مدفوعة ، أو محمولة) ، وكلها تحدث بفعل قوة .

والحركة الذاتية تنقسم إلىٰ جزأين :

الجزء الأول :

حركة واعية بإرادة الاطمئنان ، وتحقق أهدافاً شخصية ، أو ذاتية أو موضوعية ، دون أن تؤثر سلباً في الآخرين ، مثل إشباع الإنسان لحاجاته وهو راضٍ ، ولا يمس حاجات الآخرين حتىٰ ولو كان بإمكانه تناولها ، وهٰذه الحركة تحقق الانسجام والتراضي ، وتؤدي إلىٰ الوحدة .

الجزء الثاني :

حركة واعية بإرادة الخوف ، وتحقق أهدافاً شخصية ، أو ذاتية ، أو موضوعية ، وتؤثر سلباً في الآخرين ، مثل إشباع الإنسان لحاجاته علىٰ حساب حاجات الآخرين ، وهٰذه الحركة تؤدي إلىٰ الصراع والشقاق ، وتؤدي إلىٰ الفرقة ، وكل ذلك يحدث من أجل المستقبل ، مما يجعل للحركة مستقبلاً ، وللمستقبل حركة . وتعبر الحركة عن وجود طاقة ظاهرة أو كامنة تجعل الجسم أو الشكل في حالة حركة ثابتة ، أو متغيرة ، من وقت إلىٰ آخر [1] .

حالتا الحركة :

أولاً : الحركة الممتدة :

وهي التي تحدث عندما تمتد القوة في مجالها الذي تتمكن من الوصول

---

(1) هادي العلوي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولىٰ 1983م ، ص62ـ75 .

إليه كلما سنحت لها الفرصة في ذلك . وقد تكون الحركة فكرية ، وقد تكون مادية .

1 ـ الحركة الفكرية :

هي التي تحدث عندما تمتد الأفكار من عقول وصدور حامليها إلىٰ عقول وصدور أخرىٰ ، فتشغل حيزاً عندهم نتيجة امتدادها إليهم ، وهٰكذا تمتد الأخبار ، والإشاعات ، وتنتشر بين الناس حسب قوة تأثيرها سلباً أو إيجاباً وحسب قوة الفكرة أو الحجة التي تتضمنها . والأفكار الموجبة عندما تمتد خارج المجال أو البعد الذي يمكنها التأثير فيه قد تحقق نتائج سالبة ، فالمناداة بالوحدة العالمية إنسانياً موجبة ، ولٰكن عندما تتجاوز أهمية البعد القومي في البناء والتنظيم الاجتماعي تكون علىٰ حسابه ، وتكون نتيجة الجهد المبذول في التنشئة الاجتماعية تساوي صفراً في حالتين .

الحالة الأولىٰ :

مهما بذل من جهد تجاه المجتمع من أجل تحقيق البعد العالمي علىٰ حساب البعد القومي لا يتحقق مما يجعل الصفر هو نتيجة الجهد المبذول .

الحالة الثانية :

تركيز الجهد التربوي علىٰ تنمية أو تطوير الاتجاهات العالمية لدىٰ الناشئين يُضعف وعيهم بأهمية البعد القومي ، وتكون النتيجة : مستقبل المجتمع يساوي صفراً ، ويصبح سيره (مشيته) كالغراب الذي كان يعتقد أن بإمكانه أن يقلد الحمامة في مشيتها فنسي مشيته ومشية الحمامة .

وقد يُوجّه المجتمع كذلك فكرياً أو سياسياً تجاه تحقيق البعد القومي علىٰ حساب البعد المحلي ، فتكون النتيجة هي الأخرىٰ صفرية في حالتين :

الأولىٰ :

عدم تحقيق الوحدة القومية نتيجة انسلاخ المجتمع عن مكوناته الأساسية للأمة وهي الأسرة والعشيرة والقبيلة .

والثانية :

عدم تحقيق الوحدة المحلية علىٰ المستوىٰ الاجتماعي نتيجة إهمالها في التربية الاجتماعية .

وكذلك العمل علىٰ ترسيخ التكوين الاجتماعي المحلي علىٰ حساب البعد القومي تكون النتيجة صفرية في حالتين :

الأولىٰ : تشتت المستوىٰ المحلي لفقدانه مجال التمدد الطبيعي (التربية القومية) .

والثانية : فقدان الأمة أو فقدان الإحساس بها يجعل حياة الأفراد في خطر لفقدانهم المظلة الاجتماعية . (فالأمة تكوين اجتماعي علاقته (القومية) ، والقبيلة تكوين اجتماعي علاقته (القبيلة) ، والأسرة تكوين اجتماعي علاقته (الأسرة) ، وأمم العالم تكوين اجتماعي علاقته (الإنسانية) ، هـٰذه بديهيات . ثم هناك تكوين سياسي يكوّن الدولة هو الذي يشكل خريطة العالم السياسية ، ولـٰكن لماذا تتغير خريطة العالم من عصر إلىٰ آخر ؟ السبب هو أن التكوين السياسي هـٰذا قد يكون منطبقاً علىٰ التكوين الاجتماعي وقد لا يكون كذلك . فعند انطباقه علىٰ الأمة الواحدة يدوم ولا يتغير ، وإذا تغير نتيجة استعمار خارجي أو تدنٍّ يعود للظهور مرة أخرىٰ تحت شعار الكفاح القومي أو النهوض القومي ، والوحدة القومية) .

2 ـ الحركة المادية :

هي التي تمتد بقوّتها الملموسة أو المحسوسة والقابلة للمشاهدة والملاحظة ، ويكون لها أثر إيجابي ، أو أثر سلبي باختلاف المتأثرين بها ، مثل امتداد السيل الجارف في الوادي الذي يقتلع بقوة امتداده كل مهتز منتهٍ عندما يقع في طريقه ، وهـٰذه قد تكون سالبة أو موجبة ، حسب الموضوع ،

والمقيِّمين له ، وباختلاف الزمان والمكان ، ومع أنه قد يحدث سلبيات أو أضراراً ، إلاّ أنه قد يحقق العمار ، بارتوائه للأرض وإحيائه للأشجار أو للنباتات التي كادت أن تموت أو تختفي [1] . وقد تكون الحركة نتيجة انفجار بركاني يحدث بعد تمدد القوة الكامنة في بطن الأرض عندما تضعف أمامه مقاومتها ، فتفتح له الطريق للخروج إلىٰ النهاية ، وحسب مجال قوته ودائرة تأثيره ، وهـٰكذا يتمدد الجنين في بطن أمه ، وتتمدد النبتة من نواتها إلىٰ النهاية ، أو تنكمش إلىٰ النهاية . وإذا سألك أحد : هل الحركة تشاهد أم تلاحظ ؟ فبماذا تجيب ؟ في اعتقادنا أن الحركة لا تشاهد ، ولـٰكنها تلاحظ . ولكي أجيب أتساءل : بما أن الحركة لا تشاهد ، إذاً ما هو الذي يشاهد ويعتبر حركة ؟ إنه المتحرك . إذاً الحركة تختلف عن المتحرك ، لأن المتحرك قابل للمشاهدة والملاحظة معاً ، أما الحركة فتلاحظ فقط ، لأنها غير ملموسة ، لافتقادها إلىٰ المادة التي تتوحد فيها . إذاً الحركة هي الكامنة في المتحرك ، وهي التي تحدث كلما حدث لها تمدد بالقوة ، يجعلها في حالة ظهور بدلاً من حالة الكمون ، وهي العلاقة التي تحدث بين المتحرك والمحرك ، فإذا اعتبرنا علىٰ سبيل المثال كرة القدم هي المتحركة ، فمن يكون المحرك لها ؟ هل هو اللاعب ، أم قدم اللاعب ؟ بالتأكيد لو لم يكن اللاعب محركاً للقدم ما كان القدم محركاً للكرة ، إذاً هناك محرك مباشر وهو القدم ، ومحرك غير مباشر وهو العقل والجسم كوحدة واحدة ، وتتداخل العلاقة بين المتحرك والمحرك باتصال وانفصال ، تتصل في الفكرة والدرجة ، وتنفصل في الأداء والخصوصية .

تتصل حركة اللاعب وتتداخل من الفكرة التي تمتد من العقل إلىٰ البدن ،

(1) هادي العلوي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولىٰ ، 1983م ، ص62ـ75 .

والجسد ، فتحركه وفق خطة واحدة متناسقة ، وبخصوصيات كل عضو من البدن ، مما يجعل لليدين وللرأس والقدم حركات مختلفة ، كلٌّ حسب وظيفتها ، ودورها في أداء المهمة المناطة بها . وحسب هـٰذه الأدوار يشاهد المتفرج حركة اللاعب متسقة ، ولـٰكنه يشاهد بالتحديد حركة القدم في علاقة مباشرة ومنفصلة مع الكرة في أثناء دفعها إلىٰ الإمام ، أو الخلف ، أو أحد الجانبين ، فتمتد الكرة بقوة دفع المتحرك (القدم) إلىٰ نقطة انتهاء القوة أو المسافة المقطوعة ، ولهـٰذا قوة الحركة هي التي تحدد الامتداد ، وليس المتحرك هو الذي يحددها ، مع أنه لولا المتحرك ما عرفنا الحركة ولا كانت تشغل حيزاً .

ثانياً : الحركة المنكمشة :

هي الحركة التي تطوي حركة الامتداد ، أو هي العودة إلىٰ الأصل ، كعودة الشجرة إلىٰ النواة التي كانت تكمن فيها ، لأن كل شجرة منتهية باعتبارها شيئاً (وكل شيء منتهٍ) ، ولـٰكن هل ستنتهي الأشجار بعد موت كل ما نبت منها ؟ بالتأكيد لا . في عالم الوجود الحي ستنتهي كل الأشجار الموجودة علىٰ قيد الحياة ، وحسب أعمارها الممكنة لبقائها ، وستنمو أشجار أخرىٰ منكمشة في نواها . ولهـٰذا لا امتداد إلاّ من انكماش ، فالانكماش هو أساس كمون القوة الممتدة . قوة النهار لا يمكن أن تمتد إلاّ إذا انكمش الليل ، وقوة الليل هي الأخرىٰ لا تمتد إلاّ إذا انكمش النهار ، وقوة انبساط اليد لا يمكن أن تتم إلاّ إذا انتهت قوة انكماشها . ونتيجة الانكماش ، والامتداد ، تسبح الكواكب في فلكها ، وهـٰكذا امتد الكون لحظة الانفجار العظيم ، وهي نقطة البداية ، وسيعود الكون إلىٰ الانكماش عند نقطة النهاية ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [1] ، أي يوم أن تنكمش السماء ،

(1) الأنبياء ، 104 .

يكون ٱلله قد أعادها إلىٰ حالتها التي كانت عليها . وكما أن الامتداد لا يقتصر علىٰ المادة المشاهدة ، أو الملاحظة ، كذلك الانكماش لا يقتصر علىٰ ذلك ، لأن كل ممتد لابد وأن ينكمش سواء أكان مادياً ، أو فكرياً ، فالأفكار في أساسها منكمشة في العقول والصدور ، ثم تمتد من خلال الاتصال ، بالتبشير ، والترشيد ، والتحريض ، والتنظير ، وبالجدل تترسخ ، أو تصحح ، وتكون في حالة شك إلىٰ أن تثبت ، أو تنفي . وقد تمتد أفكار وتنتشر بقوة حجتها ، ثم تعود إلىٰ الانكماش عندما تضعف حجتها . وكل من الانكماش والامتداد يتضمن قوة ، ففي مرجحة القدم أثناء ضرب الكرة تنكمش بقوة في حركة إلىٰ الخلف ، لتمتد بقوة إلىٰ الأمام لضرب الكرة ودفعها إلىٰ الهدف ، وإذا انكمشت القدم بقوة إلىٰ أعلىٰ وإلىٰ الأمام يتم دفع الكرة بقوة إلىٰ الخلف ، وهـٰكذا في حالة الجانبين ، لأن القوة هي التي تظهر في حالتي الامتداد والانكماش ، وهي التي لا تقاس إلاّ بعد الظهور من الكمون إلىٰ الحركة .

في الفرحة والبهجة قوة تمتد إلىٰ أن تمتلئ الصدور بها ، وتنكمش الأحزان أمامها ، وإذا انكمش الفرح والبهجة امتدت الأحزان والاضطرابات . ففي حالة العلاج ينبغي أن يهتم الباحث بامتداد حركة الايجابيات ، وانطواء حركة السلبيات .

وبما أننا نتكلم عن الامتداد والاتصال الاجتماعي علميّاً ، فما هو الامتداد الاجتماعي ؟ هل هو المتكوّن من المفرد والمثنىٰ والجمع والمكان والزمان ؟ أم هو أكثر من ذلك ؟ فلو كان المتكون من امتداد الأفراد المتزايدين عن المثنىٰ كان المجتمع في هـٰذه الحالة كمّاً ، وإذا كانت الجموع من كل شيء تكوّن كمّاً ، فهل المجتمع هو الآخر مجرد كم ؟ وهل الكمّ المجتمعي يبيّن صورة للمجتمع ، أم يبين صوراً للبشر المتجمعين ؟ في اعتقادنا لا تكتمل صورة المجتمع الذهنية إلاّ إذا تم اللقاء بين عناصره ، وأن يكون بينهم تفاعل ، وأن

يكون لهم امتداد (امتداد ثقافي وحضاري) إذاً المجتمع هو التقاء وتفاعل امتداد مجموع الأفراد والجماعات المتفاهمين علىٰ أهمية المكان والزمان لكل واحد منهم (إنه مجتمع الأمة الواحدة) ، أما المجتمعات الأخرىٰ فهي عبارة عن حشود مؤقتة تلتقي علىٰ مصلحة وتتفرق علىٰ مصلحة . إذاً امتداد الأفراد بأعداد هائلة بدون تفاعل الأهداف الخاصة والعامة عبارة عن حشود (كمية) لا تعطي معنىً للمجتمع ، فالمجتمع كمٌّ وكيف ، كمّ من البشر ، وكيف من القيم . ولهـٰذا المجتمع كمفهوم ضروري ذهنياً ولا يرسم ، لأنه لم يكن مثلثاً ولا مربعاً ولا أي شكل من الأشكال الهندسية . وهـٰكذا التطور كالمجتمع لا يرسم مع أن دلالته ترسم بيانياً بالمنحنيات والمضلعات والأشكال الهندسية الأخرىٰ . ويتضح التطور بمقارنة أثر المتغيرات في الموضوع عبر الزمن سواء أكان الموضوع قابلاً للمشاهدة أو الملاحظة .

المكان :

هو حيّز تشغله الأجسام ويمكن ملاحظته وقد يكون من الصعب مشاهدته ، والمكان سابق علىٰ الجسم أو الشكل ، كأسبقية القالب علىٰ المقولب فيه ، وبالمشاهدة قد يصعب علىٰ المشاهد الفصل بين المكان والجسم الذي يملؤه ، ولـٰكن باستخدام وسيلة الملاحظة يمكن التمييز بينهما . إذاً المكان هو الإطار العام الذي يحتوي الأشكال والأجسام ، فلولا وجود مكان للأرض ما كانت . ولـٰكن ما هو مكان الأرض ؟ هو الإطار الخارج عنها والذي يشكل محيطها الحسابي ، ولذلك فالمحيط لا يمكن أن يكون جزءاً من المحاط ، محيط الأرض لا يمكن أن يكون جزءاً منها ، ولا هي تكون جزءاً منه . وفي اعتقادنا لا يمكن أن يكون للمحيط شكل ثابت أو قالب محدد ، بل المحيط متباين دائماً ، ولا يقتصر علىٰ الأشكال المستطيلة والمربعة والمثلثة أو الدائرية ، بل يتعداها إلىٰ كل شكل وكل جسم ، فللطائر محيطه وللإنسان محيطه الذي يحدد معالمه . وهـٰكذا لكل شكل محيط خاص به . ولهـٰذا أتساءل : هل هـٰذا الإطار أو المحيط يمكن مشاهدته ؟ في اعتقادنا

من الصعب مشاهدته ، ولـٰكن بالإمكان ملاحظته ، فالمشاهدة لا يمكن أن تتم إلاّ للأشياء المحددة والمحصورة كالأجسام والأشكال الهندسية ، أما الملاحظة فتتعدىٰ ذلك إلىٰ ملاحظة الظواهر ، فالمكان ظاهرة والزمان ظاهرة ، والطلاق ظاهرة ، والزواج ظاهرة ، والحركة ظاهرة ، وهـٰذه الظواهر وغيرها لا يمكن أن تشاهد بالعينين ولا بوسائل تقنية حديثة ، ولـٰكن جميعها تلاحظ ، وإلاّ هل هناك من يستطيع مشاهدة الحركة أو الزواج أو الزمان ؟ إنه من غير الممكن .

الحركة لا تشاهد ، ولـٰكن الذي يشاهد هو المتحرك ، فرفع القدم إلىٰ الخلف ودفعها إلىٰ الأمام لضرب كرة القدم تشاهد ، ولـٰكنها لم تكن هي الحركة ، بل الذي يشاهد هو المتحرك (القدم) ، ومن خلال مشاهدة القدم تلاحظ الحركة ، حركة القدم وحركة الكرة . إذاً الحركة هي ربط العلاقة بين المتحركات من الذهن إلىٰ الهدف وهـٰذه كلها لا تشاهد ، ولـٰكنها تلاحظ ، ولذلك يكون الفرق واضحاً بين المتحرك والحركة ، والفرق بينهما هو أن المتحرك لابد وأن تكون له صورة أو شكل ، ولهـٰذا يشاهد أما الحركة فلا يمكن أن تكون لها صورة أو شكل ولهـٰذا لا تشاهد .

كل الأشكال الهندسية لا يمكن أن تكوّن أشكالاً إلاّ ولها أماكن ، فالمكان هو القالب الذي تتشكل فيه الأجسام والأشكال الهندسية . فالأرض كشكل هندسي تتكوّن في مكان ومن مادة ، والمكان بالنسبة إليها هو الإطار الخارجي أو المحيط الخارجي الذي تحمل فيه ، والأرض هي المادة الداخلية المحاطة بدائرة مكانية ، ولهـٰذا من الصعب علىٰ البسطاء في المعرفة والبحث العلمي أن يدركوا الفارق أو يفصلوا بين الأرض كمادة وبين محيطها الخارجي ، أما الملاحظ العلمي فيمكنه إدراك الفارق بينهما ويمكنه الفصل بينهما ، حيث إنه يعرف : أن المادة التي تتكوّن منها الأرض لم تكن المادة التي يتكوّن منها محيطها الخارجي . وعليه لا يتم الاتفاق مع رأي الفيلسوف

ديكارت في قوله : (الأجسام لا تختلف عن المكان الذي يحتويها)[1] . فالمكان كما سبق وأن بيّنا شيء والجسم الذي يملؤه شيء آخر ، فالأجسام عندما تشغل حيزاً تتحد مع المكان من حيث التماس المحيطي ، فعلىٰ سبيل المثال : كمية الماء في الخزان الذي طوله ستة أمتار ، وعرضه أربعة أمتار ، وارتفاعه متران ، يكون حجمها يساوي 6 x 4 x 2 = 48 متراً مكعباً ، وهو حجم الشكل الرباعي السابق الذكر ، وعندما يتم تفريغ الماء من الخزان الرباعي يكون حجم المكان هو المحيط بالماء ، وهو الجدران السداسية المكوّنة للشكل الرباعي ، ولهـٰذا يكون الماء هو الجسم ، والمحيط ذو الستة أوجه هو المكان الذي ينفصل عنه الجسم المائي عندما يفرغ منه ، فيكون حيزاً خالياً من الجسم المشاهد والملموس ، فهو حيز مكاني يمكن ملؤه بأي جسم آخر يمكنه أن يحتويه بالشكل السابق . وللمكان الخارجي المشاهد مكان يحتويه هو الآخر ، فمكان الخزان المائي السابق هو أعلىٰ سطح المسكن ، قاعدته السطح ومكانه في الهواء وهو الحيز الذي يشغله منه ، والذي لا يمكن مشاهدة المكان إلاّ به (بالخزان كجسم) ، والذي يمكن ملاحظته بدونه . فعندما يُزال الخزان من مكانه ، فهل يمكن لأحد أن يشاهد المكان الذي كان فيه الخزان ؟

إذاً المكان يمكن ملؤه بجسم ، سواء أكان جسماً صلباً أو غير صلب ، وأي جسم إذا لم ينتظم مع الحركة أو يتزن معها فلابد وأن يصيبه الخلل ، ولهـٰذا كان للهندسة ضرورة في البناء والتصميم ، لأنها هي التي تجعل للمكين مكانة ، ولذلك ينبغي أن تكون مكانه أي جسم متزنة علىٰ الأرض ، أو في مجال حركتها الذاتية أو المدفوعة إليها ، كاتزان مكانة الود في الصدور ، فالمكانة حيز ، والحيز قد يكون مكيناً وقد لا يكون ، يكون مكيناً كحيز الجنين

(1) الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي ، المجلد الأول ، الطبعة الأولىٰ ، 1986م ، ص780 .

في بطن أمه الذي يجعل للجنين مكانة عاطفية عند أمه وهي تحمله وهناً علىٰ وهن ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (1) ، وعندما يكون المكان غير مكين ، يكون غير مأسوف عليه إذا ما غُيّر أو أُزيل من الوجود .

المكان المجرد :

المكان المجرد هو الحيز السابق علىٰ كل شكل مشاهد ، والذي يمكن مشاهدته بعد انشغاله بجسم ، والفرق بين المكان والمكانة ، هو أن المكان يمكن أن يكون مشاهداً ، ويمكن أن يكون مجرداً ، أما المكانة فهي دائماً مجردة تلاحظ ولا تشاهد ، مكانة الحبيب في فؤاد حبيبه ، ومكانة الأبوة والأمومة بين البشر . والعلاقة بينهما (بين المكان والمكانة) هي أن المكانة مع أنها مجردة إلاّ أنها تشغل حيزاً ، ممّا يجعلها تنتقل من المجرد إلىٰ المشاهد . فعندما تكون للمؤمن مكانة بين الناس فقد تدفعهم هـٰذه المكانة إلىٰ الدفع به إلىٰ مكان بينهم ، فمكانة محمد عليه الصلاة والسلام هي التي جعلت له مكاناً بين المسلمين ، وهـٰكذا مكانة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من بعده رضي ٱلله عنهم ، فمكانتهم هي التي حرضت مجتمعهم علىٰ أن يجعل لهم أماكن الصدارة وتحمل المسؤولية من بينهم . ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (2) ، بمعنىٰ اعملوا علىٰ أن تكون لكم مكانة واعتبارات لكي تأخذوا حيزاً لتوجدوا فيه ، ولـٰكن أية مكانة هـٰذه ؟ هل هي مكانة عليا أم مكانة دنيا ؟ ولأن هـٰذه الآية تشير إلىٰ الكافرين والظالمين فهي تشير إلىٰ المكانة الدنيا . أما المؤمنون فمكانتهم عليا ، ولذلك ينبغي أن يعملوا عليها لكي يكون

(1) المؤمنون ، 12 ـ 13 .
(2) الأنعام ، 135 .

لهم اعتبار . إذاً المكان سواء أكان مجرداً أو غير مجرد يختلف عن المكانة . المكانة اعتبار ورضا نتيجة تقدير نفسي ، والمكان المجرد هو الذي لا يشاهد ولـٰكن يحس به ويلاحظ ، كمكان الخليفة والقائد والرئيس والملك في تحمل المسؤولية ، ولهـٰذا الخلافة والقيادة والرئاسة والملكية لا ترسم ولا تشاهد ولـٰكنها تلاحظ ولها قوانين ونظم . إذاً المكانة هي المنزلة التي تشغل حيزاً ، فمكـان المنـزل مـن الحـديقـة قـد يعطيـه مكـانـة رائعـة لـدىٰ المشـاهـديـن والملاحظين ، بمعنىٰ يشغل حيزاً من مجال تفكيرهم ، ويجعل الأنشراح في صدورهم ، ويخرج الكلمات من أفواههم ، ولذلك قد لا يكون الفرق بين المكانة والمكان حيث أن جمع مكانة مكانات وعندما يتمكن الشيء من مكانة فهو مكين . وعليه لا مكان ولا مكين إلا والقيوم عليه وعلىٰ من فيه ، فسبحانه القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (1) .

اللهُمَّ يا القيوم أكفنا مفتوحة ، وعيوننا مرفوعة ، وقلوبنا ترتجف خوفاً من عقابك ، وطمعاً في رحمتك ، أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ! اللهُمَّ يا القيوم سخر لنا الحياة الدنيا في طاعتك ، واجعلها لنا داراً للإيمان وباباً ندخل منه واسع رحمتك في جنتك التي وعدت بها عبادك الذين استخلفتهم في الأرض وجعلتهم الوارثين ! اللهُمَّ يا القيوم أصلح لنا شأننا كله ، أنت أعلم بحالنا مالنا رب سواك ، أنت القائم علىٰ كل شيء هيئ لنا أسباب المغفرة والرحمة ولا تجعلنا من القانطين !

اللهُمَّ لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد ، أنت قيوم

(1) البقرة ، 255 .

السموات والأرض ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام حق ، والجنة حق والنار حق والساعة حق ! اللهُمَّ لك أسلمنا وبك آمنا وعليك توكلنا وإليك أنبنا وبك خاصمنا واحتكمنا فاغفر لنا ما قدمنا وأخرنا وأسررنا وأعلنا أنت القيوم جل جلالك لا إلـه إلا أنت !

✍ ✍ ✍

الوَاجِدُ جَلَّ جَلَالُهُ

الحمـد لله الـذي أوجـد المـوجـودات ، والـذي بيـده ملكـوت الأرض والسمٰوات ، خالق الحياة والممات ، واجد بلطفه وجبروته المخلوقات ، وصلىٰ ٱلله علىٰ رسوله خير الأنام وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

الواجد : « هو الذي لا يعوزه شيء وهو يوجد كل شيء ، في مقابلة الفاقد ، ولعل من فاته ما لا حاجة به إلىٰ وجوده لا يسمىٰ فاقداً والذي يحضره ما لا تعلق له بذاته ولا بكمال ذاته لا يسمىٰ واجداً ، بل الواجد من لا يعوزه شيء مما لا بد منه وكل ما لا بد منه في صفات الإلـٰهية وكمالها فهو موجود لله سبحانه وتعالىٰ فهو بهـٰذا الاعتبار واجد وهو الواجد المطلق ومن عداه إن كان واجداً لشيء من صفات الكمال وأسبابه فهو فاقد لأشياء فلا يكون واجداً إلا بالإضافة » [1] .

ولذا فالواجد هو الخالق ذو القوة والقدرة وهو المالك للشيء الذي أوجده ويوجد الأشياء المتعددة منه إلىٰ مالا نهاية ، والواجد المطلق هو الذي أوجد الحياة والموت والبعث والحساب والعقاب والثواب أي أنه أوجد كل شيء من لا شيء . والواجد بالإضافة هو الذي يعلم من علم الواجد المطلق ما يُمكِّنُهُ من الصنعة .

الواجد : هو مسبب الأسباب وخالق الشيء وواجده ظاهراً وباطناً ،

---

(1) المقصد الأسنىٰ ، ج 1 ، ص 132 .

والواجد مكثر الأشياء التي أوجدها من لا شيء .

الواجد : هو المكثر للخير ، والمظهر له بما يفيد ثواباً أو عقاباً (غفور رحيم) و(شديد العقاب) .

الواجد : « الَّذِي لا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلا يَفُوتُهُ شَيْءٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي لا يَفْتَقِرُ ، وَالْوِجْدُ الْغِنَىٰ » (1) .

وفي لسان العرب المحيط : « الواجدُ هو الغني الذي لا يفتقر » (2) ، واسم الواجد من أسماء صفاته وجاءت هـٰذه الصفة لغناه عن المخلوقات وكافة الموجودات ، ومن مظاهر إيجاده :

أولاً : إيجاده الحركة والتسبيح للمخلوقات : قال تعالىٰ : ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (3) ، يسبِّح له ممن هو في الأرضين والسموات وما بينهما من المخلوقات الحية والجمادات ، فالأحياء هو ما نلحظ حركته أما الجمادات فتلك التي لا نلحظ حركتها إلا من خلال قوله تعالىٰ : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

(1) الأسماء والصفات للبيهقي ، ج 1 ، ص 116 .
(2) لسان العرب ، ج 3 ، ص445 .
(3) الإسراء ، 42ـ44 .

ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] ، فالخشوع ناتج عن التأثر بكلام ٱلله وهـٰذا التأثر ناتج عن إحساس ومشاعر مرهفة ، ولا يتأتىٰ ذلك إلا عن سمع ووعي ، فبالله إذا قلنا للإنسان إن الجبل لديه مشاعر وإحساس فهل يصدق وإن الصخر يلين ويخشع ويسمع ؟ نقول : نجد أن الواجد قد أوجد المتحرك الناطق بلسان الجارحة اللسان ، وأوجد الساكن الصامت المعبر عن نفسه بلسان الحال ونعني بذلك حال التصدع والخشوع للجبل وقياساً علىٰ ذلك الدواب والأشجار فمن يفقه ويعلم أن هناك لسانين في الحي والجماد : لسان صامت ، ولسان ناطق ، وهـٰذا من دلائل عظمة إيجاده ، والخليفة الذي يكون في طاعة ٱلله ويتبع منهجه يتجلىٰ ٱلله عليه بفهم لغة اللسانين الصامت والناطق ، ويستطيع بحواسه التي ترقت في عالم اسم الواجد أن يتفاعل مع الحي والجماد ، ولنا مثل في نبي ٱلله داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ . فقد قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[2] ، فكانت الجبال تسبِّح مع داود وتردد تسبيحه وحمده ، وزيادة في الإيضاح موقف سيدنا سليمان مع النمل والهدهد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ

(1) الحشر ، 24 .
(2) سبأ ، 9ـ14 .

كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [1] ، وقصة النمل والهدهد أظهر في البيان من أن نفسر ونحلل ونوضح ، فإذا قال المعترض حدثت لنبي دون غيره نقول : إن الوارد في دلائل النبوة المتعلقة بسيد الخلق ﷺ تسبيح الحصىٰ بين يديه في جمع من الصحابة . ولأن الواجد أنعم علينا بحواس عدة منها البصر والسمع والعقل واللمس والذوق والشم ، فإننا نميز بين ما نلحظه وبين ما ندركه إدراكاً ، ولتوضيح ذلك أميز بين المشاهدة والملاحظة ؛ كيف يحدثان بتماثل وكيف يحدثان باختلاف فأقول :

1 ـ الملاحظة :

بالملاحظة يتمكن الخليفة من فهم سلوك الفرد أو الجماعة وظروفهم المحيطة مع استقراء ما يحدث من ردود أفعال ، وذلك من خلال الربط بين المشاهد والمسموع والمحسوس والمدرك . وتشتمل الملاحظة علىٰ لحظة حدوث الشيء فيُلحظ في حينه (وقت حدوث الفعل) وهـٰذه قد تكون عن رؤية ، وقد تكون عن استماع مباشر واعٍ ومقصود ، وقد تكون عن استقراء واستنباط ، وترتكز الملاحظة علىٰ أهمية الحضور لكي تتم عملية المقابلة المباشرة للمصدر ذي العلاقة بالموضوع . كما ترتكز علىٰ المعاينة لما هو

(1) النمل ، 15ـ22 .

محسوس بشكل مباشر أو غير مباشر ، فكل ما يتم عن طريق الحواس الخمس هو مباشر ، أما الذي يتم عن طريق الاستنباط والاستقراء فقد يكون غير مباشر ، ولهٰذا يجب أن لا يغفل الخليفة عن استقراء ما بين الأسطر ، واستنباط المحمول في المضمون . ولهٰذا تعتبر الملاحظة الأداة المُمكِّنة من التمييز بين الصدق واللغو ، وبين ما يجب وما لا يجب . فعن طريق المعاينة السماعية يتمكّن الخليفة من التعرف علىٰ العلاقات السالبة والموجبة بين المواضيع . فالعين لا تشاهد الكلمات المنطوقة مع أنها تشاهد المكتوبة منها . والأذن قادرة علىٰ ملاحظة المسموع وغير قادرة علىٰ التمكن من المكتوب ، وبمشاهدة المكتوب يُمكن أن تلحظ مضامينه إدراكاً واعياً . وبالاستماع يمكن أن يتعرف الخليفة علىٰ اتجاهات أو نوايا الطرف أو الأطراف المستمع إليها ، وحتىٰ فاقد حاسة البصر يُمكن أن يكون شاهداً مع أنه لم يكن قادراً علىٰ أن يشاهد شيئاً بعينيه ، فإذا أُنصِت إلىٰ حديث جماعة تتحدث عن حكم التغير الاجتماعي ، فيمكنه أن يُلحظ اتجاهاتهم حول هٰذا الموضوع ، ويلحظ الوحدة التي بينهم ، أو الاختلاف والتباين في وجهات نظرهم .

ولأنها الأداة المعتمدة علىٰ الحواس ودرجة سلامتها ، فهي تتطلب من الخليفة كفاءات وقدرات يمكن قياسها ، هي :

أ ـ القدرة علىٰ الإنصات الواعي للآخرين وتفهّم وجهات نظرهم .

ب ـ القدرة علىٰ التذكر والتصّور والتخيل ، والتفكر وفقاً لما هو متوقع وغير متوقع .

ج ـ القدرة علىٰ التمييز بين المعايير التي يحتكم الأفراد والجماعات والمجتمعات إليها .

د ـ القدرة علىٰ تحديد الرؤية لما يجب أن يحدث ، ومتابعة ما يحدث بالفعل .

هـ ـ الاهتمام بجميع المتغيرات التي يمكن أن تؤثر علىٰ الموضوع المدروس ، وتبني التفكير في المتغيرات الجديدة ووضع معايير لها .

وللملاحظة أنواع منها :

تنقسم أنواع الملاحظة من حيث الدور إلىٰ نوعين هما : الملاحظ غير المشارك والملاحظ المشارك .

الملاحظ غير المشارك :

إنه الملاحظ العلمي الذي لم يختلط مع الملاحظين (المبحوثين) قيد الدراسة ، ويجري ملاحظته ويسجّلها دون أن تحس الجماعة بأنهم تحت المراقبة أو المشاهدة ، ما يجعل تصرفاتهم تجاه الفعل الاجتماعي طبيعية ، دون تكلّف في السلوك . وتجري مثل هـٰذه الملاحظات علىٰ الفرد وأعضاء الجماعة وعلىٰ الأنشطة والبرامج ، وعلىٰ المواقف ، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة . فالأولىٰ : هي التي يقوم بها الباحث العلمي مباشرة دون وسيط ، وتتم عن بعد وكأن الأمر لا يعنيه في شيء ، مع أنه منتبه لكل ما يجري أو ما هو ملاحظ ، كملاحظته للوحدات السكنية والحالة التي هي عليها ، ومدىٰ اهتمام السكان بنظافتها وجمالها ، أو حين يلحظ سلوك جماعة من الصيادين أو الفلاحين أو المتظاهرين دون أن يشاركهم السلوك أو الفعل موضوع المشاهدة والملاحظة .

أما الملاحظة غير المباشرة فهي التي تتم عن طريق وسطاء قاموا بها في الزمن الماضي ولازال بعضهم علىٰ قيد الحياة ، مع أن الموقف أو الموضع الذي اشتركوا في ملاحظته قد انتهىٰ ولن يتكرر ، فمن خلال إجراء مقابلة أو مجموعة من المقابلات معهم يتم التعرّف علىٰ ملاحظاتهم السابقة ، وتعتبر ذات أهمية للمقارنة أو لإجراء ملاحظات علىٰ أفعال حاضرة أكثر تركيزاً ، أو اتساعاً من حيث المجال ، وقد تكون مصادر الملاحظة وثائق وسجلات

ومذكرات عامة أو خاصة ، وقد تكون مصادر الملاحظة أشرطة مسموعة ، أو مرئية ، أو أجهزة حاسوب .

إن هـٰذا النوع مهم جداً في الدراسات الاستطلاعية والدراسات المتعمقة في طريق الخدمة الاجتماعية ، إلا أن هـٰذا النوع محفوف بخطأ النسيان أو الزيادة من قبل الناقلين ، لأن العنعنة في معظم الأحيان لا دقة فيها .

الملاحظ المشارك :

هو الذي يقوم بالملاحظة مباشرة من أجل تجميع البيانات والمعلومات ، وقد يكون مشاركاً كاملاً ، وقد يكون مشاركاً ملاحظاً .

المشارك الكامل : هو الذي يتحدد من خلال دور الباحث أثناء ملاحظة سلوك الفرد أو الجماعة ، وينبغي ألا يعرف الفرد أو أعضاء الجماعة بأن هناك من يقوم بملاحظتهم ، ويكون الباحث في هـٰذه الحالة كأنه عضو أساسي في الجماعة مما يستوجب عليه الإلمام باتجاهاتها وأهدافها والتقيد بتعاليمها وأساليب المعاملة فيما بينها ومع الآخرين ، وأن يلتزم بتأدية طقوسها ، خاصة إذا كانت جماعة دينية منغلقة علىٰ ذاتها ، وأن يمارس مناشطها إذا كانت للجماعة مناشط توحّد اتجاهاتها ، أو تهـذب نفوسها ، ويُفضّل أن يمتاز الباحث بمرونة عالية في تعامله مع أعضاء الجماعة خاصة وأنه قد يتعرض لمواقف استفزازية ، إذا لم يتم تقبله من قِبل الجماعة ، وإذا لم تثق الجماعة فيه كل الثقة . وأن الهدف من ممارسة هـٰذا الدور من قبل الباحث ، هو التعرف علىٰ الاتجاهات والأساليب التنظيمية للجماعة ، والمنهج التربوي الذي تنتظم فيه أو تنتظم عليه ، والأهداف التي تسعىٰ إلىٰ تحقيقها ، والمخاطر المترتبة عليها ، أو الفوائد المحققة لها ، وذلك من أجل أخذ عبرة يستفاد منها في الحياة العامة ، مع أن بعض أنواع التفاعل الاجتماعي يصعب أن يقوم الباحث بملاحظتها ، وذلك مثل الممارسات الجنسية والاختلافات الأسرية ، مع العلم أن هـٰذا الدور يحتاج إلىٰ وقت كافٍ وتدريب راقٍ حتىٰ يتمكّن المتقصي

للحقائق من الاقتراب إلىٰ أعضاء الجماعة والتعرف علىٰ ما يكنُّوه ، أو يعلنوه فيما يتعلق بموضوع الملاحظة .

المشارك الملاحظ : فهو المتقصي الذي حدد وسيلة الملاحظة كأداة هامة لتجميع البيانات من أعضاء الجماعة الذين يعرفون دوره المعلن بأنه المشارك الملاحظ ، وينتشر هـٰذا النوع كثيراً في الدراسات الأنثروبولوجية .

2 ـ المشاهدة :

يقصد بالمشاهدة الوقوف عن كثب علىٰ الشيء المراد رؤيته ، بالاقتصار علىٰ العين في مشاهدة الأشكال والأفعال والصور ، وتُمكّن المتقصي من الوصف لما يشاهده .

وتوجد علاقة ترابط بين المشاهدة والملاحظة تتمثل في أنَّ الملاحظة عميقة وواسعة ، وتحتوي علىٰ الاستنتاج العقلي ، أما المشاهدة فتحتوي علىٰ المعاينة بالعين للشيء ، وذلك عن طريق تفحّصه ككل وكجزء بنظرة نافذة . أي أن المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال والصور والأجسام ، وحركتها والتعرف علىٰ مكوِّنها (الأجزاء المتكونة منها) بالتعرف علىٰ كل ما يمكن تصويره أو رسمه أو أنه في حالة حركة وامتداد .

عليه قد تكون المشاهدة وسيلة هامة للملاحظة ، فمن مشاهدة جماعة نشاط فني حر من أجل دراسة اتجاهاتهم قد نجد أن أحد الأفراد يرسم وردة أو زهرة أو غزالة ، ونجد آخر يرسم رجلاً علىٰ صدره أو علىٰ إحدىٰ ذراعيه أخطبوط ، ونجد ثالثاً يرسم فتىً وفتاة بينهما مودة ، أو يرسم قلباً في وسطه فتاة ، أو سيارة يركبها عروسان . هـٰذه مشاهدات يمكن أن يلحظ من خلالها ، أن الأول يحب الجمال ويلحظ عليه أيضاً الانشراح والمرونة والحياة المبتهجة ، وهو مبتسمٌ غير عبوس ، ويلحظ علىٰ الثاني الاتجاه الإجرامي والانحرافي وعدم احترام الآخرين ، ويلحظ علىٰ الثالث أن له حبيبة وقد يكون

راغباً في الزواج منها وهي مركز اهتمامه . هـٰذه الاتجاهات الثلاث قد يتم التعرف عليها بالملاحظة وبواسطة المشاهدة . ويلحظ أيضاً : العمق في كل حالة من الحالات الفردية السابقة ، والتي ظهرت أمامنا من البداية كمشاهدات محدودة ، وإذا شاهدنا مباراة لكرة القدم ، نشاهد أمامنا جماعتين في وسط الملعب بنوعين من الملابس الرياضية ، ومرميين للتهديف ، بوسطهما حارسين وجمهور متحمس ، ونشاهد حركة اللاعبين وحركة تسجيل الأهداف . هـٰذه المشاهدات التي تترتب عليها الملاحظات ، والتي تُمكّن الملاحظ من معرفة درجة التعاون بين اللاعبين ، والمهارات الفنية لهم ولياقاتهم وقدرات تحمّلهم ، وعلاقتهم بالجمهور وإصرارهم علىٰ الفوز ، ويلحظ أيضاً علامات الهزيمة ، والفوز أو الإحباط في نهاية المباراة علىٰ أفراد الفريقين والمشجعين والمدربين حسب النتيجة لكل فريق .

تعتمد المشاهدة علىٰ ما تراه العين ، ولـٰكن ليس كل ما تراه العين هو حقيقة ، وذلك لأن الظاهر قد لا يكون الباطن ، ولهـٰذا فالاعتماد علىٰ المشاهدة في القضايا العلمية ، مسألة غير يقينية فيصعب التسليم بمصداقيتها : ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ (1) . فمن مشاهدة سلوكهم قد تعتقد أنهم في حالة سكر ، ولـٰكن بملاحظتهم عن قرب ، قد لا يكونون سكارىٰ مع أن حركتهم فيها شبه من هـٰذا الأمر . ولذا فإن الاعتماد علىٰ العين في المقارنات العلمية غير كافٍ ، وليس دقيقاً ، لأن إجماع الناس علىٰ حكم معين بمثل هـٰذه الوسيلة غير ممكن . مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة والمقابلة في عمليات الدراسة ، سواء جمع المعلومات أو التحليل أو التشخيص أو العلاج الذي يُمكّن الأفراد والجماعات من أداء واجباتهم الاجتماعية وفق ما لهم من حقوق ، وما عليهم من مسؤوليات تفادياً لعيوب

---

(1) الحج ، 2 .

المشاهدات ، يقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (1) . وأيضاً قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (2) . فمن خلال المشاهدة كان يعتقد القمر هو الرب ولما غاب لاحظ أن القمر يفتقد لصفة الرب الواحد (الله عزَّ وجل) وهي خاصيّة البقاء دون غياب بوحدانية الثبات ، واعتقد مرة أخرىٰ بأن الشمس هي الرب فلما غابت عن المشاهدة في الليل ، لاحظ أنها تغيب وهـٰذه الصفة لم تكن من صفات ٱلله عز وجل وذلك لانعدام خاصية البقاء ، لأنه الحي الذي لا يغيب ، ويرىٰ الناس وأفعالهم ، وما تخفيه وتظهره صدورهم .

لذلك ترتبط الملاحظة بالموضوع ولا تنفصل عنه ، لأنها إذا انفصلت عنه تصبح غير علمية وبدون معنىً محدد لها . فإذا افترضنا أن الموضوع هو : مدىٰ تمسك سكان مدينة من المدن العربية بارتداء الزي (الملبس) الوطني ، فإن ذلك يستوجب علىٰ الملاحظ ملاحظة ومشاهدة سكان المدينة في أماكن مختلفة وأوقات مختلفة ، وقت العمل وأماكنه ، وفي المدارس والجامعات ، والمناسبات الدينية ، والأعياد الوطنية ، والأعراس ، وحفلات الختان ، والمآتم ، وفي الشوارع العامة ، وأيام العطلات وأماكن الترفيه . فإذا ذهب إلىٰ المصيف البلدي وشاهد المصطافين بدون زيهم الوطني فهـٰذا لا يعني عدم تمسكهم به ، ولـٰكنه يعني أن طبيعة المكان لا تستوجب لبس أو ارتداء الزي الوطني ، بل إنه لو شاهد أحد المواطنين يرتديه وهو مع المصطافين علىٰ الشاطئ يلحظ عليه إخلالاً بالذوق العام ، وعدم احترام الزي الوطني ، وإذا شاهد أحد أساتذة الجامعة يرتدي ملابس البحر القصيرة وهو في الفصل

---

(1) الأنعام ، 77 .

(2) الأنعام ، 78 .

الدراسي أو المدرجات الجامعية في البلدان العربية والإسلامية بشكل عام ، فإنه يلحظ عدم احترام الأستاذ للمكان الجامعي ولطلبة الجامعة ، وتختلف المشاهدة عن الملاحظة في المثالين السابقين ، الملابس تشاهد وتميّز ، أما الاحترام والتقيد بالذوق العام يلحظ ولا يشاهد . وإذا ذهب إلىٰ مأتم وشاهد امرأة ترتدي ملابس عروسة ، يلحظ أنها خارجة عن الموضوع ، لأنها لم تتقيد بالظرف الزماني والمكاني للزي الذي ترتديه ، ولم تحترم المناسبة وشعور الآخرين ، وإذا شاهد بعض الأفراد يسبحون بالزي الوطني بالمصيف العام يلحظ عليهم عدم احترامهم للزي الوطني الذي يجب ألا تقدم له الإهانات .

ولا تقتصر الملاحظة علىٰ الصور والأشكال بل تتعداها إلىٰ المعاني والألفاظ ، وما يحاول أن يخفيه أو يظهره الفرد هـٰذا لا يتحقق بالمشاهدة التي تقتصر علىٰ مشاهدة الصورة (المتحرك والثابت) إن التناقض في الحديث والتلعثم والخجل والتظاهر بالبراءة والتظاهر بالخوف والخوف الحقيقي والمحبة والتظاهر بالمحبة والانطواء والاكتئاب والتشاؤم ومحاولة إنكار الأنفعال والغضب ، وإظهار الفرح والمرح كل هـٰذا لا يمكن مشاهدتها ، ولـٰكن من الممكن ملاحظتها . المشاهدة تقتصر علىٰ رؤية المنبسط فرحة ، أو الباكي حزناً ، ولهـٰذا فالباكي يشاهد ، والبكاء يلحظ ، وكذلك الفرحان يشاهد ، والمفرح يلحظ .

وعليه ليس كل ما يلحظ يشاهد ، ولـٰكن كل ما يشاهد يمكن أن يلحظ . إن قوة العلاقات بين أفراد الأسرة أو الأمة لا يمكن مشاهدتها ، ولـٰكن بالإمكان ملاحظتها ، ممارسة الحرية لا يمكن مشاهدتها ، ولـٰكن من الممكن ملاحظتها من خلال مشاهدة سلوك وأفعال الممارسين لها ، ولذا مع أن للحرية أساليب لممارستها في سلوك عن طريق اللجان والمؤتمرات والبرلمانات والجمعيات ، والتنظيم الاقتصادي من خلال الملكية العامة والخاصة ،

وديناميكية الإنتاج التي يمكن مشاهدتها كتعابير عن الحرية ؛ إلا أن التعابير المعلن عنها من قبل الحكومات من خلال المشاهدة قد لا تعبر عن مصادق ، ومن خلال الملاحظة قد يثبت عكس ما يقال أو يكتب ، فعن طريقها قد تكون الحقيقة أن الدولة التي تدعي ممارسة الحرية عن طريق جلسات المجالس والبرلمانات التي يمكن مشاهدتها بالنقل المباشر من خلال شاشات الإذاعة المرئية وشبكات الأنترنيت ، يلحظ أنها نظام كبحي لا علاقة له بممارسة الحرية واحترام المواطنين .

وعليه تكون الملاحظة أكثر أداة لإثبات الحقائق والمصادق ، وتتكون الملاحظة من عمليات عقلية متداخلة إلىٰ جانب توليد المشاهدات ، فالعمليات العقلية هي : تلك التساؤلات والافتراضات أو الانتقادات والتوقعات ، وكيفية تفادي المواقف ، وكيفية اختيار الأساليب ومراعاة الظروف المناسبة . أي أنها الحوار الذي يتم بين المتقصي وذاته ، والمبادئ العلمية حول الموضوع والأهداف مع مراعاة الفرد أو الجماعة أو المجتمع قيد الملاحظة أو المشاهدة ، والأساليب الدفاعية التي قد تحول دون الملاحظة أو تعرقلها ، أما توليد المشاهدات فهو : الانتقال من المشاهد إلىٰ الأسرار التي وراءه والعلاقات المكونة لعناصره ، قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (1) . إنه أمر لمشاهدة آياته في السماء وهي النجوم والكواكب من خلال النظر إليها ، يمكن مشاهدة حركتها وضوئها الجميل ، وبالمشاهدة يلحظ أن هناك علاقة ، وأن هناك قدرة وراءها ، وأنها علامات يمكن الاهتداء بها في تحديد الاتجاهات ليلاً ونهاراً وفي البر والبحر ، وهـٰذه مشاهدات تولَّدت من خلال الملاحظة والمشاهدة ، وهـٰكذا تتولد المشاهدة من المشاهدة ، وتتولد الملاحظة من الملاحظة ، فمن مشاهدة الشمس يشاهد

(1) يونس ، 101 .

الشروق والغروب ، ومن مشاهدة القمر والنجوم يشاهد الشمال والجنوب ، ومن مشاهدة الجبال والمخلوقات يلحظ أن من ورائها خالقاً ، وهٰكذا تتولد الفكرة من الفكرة لنلحظ أو نشاهد ما يترتب علىٰ الفكرة وتوليدها .

في كثير من الأحيان تضع المتقصي المشاهد في حالة شك ، حيث خدعة الحواس ، مما يجعل الشك في بعض المسموع ، وبعض المشاهد ، فسلامة البصر وقوته ليست واحدة ، وبالتالي يجب أن لا يثق المتقصي للحقائق في كل ما يقوله المبحوث سواء كان فرداً أو جماعة . ولأن المشاهدة ترتبط بالظاهر سلوكاً وحركة ومتحركاً ، فلا ينبغي أن يعتمد عليها في إصدار الأحكام . خاصة أثناء إجراء المقابلات مع أصحاب الحالات الشاذة أو الانحرافية . فعلىٰ سبيل المثال مشاهدة الأخصائي الاجتماعي للمبحوث وهو يبكي أثناء المقابلة ، فمن خلال الملاحظة يمكن إثبات أن هٰذا البكاء ليس علىٰ صدقٍ ، ولٰكنه لاستدرار عطف الأخصائي الاجتماعي ، نتيجة الحيل الدفاعية للمبحوث وذكائه في التأثير علىٰ الأخصائي الاجتماعي وتمييع الموضوع . كما أن مشاهدة المتسولين وهم في ثياب رثة بالية قد تظهر للوهلة الأولىٰ ظروفهم المعوزَّة ، ولٰكن إذا أخضعوا للملاحظة ، قد يكونون عكس ما يشاهد تماماً لأنهم اختاروا أقصر الطرق للعيش بدون مقابل ، ومع ذلك فأمّا السائل فلا تنهر : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (1) .

وهٰكذا تكون الملاحظة اختبارية للمشاهدة ، وتكون المقابلة اختبارية للملاحظة ، فكل ما يلحظه الباحث المتقصي للحقائق يمكن أن تختبر مصداقيته أو عدمها بالمقابلة . وتختلف الملاحظات والمشاهدات العلمية عن الملاحظة والمشاهدة العابرة التي تواجه الإنسان كل يوم ، والتي قد تثيره في

(1) الضحىٰ ، 9 ـ 11 .

وقتها لاحتوائها عنصر المفاجأة أو التي تعرَّف عليها في الماضي وتتكرر من حين لآخر مثل مشاهدته السحب والأمطار ، ومعرفته لها كما هي مشاهدة ، ولا يعرف العلاقة بين السحب ومكوناتها والقوة التي تذيبها فتسقط مطراً ، وأنه يشاهد البرق ولـٰكنه لا يعرف القوة المولدة له ، أما الملاحظات والمشاهدات العلمية المقصودة فهي تحدث وفق خطة وانتباه واع وتتبُّع دقيق ، وتنطلق من موضوع وتحقق أهدافاً .

ثانياً : ومن مظاهر الإيجاد نفخه الروح التي لا تكون إلا بأمره : ولنا في القصة القرآنية التي أتثبت أن الإنسان إذا تفرغ لربه حقاً ولدعوته أنعم ٱلله عليه بنعمة إيجاد الروح في الجماد ، وهـٰذا الأمر كان ظاهراً أيام اصطفاء الرسل ، ولـٰكن بعد انتهاء ذلك الزمان وأتم ٱلله نعمته بالرسالة الخاتمة والرسول الخاتم للكافة ، فالرقي الروحي الذي هو متاح لدرجات الرسل لن يكون بعد أن قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] ، إذاً لا رقي إلىٰ مراتب الرسل بعد محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته الخاتمة ، ولـٰكن لله رجال إذا عاهدوا صدقوا ما عاهدوا ٱلله عليه منهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وهم علىٰ الحق عاكفون . وإذا عدنا إلىٰ فترات تتالي الرسل فلنا في القرآن الكريم قصص من مظاهر إيجاد نفخة الروح ، وسنضرب مثلاً بالقصة التي يقصها علينا القرآن والتي في مضمونها أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أخذ من الطين وصنع منه علىٰ هيئة الطير ثم في إظهاره للحق وأن ٱلله الواجد للروح ولا واجد سواه ، قال ٱلله جل جلاله لإبراهيم : انفخ في هـٰذا الطين فسيكون طيراً متحركاً بإذني ، وهنا قد تحول الشيء من الحي الصامت الذي يطلق عليه الجماد إلىٰ الحي المتحرك وهو الطير ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي

(1) المائدة ، 3 .

كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، وهٰذا دور الخليفة أن يبث الروح في جماعته للعمل والسعي والنماء والإنتاج وكفاية المحتاج وكأنه يوجد شيئاً من لا شيء . قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [2] ، اعلم أنه تعالىٰ ذكر هاهنا إثبات العلم بالصّانع ، وإثبات الحشر والنشر والبعث ، والقصة هي مناظرة إبراهيم ﷺ مع ملك زمانه نمرود بن كنعان ، ولأن من المعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للدعوة ، والظاهر أن من عادة المنكرين أن يطالبوا بـإثبـات أن للعـالـم إلٰهـاً ، ألا تـرىٰ أن مـوسـىٰ عليـه الصـلاة والسـلام لما قال : ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [3] ، ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [4] ، فاحتج موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ إثبات الإلٰهية بقوله : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فكذا هاهنا الظاهر أن إبراهيم دعىٰ للرسالة ، فقال نمرود : من ربك ؟ فقال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، ودليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في غاية الصحة ، وذلك لا سبيل إلىٰ معرفة ٱلله تعالىٰ إلا بواسطة أفعاله التي

---

(1) البقرة ، 260ـ261 .
(2) البقرة ، 257 ـ 258 .
(3) الزخرف ، 46 .
(4) الشعراء ، 23 .

لا يشاركه فيها أحد ممن يظن أنه من القادرين ، والإحياء والإماتة كذلك ؛ لأن الخلق عاجزون عنهما ، فلا بد من خالق آخر غير هٰؤلاء القادرين الذين تراهم ، فعلمنا أنه لا بد في الإحياء والإماتة من وجود موجد يؤثر عليها بقدرته ، واختيار الإحياء والإماتة لهٰذه الحيوانات دليل قوي قاطع ، فإنَّ في الحيوان أعضاء مختلفة في الشكل والصفة والطبيعة ، وهٰذا الدليل المتين القوي الذي ذكره ٱلله سبحانه وتعالىٰ من الإحياء والإماتة قد سبق أن تكرر استشهد بذكره في مواضع مختلفة في كتابه العزيز كدليل علىٰ وحدانيته وقدرته علىٰ إيجاد الروح وكل ما من تفرد به كعلمه وقدرته ، كقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ (2) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ (3) .

وتبادر لذهني سؤال : لماذا قدم في هٰذه الآية ذكر الحياة علىٰ الموت ، وقد قدم ٱلله تعالىٰ الموت علىٰ الحياة في آيات ، منها :

قوله تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ (4) .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ (5) .

وقال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (6) .

والجواب : لأن المقصود من ذكر الدليل إذا كان هو الدعوة إلىٰ ٱلله تعالىٰ

---

(1) المؤمنون ، 12 .
(2) الملك ، 2 .
(3) التين ، 4 ـ 5 .
(4) البقرة ، 28 .
(5) الملك ، 2 .
(6) الشعراء ، 81 .

وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح ، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر ، واطلاع الإنسان عليها أتم ، فلاشك من وجوب تقديم ذكر الحياة هاهنا .

ثالثاً : إيجاده الحياة : قال تعالىٰ : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) . وفي هٰذه الآيات ما يفوق إيجاد الشيء من الشيء كما مرَّ في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والطير ، وهو إيجاد الحياة في الجسد الهامد الذي فارقته الروح وذلك ما حدث مع « عزير » أو ربما مع غيره ؛ لأن سؤال الرجل بقوله وتعجبه في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، ربما يبعث الشك في إيمانه بالله عز وجل لاستبعاده إيجاد الحياة والإماتة من ٱلله جل في علاه ، وهو من عادة تشكيك أهل الكفر والجحود ، أو ربما اعتاد ذلك الرجل أن يمر علىٰ تلك القرية فيجدها خربة مدمرة ، فسأل في نفسه ذلك السؤال التعجبي ، الذي كان من عادته أن يسأله ، ولٰكن من جهة أخرىٰ نرىٰ أن الآيات جرت فيها محاورة بين ٱلله جل جلاله وبين ذلك الرجل والمعتاد أن الحوار مع ٱلله عز وجل لا يكون مع كافر ؛ لأنه لا يستحق تلك المرتبة التي خص بها خلفاءه في الأرض إلا من كان أهلها ، والدليل الثاني هو ذكره لله في سؤاله في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، فلو كان كافراً ما ذكر اسم ٱلله في سؤاله ، وكذلك إعادة الحمار حياً بعد ما صار رميماً مع كونه مشاهداً لعودة أجزاء الحمار إلىٰ التركيب وإلىٰ الحياة إكرام عظيم وتشريف

---

(1) البقرة ، 259 .

كريم ، وذلك لا يليق بحال الكافر له . والحوار فيها يطول ، وفائدة ما ذكر أن ٱلله عز وجل قادر علىٰ إيجاد مالا يقدر الإنسان علىٰ إيجاده ؛ لأنه كما قال تعالىٰ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [2] ؛ ويرجع ذلك لعظم كلماته كما قال جل وعلا في كتابه المكنون : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [3] . والمنظور في هـٰذه الآيات أن ٱلله قادر علىٰ إكرام خلفائه في أرضه بكل الصور والأشكال ، فهل الخليفة يكون قادراً علىٰ شكر هـٰذه النعم كما يجب ؟

نعم ، وذلك إذا عمل العمل الصالح ، وإحياء النفوس ، وعملية الإحياء بالنسبة للخليفة تكون ببث روح الأمل في من وصل به اليأس من رحمة ٱلله عز وجل ، وفي من ظن أن ٱلله لا يغفر الذنوب ، وبذلك يكون قوله : إن ٱلله غفور لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ، تبعاً لقوله تعالىٰ في علاه : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِىۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [4] ، وأن مغفرته واسعة وشاملة وقريبة من المحسنين ، بعد استيفاء شروطها المذكورة في الآية الكريمة سابقة الذكر ،

---

(1) الإسراء ، 85 .
(2) غافر ، 13ـ16 .
(3) لقمان ، 26ـ28 .
(4) طه ، 81 ، 82 .

والتي تمثلت في :

أ ـ التوبة .

ب ـ الإيمان .

ج ـ العمل الصالح .

د ـ الاهتداء إلىٰ الطريق المستقيم .

رابعاً : إظهار قوة الكلمة : ومنها ما أظهره علىٰ يد النبي عيسىٰ بقوة الكلمة ، هـٰذه القوة التي استمدها من الموجد فتحولت من السكون إلىٰ الحركة ومن الصمت إلىٰ النطق ومن الموت إلىٰ الحياة ، قال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ

(1) آل عمران ، 44ـ52 .

بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [1] . ففي هـٰذه الآيات الكريمة تكريمٌ لرسوله وخليفته سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بهـٰذه المعجزات المتوالية ، والتي تمثلت في :

أ ـ إعادة الروح في الجسد .

ب ـ إبراء الأكمه .

ج ـ إبراء الأبرص .

د ـ إخباره لقومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

ولذا فالكلمة قوة ، وقوتها تستند علىٰ الحجة التي لا يدخلها الباطل أبداً ، فبها يحق الحق ، وبها يزهق الباطل ، وأصحابها لا يبدلون تبديلاً ، فهل لنا أن نجعل من سير الأنبياء الكرام صلوات ٱلله وسلامه عليهم نبراساً يسير عليه الخلفاء من بعدهم ؟ فالخليفة إنسان محب للخير وفاعل له ، متواضع في مأكله ومشربه ، والهيبة تملأه ، والتكبُّر عن الرذائل والمفاسد يملأه ، والبساطة تملأه ، وانحيازه للحق أمر بعده قاطعة .

فلنعتبر ونتعظ بذكر ٱلله ونتقيه في أنفسنا وذريتنا ، وأزواجنا ، وفيما نقول ونعمل ليكون لنا القرآن رفيقاً ، وذكره وتسبيحه رفيقاً ، ومجالسة أهل العلم

(1) المائدة ، 109ـ113 .

الحق رفيقاً ، والأخذ بالعبر والقصص التي كتبها ٱلله شاهداً رفيقاً . وعليه الأخذ بنصائح الأخيار من الناس الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، الابتعاد عن الأشرار وعدم مخالطتهم بالحديث والمسامرة ، الابتعاد عن الشبهات ، قولاً وفعلاً ، ذلك الابتعاد يخلق لدىٰ الخليفة في أرضه نوعاً من الفطنة لدراسة المستقبل ، لما أوجده فيه ذلك السلوك الحذر من الانتباه لما حوله ، فتكون نظرته المستقبلية سليمة وثاقبة ؛ لأنها جاءت عن تريث ودراسة ، فيكون ناجحاً في دينه ودنياه بإذن ٱلله تعالىٰ آمين .

خامساً : إيجاده المتعدد في الشيء الواحد : ونقصد بالإيجاد تنوع الوظيفة والقابلية للتشكل والتكيف لتمام الفائدة وذلك من مظاهر تعدد قدرة الموجد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحتىٰ لا يذهب ذهن القارئ هنا وهناك نرده إلىٰ القران الكريم في قصة العصا المشهورة التي أوجدها ٱلله لنبيه موسىٰ عليه الصلاة والسلام لوظائف شتىٰ لم يكن علىٰ علم بها إلا بعد الحاجة إليها ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾ (1) ، وهنا لمحة لطيفة أن من أسرار الاسم الواجد أن

---

(1) طه ، 14ـ37 .

تعدد الوظائف في الشيء الواحد ، فالشجرة قد يكون من فوائدها الظل والثمار والطعام للإنسان والحيوان والسكينة للطير وتعدد الصناعات التي تخرج منها كالأثاث والبناء ، وهـٰذا هو دور الخليفة الذي يتفاعل مع الاسم الواجد فيستخدم نعمة العقل في إيجاد النافع والبعد عن المضار . وعودٌ علىٰ بدء فالعصا قد تستخدم في الفساد بالضرب والقتل وقد تستخدم في الإصلاح كالدفاع عن النفس والهش علىٰ الغنم ، ويا للفظة من جمال وتجلي رحمة الموجد في لفظة (أهش بها علىٰ غنمي) التي فيها من اللين والرأفة والرحمة هـٰذا ما علمه موسىٰ من عصاه وما وجده فيها ، أما ما لم يعلمه فهو قدرة الواجد علىٰ إيجاد المنافع منها فقد تتشكل في صورة الحية والتي لها دلالة الحياة وشكل من أشكالها بعد أن كانت ملتبسة في شكل آخر وهو الحياة الصامتة التي نقول عنها الجماد ، والتي كان الهدف من تحولها نصرة نبيه موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، حيث لم يختر له أي معجزة أخرىٰ ؛ لأن قومه في ذلك الوقت كانوا يشتهرون بالسحر والتعامل به ، فجعل الدواء من نفس الداء ، فلما رأىٰ السحرة ما صنعته تلك العصا علم أن هـٰذا العمل ليس بسحر بل معجزة إلـٰهية ربانية لا يستطيع أن يأتي بها ساحر مهما ترقىٰ في دروبه وفنونه ، والذي كان مبنياً علىٰ كذب وتمويه لأعين الناس ؛ ولأن ٱلله جل جلاله قادر علىٰ إبطاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (1) . بذلك قصم ظهر عدوه وجاء علىٰ بنيانهم من قواعده ، كما قال تعالىٰ : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا

(1) يونس ، 79ـ82 .

يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [1] . فلم يجدوا من بعده حجة إلا أن يعلنوا إيمانهم أمام فرعون وملئه ، ويستفيد الخليفة من هٰذه الآيات الكريمة :

أ ـ أن نصر ٱلله قريب متىٰ كان عمله خالصاً لوجهه الكريم ، قال تعالىٰ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [2] .

ب ـ أن عدو ٱلله مهما ادعىٰ من الجبروت والعظمة فهو أمام ٱلله ضعيف ، قال تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [3] .

ج ـ التمسُّك بحبل ٱلله المتين ، وذلك بقيام ما أمرنا ٱلله به من العبادات والمعاملات ، والعمل علىٰ وحدة صفوف المسلمين ؛ لردع أي هجوم محتمل من أهل الشرك والذين بنيت عقائدهم علىٰ الفساد والخراب يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، قال تعالىٰ : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [4] .

---

(1) النحل ، 23ـ26 .
(2) البقرة ، 214 .
(3) النساء ، 76 .
(4) الكهف ، 102ـ106 .

د ـ أن يحسن الاتكال علىٰ ٱلله في مواجه الأخطار ، وعدم الغرور عند الحصول علىٰ النتائج الطيبة ، و الرجوع إلىٰ ٱلله عند حصول العجب والغرور ، وقد حدث ذلك مع الصحابة رضوان ٱلله عنهم في يوم حنين عندما قالوا : لن نهزم اليوم من قلة ، فكان الرد عليهم في نفس المعركة كما قال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (1) .

هـ ـ وجَد الطالب مطلوبه : أي أَوجد ٱلله لخلفائه مطلوبَهم وأَظفرهم به ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(1) التوبة ، 25 ـ 26 .

عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [1] ، الآيات السابقة تبين علم ٱلله تعالىٰ ما في قلوب خلفائه من الصدق فأثابهم عليه بفتح خيبر ، جزاء صدقهم ، وإن وصفه إياهم بالصدق ليس أمراً هيناً إذ لا يتأتىٰ هـٰذا الوصف إلا لمن خصهم بالرضا فكان الجزاء تحقيق ما في قلوبهم من النصر علىٰ عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين بإذنه عليهم ؛ مكافأة لهم بما قدموه من صادق العمل وخالص النية ، ليكون جزاؤهم كاملاً ووافراً في الدارين بما قدموه من العمل الصالح ، وكما وعدهم ـ ووعده الصدق ـ فكان الفتح ، وكانت المغانم الكثيرة المادية والمعنوية منها كالنصر علىٰ العدو والظفر به بعد أن كان عصياً عليهم ، فيجدون الناس قد دخلوا في دين ٱلله أفواجاً ، وبأقل الخسائر ، بل لو قورنت بما يحدث اليوم من الخسائر بما حدث ذلك الوقت فإن ما حدث ذلك الوقت لا يذكر لا من قريب ولا من بعيد ، فالبون شاسع بينهما ، وفي ذلك رد علىٰ من يقول : إن الإسلام فتح العالم بقوة السيف وليس بقناعة ورضا الشعوب والبلدان التي تم فتحها لم تكن راضية بذلك الفتح ، نقول لهم : لو كانت القوة كافية لتحقيق أي نصر وحدها لكان العالم بأسره تحت وطأة الدول الكبرىٰ التي تملك الأساطيل والجيوش الجرارة ، ولننظر ما حدث لأمريكا في فيتنام وما يحدث لها في أفغانستان والعراق لهو خير دليل علىٰ أن الإسلام لم يكن دين الفتح بالقوة وبقهر الشعوب ولـٰكن ربما كسر الإمبراطوريات في ذاتها وبنصر ٱلله للمستخلفين فيها فك أسر شعوبهم من هيمنة الدول المتوالية والمتعاقبة عليهم بعد يأس وكرب وشدة قد وجدوا أنفسهم في حرية وعدالة الإسلام وخلفائه العدول في مسلكهم بفعلهم وقولهم فانبهروا به أيما انبهار ، وهـٰذا ما يجب أن يكون عليه خلفاؤه في أرضه

(1) الفتح ، 18ـ28 .

اتجاه المستخلفين ليكونوا نبراساً يقتدىٰ بهم في أرضه بما يحملونه من مكارم الأخلاق والشيم الرفيعة . قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [1] . ففي قوله تعالىٰ : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الآيات السابقة طلب طالوت ملاقاة جالوت وجنوده وخاصة بعد أن قل عددهم أمام عدوهم بمخالفة عدد كبير لأمر

---

(1) البقرة ، 246ـ252 .

قائدهم ، لما تراءىٰ الجمعان قال بعض الجنود : لا قدرة لنا لنواجه عدونا ورغبوا بذلك في الشهادة التي يرونها أمامهم بحكم ما هو موجود من المعطيات دون أن ينسوا ذكر ربهم ، فأجابهم مجموعة أخرىٰ منهم أن النصر من عند ٱلله يأتي به كيف شاء ومتىٰ شاء ودون النظر إلىٰ عدد أو عدة ، الفريقان أحدهما وطن نفسه للشهادة ، والثاني لا يريد أن يقبل بغير النصر لأنه علىٰ يقين بأن ٱلله لا يترك من قاتل في سبيل إحقاق الحق من غير نصرة دنيوية قبل الجزاء الأخروي ، وكان الحدث كما أراده الذين يعلمون أن النصر من عند ٱلله وليس بكثرة الرجال والسلاح ، وعلىٰ ما تقدم يجب علينا أن نبني هممنا وأن نعلم يقيناً جازماً أن النصر والنصرة تأتي من عند ٱلله وحده وليس ذلك من غير مقابل فالمقابل في ذلك :

أ ـ الإيمان الصادق بأن ٱلله وحده الذي ينصر من يشاء ويعز من يشاء ؛ لأنه كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ (1) .

ب ـ النية الخالصة لوجهه الكريم في الدفاع عن دينه في كل مكان وزمان ، ولا يخشىٰ في ذلك لومة لائم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (2) .

---

(1) محمد ، 7ـ11 .

(2) محمد ، 4ـ6 .

ج ـ ألا يتأخر المؤمن عن الجهاد في سبيله تعالىٰ ، وأن يبذل ما بوسعه من المال والجهد للدفاع عن دينه في البر والبحر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

د ـ الصدق في التعامل مع العدو ومجابهته دون تردد أو خوف وذلك بما يعمر ٱلله به قلب المؤمن من الإيمان بأن النصر من عند ٱلله جل جلاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأٓتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ

(1) التوبة ، 120 ـ 121 .
(2) التوبة ، 119 .

عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ (1) .

هـ ـ **ألا يضعف أمام عدوه أو يلين** : كما قال تعالىٰ في وصف المؤمنين الصادقين الصابرين الذين هم حقاً أهل الخلافة : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (2) .

و ـ أن يكثروا الدعاء ساعة اللقاء مع العدو ليثبت أقدامهم أمام عدوهم : كما قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ .

ز ـ عدم التنازع ساعة اللقاء : لأنه يذهب ريح وقوة المجموعة المحاربة في سبيل ٱلله تعالىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (3) .

ح ـ عدم القتال للرياء والسمعة : كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

---

(1) الأحزاب ، 7ـ15 .

(2) آل عمران ، 146ـ148 .

(3) الأنفال ، 46 .

وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (1) .

ط ـ إيجاده اليسار والسَّعة : فليجعل الخليفة دعاءه : الحمدُ للّه الغَنِيِّ الواجِد ، الذي أَوْجَدَني بعد عدم وفقر ، وآجَدَني بعد ضعف أَي (قوّاني) ، وليعلم الإنسان أنه فقير إلىٰ ٱلله وأن ٱلله غني عن خلقه ، فقد قال تعالىٰ في كتابه العزيز : ﴿ ۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (2) ، وليعلم المؤمن أن ٱلله هو الغني الحميد هو الخالق والقادر علىٰ اليسر والعسر لمن يشاء من عباده ، فجعل الغنىٰ والفقر لحكمة يعلمها ، ولـٰكن لرحمته جعل العسر بين يسرين ، قال تعالىٰ جل في علاه في كتابه المكنون : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (3) ، وعلىٰ الخليفة المؤمن أن لا يجزع لشدة أو كربٍ مرت به فإن ما مِنْ ضائقة تمر بالمؤمن إلا ومن ورائها فرج قريب ، وأن من ورائها الأجر العظيم الذي لا يعلمه إلا هو جل في علاه ، وعلىٰ المؤمن إذا مرت به ضائقة أو تعسَّر عليه أي أمر من الأمور سواء أكان في الصحة أم في المال ، أم غير ذلك من حوائج الدهر أن يتبع ما يلي :

أ ـ أن يلتزم الصبر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ

---

(1) الأنفال ، 47ـ52 .
(2) فاطر ، 15ـ18 .
(3) الشرح ، 5 ـ 6 .
(4) البقرة ، 153 .

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (2) .

ب ـ أن يهرع إلىٰ ٱلله ويتضرع إليه بالدعاء آناء الليل وأطراف النهار ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (4) .

ج ـ الكف عن المعاصي ، والرجوع إلىٰ ٱلله ، ولا أحد يقول لست مذنباً ، فربما أمر يراه الإنسان صغيراً وهو عند ٱلله عظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (5) .

---

(1) البقرة ، 155ـ157 .
(2) الرعد ، 22ـ24 .
(3) الأعراف ، 205 ـ 206 .
(4) الأعراف ، 55ـ57 .
(5) النور ، 15ـ18 .

د ـ صلة الرحم ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [2] ، وألا نسلك مسلك اليهود الذين قطعوا أرحامهم فأصابهم ما أصابهم ، بما كانوا يأمرون به من قطيعة للرحم وعدم التودد بين العباد فقد قال ٱلله تعالىٰ فيهم : ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [3] .

هـ ـ التصدق بما تيسر فإن الصدقة تدفع البلايا والرزايا ، قال تعالىٰ : ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [4] .

---

(1) الرعد ، 21 .

(2) الأنفال ، 74 ـ 75 .

(3) الرعد ، 25 .

(4) البقرة ، 271ـ274 .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (1) .

سادساً : إيجاده للرحمة والمثوبة الواسعة : قال تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (2) ، الناظر للآيات السابقة بتمعن يرىٰ أن ٱلله جل جلاله واسع

---

(1) لقمان ، 20ـ28 .

(2) الحديد ، 19ـ24 .

الرحمة كما أنه واسع المثوبة ، وهٰذا التسابق للوصول إلىٰ هٰذه المغفرة الواسعة لابد من أن يسلك الخليفة أقرب الطرق وأوضحها عبر المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ـ والعياذ بالله ـ وذلك باتباع ما يلي :

أ ـ الإيمان بالله إيماناً صادقاً جازماً لا يتزحزح ، ولا يتغير بأن ٱلله واحد لا شريك له في ملكوته الواسع وأنه أوجده بعزته وقدرته التي ليست لها حدود ولا كيفية ، بل هي فوق كل ما تتصوره عقولنا وفكرنا المحدود ، لا يوجد له نديد ومكافئ بل تصمد إليه المخلوقات في كل حوائجها كبيرة كانت أو صغيرة ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (1) .

ب ـ الإيمان بالرسل والأنبياء جميعاً دون تفريق بين رسله عليهم الصلاة والسلام وبأنهم مبعوثون من عند ٱلله تعالىٰ في علاه ، ليبلغوا ما أنزل عليهم وأن جميعهم جاؤوا بالحق الذي يشتمل علىٰ كل معاني الخير للبشرية جمعاء وأنهم لم يأتوا ليفرقوا بين شعب وآخر ، كما تدعي اليهود والنصارىٰ بقولهم إنهم الشعب الذي اختاره ٱلله علىٰ بقية الشعوب وأن الشعوب الأخرىٰ مسخرة لخدمتهم وأنهم في الدرجات العليا في الدنيا والآخرة ، كما أوضحه ٱلله تعالىٰ حيث قال في حقهم : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (2) .

ج ـ إيجاده الرزق الحسن : قال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(1) الإخلاص ، 1ـ4 .

(2) المائدة ، 18 ـ 19 .

فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (1) .

د ـ غناه عن المساندة والمعاضدة وانعدام الشريك والنديد : قال تعالىٰ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (2) .

هـ ـ إيجاده للرحمة : قال تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ

(1) الحج ، 57ـ64 .
(2) يونس ، 62ـ70 .

بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ
ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (1) .

و ـ إيجاده للمودة : قال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (2) .

---

(1) الأنعام ، 132ـ137 .

(2) الممتحنة ، 6ـ11 .

ز ـ إيجاده للامتحان : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ (1) .

ح ـ إيجاده المغفرة : قال تعالىٰ : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ

(1) محمد ، 31ـ38 .

(2) الشورى ، 3ـ9 .

ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (1) .

ط ـ إيجاده للسمٰوات والأراضين : قال تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (3) .

ي ـ إيجاده للنفقة وأعمال البر : قال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ

---

(1) الكهف ، 57ـ59 .
(2) البقرة ، 28 ـ 29 .
(3) البقرة ، 21ـ24 .

﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] ، مما لا ريب فيه أن الصدقة كبيرة كانت أم صغيرة يعلمها ٱلله تعالىٰ ، ويجازي عليها الجزاء الأوفىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] . وكما مر في الآية أن ٱلله يضاعف الصدقة وبأضعاف مضاعفة ، لـٰكن شريطة أن تكون مقبولة عنده وذلك بشروط منها :

1 ـ أن لا يكون العمل مصحوباً بالرياء .

2 ـ أن لا يتبع ما أنفق منّاً علىٰ من تصدق به عليه . قال تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] .

3 ـ أن لا يتبع ما أنفق أذىً سواء لصاحب الصدقة أو لغيره ، قال تعالىٰ : ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[4] .

4 ـ أن يكون المال الذي تم التصدق به من الرزق الحلال ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ

(1) البقرة ، 270ـ274 .
(2) البقرة ، 261 .
(3) البقرة ، 262 .
(4) البقرة ، 263 .

وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) .

5 ـ إخفاء الصدقة ، الصدقة في ذاتها لا تُخفىٰ فهي بطبيعة الحال بما أنها صدقة ستكون ظاهرة ولٰكن النية ينبغي أن تكون خالصة لوجه ٱلله تعالىٰ وهٰذا الأمر لا يكشفه ولا يعرفه إلا هو جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ ، إذاً إظهار الصدقة مُفضَّل ، والتفضيل لا يخفىٰ ، ولأن إظهار الصدقة خير ، فالخير من الأفضل نشره ليقتدي الناس بسلوك فاعله ، ولٰكن إن كان الإظهار غاية في ذاته فلن يكون فيه خير ، ولذا فمن الأفضل أن يُسر بالصدقة للفقراء ، وذلك لطبيعة أخلاقهم في نيل التقدير من قبل الآخرين دون الإحساس بشعورالتقليل .

6 ـ أن يكون المتصدق عليه ممن يجب عليهم الصدقة ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (2) .

ومصداقاً لما ذكر قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (3) ، كل ذلك علىٰ الخليفة أن يوضحه للمستخلفين في الأرض ليكون عملهم متقبلاً ومجازىً عليه بإذنه تعالىٰ ، وليعلمهم أن ٱلله

(1) البقرة ، 267 ـ 268 .

(2) التوبة ، 60 .

(3) البقرة ، 264 .

تعالىٰ بوجده أوجد هٰذا الرزق لهم لا ليخفوه بل ليتصدقوا به علىٰ المحتاجين ، وكل ذلك مثاب عليه ، ويبارك ٱلله في الصدقة المتقبلة ويضاعفها أضعافاً مضاعفة ، ويجازي عليها في الدنيا والآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (1) .

سابعاً : إيجاده للسر والنجوىٰ : قال تعالىٰ : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (3) .

ثامناً : إيجاده للغيب : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ

(1) البقرة ، 245 .
(2) آل عمران ، 28 ـ 29 .
(3) المجادلة ، 7ـ11 .

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (3) .

تاسعاً : إيجاده للجزاء الجزيل : قال تعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (4) . وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(1) آل عمران ، 177ـ180 .

(2) الأنعام ، 57ـ59 .

(3) الأنعام ، 72 ـ 73 .

(4) آل عمران ، 14ـ17 .

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا
رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ
عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي
سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي
ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (2) .

عاشراً : إيجاده للعذاب الأليم : ليكافئ به أهل الكفر علىٰ عنادهم وكفرهم وجحودهم لأنعم ٱلله ، لأنه تعالىٰ في علاه قبل أن يعذب لابد من أن يقطع الحجة علىٰ الكافرين بإرسال الرسل والأنبياء والمنذرين إلىٰ تلك الأقوام ، ومع ذلك نجدهم يكررون ذلك كما جاء في كتابه العزيز ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا

---

(1) آل عمران ، 191ـ200 .

(2) المؤمنون ، 57ـ62 .

مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ

---

(1) المائدة ، 19 .

(2) الملك ، 6ـ11 .

(3) هود ، 94ـ108 .

ٱلرَّحِيمُ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

الحادي عشر : إيجاده الرسل والأنبياء : قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (3) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ

(1) البقرة ، 161ـ163 .
(2) البقرة ، 165ـ169 .
(3) الجاثية ، 27ـ37 .

قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

اللهُمَّ يا الواجد يا من أوجدت الوجود من لا شيء اجعل لنا في كل شيء أوجدته خيراً ، واحفظنا من كل الشرور ! اللهُمَّ إنك أنت الواجد للرحمة فارحمنا بفضائها ، وأنت الواجد للمحبة فاجعلنا علىٰ حبك كما أحبك نبيك محمد عليه الصلاة والسلام ! وأنت الواجد للمغفرة فاغفر اللهُمَّ خطايانا وذنوبنا وأنت الواجد للأرزاق فارزقنا من نعمك الكثيرة ، وأنت الواجد للأرض التي أوجدتنا منها فاجعلنا من المستخلفين فيها والمصلحين ولا تجعلنا من العابثين والمفسدين !

اللهُمَّ يا الواجد إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار !

اللهُمَّ يا الواجد للخلق احشرنا مع أحب الخلق إليك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، واجعلنا من الفائزين بالجنة بجودك ولطفك وكرمك ورحمتك يا ٱلله !

✍ ✍ ✍

(1) الأحقاف ، 9ـ14 .

الماجِدُ جلَّ جلاله

الاسم الماجد من الأسماء التي لم تذكر في القرآن الكريم وله علاقة قوية بالاسم المجيد وقيل هو بمعناه [1] . والماجد هو الذي بلغت ذاته غاية الشرف ، والماجد الذي له الكمال المطلق وسمت مكانته عظمة مطلقة .

الماجد الذي لا يساويه أحد في المجد وهو الغني بذاته عن الآخرين لأنه لا ينتظر أن يمجده مخلوق أنه الماجد الذي خلق المجد ويهبه للآخرين من كمال عطائه وفيض كرمه ولا يفعل ذلك إلا الماجد ذو الشرف الواسع الغني العزيز بذاته المستغني بمجده عمن سواه .

والماجد في اللغة علىٰ وزن فاعل والفاعل الذي يفعل ، وفعل ٱلله خلقه للشيء مع فائق القدرة المطلقة في الخلق ، وعليه فهو فاعل المجد وخالقه ومانحه قبل أن يمجده أحد فبتمجيد الخلق له يتحول من ماجد إلىٰ مُمَجَّدٍ ، وبكثرة مجده يكون مجيداً بمعنىٰ مغني ، أما ماجد بمعنىٰ غني ، ومن هنا فإن كان الماجد في الترتيب المذكور في أسماء ٱلله الحسنىٰ قد ورد بعد المجيد فهٰذا له دلالة أنه يحتويه ويشمله ، لذا فقد ورد بعد الاسم الماجد الاسم الواجد ثم الواحد وكلها علىٰ وزن فاعل ، أي لا واجد غير الماجد ولا واحد غير الماجد ولا ماجد غير الواحد الأحد ، والأحد الذي يؤكد الواحدية بالأحدية ، فالماجد يشمل المجيد لأن الماجد سبق المجد وخلقه ، فعن

(1) انظر : في ملكوت الله مع أسماء الله . للشيخ عبدا لمقصود محمد سالم ص 96 .

أبي هريرة رضي ٱلله عنه قال : قال رسول ٱلله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مئةً إلا واحداً ، إنه وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة ، هو ٱلله الذي لا إلـٰه إلا هو الرحمـٰن ، الرحيم . . . . . الماجد ، الواجد ، الواحد ، الأحد »[1] .

الماجد : « وله معان منها الارتفاع ، والعلو علىٰ المبالغة ، ومنها التقريب علىٰ حسب المشيئة ، ومنها الاختصاص بالولاية والتولية »[2] .

الماجد : هو العلي في إحسانه ورحمته وهو محصي كل كبيرة وصغيرة ، وهو الذي يضاعف الحسنات ولا يجازي السيئة إلا بأختها ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] ، وهكذا يضاعف ٱلله الحسنات لمن تصدق وأنفق من أمواله في سبيل ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4] .

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي ، ج 1 ، ص 113 .
(2) المصدر السابق ، ص 114 .
(3) يونس ، 26 ـ 27 .
(4) البقرة ، 261ـ264 .

الماجد : هو الذي تستمد منه الأمجاد العظام ، والأمجاد العظام لا تكون إلا في سبيل ٱلله ومنها :

الجهاد في سبيل ٱلله : الجهاد حق علىٰ كل قادر بماله أو نفسه أو لسانه محرضاً ومرشداً ونصيراً للحق بلا تردد وهو متحمل لكل ما يترتب علىٰ ذلك في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (2) .

وعليه فالجهاد عمل تطوعي مؤسس علىٰ الرغبة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ

---

(1) الأنفال ، 72 ـ 75 .

(2) الحجرات ، 15 .

كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (1) . والجهاد لا يخوضه إلا الواعون بالمترتب عليه ، عاجلاً أم آجلاً ، عاجلاً قبول الاستشهاد (الموت) الاستشهاد تعني أن الشهيد قد كان شاهداً علىٰ المظالم وأقدم علىٰ مقاومتها بكل ما يملك من المال والنفس ، لم يجبره أحد علىٰ ارتكاب الفعل الاستشهادي وبدون مقابل ، وإذا كان بمقابل كان قتالاً أو حرباً ، ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (2) أي : ادفعوا مما تمتلكون أو تكتنزون ، وادفعوا بأرواحكم في سبيل إحقاق الحق ، إذاً الشهيد هو الذي يدفع لا أن يدفع له مقابل الشهادة .

الجهاد وعي بالفعل وبمخاطره ، وبعناصره ، وبالمترتب عليه ، وهو آخر وسيلة يتم استخدامها ، بعد أن ينفد منطق الحوار مع الظالم ، فلا بد من المواجهة العلنية ، التي تقصي المعتدي ، والذي يقدم علىٰ الفعل الاستشهادي يكون راضياً علىٰ ما يقوم به ، وفي معظم الأحيان يكون فرحاً بما يقدم عليه ، وتكون أسرته راضية علىٰ استشهاده إلىٰ درجة المفاخرة به ، ويسجله المجتمع الذي ينتمي إليه في سجلات أبطال التاريخ ، ويكتب عند ٱلله شهيداً .

في المجاهدة مكابدة ، وتحمّل مسؤولية ، الوطن الذي تمتلك فيه الحقوق وتؤدىٰ فيه الواجبات وتتحمل فيه المسؤوليات ، الجهاد في سبيله ضرورة قيمية ، المساس بالدين الذي من عند ٱلله تعالىٰ ، أو الاعتداء عليه ، ليس بالأمر الهين كما يعتقد البعض ، في سبيله يجاهد المؤمنون بأموالهم وأنفسهم ، وذلك لأنه مصدر التمييز بين أحكام إحقاق الحق وأحكام إبطال الباطل . من صحابة رسول ٱلله ﷺ هناك من جاهد بربع ماله ، وهناك من جاهد بثلث ماله ، وهناك من جاهد بكل ماله ، وهناك من جاهد بنفسه ، ومنهم من

---

(1) التوبة ، 38ـ40 .
(2) التوبة ، 41 .

جاهد بماله ونفسه ، هـٰؤلاء القدوة الحسنة يعدّون مثالاً حياً في أذهان المؤمنين ويعد الشهداء أحياء عند ٱلله وعند المؤمنين .

المجـاهـد لا يظلـم ، ولا يعتـدي ظلمـاً ، ولا يسعـىٰ مـن وراء الفعـل الجهادي لأي مصلحة آنية ، بل في حاجة للجزاء الأوفر الذي لم يكن من البشر الذين قد يمنون عليه في يوم من الأيام . لقد اتضح الفارق بين من يُقدِم علىٰ الانتحار وفي كثير من الأحيان ينتهي وهو غير مأسوف عليه ، وبين الذي يموت في ميادين التفضيلات ، وبين الذي يموت في مواقف الرذيلة ، وبين الذي يموت بانتهاء أيام الحياة ، وبين المجاهد الذي كان له الاختيار وكانت له الإرادة الواعية ، وكان بيده القرار ، وهزم الموت الذي يخيف الغالبية ، وانتصر عليه في معركة التحدي بالاستشهاد .

الحجّة ، المال ، النفس ، ثلاثة عناصر في منطق الحوار ، من يلم بها ويعرفها يعرف معنىٰ الجهاد ، ومن لم يعرفها ، لن يعرف معنىٰ الجهاد . قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (2) .

عندما تكون هناك قضية دينية وإنسانية ، أو قضية اجتماعية ووطنية ، يكون هناك موضوع للحوار ، وقبل أي اعتداء أو قتال ينبغي أن يكون اللقاء الذي تُعرض فيه الحجج المنطقية ، دون إعلان عداء من طرف علىٰ آخر ، وإذا لم يتم ذلك مباشرة لا عيب في تدخل وسطاء المنطق ، لا وسطاء اللغة ،

---

(1) التوبة ، 20 .

(2) الحج ، 78 .

وسطاء الحكمة لا وسطاء السياسة ، وعلىٰ الجميع توخي الحذر ، قال تعالىٰ جادلهم ، ولم يقل حاورهم ، ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ فالمجادلة فيها مكابدة ودرجة عالية من التحمل ، وعدم الإسراع في الخروج من الموضوع ، إلىٰ أن تتحقق القناعات بعد مكاشفات ، وحجج دامغة ، ليس فيها تزوير أو تهرّب من إحقاق الحق ، وعلىٰ المحاور أن لا يُستفز من قبل المحاور الآخر ، فالاستفزاز قد يُنهي زمن المجادلة التي لا ينبغي أن تُهزم بالاستفزازات غير المسؤولة من قبل الآخر . أما حاورهم فيها شيء من التخفيف إذا ما قورنت بالمجادلة ، في المجادلة إصرار ، وعدم إعطاء الفرصة لمن يريد أن ينهي الجدل قبل الوصول إلىٰ نتائج مقنعة ، وفيها التحذير والإنذار ، وفيها التوعد إذا لم يتم الاتفاق ، وفيها معرفة العواقب . أما الحوار فقد لا تكون فيه مكابدة ، يعتمد علىٰ قوة الحجة ، التي لا تستوجب الوعيد والتهديد ، وفي الحوار شفافية ومنطق اعتبار الأنا والآخر .

في حالة التعنّت وفشل المجادلة ، يتم تسخير الإمكانات لكف من يمتلك القوة المهددة للحق عما يهدف إليه من مشاكل أو مآسي ، والإمكانات في كثير من الأحيان وقائية ، وفي البعض الآخر قتالية حيث يتم استخدامها إذا ما اشتعلت نار الحرب ، وعندما تشتعل نار الحرب يصبح استخدام السلاح مبرراً ، ولأجل الحق وإعلائه يستوجب مواجهة من يريد للباطل أن يسود ، فالذي يحارب من أجل إبطال الحق لا يعد شهيداً ، والذي يحارب من أجل إعلاء كلمة الحق يعد شهيداً .

يعتبر المال والنفس العنصرين التاليين في الاستخدام بعد عدم التفهم لِما دار من حوار بين المتجادلين بالحجة ، والمتجادلون عندما يفقدون قواعد الركون إلىٰ المحاجة المنطقية ، قد يضطرون إلىٰ الخصام الذي لا طائل من ورائه إلا الاختلاف . إذاً الأساس أن يتم التجادل والحوار بالتي هي أحسن ، وعندما يصل الحوار والمجادلة إلىٰ طريق مسدود فلا بدَّ من المواجهة العلنية

بما هو أسوأ حيث ينقسم الناس إلىٰ فئتين ، فئة مع الحق ، وفئة مع الباطل . وعندما يحدث الصراع قد يمتد من أصحاب الحق إلىٰ المناصرين لهم من جهة ، وبين أصحاب الباطل والمناصرين لهم من جهة أخرىٰ . فحدود الحرب عندما تبدأ قد تكون معروفة ولـٰكن عندما تستمر قد لا تُعرف حدودها ، ولذا فعلىٰ المتحاورين أن يضعوا في اعتباراتهم في الحوار المنطقي حدوث المتوقع وغير المتوقع حتىٰ لا يتم الاستغراب بعدما تحدث المفاجأة .

إذاً القبول بالمحاجة قبول بالسلام ، والخروج عنها خروج عن السلام ، وعندما يخرج أطراف الحوار عن حدود المجادلة دون تفهّم لبعضهم البعض ، أو دون تفهّم لقضاياهم ولِما يجب وما لا يجب تجاهها ، فقد يحدث بينهم الصدام الذي تُسخّر له كل الإمكانات والقوة اللازمة للمواجهة أو للتصدي ، وبطبيعة الحال المواجهة لن تكون إلا بالأنفس المؤيدة والمعارضة للفكرة (موضوع الاختلاف) . قال تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (1) .

عندما تغيب الحجة يُفسَح المجال للخصام والصدام ، الذي يتطلب حشد الإمكانات المادية من مال وعتاد ، ثم بعد ذلك تحشد الأنفس القادرة علىٰ خوض الحرب ، وعندما تشتعل نار الحرب ، تقدم الأنفس فداء للفكرة التي تم الاعتراض عليها ، أو فداء ضد الفكرة التي لا يود لها أن تنتشر وتسود بين الناس . وبرغم ذلك لابد للحرب أن تتوقف بالمغالبة أو بالتحاور لوقف سفك الدماء ، ولأجل ذلك ينبغي أن يعود أطراف الحوار إلىٰ طاولة التفاوض ، ولن

---

(1) النحل ، 125ـ128 .

يُنهي الصدام إلا الحوار المنطقي الذي يستوجب التعرف علىٰ القيم التي تحرك كل طرف من الأطراف أو التي يدافع عنها كل طرف من الأطراف المتصادمة ، ووضع معايير ومقاييس للتحكيم المنطقي والموضوعي .

الإنفاق في سبيل ٱلله : الإنفاق حق وهو عطاء من رزق حلال دون انتظار رد آني مقابل ، ولـٰكنه انتظار لنيل حسنة تفيد صاحبها يوم القيامة ، وهـٰذه لا تكون إلا في مرضات ٱلله عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

القتال في سبيل ٱلله : القتال فعل قد يُكتب علىٰ الناس وهو كرهٌ لهم ، وعندما يكتب كرهاً ، يصبح الإقدام عليه ليس باختيار ، ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [3] ، إذاً عندما يقاتلونكم كرهاً فلا بد من مقاتلة من يقاتلونكم ، ولا خيار في ذلك ، فالقتال هنا دفاع عن النفس ، أو عن البلد ، أو عن الدين والشرف ، فالقتال واحد والدفاع مختلف ، والأسباب هي التي تحدد نوع الدفاع ، الاعتداء علىٰ الوطن يستوجب الدفاع عنه ، والاعتداء علىٰ الشرف والكرامة يستوجب الدفاع عنهما ، وهـٰكذا . عندما تتعرض للسرقة ، قد تدفعك الأسباب إلىٰ مقاتلة المعتدي ، وعندما يستنجد بك مستنجد هي الأخرىٰ قد تجعلك في حالة مقاتلة من لا تعرفه علىٰ الإطلاق ، وتجد نفسك في مواجهة قتالية لم تكن في

---

(1) سبأ ، 39 .
(2) البقرة ، 215 .
(3) البقرة ، 190 .

الحسبان ، وذات نتائج لا تحمد عقباها .

القتل قد يكون عقاباً علىٰ فعل ، القاتل يُقتل ، إذاً عندما تَقتل ظلماً ليس لك من مفر من أن تُقتل كعقاب علىٰ ارتكابك الفعل المحرّم ، فالمقاتلة قد تكون واجبة عندما تكون لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وقد تكون تنفيذ حكم المعاقبة ، وقد تكون هـٰكذا أمراً واقعاً . وعلىٰ المتحاورين أو القضاة أن يميزوا بين هـٰذا وذاك ، لكي يكون الحكم عادلاً .

وهناك فرق بين القتال والحرب ، فعندما يتم الاعتداء علىٰ الحقوق والواجبات والمسؤوليات ، تصبح حالة البلد بكامله حالة حرب ، أي محاربة الناس في ما يجب أن يكون لهم ، والحرب عادة تعد لها العدة ، وتُسخّر لها الجيوش ، وينفر الناس للمواجهة ، لإيقاف عجلة تقدم المعتدين التي قد تداهم الأخضر واليابس ، والمحاربون في كثير من الأحيان يُدرّبون علىٰ خوض المعارك ، ويتقاضون المعاشات والمرتبات مقابل ذلك ، أي : أن الجيوش النظامية في جميع أنحاء العالم هم معدون ومدربون علىٰ خوض المعارك التي تُرسم وتخطط مسبقاً من قبل المعتدي ، والتي تواجهها خطط الدفاع من قبل المعتدىٰ عليه . أجرة تدفع للمحارب أيام السلم وأيام الحرب ، ولهـٰذا لم يكن المحارب في حالة اختيار ، بل إنه في حالة تنفيذ أوامر عسكرية ، ومن يتأخر عن أداء المهام الحربية قد يجد نفسه في مواجهة العقاب بالموت . وقد يتساءل البعض : لماذا في معظم المعارك الحربية يحدث الاستسلام ؟ المحارب في ميدان المعركة ، إذا لم يكن شريكاً في اتخاذ قرار الحرب ومقتنعاً بأنه الحق ، لا يمكن أن يكون محارباً ، فإذا عرف أن خوض الحرب من أجل الحرية ، ومن أجل الجميع سيخوضها ببسالة ، ولـٰكن إذا عرف أن خوض الحرب سيطيل عمر الحاكم الدكتاتور ، أو الحاكم غير الديمقراطي أو غير الإنساني ، فليس له بد من أن يستسلم للآخر حتىٰ لا يلقي بنفسه إلىٰ التهلكة ، وفي هـٰذه الحالة يعتبر نفسه قد هزم الحاكم في عقر داره دون أن يعلن عن ذلك .

في الحروب تنشط وسائل الإعلام في تناقل أخبار المعارك ، وفي تزويريها وتشويهها ، وفي كثير من الأحيان تُطمس الحقيقة ، وذلك نتيجة اعتمادها علىٰ اللغة وليس علىٰ المنطق ، فالمنطق من مسؤولياته إظهار الحقيقة وتبيانها من أي زيف ، أما اللغة في مثل هـٰذه الظروف تتجرد من كل منطق ، لأجل أن تؤجج نار الحرب التي في كثير من الأحيان تتخذ بقرارات سياسية ووجهات نظر السياسيين وليس بقرارات موضوعية ، اللغة تعتمد علىٰ المغالطة وتزوير الحقائق ، والمنطق يعتمد علىٰ التصحيح والتصويب إلىٰ ما يجب أن يكون . إذاً اللغة الإعلامية تهدف إلىٰ إيقاد نار الحرب ، ومنطق الحوار يسعىٰ إلىٰ إطفائها .

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (2) .

التسامح في سبيل مرضاة ٱلله : التسامح قيمة خيرة ومفضلة في القيم الإنسانية وهي أساس أخلاقي يُقدَّر بين الأنا والآخر من يكون هـٰذا الآخر في دائرة النسبية ، والخليفة دائماً هو خير متسامح ، يعفو ويغفر من مغفرة ربه

---

(1) البقرة ، 190 .
(2) البقرة ، 216ـ218 .

وعفوه ، فهو لا يظلم أحداً ولـكن الأخطاء تقع بين الناس ولهـذا كان التسامح واجباً بينهم ، ولأن الله غفور رحيم فالخليفة الذي يستمد قيمه من خالقة بطبيعة الحال أن يكون متسامحاً ومحباً للخير ، وهـذه من استجاباته للواجد جل جلاله . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (2) .

مناصرة المظلوم : المظلوم في كثير من الحال يحس بالغلبة والقهر والذل ، في مقابل ظالم جبار لا رحمة في قلبه ، والمظالم كثيرة ومنها ما يعود علىٰ مظلمة النفس مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (3) ، وقال

(1) الأنعام ، 54 .
(2) الأحقاف ، 15ـ20 .
(3) البقرة ، 231 .

تعالىٰ : ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] ، ولذلك فالمظلوم في حاجة لمن يقدم إليه يد المساعدة وهو في حاجة للتسامح ، والتسامح هو إعلان المودة والمحبة بين الناس وتجنب الفتن معهم من أجل علاقات مرضية وطيبة . يقول فولتير : « أنا أكره ما تقول ، ولـٰكنني سأدافع حتىٰ الموت عن حقك في أن تقوله » ولهـٰذا من الفضائل الإنسانية ، وجوب التسامح مع كل الآخر في الثقافة ، والدين ، والمعتقد والعرف . ولذا إذا لم تَسُدْ قيمة التسامح بين الأفراد والجماعات والمجتمعات لا يمكن أن يسود الاحترام والتقدير بينهم .

أما المظالم فتستوجب تدخلاً من مناصر للحق ، والتدخل استدعاء للضرورة والوجوب ، لإنقاذ حالة أو اتخاذ موقف أو إجراءات من أجل دين أو قيم أو شخص أو مهنة أو حرفة بغرض الإنقاذ من الخطر أو الخسارة الملحقة الضرر إن لم يحدث التدخل . وبه تسوىٰ العلاقات أو تُستكمل الإجراءات وتُحل المشاكل وينتظم العمل عندما يكون المتدخل علىٰ درجة من الإيمان والحرص والمسؤولية . أما إذا كان المتدخل ليس كذلك فقد يؤدي فعل التدخل إلىٰ الفرقة والخصام أو الصدام . ولذا فالتدخل من قبل الخليفة من ورائه غايات إنسانية من خلالها يتم التوصل إلىٰ الحلول والمعالجات البناءة للحالة التي من أجلها تم فعل التدخل الإنساني في مرضاة ٱلله تعالىٰ ، وبالتدخل يمكن أن يتم تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة فتعود الأمور إلىٰ

(1) الكهف ، 87 ـ 88 .
(2) البقرة ، 178 .

مجاريها بحمد من الواجد جل جلاله . قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (2) .

كيد الكائدين : الكيد محاولة لمغالبة بغير حق ، ووضع البلايا علىٰ الآخرين عوائق أمام بلوغهم الغايات التي يؤملونها ، والمكايد من أعمال شياطين الجن والإنس ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (3) . والكيد يأتي بصور منها الخيانة ومنها السحر ومنها صب البلايا علىٰ رؤوس الأبرياء ومنها الكثير . قال تعالىٰ : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ

(1) آل عمران ، 123 ـ 126 .
(2) الأنفال ، 72 ـ 75 .
(3) النساء ، 76 .

عَذَابًا وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (1) .

المكر بالماكرين : المكر عمل خبيث ، فمن عمله لإفساد إصلاح فهو من المفسدين الذين استوجبت عليهم لعنة ٱلله والناس أجمعين ، ومن عمله لإزالة مكر فيكون خيراً من أجل إصلاح وسلامة وطمأنينة ، ولهٰذا فالمكر له صفتان :

الأولىٰ : صفة إفساد : وسفك دماء بغير حق ، وظلم للناس واعتداء علىٰ حقوقهم ، وهٰذا الذي يوصف بالمكر السيئ . قال تعالىٰ : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (2) .

الثانية : صفة إصلاح : إفساد الإفساد عمل صالح ، ولهٰذا قال تعالىٰ : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (3) ، بمعنىٰ : ما يعملوه من مكر (فساد) يفسده ٱلله أي يفسد المفسد فيكون الإصلاح باقياً ولهٰذا فإن مكر ٱلله خير ، وهٰكذا الخليفة الذي يفسد الأعمال المفسدة للقيم الحميدة

---

(1) طه ، 68ـ76 .
(2) فاطر ، 42ـ44 .
(3) آل عمران ، 54 .

ومكارم الأخلاق فهو يعمل عملاً مصلحاً في سبيل مرضاة ٱلله تعالىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (1) .

بقراءة الأسماء الحسنىٰ نستمد من الماجد وجوداً ، أي هو الذي مِنْ مجده أوجد الوجود وخلق الخلق ومنح الملائكة والجن والإنس شرف عبادته ، ومن مجده خلق السموات والأرض ورزق الكائنات التي أوجدها بها ، وهٰذا الإيجاد للبلاء أي الاختبار ليرىٰ هل نستحق الخلافة ؟ أم بسوء أعمالنا وفشلنا في تحقيق الخلافة نرتد إلىٰ درجة الدواب ، فيقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (2) .

وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الدابة اسم لكل حيوان دب علىٰ وجه الأرض ، وأطلق لفظ الدابة علىٰ كل ذي أربع من الحيوان علىٰ سبيل العرف ، والمراد منه الإطلاق فيدخل الآدمي وغيره من جميع الحيوانات ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ يعني : هو المتكفل برزقها فضلاً منه لا علىٰ سبيل الوجوب فهو إلىٰ مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق ، وقيل إن لفظة علىٰ بمعنىٰ أي من ٱلله رزقها ، وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن ٱلله وربما لم يرزقها فتموت جوعاً . ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ قال ابن عباس : (مستقرها) المكان الذي تأوي إليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت ، وقال ابن مسعود : مستقرها أرحام

---

(1) فاطر ، 10 .
(2) هود ، 6ـ7 .

الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه ، وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ﴿ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ الذي لا تفلت منه فالتة ، فهو الماجد بفعاله وأقواله المنفذة لأمر الكينونة (كن) ولهـٰذا كان عرشه قائماً علىٰ الحق ، قال عز وجل : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (1) . إن ٱلله سبحانه وتعالىٰ كان عرشه علىٰ الماء الذي جعل منه كل شيء حي ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (2) ، وهـٰذا يدل علىٰ أسبقية عرشه علىٰ ما خلق ، ثم خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، يعلم السر والظاهر سبحانه لا إلـٰه إلا هو .

وعليه فالماء أساس الخلق والحياة معاً فهو الذي خلق منه كل شيء وهو الذي به ينبث كل شيء شاءه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (3) .

إن الماء اللين هو القوة التي عليها رفع عرش اللين والقوة فكان رحماناً

---

(1) هود ، 6ـ7 .
(2) الأنبياء ، 30 .
(3) الحج ، 5 .

ورحيماً وجباراً وشديد العقاب ، وفي هـٰذا الأمر الماء خير مثال للين والقوة ، فهو بين اليدين لين ، وهو عندما يسقط من الشلالات يولد القوة (الطاقة) وكذلك عندما يثور من البحيرات ويجري في الأنهار يصبح القوة الحاملة للسفن والمقلعة لأي قوة جاءت في سبيله .

وعليه ، فإن الماجد قد أفاض من مجده وشرفه وسخائه ، فخلق الخلق وأوجدهم وأخرجهم من طور الشيء إلىٰ طور الوجود ولم يترك خلقه عبثاً فقد أفاض عليهم من رحمته وهو الغني عنهم بأن رزقهم وتكفل بهـٰذا الرزق .

ولذا فالمجد لله الذي خلق السموات والأرض والعرش والأكوان المعلوم منها وما هو غيب بالنسبة لنا ، ومن الغيب الذي لا نستطيع رده ما ذكره ٱلله تعالىٰ بأن عرشه كان علىٰ الماء ، وهنا يمكن أن نخرج بمعنىٰ رقيق أن عرشه قد يعني قدرته التي جعلت من الماء أصلاً لكل ألوان الحياة ، لهـٰذا لا نتعجب من أن الماء سبب الحياة علىٰ البسيطة لأن الدواب قد خلقوا من الماء ، وصدق ٱلله الماجد حين يبرز مجده في مظاهر عدة ويسوق لنا مظهر مجده في الماء ثم في مخلوقات تدل علىٰ مجده الشامخ فيقول تعالىٰ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ
خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ
وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ
وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا
جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم

بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (1) .

فمن مجده :

ـ أنه الواحد الذي لا إلـٰه غيره ، وفي هـٰذا المجد يكمن كل شرف يختص بفرديته واستحقاقه العبادة دون شريك ولا منازع ، وهـٰذا الأمر يظهر بارزاً في قوله تعالىٰ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ وهـٰذا ما أرسل ٱلله به أنبياءه ، ومن سار علىٰ نهجهم في خلافة ٱلله في أرضه وإظهار مجده الكامل في فرديته ، وهـٰذا هو سر خلق الإنس والجن ، قال ٱلله تعالىٰ :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (2) .

فمهمة التذكير هي مهمة الخليفة الذي يتبع النبي ﷺ ، وهـٰذا الخليفة من الذين ينطبق عليهم قوله تعالىٰ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ فالخليفة الذي يدعو إلىٰ عبادة ٱلله الماجد ، ويعمر الأرض ، ويصلح حال البلاد والعباد بتذكيرهم بمجد الماجد ، وقلنا : إن من مجده عدم منازعته و مشاركته العبودية ومن هـٰذه المنازعة والمشاركة التي لا أصل لها القول الباطل بوجود زوجة وولد له تعالىٰ ٱلله علىٰ ذلك علواً كبيراً :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (3) .

(1) الأنبياء ، 25 ـ 35 .

(2) الذاريات ، 55ـ58 .

(3) الأنبياء ، 26ـ29 .

فللّه المجد في السموات والأرض ، إنه المجد الحق ، لما نشاهد من مخلوقات ومن خلق عظيم ، ولما لا نشاهد من حركة وسكون مع أننا نلحظ كل شيء ملاحظة ، فله الحمد علىٰ أمجاده التي منها خلقنا ومنها نشرب ونأكل ونشبع كل حاجة في نفوسنا بالحق ومن الحق الذي أحقه لنا الماجد جل جلاله .

ولأنه الماجد جعلنا بمجده نعتز بأننا من المستخلفين فيها ومن المصلحين ، وجعلنا بمجده علىٰ الكبرياء فلا نركع ولا نسجد إلا له ولا نسجد لسواه ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (2) .

الماجد جل جلاله هو الواحد الأحد الذي لم يكن له كفواً أحد ولم تكن له صاحبة ولا شريك في الملك ، ينال الاعتراف به وهو علىٰ هـٰذا الصفات الحسان ويقبل بعبوديته لأجل رفض عبودية الآخرين الذين هم جميعاً من دونه ، ولذا فمن يؤمن به رباً ويطيعه عابداً حامداً وشاكراً يجد نفسه علىٰ أمجاد عظيمة من أمجاده العظيمة ، وهو في طاعته بالمطلق يجد نفسه حراً لا يركع ولا يسجد إلا له واحد أحد لا شريك له سبحانه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ

(1) آل عمران ، 13 ـ 15 .

(2) البقرة ، 125 .

شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (1) .

نعم ، قد اتخذ فريق الكفر والضلال من دون ٱلله أرباباً ليحصلوا علىٰ مجد زائل ، بل ليحصلوا علىٰ ذل دائم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (2) . وهنا سينقلب السحر علىٰ الساحر ويلقون الذل الذي توهموا أن فيه العز والمجد والشرف ، ويا لهول ما قالوا وما فعلوا وما أجرموا ! ! فتبعهم الشياطين من الإنس والجن ليصرفوهم عن المنهج القويم وعن الرسالة السامية التي خلقهم ٱلله عز وجل من أجلها ألا وهي عبادة ٱلله وحده دون شريك ، وهنا نذكر قصص فرعون وثمود والمكذبين من قبلهم ومن بعدهم وكيف كان مكرهم وكيدهم وكيف حق الماجد بقوته وقدرته وحكمه وعدله الحق عليهم فقال تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ (3) .

فهٰذا الفرعون ومن شاكله من قوم ثمود الذي لم يعلم أن المجد لله وحده فكانت عاقبته معنوية ، ومادية :

ـ **العقاب المعنوي** : بالخروج علىٰ سلطانه الوهمي الذي فيه الذل لا العز بخروج السحرة من ربقة سيطرته وهيمنته فقالوا له كما يقص علينا الكتاب المجيد من خلال سياق قصة المجرم المتكبر الذي يناوئ ٱلله في مجده بمحاربة نبيين من أنبياء ٱلله عليهما الصلاة والسلام : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ

(1) مريم ، 83ـ95 .
(2) مريم ، 81ـ82 .
(3) البروج ، 17ـ22 .

أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا
صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ
لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ
مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن
تَزَكَّىٰ ﴾ (1) .

نعم ، هـٰذا قول الذي يريد الخلافة المثلىٰ برد المتكبر عن كبره بدعوته للعدول عن الباطل إلىٰ الحق والاعتراف بأن المجد لله وحده ولا ينبغي أن يشاركه فيه أحد وفي هـٰذا عقاب معنوي له لعله يرجع إلىٰ الصواب ، وهـٰذا هو المراد من الدعوة اللينة التي استخدمها نبي ٱلله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخوه النبي هارون حين قال ٱلله لهما : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (2) . وقال النبيَّان موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ (3) .

فقال المجرم كما يحكي لنا ٱلله تعالىٰ : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ (4) .

فقال النبي موسىٰ عليه لصلاة والسلام : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (5) .

---

(1) طه ، 65ـ76 .
(2) طه ، 42ـ44 .
(3) طه ، 45ـ47 .
(4) طه ، 49 .
(5) طه ، 50 .

ـ **العقاب المادي** : فلما أراد النبي موسىٰ الخروج بعيداً عن هـٰذا الكافر الفاجر المتكبر : ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ [1] .

وهـٰذا العقاب المادي نجده في قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ [2] .

ولذا فتحقيق الخلافة المثلىٰ علىٰ الأرض يكون برد المتكبر عن كبره إلىٰ عبادة ٱلله الواحد الماجد ، وهـٰذا العمل مناط بالخليفة وهو جزء رئيس من إظهار مجد الماجد ، لأن ٱلله الماجد الذي له الكبرياء في ملكه ، لأنه واجده ومالكه قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [3] .

فهو سبحانه وتعالىٰ الماجد الذي خلق أسباب المجد التي نعرفها من سماء وأرض وغيرهما وما نعلمه وما لا نعلمه ، وهو الغني عن هـٰذه المخلوقات لإظهار مجده لأنه الغني بذاته عن الخلق الذي خلقه ، لذا فهو المستحق للحمد بكل الوجوه في جميع الأوقات والأماكن وعلىٰ جميع الأحوال .

فللّه الحمدُ ربّ السمـٰوات وَربّ الأرض ربّ العالمين ، فلا يستحق الحمد أحد سواه ، أي : فاحمدوا ٱلله الذي هو ربكم ورب كل شيء ، فإن مثل هـٰذه ، توجب الحمد والثناء . ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي : وكبّروه ، فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض ،

---

(1) يونس ، 90ـ92 .
(2) الإسراء ، 103 .
(3) الجاثية ، 36ـ37 .

وإظهارهما في موضع الإضمار لتخفيف شأن الكبرياء ، إنه الماجد العزيزُ الذي لا يُغلَب ، وهو الحكيم في كل ما قضىٰ وقدّر ، فاحمدوه وكبّروه ، وأطيعوه ، إنه ٱلله الواحد القهار .

وكبرياء الماجد ظاهر في كل شيء من الذرة إلىٰ العرش العظيم ، إنه معز الأولياء والوارثين المستخلفين علىٰ الحق بالحق ، في مقابل ذلك المقهورين بما يفعلون من مفاسد وكيد ومكر ، إنه الحكيم في عدله وإبداعه الخلق وإلزام العباد بعبوديته .

ومن مظهر مجده الفصل بين السماء والأرض وخلق الكائنات التي أسكنها السماء وكذلك الأرض ، وجعل ٱلله بقدرته من الماء سبباً للحياة ومصدراً لكل شيء حي علىٰ وجه البسيطة ، ولا يفعل ذلك إلا ٱلله الماجد الذي له المجد في السموات والأرض ، ولـٰكن فريق الباطل من المجرمين الكافرين قد توهموا أن هـٰذا المجد لغير الله ونسبوه لأوثان لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرراً ولا نفعاً فيخاطب ٱلله الذين كفروا بأن يروا مظاهر مجده في ما هو واضح للعيان ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ هـٰذا البيان الواضح لكل ذي لب ليس لديه إلا خيار واحد أن يؤمن بالله الواحد الماجد ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أم علىٰ قلوب أقفالها ؟ !

أولم ينظر هـٰؤلاء الذين كفروا بربهم ، وجحدوا الإخلاص له في العبودية ، ما يدلهم دلالة مشاهدة علىٰ أنه الرب المحمود الكريم المعبود ، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونهما رتقاً ، هـٰذه ليس فيها سحاب ولا مطر ، وهـٰذه هامدة ميتة ، لا نبات فيها ، ففتقناهما : السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، أليس الذي أوجد في السماء السحاب ، بعد أن كان الجو صافياً لا قزعة فيه ، وأودع فيه الماء الغزير ، ثم ساقه إلىٰ بلد ميت ، قد اغبرت أرجاؤه ، وقحط عنه ماؤه ، فأمطره فيها ، فاهتزت ، وتحركت ، وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، مختلف الأنواع ، متعدد المنافع ، أليس ذلك دليلاً

علىٰ أنه الحق ، وما سواه باطل ، وأنه محيي الموتىٰ ، وأنه الرحمـٰن الرحيم ؟ ولهـٰذا قال : ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ إنه الاستغراب ، إنهم ينظرون الآيات والإعجاز فيها ومع ذلك هم يكفرون ويظنون ويفسدون ويسفكون الدماء في الأرض بغير حق .

ومن مظاهر مجده البارزة للعيان تثبيت الأرض بالجبال الرواسخ حتىٰ تحفظ توازنها ، وشق ٱلله الطرق في الأرض لهداية الناس في أسفارهم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1) .

وَجَعَلْنَا في الأرض رواسي ، يعني : الجبال الثقال الثوابت . كيلا تميل ؛ ويقال : كراهية أن تميل بكم . وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً ، يعني : في الأرض وفي الجبال مسالك وأودية . والفجاج : جمع فج وهو كل شيء مخترق بين جبلين والسُّبل هي الطرق لكي يعرفوا ويرشدوا إلىٰ الممشىٰ السليم الذي يهديهم إلىٰ حيث يبتغون .

وهـٰذه الجبال الثوابت الرواسخ الشوامخ التي تأخذ الأبصار وتلفت الانتباه التي هي مظهر من مظاهر المجد والعظمة لها من الخشوع والرقة التي تثير عواطف ومشاعر عباد ٱلله الذين يريدون تحقيق الخلافة لله ولا سيما في اسمه الماجد ، ومن هـٰذه الرقة والخشوع قول ٱلله تعالىٰ عن الجبال في عدة مواضع منها : ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

(1) النحل ، 15 .

يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [1] .

قال تعالىٰ : ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] . إنها قوة الماجد المطلق الذي يقدر علىٰ الفعل المطلق متىٰ شاء وكيف يشاء ، فلَوْ أَنزلْنَا هـٰذا القرآن المعجزة الذي فيه أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحرامه وحلاله علىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ يا محمد خَاشِعاً خاضعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱلله ، فكيف لا يرق هـٰذا الإنسان ولا يخشىٰ ٱلله ؟ ! فأمر ٱلله الناس الذين هم أضعف من الجبل الأصم الذي عروقه في الأرض ضاربة ورأسه في شموخ السماء وكأنه مجدا بذاته أن يأخذوا القرآن بالخشية والشدة ، والخشوع ، فضرب ٱلله لذلك مثلاً ، فقال : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، والتفكر غير التذكر ، التفكر مستقبلي المطلع ، والتذكر ماضي التاريخ والعبر والقصص ، ولهـٰذا عليهم بالتفكر الذي فيه تتحقق المدركات العظيمة بما يدل عليها ، قال تعالىٰ لموسىٰ عليه الصلاة والسلام لما طلب منه أن يراه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] .

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا ﴾ القرآن قوة تركع به المخلوقات الراكعة والساجدة ، وتسبح به لله تعالىٰ كل المخلوقات التي منها الجبال المسبحة باسم الماجد العظيم ، الذي جعلها ظاهرة للأعين شامخة في اتجاه السماء لله رب العالمين ، فلو أنزلنا القرآن الكريم علىٰ جبل لرأيت الجبل

---

(1) الحشر ، 20ـ24 .
(2) الحشر ، 21 .
(3) الأعراف ، 143 .

من الراكعين والساجدين وهو علىٰ مدركات العقل التي تستوجب مخلوقاً مدركاً يتذكر ويتفكر ويعقل ما يقول وما يفعل ، ولـٰكن القرآن نزل علىٰ الخليفة وإليه وذلك لحسن خلقه في أحسن التقويم ، وبذلك لو نزل علىٰ الجبل لكان حاله حال الخليفة .

﴿ مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي : من خوف ٱلله خشية أن يكون ما أدىٰ حقه من التعظيم .

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ التشبيه بالجبال الصامدة الشامخة العصية الصماء وكل الصفات التي هي فيه لو أنزلنا عليه القرآن لرأيته خاشعاً لله تعالىٰ ، ولذا فلا قوة بالمطلق إلا لله الماجد عز وجل .

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ التفكر عملية عقلية مستقبلية تأمل وتخطط لأجل تحقيق الأمل ، والتفكر يؤدي إلىٰ الإدراك الواعي بالعلل والأسباب الكامنة خلف كل ظاهر ، قال تعالىٰ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) ، في التفكر اتعاظ بقصص سابقة من أجل مستقبل أفضل ، أو إظهار ما في الحاضر لأخذ العبر ولأجل التقصي والبحث في سبيل الاستفادة . فما سخره ٱلله للمخلوق في السموات والأرض إلا ليستثمره فيما يفيد حياته الحاضرة والمستقبلة ، وإذا ما تفكر عرف الحق وتدبر أمره بالإيمان لله رباً واحداً لا شريك له سبحانه جل جلاله . قال تعالىٰ : ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2) .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ الذي ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن

(1) الجاثية ، 13 .
(2) النحل ، 68 ـ 69 .

لَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ ولم تكن له صاحبة سبحانه لا إلـٰه إلا هو . إنه ٱلله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عز وجل .

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الغيب علم ولـٰكن لا أحد يعلم هـٰذا العلم العظيم غير ٱلله الذي بعلمه له وصف بأنه الماجد جل جلاله ، إنه عالم السر والعلانية . قال تعالىٰ : ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (1) .

﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي : رحمـٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما . قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ (2) بما أنكم تدعون ٱلله أيها المؤمنون ، فبأي اسم من أسمائه ادعوه ، سواء دعوتم ٱلله تعالىٰ أو دعوتم الرحمـٰن لا فرق في ذلك ، فدعاؤكم لم يخرج عن أسمائه الحسنىٰ . وفي جميع الحالات أنتم تدعون ٱلله . فلا تدعوا آخر من دونه . وهـٰذا لا يعني وجود ازدواجية ، بل يعني أن ٱلله واحد لا يُثنىٰ ولا يُجمع ولا يُعد بأي متوالية حسابية . نزلت هـٰذه الآية الكريمة حسبما رواه الواحدي عن ابن عباس رضي ٱلله عنهما بعد ما سمع بعض من المشركين رسول ٱلله ﷺ يدعو ربه بقوله (يا ٱلله يا رحمـٰن) فقالوا : « إنه ينهانا أن نعبد إلـٰهين ، وهو يدعو إلـٰهاً آخر » (3) . وكما يبدو أن لضعف اللغة أثراً سالباً علىٰ معرفة الدلالة بالدعاء السابق ، فرسول ٱلله ﷺ لم يقل في دعائه (يا اللَّه ويا رحمـٰن) بل قال

---

(1) غافر ، 19 ـ 22 .

(2) الإسراء ، 110 .

(3) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل . محمد أحمد كنعان ،بيروت ، دار لبنان ودار العلم للملايين ، الطبعة الأولىٰ ، 1984م ، ص 379 .

(يا الله يا رحمـٰن) فانعدام حرف الواو من دعاء رسول ٱلله تأكيد لا يصاحبه الشك في أن المدعو هو واحد لا شريك له ، ولأن الداعي يتضرع إلىٰ ربه بالرحمة ، فلا أفضل له إلا أن يدعوه بالرحمـٰن ، ولهـٰذا قال : (يا ٱلله يا رحمـٰن) . وفي الدعاء الافتراضي جاء (يا ٱلله ويا رحمـٰن) وفي هـٰذا الدعاء دخل حرف الواو الدال علىٰ إثبات وجود الآخر ، الذي ورد في عقول أولـٰئك المشركين وهو ما لم يقله الرسول في دعائه المبارك .

الرحمة لا يمكن أن تتم إلا بوجود طرفين ، طرف يمتلك مسببات الرحمة ، وطرف في حاجة ماسة لهـٰذه المسببات التي تطعمه من جوع وتؤمنه من خوف ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (1) . فالرحمة من الذي يمتلكها (الرحمـٰن) علىٰ الذي هو في حاجة إليها (الخليفة) . ولأن الخليفة استمد خاصية الرحمة من خالقه الرحمـٰن ، ولأن الخَلق بينهم فروق فردية من حيث القدرات والاستعدادات والإمكانات والمستوىٰ الإيماني ، لذا فهم يترتبون علىٰ السلّم القيمي للرحمة من حيث درجات الاقتراب والابتعاد عن (الرحمـٰن) قال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ (2) . فعمل الخير رحمة مطلقة من ٱلله بين الناس ، وعمل الشر لا مطلقة فيه بينهم . لذا تتوزع الرحمة بين الناس تناسبياً وبتماثل مع ما يُقدم من أفعال الخير كبيرة كانت أم صغيرة ، ما يجعل لها أثراً موجباً علىٰ كفة التماثل في ميزان الحسنات . ولهـٰذا بنو الإنسان (الخليفة) في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم لم يكونوا علىٰ حالة من المساواة علىٰ السلم القيمي للرحمة . مما يجعلهم علىٰ درجات من التفاوت من حيث الاقتراب والابتعاد من الرحمـٰن عز وجل . ولأن الخليفة يتعرض في حياته لظروف قد تجعله في حاجة لمن يُقدم له المساعدة ، نتيجة عوزه وفقره وبما هو عليه من ظروف ، أو

---

(1) قريش ، 4 .
(2) الزلزلة ، 7 ـ 8 .

نتيجة لِما ألم به من كوارث ، حتىٰ يتمكن من النهوض ومن مغالبة الصعاب . وفي المقابل هناك من تهيئة له الظروف حتىٰ أصبح قادراً علىٰ العيش السعيد وقادراً علىٰ مد يد العون للمحتاجين بدون منة ، ما يجعله علىٰ الكفة التي تستطيع أن تُقدِم المساعدة ، في مقابل الطرف الذي يستلمها أو يأخذها . وهـٰذه من دلائل الرحمة بين الناس .

إذاً الخليفة هو الذي تتجسد الرحمة في أقواله وأفعاله ، حتىٰ يكون رحيماً علىٰ نفسه وعلىٰ الذين تربطه بهم علاقات الأبوة والأمومة والأخوة وذي القربىٰ والجيرة حتىٰ تسود الرحمة بينهم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] . فمحمد ﷺ والذين معه هم الذين يؤمنون بمن استخلفهم وقبلوا أن يكونوا خلفاء بحملهم الرسالة (رسالة الخليفة) أما الذين خُلفوا ولم يقبلوا بأن يكونوا الخليفة فهم أولـٰئك الذين كفروا جحوداً ونكراناً لفضل من استخلفهم في الأرض . هـٰؤلاء هم الذين أعطاهم المستخلف العقل فكفروا بما أعطي لهم ، وهم الذين عرض عليهم الأمانة وقبلوها ثم بعد ذلك تخلوا عن حملها ، وهم الذين أنعم ٱلله عليهم بنعم لا تحصىٰ ولم يُقدِّروها أحسن قدرها هـٰؤلاء هم المعنيون بالكفرة الذين لا يمكن أن يكونوا الخليفة .

الخليفة هو الرحيم الذي يلين قلبه ويرق لقول الحق وفعل الخير ، ومساعدة المحتاج ، ورعاية اليتامىٰ ، ومناصرة المغلوب ظلماً ، ورفع الضيم عن المضيوم .

وبما أن من أسماء ٱلله تعالىٰ وصفاته الرحيم ، إذاً بطبيعة الحال من يخلفه يجب أن يكون رحيماً ، حتىٰ تُستخلف الرحمة بين الناس ، لتعم بينهم ويتوادوا بأعمال الخير . ولهـٰذا كانت عواطفنا ترق بحالنا حتىٰ نرق علىٰ غيرنا بإحسان ، ويعطف الصغير علىٰ الكبير مثلما يعطف الكبير علىٰ الصغير وإلا هل

---

(1) الفتح ، 29 .

هناك من يخلف شيئاً ولا يترك فيه شيئاً من صفاته ، ولهـٰذا جميع الكائنات تخلف بعضها البعض بصفاتها وخصائصها ، وعلم الجينات يثبت ذلك بكل وضوح .

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك .

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء ، القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به .

المَلِك هو الذي له المُلك وله السيطرة الكاملة عليه . والمَلِك الحق ، هو الملك غير المزيّف ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [1] . فرب العرش الكريم هو الملك الذي لا إلـٰه إلا هو جل جلاله ، والعرش الكريم هو الذي منه تُستمد المكارم (مكارم الأخلاق ومكارم العطاء) . ولذا فهو الغني في ذاته وصفاته ويحتاج له كل أحد وهو لا يحتاج لأحد ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [2] . ألا له الخلق ، تعني مما تعني ألا له تعود ملكية الخلق والأمر ، والأمر جاءت مطلقة فهي تعني أي أمر ، سواء الحياة أم الممات ، أم البعث والثواب والعقاب ، وله أمر الحركة والزمان فتبارك ٱلله ربُّ العالمين .

فله الخلق والأمر : إنه مالكهم ومالك أمرهم ، فالشعوب التي من بينها سادة وعبيد ، هم شعوب المالك والمملوك ، وبناء علىٰ الآية السابقة فإن الملك الحق ، هو الذي يملك المالك والمملوك ، وأمر التصرف فيهم ، كجزئية من مُلكٍ عام لكل ما في السمـٰوات والأرض ، ولهـٰذا فإن المَلِك يملك الخليفة وما يمتلكه الخليفة من مال وثروة وقوة ومنافع ومغانم وعلوم

(1) المؤمنون ، 116 .

(2) الأعراف ، 54 .

ومعارف ، ويملك ما لم يتمكن الخليفة من معرفته : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [1] . هناك من يعتقد أن الكرسي هو العرش ولـٰكن الصحيح هو : « أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه » [2] الكرسي هو المحفوظ بالعرش ، والكرسي هو الذي وسع كل السمـٰوات والأرضين ، ولذا فالعرش يسع الكرسي ، والكرسي يسع السمـٰوات والأرض ، إنه المُلك الواسع الذي وسع كل شيء خلقه ، فلك الحمد ربّ لا إلـٰه إلا أنت الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، فسبحان ٱلله عما يشركون .

ولأن المَلِك هو الذي بيده أمر المُلك ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [3] . بما أنه هو مالك المُلك الحق ، إذاً له الحق في أن يتصرف فيه كيفما يشاء ومتىٰ ما يشاء ، دون أي اعتراض علىٰ مشيئته . وعليه فإن المَلِك الحق هو الذي يملك ويتصرف ، والتصريف هو حُسن التسيير للحركة والسكون عبر الزمن ، ما جعله يخلق كل شيء بميزان ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [4] . هـٰذه الآية موجهة للخليفة لكي يعدل فيما يملك بالحق ، هـٰذا ما يراد له أن يكون أما ما هو كائن فالمفسدون في الأرض كثيرون ، ولو لم يكن الإفساد في الأرض ما نزلت الآيات الدالة علىٰ العدل والوزن بالقسط والتراحم بين الناس وقول الحق وفعل الحق .

المَلِك الحق هو الذي يملك المُشَاهد والمُجرد ، يملك الكائنات والمادة القابلة للمشاهدة ، ويملك فوق ذلك السمع والأبصار غير القابلة للمشاهدة .
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

---

(1) البقرة ، 255 .
(2) تفسير ابن كثير ، ج 1 ، ص 681 .
(3) الشورىٰ ، 49 ، 50 .
(4) الرحمـٰن ، 9 .

﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (1) . وإلا هل هناك من يرىٰ السمع والبصر ؟ ! نحن بني الإنسان الذين خُلقنا في أحسن تقويم ، لا نرىٰ ذلك ، مع أننا نرىٰ العيون المبصرة والآذان المُنصتة ، والفرق كبير بين السمع وبين الحاسة السمعية ، وبين البصر والعيون المبصرة ، فالحواس تشاهد ووظائفها لا يمكن أن تشاهد ، ولهٰذا من حيث التقريب فالذي يمتلك الحواس هو من خلقت له ، والذي يملك السمع والأبصار هو خالقها ، ولهٰذا فأمر مشاهدتها لم يكن علىٰ المستوىٰ الحسي الذي عليه خُلقنا . ومن هنا بدأ القصور يُرافقنا حتىٰ النهاية ، ولذا فمن الممكن لنا أن نكون ملوكاً ، ولٰكن من الصعب علينا أن نكون ملوك الحق . فالملك الحق هو الذي لا يرافقه القصور ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يأخذه خوف ولا طمع .

المُلكُ خير ، والمَلِك مالك الخير ، وجاء علىٰ رأس المُلك الخير : الحياة والممات والجنة والنار ويوم البعث العظيم . وجاء داخل الحياة والممات خيرات حِسان ، وجاء داخل الجنَّة والنار خيرات كثار ، وجاء يوم البعث خير سرمدي . وبما أنّ المَلِك هو مالك الخير ، إذاً هو الذي بيده المُلك ، ومع أنَّ المُلك بيده ، ولا تصرف فيه إلا بأمره ، إلا أنه جعلنا الوارثين : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (2) . العاقبة هي الأفعال المترتبة علىٰ ما تم فعله علىٰ الأرض ، فإن كان عمل خير تكون العاقبة ثواباً ، وإن كان عمل شر تكون العاقبة عقاباً . ولأن كل فعل يترتب علىٰ فعلٍ ، جاء التوريث مترتباً علىٰ وجود الخليفة ، ومن هٰذه الآية الكريمة ندرك وجود غاية واحدة من وراء جعل الخليفة في الأرض وفعل التوريث فيها .

---

(1) يونس ، 31 .
(2) الأعراف ، 128 .

« القدُّوس » اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، والقداسة تعني الطهارة ، والتقديس يعني : التطهير ، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1) ، يُفهم من هـٰذه الآية الكريمة الاستغراب الملائكي علىٰ جعل الإنسان خليفة في الأرض ، ولهـٰذا قال الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ، جاءت هـٰذه الآية علىٰ لسان الملائكة بأسلوب تساؤلي ، استغرابي ، وذلك لِما أدهشهم من مفاجأة . كيف يمكن أن يكون خليفة ليقدِّس ٱلله تعالىٰ ومن أعماله وأفعاله الفساد في الأرض التي يود له أن يكون خليفة فيها . وذلك لأن الملائكة يؤمنون بالإصلاح في الأرض ولا يُفسدون فيها . قال : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هـٰذه لم تكن الإجابة ، بل إنها تحمل في مضمونها أنَّ هناك ما يبرر ذلك ، وهو علم الغيب الذي لا تعلمه الملائكة ، وهـٰذا المبرر هو الذي يستوجب استخلاف الإنسان في الأرض . علىٰ ضوء ذلك علَّم آدم الأسماء كلها ، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (2) . فالذي كان عِلم غيب ، هو الذي أصبح معرفة تامة بعد أن تعلَّمه آدم من ٱلله العليم الحكيم ، الذي بدوره أنبأ به الملائكة الذين كانوا به يجهلون ، ولأن الملائكة يُسبِّحون ٱلله ويقدسونه ، فلمَّا أنبأهم به آدم ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ هـٰذه الآية هي دليل مباشر للتسبيح والتقديس لله تعالىٰ .

والتقدُّس في اللغة يعني التطهُّر . والتطهُّر يعني التخلص من الشوائب التي تعلق بما ينبغي أن يكون نظيفاً . ولذا من خُلقَ أن يكون نظيفاً يجب أن

(1) البقرة ، 30 .
(2) البقرة ، 31ـ33 .

يحافظ علىٰ نظافته ، حتىٰ لا يتعارض مع ما يراد له أن يكون عليه من قبل خالقه . وإذا لم يحافظ علىٰ ذلك فسيجد نفسه أمام مخالفات ليس له بدٌّ من المسائلة عليها ، والمحاسبة علىٰ الأعمال والأفعال التي تستوجب تصنيف السالب مع السالب مع العقاب أو العفو ، والموجب مع الموجب مع الثواب والجزاء الأوفر .

إن تقديس الملائكة لله تعالىٰ ، دليل إثبات قوة الارتباط الروحي والتعلُّق بصفاء مع الخالق ، ولهٰذا فالتقديس تعبُّد وعبادة ، تعبُّد بما يرضي ٱلله ، وعبادة لله وحده .

جاء في لسان العرب المحيط ، قدُّوس علىٰ وزن فعُّول ، وهو من أبنية المبالغة ، ويعني الطهارة .

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس القدس البركة ، والأرض المقدسة أي المباركة . ولذلك عندما يقال البيت المقدس ، والأرض المقدسة ، يعني بذلك الأماكن المباركة التي خصها ٱلله تعالىٰ بهٰذه الصفة . ولأنها كذلك تهوي أفئدة الناس إليها ، وتلتقي فيها لتسبح ٱلله وتقدسه ، وهي تتبرك في أماكن التخصيص بالبركة . ولأجل ذلك فالذين تهوي قلوبهم لهٰذه الأماكن المطهرة هم الذين يسارعون في إعلان الطاعة ، وإظهار أفعال التقديس في القول والفعل ، ليكون المكان المقدس شاهداً عليهم إلىٰ الأبد الذي يُسبحون إليه .

﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص ، المصدق رسله بالمعجزات . المهيمن : الرقيب الشهيد علىٰ عباده بأعمالهم .

وورد اسم (السلام جل جلاله) في كتاب (ولله الأسماء الحسنىٰ) للسيد أحمد عبد الجواد أنه « هو الذي سلمت ذاته وصفاته وأفعاله من كل ما لا يليق بكماله . وكذلك من اسم السلام اشتق الإسلام وهو

دين ٱلله » [1] مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [2] .

ويقـول الإمـام ابـن القيـم : فـي اسـم السـلام جـل جـلالـه قـولان : « أحدهما أنه مصدر وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه ، والمعنىٰ أنه ذو السلام وذو العدل علىٰ حذف المضاف ، والثاني أن المصدر بمعنىٰ الفاعل أي السالم كما سمّيت ليلة القدر سلاماً أي سالمة من كل شر ، بل هي الخير لا شر فيه » [3] .

قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [4] . في هـٰذه الآية كل اسم من أسمائه الحُسنىٰ يؤكد علىٰ الصفة التي تسبقه ويحتويها ، فالمَلِك هو ٱلله ، والقدوس هو ٱلله ، والسلام هو ٱلله ، ولذا فإن جميع الأسماء الحُسنىٰ هي ٱلله جل جلاله . ولأنها هي ٱلله تعالىٰ فهي بطبيعة الحال تحتوي كل صفات الكمال فيها . ولذلك فإن اسم ٱلله تعالىٰ يحتويها .

ومع أنَّ هـٰذه الآية ثلاثية الأبعاد إلا أنها نزلت وحدة واحدة متماسكة بنياناً مرصوصاً ، فالبعد الأول : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . في هـٰذا البعد ينفي وجود إلـٰه غيره ، ويتم التأكيد علىٰ أنه ٱلله الذي لا شريك له في الأمر ، إنه ٱلله واحد أحد ولا وجود لغيره . وهـٰذا يعني إذا كان هناك من يعتقد بوجود لغير ٱلله تعالىٰ فلن يجده ، ولن يجد له مكاناً ، ولن يجد له صفات . ولذلك لقد كفر الذين قالوا إنَّ ٱلله ثالث ثلاثة : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ

---

(1) أحمد عبد الجواد ، ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها . الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ص 37 .

(2) آل عمران ، 19 .

(3) مشرف علي عبد الله ، منهج ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنىٰ . الدمام ، دار ابن الجوزية ، الطبعة الأولىٰ ، 2005 ، ص279 .

(4) الحشر ، 23 .

ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (1) .

والبعد الثاني : ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ ﴾ . هـٰذه الأسماء جميعها هي ٱلله الذي تم التأكيد عليه بالبعد الأول ، بأنه لا إلـٰه إلا هو . وهـٰذا يعني أن هـٰذه الأسماء وغيرها من الأسماء الحُسنىٰ هي غير متعددة ، بل هي صفات تتعدد ، أي أنها صفات لواحد لا يتعدد . ولذلك فإن القاعدة هي : تتعدد الصفات للواحد ولا يتعدد الواحد في صفاته . فالكريم عندما يكون صادقاً ، وعادلاً ، يظل هو مفردة واحدة وصفاته متعددة ، ولهـٰذا فإن ٱلله واحد أحد وصفاته متعددة ، فالحمد لله الواحد المتعدد الصفات الحسان .

والبعد الثالث : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ هـٰذا البعد يؤكد بالتمام مقاصد البعدين السابقين بأن ٱلله واحد أحد ، وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أي هو الذي له الأسماء الحُسنىٰ ، ولذلك جاء قوله تعالىٰ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ لينفي وجود الشريك ويؤكد علىٰ الواحد الأحد متعدد الصفات .

السلام : هو السالم من كل علة ، وهو الكامل غير المنقوص ، وهو الظاهر الذي لا تراه الأبصار ، وهو الكامن الذي تدركه العقول ، وهو الحي الذي لا يموت ، وهو الحق الذي تؤمن به القلوب .

السلام الحق هو ٱلله تعالىٰ ، والسلام بالإضافة هو الخليفة . ولذا فإنه السلام الحق لكمال صفاته ، أمَّا السلام بالإضافة (الخليفة) فيرتبط بدرجة الالتزام بما يأمر السلام الحق . ولذلك السلام الحق جاء مطلقاً بلا شروط ، والسلام بالإضافة لا يتم إلا بالتزام شرطي وفقاً لنص من السلام الحق ، وهي

(1) المائدة ، 73 .

(الشرعة) . التي إن التزم بها قولاً وفعلاً كان الخليفة في الأرض ، وإن لم يلتزم قولاً وفعلاً فلن يكون الخليفة ، وذلك لنقصه عمّا يراد له أن يكون عليه من شِرعة . ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [1] . ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم ﴾ تعني بيَّن لكم كل شيء في الدين ، والدين عند ٱلله هو الإسلام ، والإسلام لا يعني الرسالة المحمدية فقط ، بل كل الدين من عند ٱلله واحد ، وهو الإسلام الذي كان خاتم أنبيائه محمد رسول ٱلله ﷺ . ولهٰذا لا نفرق بين أحد من رسله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [2] . وقال خير قائلاً : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

بناء علىٰ ما تقدم فإن السلام الحق ، شرَّع شريعة تستوجب الاتباع من قبل من يراد له أن يكون الخليفة ، ولهٰذا التزم رسول ٱلله ﷺ كما التزم من قبله الرسل الذين اصطفاهم ٱلله لِيُبلغوا رسالاته ، والذين برسالاتهم أسلم المسلمون وآمنوا ، حتىٰ أصبحوا هم السلام بالإضافة . وفي مقابل ذلك كان غيرهم خوالف ، ولهٰذا أصبح المؤمنون هم الخليفة ، وأصبح غيرهم ، هم الخوالف .

في سورة الحشر الآية (23) سابقة الذكر جاء اسم (السَّلام) مرتباً في الموضع السادس ، هٰذا الأمر جعله في وضع التأكيد علىٰ ما سبقه من صفات ، ويجعله في وضع الاحتواء لِما يأتي من بعده من صفات لله تعالىٰ ،

(1) الشورىٰ ، 13 .
(2) البقرة ، 285 .
(3) الجاثية ، 18 .

وهي التي بدورها لا تأتي إلا لتؤكد علىٰ كل صفة سابقة عليها .

﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ العزيز هو الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه ، والْجَبَّارُ هو الذي جَبَرَ خلقه علىٰ ما يشاء ، والْمُتَكَبِّرُ هو المتكبر عن كلّ شرّ » [1] . العزة رفعة لا تُستمد إلا من رفيع يمتلك القوة الساندة والداعمة والدائمة ، والقوة مدد تمتد من مصدر انبعاثها إلىٰ حيث تكون وتترك أثراً موجباً علىٰ من يستغيث بمالكها بتقويته ومناصرته فيما هو حق ، وتفاجئ الخصم بإضعافه حيثما أصابته .

العزة لله في ذاته وصفاته وملكوته ، ولمن استمد القوة منه مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] . فللَّه العزة يقول ابن منظور في لسان العرب المحيط : « له القوة والغلبة » [3] .

قال العلامة عبد الرحمـٰن ابن ناصر السعدي : « نزلت هـٰذه الآية بعد أن صار بين بعض المهاجرين والأنصار بعض كلام كدَّرَ الخواطر ؛ ظهر حينئذٍ نفاق المنافقين وتبيَّن ما في قلوبهم ، وقال كبيرهم عبد الله ابنُ أبي ابن سلول : ما مثلنا ومثل هـٰؤلاء ـ يعني : المهاجرين ـ إلا كما قال القائل سمِّن كلبك يأكلك . وقال : لأن رجعنا إلىٰ المدينة لَيُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ؛ بزعمه أنه هو ومن معه من المنافقين الأعزُّون ، وأنَّ رسول ٱلله ومن تبعه هم الأذلُّون » [4] .

وأخرج البخاري عن زيد بن أرقم ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : سمعت عبد الله

---

(1) تفسير الطبري ، ج 23 ، ص 304 .
(2) المنافقون ، 8 .
(3) لسان العرب المحيط . المجلد الثاني ، ص 764 .
(4) عبد الرحمـٰن ابن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمـٰن ، الرياض ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولىٰ ، 1435 ، ص1027 .

ابن أُبي ابنُ سلول المنافق يقول لأصحابه : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول ٱلله حتىٰ ينفضوا ، فلئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته ، فأرسل رسول ٱلله إلىٰ عبد الله بن أُبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فكذَّبني وصدقه ، فأصابني شيء من الحزن لم يصبني مثله ، فجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردتَ إلا أن كذَّبك رسول ٱلله ﷺ ومقتك ؟ فأنزل ٱلله تعالىٰ قوله : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إليَّ رسول ٱلله وقال : (إنَّ ٱلله قد صدَّقك) بقوله تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ »[1] .

العزة مناصرة ، بها يُعزَّز الحق ويضعف الباطل ، وفي الآية السابقة يُضرب المثل لذلك حيث إظهار الحقيقة بصدق زيد بن أرقم ، وكذب من حلفوا علىٰ صدقٍ وهم كاذبون ، فزيد الذي كان علىٰ حقٍّ جاءته العزة من ٱلله تعالىٰ تناصره ، وعبد الله بن أبي ابن سلول جاءته الهزيمة نِتَاجَ كذبه ضعفاً .

(**الجبار**) : اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، وصفة من صفاته الحسان مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾[2] .

وفي لسان العرب المحيط ، الجبار : « الله عز اسمه القاهر خلقه علىٰ ما أراد من أمر ونهي ، وهو المتكبر الذي لا يرىٰ لأحد عليه حقاً »[3] .

الجبار : صفة مطلقة لله تعالىٰ ، الذي بجبروته فعَّال لما يُريد . وصفة نسبية للعباد ، والصفة النسبية تنقسم إلىٰ قسمين :

---

(1) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ص 744 .
(2) الحشر ، 23 .
(3) لسان العرب المحيط ، ج 1 ، 394 .

الأول : صفة إيمانية : حيث اتصاف المؤمن بصفات من يؤمن به وهو الجبار الحق جل جلاله . وهـٰؤلاء هم الذين يستمدون جبروتهم من الجبار العظيم ، ولا يظلمون أحداً . وهم الخلفاء في الأرض الذين سيجازون الجزاء الأوفىٰ .

والثاني : صفة إنكار وجحود وكفر : وهي من نصيب الذين يظنون أنهم مصدر للقوة والجبروت ، وكأنه لا خالق من ورائهم ، أي وكأنهم وُجِدوا هـٰكذا ضربة عشواء . وهـٰؤلاء هم الخاسرون الذين لو اجتمعوا لن يخلقوا ذبابة واحدة . وهـٰؤلاء هم الظالمون ، الذين ظلموا أنفسهم ويظلمون الآخرين ، وبأعمالهم هـٰذه هم الذين سيجازون العذاب العظيم من الجبار الحق جل جلاله .

الجبار كما ورد في لسان العرب المحيط هو : « العالي فوق خلقه ، وجبَّار علىٰ وزن فعَّال من أبنية المبالغة » [1] .

والجبار بغير حق ، هو العاتي المتكبر الذي لا يلتفت لمن يجب الالتفات إليه ، وهو كما يظن لا أحد من قبله ولا من بعده ، وهـٰذا ما نهىٰ ٱلله تعالىٰ عنه بقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [2] . وفي الحديث : « أن رسول ٱلله ﷺ ، حضرته امرأة فأمرها بأمر خير فأبت أن تفعل فقال رسول ٱلله ﷺ لمن حوله : « دَعوها فإنها جبَّارة » [3] أي أنها عاتية متكبرة . وفي ذلك يقول الشاعر :

ولا تمشِ فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفعُ
وإن كنت في عزٍّ وحِرز ومَنعة فكم مات قوم وهمو منك أمنعُ

والجبار من غير حق هو الذي يملأ قلبه التجبُّر والقسوة ولا تدخله الرحمة

(1) المصدر السابق ، ج1 ، ص 395 .
(2) الإسراء ، 37 .
(3) لسان العرب المحيط ، ج1 ، 375 .

ولا يقبل موعظة ، وهو ما نهىٰ ٱلله عنه ، بقوله تعالىٰ : ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ (1) . الآية موجهة لتأييد الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجيهه إلىٰ عمل الخير دون إجبار أو إكراه ، فالله يعلم بما يقولونه عن الرسول والدين الذي ارتضىٰ ، فالله لا يود لرسوله أن يستعجل ، إنه يمهل ولا يهمل ، فيريده أن يقول لهم قولاً ليناً ، حيث لا إكراه في الدين ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) . فباللين والتسامح تسود العزة والمناصرة للدين ، وبالتجبُّر والتكبُّر يسود الإكراه له . وحتىٰ لا يسود التجبر والتكبر قال عز وجل : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ .

والجبر خلاف الكسر ، وهو الربط والاتصال والتماسك والمتانة ، والجبر يُستمد من الجبَّار تعالىٰ ، الذي يجبر المكسور بقوته ، ويجبر الخواطر بعد خوفٍ أو شقاق ونزاع أو تباين واختلاف أو صراع وصدام مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (3) .

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ أي : تنزيهاً لله تعالىٰ عما يشركون من الآلهة الباطلة .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ ﴾ هو المعبود الخالق ، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره ، ولا خالق سواه ، البارئ الذي برأ الخلق ، فأوجدهم بقدرته ، المصوّر خلقه كيف شاء ، وكيف يشاء أي مصور المخلوقات ومركبها علىٰ هيئات مختلفة (4) .

---

(1) ق ، 45 .
(2) البقرة ، 256 .
(3) الفتح ، 4 .
(4) تفسير الطبري ، ج 23 ، ص 305 .

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أسماء الجمال والكمال والقوة والقدرة ذات الصفات التي لا تحصىٰ ، ولذا فالتسعة والتسعون اسماً ليست هـٰذه النهاية فصفات ٱلله الحسنىٰ جل جلاله لا تحصىٰ .

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي : ينزهه ويعبده حتىٰ وإن لم نفقه تسبيحه ، والحال جميع ما في السموات والأرض .

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز « هو الذي لا يمتنع مما أراده والغالب علىٰ أمره ، والحكيم ، في توفيقه للإيمان من وفَّقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفي إضلاله من أضلّ عنه ، وفي غير ذلك من تدبيره » [1] .

معنىٰ الآيات :

وعليه فلو أنزل هـٰذا القرآن العظيم علىٰ جبل بعد أن خلق فيه إدراكاً وتمييزاً كما خلق ذلك في الإنسان لرؤية ذلك الجبل خاشعاً متصدعاً متشققاً من خشية ٱلله أي من الخوف من ٱلله الماجد لعله قصّر في حقه وحق كتابه ما أداهما علىٰ الوجه المطلوب ، وفي هـٰذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه . ثم أخبر ٱلله تعالىٰ أنّ ما ضرب من أمثال في القرآن ومنها هـٰذا المثل المضروب بالجبل . يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلىٰ طريق كمالهم وسعادتهم ، ثم أخبر تعالىٰ عن جلاله وكماله بذكر أسمائه وصفاته فقال : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي : لا معبود بحق إلا هو الماجد المطلق ، عالم الغيب والشهادة أي السر والعلن والموجود والمعدوم والظاهر والباطن . هو الرحمـٰن الذي وسعت رحمته كل شيء ، والرحيم بعباده المؤمنين المستخلفين فيها .

لذا يتوجه ٱلله الذي له المجد في السموات والأرض للإنسان الذي يطغىٰ

---

(1) تفسير الطبري ، ج 16 ، ص 516 .

ويتكبر ويتجبر بمظهرين من مظاهر مجده هما الأرض والجبال فيقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [1] ، فهو نداء لمن أراد أن يتكبر بأن يرجع إلىٰ الصواب فلا يتكبر في نفسه باطناً ولا في هيئته ظاهراً بالمشي كبراً وغروراً لأنه لن يخرق الأرض بقدمه ولن يبلغ الجبال طولاً مهما حاول أن يتطاول في مشيته كبراً وغروراً .

ولماذا الكبر ؟ هل لشرف زائل ؟ أم لمجد غير مستحق ؛ لأن طالبه لا يملك أسبابه ، وقد أرشدنا معلم البشرية ﷺ إلىٰ أن ٱلله لا يرضىٰ عن المتكبر ولو كان في قلبه ذرة من كبر فقد قال ٱلله في الحديث القدسي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : يَعْنِي قَالَ اللهُ : « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحداً مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ جهَنَّمَ » [2] .

فكيف بمن نازعه الربوبية طلباً لمجد غير مستحق مثل الذي قال كما روىٰ لنا القرآن الكريم قصة فرعون مع موسىٰ وسنأخذ الآيات كاملة التي تقص لنا قصة طالب المجد فيقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ

(1) الإسراء ، 37ـ38 .
(2) مسند أحمد ، ج 18 ، ص 81 .

أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ (1) .

ومن مظاهر مجده جل وعلا :

* قال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (2) .

تضمنت هٰذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولىٰ : أن ٱلله جل وعلا جعل السماء سقفاً .

والمسألة الثانية : أنه جعل ذلك السقف محفوظاً .

والمسألة الثالثة : أن الكفار معرضون عما فيها من الآيات ، لا يتعظون ولا يتذكرون .

أما كونه جعلها سقفاً فقد ذكره في سورة « الطور » أنه مرفوع وذلك من قوله : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ (3) .

وأما كون ذلك السقف محفوظاً فقد بينه في مواضع من كتابه ، فبين أنه محفوظ من السقوط في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ (4) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (5) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (6) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ

---

(1) النازعات ، 16ـ46 .
(2) الأنبياء ، 32 .
(3) الطور ، 1ـ5 .
(4) الحج ، 65 .
(5) الروم ، 25 .
(6) البقرة ، 255 .

غَٰفِلِينَ ﴾ [1] . أمجاده لا تحصىٰ فقط للتذكير بما هو مشاهد وملاحظ ليتقي العباد خالقهم ولا يشركوا به أحداً .

ومن مظاهر مجده : قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [2] .

خلق الليل للنوم والراحة والنهار للعمل والسعي ، وخلق الشمس وما فيها من فوائد للكون وتسخيرها للخليفة لتعمير الأرض ، وخلق القمر نوراً مع النجوم لتزين السموات والأرض وتهدي إلىٰ السبيل ، وكذلك لمعرفة السنين والحساب ، وهـٰذا الخلق الذي لا يشاركه فيه أحد هو من الماجد ، وصدق ربنا الماجد إذ يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [3] .

ومن مجده في الشمس والقمر : ما يوضحه قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [4] .

والماجد المطلق الله سبحانه وتعالىٰ ، والماجد بالإضافة هو الذي يمجد الماجد والذي يحوي صفات المجد والتي منها ما ينطوي تحت تعريف المجد ، فالمجد المُرُوءةُ والسخاءُ والمَجْدُ الكرمُ والشرفُ ، المجد نَيْل الشرف .

---

(1) المؤمنون ، 17 .
(2) الأنبياء ، 33 .
(3) يونس ، 5ـ6 .
(4) إبراهيم ، 32ـ34 .

وهـٰذا هو مدار البحث في الصلة بين خليفة ٱلله في أرضه الذي يتخلق بأخلاق ٱلله وصفاته اقتداءً بالرسول الأعظم ﷺ الذي تخلق بأخلاق ٱلله المشمولة في منهجه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد كان خلقه القرآن وفي هـٰذا الخلق المجد كله والشرف كله ، ولمّا سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين عن خلق الحبيب ﷺ قالت كان خلقه القرآن وهـٰذا نص الحديث : عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : « أَتَيْتُ السيدة عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ؟ قَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ! قلْتُ : فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ . قَالَتْ : لا تَفْعَلْ ، أَمَا تَقْرَأُ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ، فَقَدْ تَزَوَّجَ رسول ٱلله ﷺ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ » [1] .

1 ـ (كان خلقه) أي : ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلىٰ غير ذلك ، وقال القاضي : أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنىٰ عليه ودعا إليه فقد تحلىٰ به وكل ما استهجنه ونهىٰ عنه تجنبه وتخلىٰ عنه فكان القرآن بيان خلقه . انتهىٰ . والعمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبيره وحسن تلاوته وبذلك عرف أن كمالات خلقه لا تتناهىٰ كما أن معاني القرآن لا تتناهىٰ وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر [2] .

فالمجد لله مطلقاً وللنبي ﷺ فيضاً وفطرة من ٱلله لنبيه وعصمة وللخليفة اقتداءً واتباعاً ، لذا يجب علىٰ الماجد بالإضافة أن يتخلق بأخلاق القرآن الكريم حتىٰ يكون كريماً ماجداً وبأخلاق النبي ﷺ الذي هو علىٰ خلق عظيم ولا أعظم من كلام ٱلله وصفاته وسنة رسوله الكريم خير خليفة استخلف للكافة .

(1) مسند أحمد ، ج 50 ، ص 116 .
(2) عون المعبود ، ج 1 ، ص 43 .

قال الشيخ القاسمي نقلاً عن الإمام ابن القيم في كتاب « طريق الهجرتين » : أكمل الخلق أكملهم عبودية لله تعالىٰ ، ولهـٰذا كان النبي ﷺ أقرب الخلق إلىٰ ٱلله تعالىٰ وأعظمهم عنده جاهاً ، وأرفعهم عنده منزلة ، لكماله في مقام العبودية . وكان ﷺ يقول : « أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي . إنما أنا عبد . وكان يقول : لا تطروني كما أطرت النصارىٰ المسيح ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد ٱلله ورسوله » .

وذكره سبحانه بسمة العبودية في أشرف مقاماته : آلا وهو في مقام الإسراء حيث قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (1) .

وفي مقام الدعوة : قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ (2) .

وفي مقام التحدي : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن

---

(1) الإسراء ، 1 ـ 3 .
(2) الجن ، 19 ـ 28 .

تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (1) .

ولأنه الماجد جل جلاله ، فأمجاده لا تعد ولا تحصىٰ وجميعها قائمة علىٰ الفضيلة والقيم الخيرة بين الناس .

والماجد هو الذي يُظهر أقواله وأفعاله آيات إعجازية ، تستمد منها القوة ولا يأتي بها غيره ، ولأنه الماجد يظهر أقواله وأفعاله ولا يظهر ذاته للناظرين إلا في الجنة ، ولذا فالخليفة هو الذي يفعل ما يقول حقاً ، أما أولـئك الذين يقولون ما لا يفعلون فهم البشر الذين يُحصون ولا يُعدون من ضمن المستخلفين في الأرض أي لا يعدون مع الذين يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الماجد الأعظم الذي استمدوا منه أمجادهم . قال تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (2) .

الماجد هو المضاعف للأعمال الحسان التي منها مضاعفة الأجر والحسنات : قال تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ

(1) البقرة ، 23 ـ 24 .

(2) الشعراء ، 217 ـ 227 .

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2] .

ولأنه الماجد فهو رفيع الدرجات : قال تعالىٰ : ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [3] ، ومن حسناته يضاعف الحسنات ولا يجازي بالسيئة إلا بمثلها وفي ذلك قال تعالىٰ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [4] ، وقال تعالىٰ : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [5] .

ومن صفات الماجد بالإضافة المستخلف في الأرض العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع وافر الصدقات في وجه الماجد عز وجل ، ولذا فالخليفة يصنع الأمجاد بكرمه وتكبره عن القول غير الطيب ، وتكبره عن أداء الفعل غير الطيب ، وهو الذي يعمل ليصلح ويفلح ويُعمِّر ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً . وبهٰذا يكون كريم الأصل وطيب المنبت والكرم والشرف وهي صفة جامعة لخصال الرفعة والسيادة ، وهٰذا حتىٰ يكون مقبولاً من جماعته فلا ترده إن أمرهم بمعروف أو نهاهم عن منكر فلا يتوهموا أنه يسعىٰ للحصول علىٰ شيء ليس لديه فهو غني عن مجدهم بمجده وعن فضلهم بفضله ، وهنا نعود لسيرة الحبيب ﷺ ونستلهم موقفاً من مواقف المجد حين رفض تهديد قريش له ونرىٰ ماذا روت السيرة النبوية لما شراً الأمر بينه وبينهم

---

(1) البقرة ، 261ـ264 .

(2) الزمر ، 10 .

(3) غافر ، 15 ـ 16 .

(4) الأنعام ، 160 .

(5) الحديد ، 11 .

حتىٰ تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول ٱلله ﷺ بينها فتآمروا عليه وحض بعضهم بعضاً عليه ثم إنهم مشوا إلىٰ أبي طالب مرة أخرىٰ فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد إستنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا لا نصبر علىٰ هـٰذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتىٰ تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتىٰ يملك أحد الفريقين أو كما قال ، ثم انصرفوا عنه فعظم علىٰ أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول ٱلله ﷺ ولا خذلانه [1] .

وذكر أن أبا طالب لما قالت له قريش هـٰذه المقالة بعث إلىٰ رسول ٱلله ﷺ فقال له : « يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فأبق علي وعلىٰ نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول ٱلله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هـٰذا الأمر ما تركته حتىٰ يظهره ٱلله أو أهلك دونه ما تركته ثم استعبر رسول ٱلله ﷺ فبكىٰ ثم قام فلما ولىٰ ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوا لله لا أسلمك لشيء أبداً » [2] .

وقيل في سيرة ابن هشام : « اجتمع رؤساء قريش مَعَ الرسول ﷺ بَعْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إلَىٰ مُحَمّدٍ فَكَلّمُوهُ ، وَخَاصِمُوهُ ، حَتّىٰ تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبَعَثُوا إلَيْهِ : إنّ أَشْرَافَ قَوْمِك قَدْ اجْتَمَعُوا لَك لِيُكَلّمُوك ، فَأْتِهِمْ فَجَاءَهُمْ رسول ٱلله ﷺ سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنّ أَنْ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِيمَا كَلّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءٌ ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصاً ، يُحِبّ رُشْدَهُمْ وَيَعِزّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ حَتّىٰ جَلَسَ إلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمّدُ إنّا قَدْ بَعَثْنَا إلَيْك لِنُكَلّمَك ، وَإِنّا

(1) عيون الأثر ، ج 1 ، ص 132 .
(2) عيون الأثر ، ج 1 ، ص 132 .

مَا نَعْلَمُ رَجُلاً مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَىٰ قَوْمِك ، لَقَدْ شَتَمْتَ الآبَاءَ وَعِبْتَ الدّينَ وَشَتَمْت الآلِهَةَ وَسَفَّهْت الأحْلامَ وَفَرّقْت الْجَمَاعَةَ فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إلا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَك ـ أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ـ فَإِنْ كُنْتَ إنّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالاً جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّىٰ تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً ، وَإِنْ كُنْتَ إنّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشّرَفَ فِينَا ، فَنَحْنُ نُسَوّدُك عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْك ـ وَكَانُوا يُسَمّونَ التّابِعَ مِنَ الْجِنّ رِئْيًا ـ فَرُبّمَا كَانَ ذَلِكَ بَذَلْنَا لَك أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطّبّ لَك حَتّىٰ نُبْرِئَك مِنْهُ أَوْ نُعْذِرَ فِيك . فَقَالَ لَهُمْ رسول الله ﷺ : « مَا بِي مَا تَقُولُونَ مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلاَ الشّرَفَ فِيكُمْ وَلاَ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَـٰكِنّ ٱللهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيّ كِتَاباً ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً ، فَبَلّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَإِنّ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لأَمْرِ ٱللهِ حَتّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ » [1] .

وفي أسماء ٱلله تعالىٰ « الماجدُ » ، والمَجْد في كلام العرب الشرف الواسع والشرف الواسع لله تعالىٰ ، هو المجِيدُ تَمَجَّد بِفعاله ، ومَجَّده خلقه لعظمته في قوله تعالىٰ : ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ يريد بالمجيد الرفيعَ العالي ، وفي حديث عائشة رضي ٱلله عنها : (ناوِليني المجيدَ) أي المُصْحَف هو من قوله تعالىٰ : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ ، وفي حديث قراءة الفاتحة مَجَّدَني عَبْدي أَي شرَّفني وعَظَّمني ، وهـٰكذا يخلق الماجد أمجاداً .

ومن المعاني الدالة علىٰ الاسم الماجد الارتفاع ، والعلو علىٰ المبالغة في الصفات والأفعال الحسان التي لا تحصىٰ ، ومن تمجيد الماجد الإقرار لله بأنه

(1) سيرة ابن هشام ، ج 1 ، ص 295 .

مالك يوم الدين وهـٰذا يؤكده قوله ﷺ في الحديث الشريف« عن أبي هريرة ، قال : « قال رسول ٱلله ﷺ : إذا قال العبد : الحمد لله ربّ العالمين ، قال ٱلله : حمدني عبدي . وإذا قال : الرحمـٰن الرحيم ، قال : أثنىٰ عليّ عبدي . وإذا قال : مالكِ يوم الدين ، قال : مجّدني عبدي . فهـٰذا لي . وإذا قَال : إيّاك نَعبُد وإيّاكَ نستعين إلىٰ أن يختم السورة ، قال : فذاكَ لهُ » [1] .

الماجدُ الحَسَن الخُلُق السَّمْحُ ، ورجل ماجد ومجيد إذا كان كريماً مِعْطاءً وفي حديث عليّ رضي ٱلله عنه أَمَّا نحن بنو هاشم فأَنجادٌ أَمْجادٌ أَي أشراف كِرام جمع مجِيد أَو ماجد كأَشهاد في شَهيد أَو شاهد [2] .

ومن صفات الخليفة المتخلق بالاسم الماجد :

ـ **حسن الخلق** : قال رسول ٱلله ﷺ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة [3] .

وسمح الخلق أي : سهل غير متشدد ولا فظ ولا غليظ . وصدق ٱلله إذ يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [4] .

الكريم سخي جواد : وأصل المجد في كلامهم : السعة يقال رجل ماجد إذا كان سخياً كريماً واسع العطاء ، وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم [5] .

ـ **معطاء مفضال** : الماجد المفضال الكثير الجود ، أو الحسن الخلق

(1) تفسير الطبري ، ج 1 ، ص 200 .
(2) لسان العرب ، ج 3 ، 127 .
(3) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ ج 3 ، ص 370 .
(4) آل عمران ، 159 .
(5) تفسير الخازن ، ج 3 ، ص 469 .

السمح ، وهو الذي يتأبىٰ أن يعمل رذيلة أو يخون أمانة أو يسرق أو يزني أو يكذب أو يفعل فاحشة ، ولهٰذا فالمفضال شريف طاهر القول والفعل والمظهر والجوهر .

وعليه فالماجد هو :

الشاكر : قال تعالىٰ : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝١٦٢ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (1) ، والخليفة الماجد بالشاكر للماجد المطلق يزده من فضله وواسع رحمته ، ولهٰذا فإن ٱلله شاكر بالزيادة علىٰ من شكره علىٰ ما آتاه من أمجاد . قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (2) .

الحامد : هو الخليفة الذي لا يرىٰ غير ٱلله رباً مطلقاً ، والحمد طمأنة علىٰ حالٍ وأمن من خوف وتعلق بالماجد الذي كان سبباً في كل ما من شأنه كان محققاً للطمأنينة . قال تعالىٰ : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

---

(1) البقرة ، 158ـ163 .

(2) إبراهيم ، 7 ـ 8 .

شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (1) ، ولذا فالحمد لله رب العالمين علىٰ مجده وجوده وكرمه وفضله الذي استخلف به المؤمنين في الأرض ونزع ما في صدورهم من غل وهم في الجنة من الوارثين . ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (2) .

ذو المغفرة : لا غافر لذنب بالمطلق إلا هو الماجد جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (3) .

الغفار : الغفار كثير الغفران ، من استغفر من عباده غفر له ، ومهما أخطأ إذا استغفر عن نية طيبة غفر له ، ولهٰذا فمن صفاته وأفعاله الغفران ، ولهٰذا فالماجد كريم غفار للذنوب والخطايا كلما أدركه الداركون . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (4) .

الراحم : الراحم هو الذي بيده الرحمة وهو رحمٰن رحيم ، والراحم هو ٱلله الماجد ، الذي يتصف في أمجاده بالمرحمة . قال تعالىٰ : ﴿ جَنَّٰتِ

---

(1) الفرقان ، 58ـ67 .
(2) الأعراف ، 43 .
(3) آل عمران ، 135ـ137 .
(4) طه ، 82 .

عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (2) .

المرحم : المرحم هو العفو ، وهو الذي يلين كلما التجأ عباده إليه ، وهو كثير المرحمة ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (3) . إذاً الماجد هو ٱلله الرحمـٰن الرحيم مالك يوم الدين . ولهـٰذا فالخليفة الماجد بالإضافة هو العابد للرحمـٰن الرحيم ، وهو الذي يستعين به علىٰ كل أمر من أمر دنياه فيما يرضيه وحده جل جلاله ، وهو الذي يأمل دائماً أن يكون في أمجاده علىٰ الصراط المستقيم .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (4) .

والشواهد علىٰ صفات التخلق بالمجد أكثر من أن تحصىٰ وهي من صفات الخليفة المتخلق بصفة الماجد جعلنا ٱلله وإياكم ممن يتصفون بها ويعملون بها !

اللهُمَّ يا الماجد اجعل حياتنا علىٰ أمجاد ، ولا تجعلها ساكنة مذلة ،

---

(1) مريم ، 61ـ64 .

(2) الإسراء ، 110 ، 111 .

(3) الفاتحة ، 2ـ7 .

(4) البقرة ، 37 .

واجعلها علىٰ الرفعة والرضا ولا تجعلها في هاوية مهانة حزنة ، اللهُمَّ إننا نشهد لا مجد إلا بك ، ولا عزة إلا بك ، ولا علم إلا بك ، ولا حكمة إلا بك ، ولا غنىً إلا بك ، ولا قوة ولا قدرة إلا بك ، ولا شيء يمكن أن يكون إلا بك ، فارحمنا !

اللهُمَّ يا الماجد أكرمنا المنزلة الرفيعة والدار الآمنة في الدنيا والآخرة ، واحشرنا مع عبادك أصحاب الدرجات العالية من النبيين والشهداء والصالحين !

اللهُمَّ يا الماجد إنّا نسألك رضاك والجنة وما يقرّب إليهما من قول وعمل ، ونعوذ بك من سخطك والنار وما يقرّب إليهما من قول وعمل ! اللهُمَّ زين قلوبنا بزينة الإيمان ، وطمئن نفوسنا بزنة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين ! اللهُمَّ أكرمنا حبك وحب من يحبك يا أرحم الراحمين !

الوَاحِدُ جَلَّ جَلَالُهُ

معنىٰ الواحد في اللغة يفيد الانفراد في الذات أو الصفة ، فتقول هو واحد أهل عصره تريد أنه قد انفرد بصفة ليس لهم مثلها ، وتقول ٱلله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثل والشبه .

الواحد : « اسم ٱلله تعالىٰ ، ولفظ (واحد) يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد ، ومن تتبع مواقعه في القرآن و غيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفاً لموصوف ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه ، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف » [1] .

وقال علي بن عيسىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ : الواحد ما لا ينقسم في نفسه أو معنىٰ في صفته دون جملته كإنسان واحد ودينار واحد ، وما لا ينقسم في معنىٰ جنسه كنحو هـٰذا الذهب كله واحد وهـٰذا الماء كله واحد ، والواحد في نفسه ومعنىٰ صفته بما لا يكون لغيره أصلاً هو ٱلله جل ثناؤه [2] .

والله هو الواحد في ذاته ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [3] ، الذي لم يلد ليكون أكثر من واحد أو أن يكون بعده واحد ، وهو الذي لم يولد فلم يسبقه واحد ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [4] .

---

(1) القائد إلىٰ العقائد ، ج 1 ، ص 136 .
(2) الفروق اللغوية ، ج 1 ، ص 400 .
(3) الإخلاص ، 1ـ2 .
(4) الإخلاص ، 3 .

الواحدُ بُني علىٰ انقطاع النظير وعَوَزِ المثل [1] ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [2] ، فلا أحد يعدل ٱلله الواحد ليصل إلىٰ درجة التكافؤ وهي التساوي المطلق بين طرفين [3] ، أي أن يكون مقابل للواحد يساويه بالمطلق ، وهـٰذا معدوم ، وإذا حل العدم اختص بالواحدية فهو الواحد الأحد سبحانه وتعالىٰ ، فهل من إلـٰه ادّعىٰ الخلق ؟ والإجابة لا ، هنا تأتي الآية المفحمة لكل كفار أثيم ، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4] ، ثم إن ربنا الواحد خلق ثم هدىٰ فأين المنكر من هـٰذا الفعل العظيم ، ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [5] ، « أي : أعطىٰ كل شيء من الأشياء الأمر الذي طلبه بلسان استعداده من الصورة والشكل والمنفعة والمضرة وغير ذلك أو الأمر اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع المطابق له كما أعطىٰ العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه » [6] .

كما انعدمت درجة التماثل ، يقول الواحد سبحانه وتعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [7] ، « حكم ٱلله تعالىٰ بأن مثل مثله ليس بشيء ، ولا شك أن كل شيء مثل لمثل نفسه ، وثبت بهـٰذه الآية أن مثل مثله

---

(1) تهذيب اللغة ، ج 2 ، ص 170 .
(2) الإخلاص ، 4 .
(3) الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، ج 1 ، ص 395 .
(4) النحل ، 17 .
(5) طه ، 50 .
(6) تفسير الآلوسي ، ج 12 ، ص 170 .
(7) الشورىٰ ، 11ـ12 .

ليس بشيء ينتج أنه تعالىٰ غير مسمىً بالشيء ، فإن قالوا إن الكاف زائدة ، قلنا هـٰذا الكلام معناه أن هـٰذا الحرف من كلام ٱلله تعالىٰ لغو وعبث وباطل ، ومعلوم أن هـٰذا الكلام هو الباطل ، ومتىٰ قلنا إن هـٰذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال .

كما أن لفظ الشيء لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء ، وأسماء ٱلله تعالىٰ يجب كونها كذلك ينتج أن لفظ الشيء ليس اسماً لله تعالىٰ ، أما قولنا إن اسم الشيء لا يفيد المدح والجلال فظاهر ، وذلك لأن المفهوم من لفظ الشيء قدر مشترك بين الذرة الحقيرة وبين أشرف الأشياء ، وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشيء حاصلاً في أخس الأشياء وذلك يدل علىٰ أن اسم الشيء لا يفيد صفة المدح والجلال ، وأما قولنا : إن أسماء ٱلله يجب أن تكون دالة علىٰ صفة المدح والجلال ، فالدليل عليه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (1) ، والاستدلال بالآية أن كون الأسماء حسنة لا معنىٰ له إلا كونها دالة علىٰ الصفات الحسنة الرفيعة الجليلة ، فإذا لم يدل الاسم علىٰ هـٰذا المعنىٰ لم يكن الاسم حسناً ، ثم إنه تعالىٰ أمرنا بأن ندعوه بهـٰذه الأسماء ثم قال بعد ذلك وَذَرُواْ الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه ، وهـٰذا كالتنبيه علىٰ أن من دعاه بغير تلك الأسماء الحسنة فقد ألحد في أسماء ٱلله ، فتصير هـٰذه الآية دالة دلالة قوية علىٰ أنه ليس للعبد أن يدعو ٱلله إلا بالأسماء الحسنىٰ الدالة علىٰ صفات الجلال والمدح ، وإذا ثبت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب » (2) .

وانتفاء التماثل علته تعالي الواحد عما سواه ، فالواحد أكبر من كل شيء

(1) الأعراف ، 180 .
(2) تفسير الرازي ، ج 1 ، ص 106 .

فتعالىٰ الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهو المراد من قوله : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ، وأما تعاليه عن كل شيء في ذاته ، فيحتمل أن يكون المعنىٰ جل بوجوب وجوده وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه ، وأن يكون المعنىٰ جلَّ بفردانيته ووحدانيته عن مشابهة شيء من الممكنات ، وأما تعاليه عن كل شيء في صفاته فيحتمل أن يكون المعنىٰ جل أن يكون علمه ضرورياً أو كسبياً أو تصوراً أو تصديقاً وفي قدرته أن يحتاج إلىٰ مادة ومدة ومثال وجلب غرض ومنال ، وأما في أفعاله فجل أن يكون الوجود والبقاء وصلاح حال الوجود إلا من قبله [1] .

فالواحد له أحدية الوجود ، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته ، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده ، وكل موجود آخر إنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة .

وهي من ثم أحدية الفاعلية ، فليس سواه فاعلاً لشيء ، أو فاعلاً في شيء ، فإذا استقر هـٰذا التفسير ، ووضح هـٰذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هـٰذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية [2] .

فالواحد المطلق هو المتمكن من الأحدية لعدم التماثل مع الغير لانتفاء وجود من يماثله جل في علاه لدواعٍ هي :

1 ـ التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف وهو الذات [3] . ولفهم هـٰذا الافتراض يجب أن نعرف عن الذات ما يؤكد عدم التماثل مع ذات

---

(1) تفسير الرازي ، ج 11 ، ص 381 .
(2) في ظلال القران ، سيد قطب ، ج 8 ، ص 127 .
(3) الفروق اللغوية ، ج 1 ، ص 481 .

أخرىٰ ، يجب أولاً البحث في ماهية الذات ، ولابد لهـٰذا النمط المعرفي من سلسلة افتراضات هي :

هل الذات جزء لكل ؟

هل الذات كل لأجزاء ؟

هل الذات مطلق ؟

لمناقشة الافتراض الأول نقول : لا يمكن أن تكون الذات جزءاً لكل لأن ذلك يقتضي وجود كلٍّ يتجزأ منه بفعل إرادي أو لا إرادي و بزمن استغراقي يتمخض لا محالة عن وجود أجزاء مكملة .

والذات منتفٍ عنها هـٰذا ، فلا توالد أوجدها ولا أوجد لها ، ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ [1] ، فالإيجاد (لم يولد) معناه حدوث وإقرار بأسبقية سواه عز وجل ، والتوالد(لم يلد) معناه الاشتراك في الصفة والحكم والفعل وهو ما ذهب إليه أصحاب الثالوث ، ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا ﴾ [2] . أي : أنهم جعلوا لله جزءاً كما يقول سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين ﴾ [3] .

وهـٰذا كفر مبين وادعاء مج لا يقبله العقل لأن الاشتراك يوجب أن تكون الأجزاء المكونة للكل بذات القدرة علىٰ الإتيان بفعل واحد في برهة واحدة

(1) الإخلاص ، 3 .
(2) النساء ، 171 .
(3) الزخرف ، 15 .

وبجودة متطابقة كليةً ، وهـٰذا وهم وقع فيه أصحاب هـٰذا الادعاء لأن ٱلله سبحانه وتعالىٰ يفوق عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بالمطلق ، ويعجز عيسىٰ عن أن يكون بعض ذات ٱلله بالمطلق وهو ما أقر به لسانه ﷺ كما يخبرنا العليم عز وجل فيقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (1) ، ولذا فإن الخالق لا يقارن بالمخلوق وذلك لانعدام التماثل ، وهـٰذا مرتبط بخلق عيسىٰ ﷺ فهو يمرض ويجوع ويغضب ويهلع ويضعف ثم بعد ذلك هو يموت ، فمن أين جاء الاشتراك مع ٱلله في صفة أو حكم أو فعل ؟

فالذات ليست جزءاً ، فهل تكون كلاً لأجزاء كما في الافتراض الثاني ؟

هـٰذا غير ممكن أيضاً لأن الكل قابل للتجزئة بكل حال من الأحوال ، مما يفضي إلىٰ وجود أجزاء متحدة للتكوين ، وهو يستلزم وجود قوة رابطة للأجزاء وكل ذلك محتاج ولابد من استغراق الزمن للتكون والاتحاد ، ثم بعد ذلك يتوجب اتفاق الأجزاء ، وهو أمر مستحيل كما يخبرنا الخبير عز وجل : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (2) .

بقي الفرض الثالث (المطلق) وهو يليق بوصف الذات لأن المطلق يدل

---

(1) المائدة ، 116ـ117 .

(2) الأنبياء ، 21ـ24 .

علىٰ الماهية بلا قيد [1] ، أي : ينتفي عن الوصف بالمطلق البداية والنهاية ، والزمن واستغراقه ، كما أن المطلق لا يحتويه الحيز وهو محتويه . والمطلق يوجب اتصاف الذات بإطلاقية الفعل ، فإذا عرفنا هـٰذا نسأل هل هناك ذوات تماثل ذات ٱلله في مطلقية الفعل ؟ الجواب بالطبع موجود في بقية الذوات فلا يوجد مماثل قادر علىٰ إقامة المماثلة مع ذات ٱلله سبحانه وتعالىٰ . ونقول الجواب في بقية الذوات لأن ذات ٱلله باقية من قبل ومن بعد فهو الباقي ، أما الذوات فإنها متغير ة ومتجددة ولـٰكن مع تغيرها ومع تجددها فهي غير قادرة علىٰ أن تماثل ذات ٱلله وإن سعت كل السعي .

2 ـ التماثل هو التعادل في تناظر وتناسب [2] . ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [3] .

يَعْدِلُونَ : من العدل بمعنىٰ العدول أو منه بمعنىٰ التسوية ، والكفر يحتمل أن يكون بمعنىٰ الشرك المقابل للإيمان أو بمعنىٰ كفران النعمة ، والباء يحتمل أن تتعلق بكفروا وأن تتعلق بـ : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ ، والمعنىٰ أنه سبحانه خلق هـٰذه النعم الجسام والمخلوقات العظام التي دخل فيها كل ما سواه ، ثم إن هـٰؤلاء الكفرة أو هـٰؤلاء الجاحدين للنعم يسوون به غيره ممن لا يقدر عليها وهم في قبضة تصرفه ومهاد تربيته [4] .

والعقل البشري مهما توسع ونضج وارتقىٰ فإنه عاجز عن إيجاد مُعادل يناسب ويناظر ٱلله جل تعالىٰ عما يشرك المشركون ، لأنه ٱلله الذي لا إلـٰه إلا هو ، ولأن ما سواه مطوق بالعجز عن معادلة ٱلله في فعل أو قول أو اسم أو

(1) محمد عبد الرءوف المناوي ، التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ، ج 1 ، ص 663 .
(2) معجم لغة الفقهاء ، ج 1 ، ص 145 .
(3) الأنعام ، 1 .
(4) تفسير الآلوسي ، ج 5 ، ص 220 .

صفة ، لذا فإن بعض الكفار عندما أرادوا إقامة المعادلة أعيتهم الحيلة فأقاموا المعادلة بين أرضي وأرضي لأنهم يعلمون علم اليقين أن ما من أرضي يعدل ٱلله في عرشه فقالوا للرسول وكما يخبرنا عنهم العليم الخبير جل في علاه : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [1] ، فالكفار لما سمعوا أن النصارىٰ يعبدون عيسىٰ قالوا إذا عبدوا عيسىٰ فآلهتنا خير من عيسىٰ ، روي أنه لما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [2] ، قال عبد الله بن الزبعرىٰ : هٰذا خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال ﷺ : بل لجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ، ألست تزعم أن عيسىٰ ابن مريم نبي وتثني عليه خيراً وعلىٰ أمه ، وقد علمت أن النصارىٰ يعبدونهما واليهود يعبدون عزيراً والملائكة يعبدون ، فإذا كان هٰؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي ﷺ وفرح القوم وضحكوا وضجوا ، فأنزل ٱلله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [3] . وهٰكذا فإن الكفار لم يستطيعوا إيجاد من يقومون بمعادلته بالله فكان مثالهم أن عادوا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بآلهتهم وهي معادلة فارغة من المعنىٰ والمضمون لأنها تفتقر إلىٰ مساحة علائقية تربط أطراف المعادلة .

3 ـ التماثل هو المشاركة في النوع والماهية لا مطلق المشاركة ، فالفرس الكيس وإن كان بالغاً في الكياسة ما بلغ لا يكون مماثلاً للإنسان لمخالفته له بالنوع وإن شابهه بالكياسة التي هي عارضة خارجة عن المقومات للإنسانية ؛ وأنت تعلم بأدنىٰ التفات أنه لا يتصور الشركة بين ٱلله تعالىٰ الحي

---

(1) الزخرف ، 57ـ59 .

(2) الأنبياء ، 98 .

(3) الأنبياء ، 101 .

العليم المريد القادر المتكلم السميع البصير وبين العبد المتصف بالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر إلا في إطلاق الاسم لا غير [1] .

وهـٰذه مسألة في غاية الأهمية لمن يريد معرفة الواحد سبحانه ، لأن النظير والشبيه منتفٍ للنقص الحاصل في الكل سواه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون .

ولنأخذ المخلوقات أولاً بأول لنعرف طبيعة النقص الحاصلة فيها مما يفقدها صفة الواحدية ، ولنبدأ بالإنسان الذي خصه الواحد سبحانه بأن كرمه فقال عنه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [2] ، لـٰكنه متبدل غير ثابت علىٰ هـٰذه الحال ، ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾ [3] ، فالإنسان له من الفضائل علىٰ المخلوقات الكثير الكثير لـٰكن نقصاً حاصلاً في ذاته يمنعه من التفرد بالواحدية ، فهو يمرض فيحتاج إلىٰ طبيب يداويه وهو يجوع ويحتاج من يطعمه ، وهو محتاج من كل بد إلىٰ شريكة (زوجة) يسكن إليها ويقضي معها رفثه الذي يؤدي به إن لم يُقض إلىٰ الخيانة ، ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾ [4] ، فموجبات الواحدية منتفية عند الإنسان .

وكذلك هي عند الحيوان فهو عالة علىٰ مالكه يطعمه ويسقيه ويحميه ثم بعد ذلك يشفر عليه مديته إن هو احتاج إلىٰ لحمه أو جلده أو غير ذلك .

أم الجمادات وكلها تمتلك روحاً تمتثل لأوامر ٱلله سبحانه ، فالجبال تنسف نسفاً بأمر ربها ولا نقول هـٰذا عن يوم الوقت المعلوم عنه سبحانه

(1) تفسير الآلوسي ، ج 6 ، ص 465 .
(2) التين ، 4 .
(3) التين ، 5 .
(4) البقرة ، 187 .

إنما نقول في حياتنا الحاضرة ، فمن قبل امتثل الجبل لأمر ٱلله سبحانه فكان دكاً امتثالاً لأمر ٱلله ، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1) ، والبحر انفلق بأمر ربه ، ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (2) ، والأرض تنقلب بأمر بها ، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (3) .

والجمادات بعد ذلك تسجد لله ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ (4) ، وتسبح له تسبيحاً لا نفقهه للنقص الحاصل فينا ، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (5) .

وهـٰذه الجمادات كلها لا تملك مقومات الوحدانية للنقص الحاصل فيها فهي قابلة للإزالة والتغيير ، فالجبل يمكن للبشر إلغاء وجوده لأي سبب كالاستفادة من أحجاره أو من موقعه ، وبعض البحار جفت بفعل انقطاع التغذية من مصادرها وهي كثير ، وغير ذلك ، فطبيعة النقص تتلخص في عدم الثبات وانتفاء الخلود .

---

(1) الأعراف ، 143 .
(2) الشعراء ، 63 .
(3) هود ، 82ـ83 .
(4) الحج ، 18 .
(5) الإسراء ، 44 .

وكذلك النباتات ، ويمكن استجلاء النقص الحاصل في هـٰذه الفئة من خلال معرفة دورة حياتها ، فكل النباتات يعتمد علىٰ عدة أمور لتستمر حياتها لفترة محددة فقط ، فهي بحاجة إلىٰ الماء فإذا غاب الماء فقدت القدرة علىٰ الديمومة ، وهي بحاجة إلىٰ الهواء ، والىٰ الضوء (الشمس) ، ولا يكفيها مطلقاً ما تملكه بذاتها وهو المادة الخضراء (الكلورفيل) ، فالنقص الحاصل فيها واضح جلي . لذلك كله قال الواحد عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . هنا يجب أن نعرف ما هو المثل للمثل ، يقول الإمام الرازي : « المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته ، وتحقيق الكلام فيه مسبوق بمقدمة أخرىٰ فنقول : المعتبر في كل شيء إما تمام ماهيته ، وإما جزء من أجزاء ماهيته ، وإما أمر خارج عن ماهيته ، ولـٰكنه من لوازم تلك الماهية ، وإما أمر خارج عن ماهيته ولـٰكنه ليس من لوازم تلك الماهية ، وهـٰذا التقسيم مبني علىٰ الفرق بين ذات الشيء وبين الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبديهة ، فإنا نرىٰ الحبة من الحصرم كانت في غاية الخضرة والحموضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة ، فالذات باقية والصفات مختلفة والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة ، وأيضاً نرىٰ الشعر قد كان في غاية السواد ثم صار في غاية البياض ، فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل ، فظهر بما ذكرنا أن الذوات مغايرة للصفات . إذا عرفت هـٰذا فنقول : اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف الذوات البتة ، لأنا نرىٰ الجسم الواحد كان ساكناً ثم يصير متحركاً ، ثم يسكن بعد ذلك ، فالذوات باقية في الأحوال كلها علىٰ نهج واحد ونسق واحد ، والصفات متعاقبة متزايلة ، فثبت بهـٰذا أن اختلاف الصفات والأعراض لا يوجب اختلاف الذوات ، إذا عرفت هـٰذا فنقول : الأجسام منها تألف وجه الكلب والقرد مساوية للأجسام التي تألف منها وجه الإنسان والفرس وإنما حصل الاختلاف بسبب الأعراض القائمة وهي الألوان والأشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعدم حصولها ،

فالاختلاف إنما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والأعراض ، فأما ذوات الأجسام فهي متماثلة إلا أن العوام لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات ، فلا جرم يقولون إن وجه الإنسان مخالف لوجه الفرس ، ولقد صدقوا فإنه حصلت تلك بسبب الشكل واللون وسائر الصفات ، فأما الأجسام من حيث إنها أجسام فهي متماثلة متساوية ، فثبت أن الكلام الذي أورده إنما ذكره لأجل أنه كان من العوام وما كان يعرف أن المعتبر في التماثل والاختلاف حقائق الأشياء وماهياتها لا الأعراض والصفات القائمة بها ، فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ معناه ليس مثل مثله شيء وذلك يقتضي أن لا يكون هو مسمىً باسم الشيء ، وعندي فيه طريقة أخرىٰ ، وهي أن المقصود من ذكر الجمع بين حرفي التشبيه الدليل الدال علىٰ كونه منزّهاً عن المثل ، وتقريره أن يقال لو كان له مثل لـٰكن هو مثل نفسه ، وهـٰذا محال فإثبات المثل له محال ، أما بيان أنه لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالأمر فيه ظاهر ، وأما بيان أن هـٰذا محال فلأنه لو كان مثل مثل نفسه لكان مساوياً لمثله في تلك الماهية ومبايناً له في نفسه ، وما به المشاركة غير ما به المباينة . فتكون ذات كل واحد منهما مركباً وكل مركب ممكن ، فثبت أنه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان هو في نفسه واجب الوجود ، إذا عرفت هـٰذا فقوله ليس مثله مثله شيء إشارة إلىٰ أنه لو صدق عليه أنه مثل مثل نفسه لما كان هو شيئاً بناءً علىٰ ما بينا أنه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود ، فهـٰذا ما يحتمله اللفظ »[1] .

هنا علىٰ الخليفة أن يفهم معنىٰ الواحد وأن يتمثل المعنىٰ في سلوكه ، فيتخذ لنفسه منهجاً متميزاً يجعله واحداً بين الآخرين متميزاً بقدرته علىٰ الفعل المميز والمتفوق والواعي دون أن يغفل عن أنه الواحد بالإضافة وأن الواحد المطلق هو ٱلله جل في علاه .

(1) تفسير الرازي ، ج 13 ، ص 419 .

فالواحد له الكمال المطلق الذي لم يرتق إلىٰ قدرته أحد لأنه يملك القدرة المطلقة ، فهو القادر علىٰ كل شيء ، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، وهو القادر علىٰ فعل الأشياء بما يفوق أي فعل لقادر آخر لأن قدرة الآخر ناقصة لا محالة وقدرته مطلقة فهو واحد في قدرته ، ويجب علىٰ الخليفة أن يكون واحداً في قدرته أي أن يمتلك من الوسائل ما تجعله واحداً في قدرته ، شرط أن تكون هـٰذه الوسائل مما علمه الواحد المطلق سبحانه ، فبعض الوسائل غير المشروعة تمنح مستخدمها قدرة مميزة لـٰكنه عند ذاك يخرج من موقع الخلافة إلىٰ موقع المفسد في الأرض .

وهو واحد في قوته ، ومما يثير النفس ويشغلها قصور الفهم عند المنكر ، فلو تأمل ولو لبرهة مَنْ مِنَ الأقوياء يملك القوة المطلقة ؟ ومَنْ منهم يملك ديمومتها ؟ لعرف أنه يهيم في سراب الإنكار بغير هدىٰ ، ألا يرىٰ أن أي قوي لابد أن يهزمه شيء ! ألا يرىٰ أن القوي يمرض ، ويهرم ، ويمضي به العمر إلىٰ أرذله !

ثم ألا يرىٰ أن القوي يُسلب القوة متىٰ شاء الواحد في قوته سبحانه دون أن يكون لأحد قوة علىٰ رد ذلك ولا حتىٰ المخلوق القوي نفسه ، ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (2) ، وعلىٰ الخليفة أن يعرف أن القوة من مستلزمات الخلافة المهمة فلابد أن يتحلىٰ بها ، فقد أمر الواحد سبحانه بالبحث عن أسبابها فقال عز من قائل : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن

---

(1) آل عمران ، 189 .

(2) الواقعة ، 83ـ87 .

جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1] ، وقد تحلىٰ بالقوة قبله كثير من الخلفاء ، فقد كان موسىٰ عليه الصلاة والسلام قوياً ، ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [2] ، واكتسبها بفضل ٱلله طالوت ، ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] ، عليه يجب أن يبحث الخليفة عن السبل التي تجعل منه قوياً بالإضافة وليس من سبيل أوثق من الحق فإذا كان علىٰ الحق ويعمل للحق وبالحق فهو قوي لا محالة لأن الحق قوة والباطل ضعف ووهن .

والْوَاحدُ هو المنفرد ، والتفرد بالألوهية ليس حكماً إنسانياً يطلقه بنو البشر لأنهم لا يملكون قدرة تأكيد هـٰذا النعت إلا من خلال اليقين القلبي الذي لا يؤمن به البعض ، ولـٰكنه سبحانه خلق من آيات ودلائل تفرده سبحانه وتعالىٰ ما يعجز عن رده أصحاب المنهج التجريبي المادي (الحسابات والتجارب العلمية) ، فقد خلق القوانين المسيرة للأكوان كالجاذبية وغيرها وحده سبحانه وتعالىٰ ، ومن الجدير بالذكر أن عالم البحار الفرنسي جاك كروستوف عندما وصل نقطة التقاء الماء بين المحيطين فوجد أن الماء لا يختلط وهو خلاف ما يؤمن به من قوانين مادية فسأل عن ذلك وبحث فقيل له إن هـٰذا مذكور في القران بقوله تعالىٰ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [4] ، أدرك العالم الإيمان بالله سبحانه بعد أن كان عالماً مادياً ، ومعنىٰ هـٰذه الآية أثر في عقل هـٰذا العالم فحصل إيمانه ، وهو أن ٱلله تعالىٰ

---

(1) الأنفال ، 60ـ61 .

(2) القصص ، 26 .

(3) البقرة ، 247 .

(4) الرحمـٰن ، 19ـ21 .

خلق البحرين ، وأرسلهما بقدرته في مجاريهما ، بحيث يلتقيان ويتصل أحدهما بالآخر ، ومع ذلك لم يختلطا ، لأن حكمة ٱلله قد اقتضت أن يفصل بينهما ، بحواجز من أجرام الأرض ، أو بخواص في كل منهما ، تمنعهما هٰذه الخواص وتلك الحواجز ، من أن يختلطا ، ولولا ذلك لاختلطا وامتزجا ، وهٰذا من أكبر الأدلة علىٰ قدرة ٱلله تعالىٰ ، ورحمته بعباده ، إذ أبقىٰ ٱلله تعالىٰ الماء كل بخصائصه ودون اختلاط مما ينتج عنه ولاشك احتفاظ الماء بكل مكونات البيئة الخاصة به مما يعطي حياة الأحياء في هٰذا المحيط وهٰذا المحيط ديمومة .

فالماء العذب ينتفع به في الشراب للناس والدواب والنبات والماء المالح ينتفع به في أشياء أخرىٰ ، كاستخراج الملح منه ، وفي غير ذلك من المنافع .

ومن بديع صنع ٱلله في هٰذا الكون ، أنك تشاهد البحار الهائلة علىٰ سطح الأرض ، والأنهار الكثيرة ، ومع ذلك فكل نوع منهما باق علىٰ خصائصه ، مع أن كلاً منهما قد يلتقي بالآخر [1] .

فهو الواحد المتفرد بالألوهية ، ولو تأملت مقال كل المدعين لما وجدت فيهم من يدعي خلق السموات والأرض ، فالله جل وعلا هو المنفرد بالخلْق ، ولا أحد نازعَ ٱلله في ذلك من الجبابرة والمتكبّرين والكَفرة والملحدين ، لا أحد ادّعىٰ أنه خلق بعوضة : ﴿ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [2] ، هٰذا تحدٍّ من ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، تحدٍّ لجميع الخلق بمن فيهم المَهَرة والمهندسون والخُبراء أن يخلُقوا ذباباً ، ولا يزال التحدِّي قائماً إلىٰ يوم القيامة ، فهٰذا دليل علىٰ أنّ الخالق هو ٱلله .

---

(1) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي ، ج 1 ، ص 4044 .

(2) الحج ، 73 .

ولأن الخلْق لابدّ له من خالق ، وما من أحد ادّعىٰ أنّه خلق شيئاً من السموات ولا من الأرض ، فالله هو الواحد الخالق سبحانه وتعالىٰ .

وكذلك المشركون الذي أقرّوا أن الخالق الرّازق المحيي المدبِّر هو ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، واعترفوا بتوحيد الرّبوبية ، ولكنّهم خالفوا في العبادة ، وخالفوا في توحيد الألوهية ، فعبدوا مع ٱلله غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة ، هـٰؤلاء ما قدروا ٱلله حقّ قدره ، حيث إنّهم أشركوا معه غيرَه في عبادته ، ممن لا يخلُق ولا يرزق ولا يملك نفعاً ولا ضرًّا ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً ، هـٰؤلاء ما قدروا ٱلله حقّ قدره ، حيث سوّوا به خلقاً من خلقه ، وجعلوهم معبودين معه ، يذبحون لهم ، وينذُرون لهم ، ويتبرّكون بهم ، ويطوفون بقبورهم ، ويتبرّكون بالأحجار والأشجار ، ويعبدون الأصنام ، جعلوا هـٰذه الأصنام والجمادات ، وجعلوا هـٰؤلاء الأموات الرُّفات في القبور جعلوهم شركاء لله في العبادة ، هـٰؤلاء ما قدَروا ٱلله حقّ قدره سبحانه وتعالىٰ [1] .

ولفظ (واحد) يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد ومن تتبع مواقعه في القرآن و غيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفاً لموصوف ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه ، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف ، قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [2] ، حكم علىٰ الناس فيما كانوا عليه بقوله (أمة واحدة) فعدم التعدد ثابت للناس باعتبار (أمة) أي لم يكونوا أمتين أو أكثر ، و قد يصرح في الكلام بالمحكوم عليه و بالموصوف كما رأيت ، و قد يطوىٰ ذكر أحدهما فيعرف بالتدبر . وعلىٰ كل حال ، فإنه يأتي علىٰ أحد معنيين :

---

(1) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، ج 4 ، ص 60 .

(2) البقرة ، 213 .

المعنىٰ الأول : نفي التعدد في المحكوم عليه نفسه كالمثال السابق : نفي أن يكون الناس أمتين أو أكثر .

المعنىٰ الثاني : نفي أن يكون مع المحكوم عليه مثله أو مثلاه أو أمثاله باعتبار الموصوف فيكون المجموع متعدداً ، ومن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [1] ، أي ليس معه إلـٰه آخر أو أكثر فيكون المجموع متعدداً ، ومن هـٰذا الثاني قولهم : فلان واحد في فنه . واحد زمانه ، أي لا نظير له في ذلك .

وفي كل الآيات جاء الواحد مع القهار في السياق ، (الواحد القهار) في القرآن مقترنين معرفتين في المواضع كلها ، و كل ذلك في سياق إقامة الحجة علىٰ المشركين في الألوهية ، الزاعمين أن لله شركاء في استحقاق العبادة [2] .

وقد ورد اسم الواحد في كل آيات القرآن الكريم مقترناً باسم القهار وفي ذلك آيات ودلائل عظيمة نذكر ما مكننا الواحد من تلمسها من الآيات ، فهو الواحد في الألوهية ، ودلت الآيات التي ذكر فيها اسم الواحد علىٰ أن ٱلله الواحد واحد في ألوهيته مستحق للعبادة وحده دون سواه لأنه الواحد الذي يقهر كل واحد ، وعليه فإذا قُهر الكل إلا الواحد استحق سبحانه وتعالىٰ أن يعبد إلـٰهاً واحداً جل في علاه ، ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [3] ، « فكونه تعالىٰ واحداً يوجب عبادته ، لأنه لو كان له ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والآفات عنا ، فيقع الشك في أنا نعبد هـٰذا أم ذاك ، وفيه إشارة إلىٰ ما يدل علىٰ فساد القول بعبادة الأوثان وذلك لأن بتقدير أن تحصل المساعدة علىٰ كونها نافعة ضارة إلا أنها كثيرة

---

(1) البقرة ، 163 .
(2) القائد إلىٰ العقائد ، عبد الرحمـٰن اليماني ، ج 1 ، ص 136ـ138 .
(3) يوسف ، 39 .

فحينئذ لا نعلم أن نفعنا ودفع الضرر عنا حصل من هـٰذا الصنم أو من ذلك الآخر أو حصل بمشاركتهما ومعاونتهما ، وحينئذ يقع الشك في أن المستحق للعبادة هو هـٰذا أم ذاك ، أما إذا كان المعبود واحداً ارتفع هـٰذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة إلا هو ولا معبود للمخلوقات والكائنات إلا هو » (1) .

وليس الأصنام فقط بكل كل مدعي الألوهية ، عاجزون عن استحقاق العبادة لأنهم وعلىٰ تعدد أصنافهم واختلاف دعواهم تحت قهر الواحد جل في علاه ، فهو الخالق الذي يملك الضر والنفع والموت والحياة ، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾ (2) .

فالقهّار : « هو الواحد الَّذي لا نظير له ولا ندّ ؛ لأنّ القهر ملازم للوحدة ، فلا يكون اثنان قهّاران متساويين في قهرهما أبداً ؛ يقول ابن القيّم : القهر المطلق مع الوحدة متلازمان ؛ فلا يكون القهّار إلاّ واحداً ؛ إذ لو كان معه كفؤ له ؛ فإن لم يقهره لم يكن قهّاراً علىٰ الإطلاق ، وإن قهره لم يكن كفواً ، وكان القهّار واحدًا . فالَّذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الَّذي لا نظير له ، وهو الَّذي يستحقّ أن يعبد وحده كما كان قاهرًا وحده ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (3) ، فأبطل الشّرك ، وقرّر ألوهيته بوحدته ، وقهره لكلّ شيء (4) .

---

(1) تفسير الرازي ، ج 9 ، ص 44 .
(2) الرعد ، 16 .
(3) ص ، 65 .
(4) دلالة الأسماء الحسنىٰ علىٰ التنزيه ، ابن تيمية ، ج 1 ، ص 109 .

وهو الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، فأما ذاته فهو الواحد الفرد الصمد كما يصف نفسه سبحانه وتعالىٰ فيقول : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [1] ، فالذات المتفردة ذات تأبىٰ أن يكون لها شريك في أفعالها أو صفاتها ، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [2] . ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [3] ، أطلق المتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أكمل فهو ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد خارجاً وذهناً وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية وهو مأخوذ من كلام الرئيس أبي علي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال إن أحداً دال علىٰ أنه تعالىٰ واحد من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلاً لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والأجناس والفصول وكثرة الأجزاء الخارجية المتمايزة عقلاً كما في المادة والصورة والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم وذلك يتضمن لكونه سبحانه : منزهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والإبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر ما يثلم الوحدة الكاملة والبساطة الحقة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه [4] .

وهو واحد في القهر ، والقهر فعل عظيم ، فهو الذي« قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته » [5] . والآيات الدالة علىٰ هـٰذا المعنىٰ جاءت في سياق عرض لحظة القهر الأعظم حيث لا حول ولا قوة لمخلوق إلا للواحد

---

(1) الإخلاص ، 1ـ4 .

(2) الصافات ، 4 .

(3) البقرة ، 163 .

(4) تفسير الآلوسي ، ج 23 ، ص 179 .

(5) الإنصاف للباقلاني ، ج 1 ، ص 56 .

القهار ، فقد جاءت في قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (1) ، ذكر الواحد القهار ههنا ، لأن الملك إذا كان لمالك واحد غلاب لا يغالب قهار لا يقهر فلا مستغاث لأحد إلىٰ غيره فكان الأمر في غاية الصعوبة ، ولما وصف نفسه سبحانه بكونه قهاراً بين عجزهم وذلتهم (2) . ومن صور القهر المطلق للواحد سبحانه أنهم بارزون له جل وعلا بكل خطاياهم وبكل ما أسروا وأعلنوا ، ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (3) ، فهو الواحد القهار ، واحد في ذاته واحد في صفاته ، فلا توجد ذات تجمع بين إطلاقية الصفة وبين مطلق الصفات في آن واحد إلا ٱلله ، فكل صفة لله الواحد مطلقة ليس لها بدء معلوم ولا يحدها حد مُدرك فهي مطلقة ، ولو نظرت إلىٰ أي من صفاته الحسان جل وعلا وتأملت في مطلقيتها لعرفت أن لا بدء ولا انتهاء لأي من صفاته ويكفي لك أيها المؤمن أن تتذكر قول ٱلله جل في علاه : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (4) .

ثم إن ٱلله سبحانه له مطلق الصفات الحسان التي تدل عليها الأسماء الحسنىٰ ، والجمع بين مطلقية الصفة ومطلق الصفات تختص به ذات ٱلله فقط ولا يشاركه فيه أحد ، فإذا عرفت ذلك لابد أدركت أنه الواحد ، وعلىٰ الخليفة أن يسعىٰ إلىٰ أن تكون صفاته مطلقة في امتثال صفات الواحد المطلق سبحانه ، وأن يكون مطلق الصفات الحسنة قدر ما يستطيع فلا يكتفي بصفة وينسىٰ أخرىٰ ، أو أن يفضل صفة ويترك أخرىٰ ، بل عليه كونه خليفة تحري الصفات الحسان بتحري الصفات الحسان للواحد جل وعلا ثم انتهاج نهجها والعمل بمضامينها .

---

(1) إبراهيم ، 48 .
(2) تفسير الرازي ، ج 9 ، ص 272 .
(3) غافر ، 16 .
(4) النحل ، 18 .

والواحد واحد في أفعاله قهار لجميع خلقه داخلون تحت قدرته والسمٰوات مطويات بيمينه ومقهورون في قبضته وتحت سلطانه قهر اقتدار لا إلـٰه إلا هو الواحد القهار [1] .

ولأنه هو الواحد القهار فلا يحتاج إلىٰ من يتعزَّز به ، فهو واحد في قهر الحاجة إلىٰ ما سواه فكان الاستغناء منه سبحانه وتعالىٰ ، حتىٰ أن الأنبياء والرسل أعلنوا ذلك للناس في أول دعواهم وكما علّمهم ٱلله الواحد سبحانه ، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [2] ، ولذلك حكمة عظيمة غرضها دفع التوهم عن عقول الناس بأن هـٰؤلاء الأنبياء والرسل ليس لهم من الأمر إلا إنذار الناس وتوجيههم إلىٰ طريق الحق والصراط المستقيم .

كما تنزه الواحد جل في علاه عن الولد ، فقال تعالىٰ عز من قائل : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [3] ، ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [4] ، أو الولي المشترك في الحكم ، ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [5] .

أو الشريك ، ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [6] ، فهو ٱلله الواحد الذي لم يشرك معه

(1) حز الغلاصم ، ج1 ، ص 69 .
(2) ص ، 65 .
(3) الزمر ، 4 .
(4) النساء ، 171 .
(5) الزمر ، 3 .
(6) الفرقان ، 2 .

أحداً في حكمه ، لأنه قوي عليه حكيم فيه ، عليم بأسراره ودواهيه .

أو الصاحبة ، ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [1] ، فهو الذي توحَّد بالكمال ، فلم يشاركه في أفعاله وصفاته أحد .

وقد ورد في النص القرآني اسمه (الواحد) بالنص في عدة آيات ، ثم ذُكر (الأحد) في آيات أخر ، ولاشك أن لكل اسم منهما دلالته الخاصة مع تقارب بينهما بفعل الامتداد المطلق لدلالة كل اسم وصفة ، فما من اسم وصفة إلا وجدت أنه يلتقي بكثير من الأسماء والصفات بفعل هـٰذا الامتداد المضموني ، بل إن بعض الأسماء كاسمه الأعظم (الله) يشترك يلتقي مع جميع الأسماء والصفات ، كذلك الأحد فهو بمعنىٰ الواحد ، أي الأحد لا يوصف به إلا ٱلله سبحانه و تعالىٰ ، و هو الفرد الذي لم يزل وحده و لم يكن معه آخر ، و قيل : أحديته معناها أنه لا يقبل التجزيء لنزاهته عن ذلك ، والأحد الذي لا ثاني له في ربوبيته ، و لا ذاته ، و لا في صفاته [2] .

والفرق بين واحد وأحد : أن معنىٰ الواحد أنه لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدان كما يقال رجل ورجلان ، ولـٰكن قالوا اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر ، وأصل أحد أوحد مثل أكبر وإحدىٰ مثل كبرىٰ فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا في إحدىٰ إلىٰ الكبرىٰ ليخف وحذفوا الواو ليفرق بين الاسم والصلة وذلك أن أوحد اسم وأكبر صفة والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد مثل وعد يعد وهو واعد ، والواحد هو الذي لا ينقسم في وهم ولا وجود ، وأصله الانفراد في الذات ، وذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أن الواحد أول العدد ، وحد الاثنين ما يبين أحدهما عن صاحبه بذكر أو عقد فيكون ثانياً له بعطفه عليه ويكون الأحد أولاً له ولا يقال

---

(1) الجن ، 3 .

(2) القائد إلىٰ العقائد ، عبد الرحمـٰن المعلمي ، ج 1 ، ص 153 .

إن ٱلله ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة لأن ذلك يوجب المشاركة في أمر تفرد به فقوله تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [1] ، أنه ثاني اثنين في التناصر ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [2] ، لأنهم أوجبوا مشاركته فيما ينفرد به من القدم والإلوهية .

كذلك فإن من أوجه الفرق بين الواحد والأحد ، أن الواحد : الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر . والأحد : الفرد الذي لا يتجزأ ، ولا يقبل الانقسام . فالواحد : هو المتفرد بالذات في عدم المثل . وقيل : المراد بالواحد : نفي التركيب والأجزاء الخارجية والذهنية عنه تعالىٰ ، وبالأحد : نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته [3] .

وقال بعض أصحاب المعاني الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط والأحد يفيده بالذات والمعاني ، وعلىٰ هـٰذا جاء في التنزيل قل هو ٱلله أحد أراد المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته تعالىٰ ٱلله علواً كبيراً [4] .

« ومَعْنَىٰ الْوَاحِدِ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا :

الأول : أَنَّهُ لا قَدِيمَ سِوَاهُ وَلا إِلَـٰهَ سِوَاهُ ، فَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَيَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ الْعَدَدِ ، وَتَبْطُلُ بِهِ وَحْدَانِيَّتُهُ .

وَالثاني : أَنَّهُ وَاحِدٌ بِمَعْنَىٰ أَنَّ ذَاتَهُ ذَاتٌ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّكَثُّر بِغَيْرِهِ ، وَالإِشَارَةُ فِيهِ إِلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلا عَرَضٍ ؛ لأَنَّ الْجَوْهَرَ قَدْ يَتَكَثَّرُ بِالانْضِمَامِ إِلَىٰ جَوْهَرٍ مِثْلِهِ ، فَيَتَرَكَّبُ مِنْهُمَا جِسْمٌ ، وَقَدْ يَتَكَثَّرُ بِالْعَرَضِ الَّذِي يُحِلُّهُ ،

---

(1) التوبة ، 40 .
(2) المائدة ، 73 .
(3) الفروق اللغوية ، 1 ، 566 .
(4) تفسير أسماء الله الحسنىٰ ، الزجاج ، ج 1 ، ص 58 .

وَالْعَرَضُ لا قِوَامَ لَهُ إِلاَّ بِغَيْرٍ يُحِلُّهُ وَالْقَدِيمُ فَرْدٌ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلا يَتَكَثَّرُ بِغَيْرِهِ ، وَعَلَىٰ هَـٰذَا لَوْ قِيلَ : إِنَّ مَعْنَىٰ الْوَاحِدِ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ لَكَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا وَلَرَجَعَ الْمَعْنَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلا عَرَضٍ ؛ لأَنَّ قِيَامَ الْجَوْهَرِ بِفَاعِلِهِ وَمُبْقِيهِ ، وَقِيَامُ الْعَرَضِ بِجَوْهَرِهِ يُحِلُّهُ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّ مَعْنَىٰ الْوَاحِدِ هُوَ الْقَدِيمُ ، فَإِذَا قُلْنَا الْوَاحِدُ ، فَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ ، هُوَ الْقَدِيمُ لأَنَّ الْقَدِيمَ مُتَّصِفٌ فِي الأَصْلِ بِالإِطْلاقِ السَّابِقِ لِلْمَوْجُودَاتِ ، وَمَهْمَا كَانَ قَدِيمًا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَيْر سَابِقٍ بِالإِطْلاقِ ، لأَنَّهُ إِنْ سَبَقَ غَيْرَ صَاحِبِهِ فَلَيْسَ بِسَابِقٍ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ مَوْجُودٌ كَوُجُودِهِ » [1] .

والواحد هو الذي لا يتجرأ ولا يثنىٰ ، أما الذي لا يتجزأ فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال إنه واحد بمعنىٰ أنه لا جزء له وكذا النقطة لا جزء لها ، والله تعالىٰ واحد بمعنىٰ أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته ، وأما الذي لا يتثنىٰ فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلاً فإنها وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم متجزئة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير فإن كان في الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفرداً لا يتصور أن يشاركه غيره فيه أصلاً فهو الواحد المطلق أزلاً وأبداً .

والعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير وذلك بالإضافة إلىٰ أبناء جنسه وبالإضافة إلىٰ الوقت إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله وبالإضافة إلىٰ بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة علىٰ الإطلاق إلا لله تعالىٰ [2] .

والواحد هو المتعالي عن الغير ، فهو « الواحد الذي يمتنع أن يحصل له

(1) الأسماء والصفات ، البيهقي ، ج 1 ، ص 50 .

(2) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ ، الغزالي ، ج 1 ، ص 133

ضد وند وشريك ونظير ، وأقول : الحق سبحانه له صفتان أحدهما : استغناؤه في وجوده وفي جميع صفات وجوده عن كل ما سواه . الثاني : افتقار كل ما سواه إليه في وجوده وفي صفات وجوده » [1] ، فلا أثر للغير فيه بل الواحد يؤثر في الكل ، وهـٰذا ليس علىٰ وجه الافتراض وإنما من طبيعة العلاقة بين الواحد وبين ما سواه ، فالواحد له الكمال المطلق ، أي انتفاء النقص فيه بالمطلق . فالواحد هو المتفرّد بمعاني الكمال ؛ فليس له مثل في ذاته ، ولا نظير في صفاته ، ولا شريك في أفعاله ؛ ولهـٰذا فإنّه المستحقّ وحده لجميع معاني الإخلاص ؛ فلا شريك له ولا ندّ في عبادة ظاهرة أو باطنة ، يقول ابن تَيْمِيَّة : ٱللهُ سبحانه منزّه عن أن يوصف بشيء من الصّفات المختصّة بالمخلوقين ، وكلّ ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص ، والله منزّه عن كلّ نقص ، ومستحقّ لغاية الكمال ، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال ، فهو منزّه عن النّقص مطلقًا ، ومنزّه في الكمال أن يكون له مثل ، كما قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [2] ؛ فبيّن أنّه أحد صمد ، واسمه الأحد يتضمّن نفي المثل ، واسمه الصّمد يتضمّن جميع صفات الكمال [3] .

وهـٰذا الكمال لا عن إضافة ولاعن اتحاد ، فالكمال كامن في الذات ، منعدم فيها العجز عن فعل أو قول ، وكل ذات لا يعجزها فعل أو لا يعيها قول تتصف بالكمال ، وما من ذات لها هـٰذه الصفة إلا ذات ٱللهِ فهو الواحد .

وكمال الواحد لم يكن عن إضافة ، فما من مخلوق وإن عظم شأنه قادر علىٰ أن يضيف لهـٰذه الذات شيئاً ، يقول الواحد : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

---

(1) تفسير الرازي ، ج 13 ، ص 321 .
(2) الإخلاص ، 1ـ4 .
(3) دلالة الأسماء الحسنىٰ علىٰ التنزيه ، ابن تيمية ، ج 1 ، ص 108 .

مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (1) ، ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (2) ، فالكفر لا يؤثر في الذات ولا يسلب منها شيئاً ، وكذلك الإيمان الذي هو مطلب الذات فليس له أثر فيها ولا يضيف لها شيئاً وإنما يكون أثره في المؤمن : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (3) .

ولا عن اتحاد ، فكمال الواحد سبحانه لم يكن عن اتحاد مع ذوات أخرىٰ لانتفاء مقومات الاتحاد ، وذلك لانعدام وجود ذات مطابقة ومماثلة لذات الواحد جل في علاه ، وهو أمر حاول بعض من تولىٰ الشرك علىٰ عقولهم أن ينسبوه للواحد سبحانه وكما يقول عنهم جلَّ في علاه : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ (4) . ثم قال تعالىٰ : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (5) ، والمراد من هٰذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة علىٰ كونه منزهاً عن الولد ، وبيانه من وجوه :

الأول : أنه لو اتخذ ولداً لما رضي إلا بأكمل الأولاد وهو الابن فكيف نسبتم إليه البنت .

الثاني : أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له

---

(1) آل عمران ، 144 .
(2) آل عمران ، 176 .
(3) الزمر ، 41 .
(4) الزخرف ، 15 .
(5) الزمر ، 4 .

ولد ، أما أنه واحد حقيقي فلأنه لو كان مركباً لاحتاج إلىٰ كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره ، فكان يحتاج إلىٰ غيره والمحتاج إلىٰ الغير ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته .

وأما أن الواحد لا يكون له ولد فلوجوه :

الأول : أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه ، ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الوالد . وهـٰذا إنما يعقل في الشيء الذي ينفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه .

الثاني : شرط الولد أن يكون مماثلاً في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة علىٰ شخصين ، وذلك محال لأن تعيين كل واحد منهما إن كان من لوازم تلك الماهية لزم أن لا يحصل من تلك الماهية إلا الشخص الواحد ، وإن لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوماً بسبب منفصل ، فلا يكون إلـٰهاً واجب الوجود لذاته . فثبت أن كونه إلـٰهاً واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحداً في حقيقته ، وكونه واحداً في حقيقته يمنع من ثبوت الولد له ، فثبت أن كونه واحداً يمنع من ثبوت الولد .

الثالث : أن الولد لا يحصل إلا من الزوج والزوجة والزوجان لا بد وأن يكونا من جنس واحد ، فلو كان له ولد لما كان واحداً بل كانت زوجته من جنسه ، وأما أن كونه قهاراً يمنع من ثبوت الولد له ، فلأن المحتاج إلىٰ الولد هو الذي يموت فيحتاج إلىٰ ولد يقوم مقامه ، فالمحتاج إلىٰ الولد هو الذي يكون مقهوراً بالموت ، أما الذي يكون قاهراً ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالاً ، فثبت أن قوله : (هُوَ ٱللهُ الواحد القهار) ألفاظ مشتملة علىٰ دلائل قاطعة في نفي الولد عن ٱلله تعالىٰ [1] .

---

(1) تفسير الرازي ، 13 ، 226 .

ولم يكن الكمال عن طلب لأن الواحد غني وغيره من المخلوقات فقراء إليه ، وهـٰذه حقيقة لم يستطع ضعفاء الإيمان تقبلها فقالوا بهتاناً كما يخبرنا عنهم الواحد جل في علاه : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [1] .

« إن هـٰذا الإلـٰه الواحد لا بد وأن يكون كاملاً في صفات الإلـٰهية ، فلو فرضنا إلـٰهاً ثانياً لكان ذلك الثاني إما أن يكون مشاركاً للأول في جميع صفات الكمال أو لا يكون ، فإن كان مشاركاً للأول في جميع صفات الكمال فلا بد وأن يكون متميزاً عن الأول بأمر ما ، إذ لو لم يحصل الامتياز بأمر من الأمور لم يحصل التعدد والإثنينية ، وإذا حصل الامتياز بأمر ما فذلك الأمر المميز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون . فإن كان من صفات الكمال مع أنه حصل الامتياز به لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيه بينهما ، وإن لم يكن ذلك المميز من صفات الكمال ، فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال ، وذلك نقصان ، فثبت بهـٰذه الوجوه الثلاثة أن الإلـٰه الواحد كاف في تدبير العالم والإيجاد ، وأن الزائد يجب نفيه فهـٰذه الطريقة هي التي ذكرها ٱلله تعالىٰ ههنا في تقرير التوحيد » [2] . يقول الواحد سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

« فالله تعالىٰ هو الواحد الأحد ، الذي توحد بجميع الكمالات ، بحيث

---

(1) آل عمران ، 181 .
(2) تفسير الرازي ، ج 6 ، ص 413 .
(3) النحل ، 51ـ55 .

لا يشاركه فيها مشارك ، وهو الذي توحد في ألوهيته ، وأسمائه ، وصفاته ، وربوبيته ، وهو الذي ليس كمثله شيء ، ولم يتخذ زوجة ولا ولداً » [1] .

واسم الواحد إذا جاء بنص لفظ (الواحد) فهو اسم من الأسماء الحسنىٰ لأن المعرفة تفيد الخصوص وكذلك التعيين ، أما إذا جاء برسم لفظي مجرد من (أل) فإنه صفة لأنها تفيد العموم والإطلاق وهو ما يليق بالصفة وهـٰذا مثبت في الآية الكريمة وفي تفسيرها عند المفسرين ، يقول الواحد جل في علاه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [2] ، والآية لإثبات وحدانيته تعالىٰ ، وقيل : الخطاب للكاتمين ، وفيه انتقال عن زجرهم عما يعاملون رسولهم إلىٰ زجرهم عن معاملتهم ربهم حيث يكتمون وحدانيته ، ويقولون : عزير ، وعيسىٰ ابنان لله عز وجل ، وفيه أنه وإن حسن الانتظام إلا أنه فيه خروج شأن النزول عن الآية وهو باطل ، وإضافة إلـٰه إلىٰ ضمير المخاطبين باعتبار الاستحقاق لا باعتبار الوقوع فإن الآلهة الغير المستحقة كثيرة ، وإعادة لفظ إلـٰه وتوصيفه بالوحدة لإفادة أن المعتبر الوحدة في الألوهية ، واستحقاق العبادة ، ولولا ذلك لكفىٰ وإلـٰهكم واحد فهو بمنزلة وصفهم الرجل بأنه سيد واحد ، وعالم واحد ، وقال أبو البقاء : إلـٰه خبر المبتدأ ، و(واحد) صفة له ، والغرض هنا هو الصفة إذ لو قال : وإلـٰهكم واحد لكان هو المقصود إلا أن في ذكره زيادة تأكيد ، وهـٰذا يشبه الحال الموطئة كقولك : مررت بزيد رجلاً صالحاً ، وكقولك في الخبر : زيد شخص صالح ، ولعل الأول ألطف ، وأكثر الناس علىٰ أن الواحد هنا بمعنىٰ لا نظير له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وقيل إن المراد به ما ليس بذي أبعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة أصلاً ، وليس

---

(1) الوجيز في أسماء الله الحسنىٰ ، الزجاج ، ج 1 ، ص 18 .

(2) البقرة ، 163 .

المعنىٰ به هنا مبدأ العدد ، وأصح الأقوال عند ذوي العقول السليمة أنه الذي لا نظير له ولا شبيه له في استحقاق العبادة وهو مستلزم لكل كمال [1] .

وفي كل الآيات التي ذكر ٱلله فيها لفظة(واحد) تدل دلالة واضحة علىٰ الصفة لا علىٰ الاسم ، ونعتقد أنه من المفيد لأولي الألباب ذكر الآيات الكريمة وبعض آراء المفسرين لإثبات ما ذهبنا إليه وعلىٰ النحو الآتي :

ـ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] . يقول الزمخشري : « (مَا تَعْبُدُونَ) سؤال عن صفة المعبود » [3] ، ويقول الآلوسي : « إلـٰهاً واحداً بدل من (إِلَهِ آبَائِكَ) والنكرة تبدل من المعرفة بشرط أن توصف » [4] ، فواحد هي صفة الإلـٰه والمقصود هو ٱلله جل في علاه .

ـ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [5] ، ويقول البغوي عن هـٰذه الآية : « إن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل ٱلله تعالىٰ هـٰذه الآية » [6] .

ـ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [7] ، يقول

---

(1) تفسير الآلوسي ، ج 2 ، ص 81 .
(2) البقرة ، 133 .
(3) تفسير الزمخشري ، ج 1 ، ص 136 .
(4) تفسير الآلوسي ، ج 2 ، ص 18 .
(5) البقرة ، 163 .
(6) تفسير البغوي ، ج 1 ، ص 176 .
(7) المائدة ، 73 .

أبو السعود : « قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي : والحال أنه ليس في الوجود ذاتُ واجبٍ مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأُ جميعِ الموجودات إلا إلـه موصوفٌ بالوحدانية متعالٍ عن قَبول الشِّرْكة » (1) .

ـ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (2) ، وقال ابن عادل في اللباب : « أظهرهما : أنها كافَّةٌ ل (إنَّ) عن عملها ، و (هو) مبتدأ ، و(إلـه) خبر ، و(واحد) صفته » (3) .

ـ ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (4) .

ـ ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (5) .

ـ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (6) .

ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (7) .

ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (8) .

---

(1) تفسير أبي السعود ، ج3 ، ص 66 .
(2) الأنعام ، 19 .
(3) تفسير اللباب لابن عادل ، ج 6 ، ص 376 .
(4) إبراهيم ، 52 .
(5) النحل ، 22 .
(6) النحل ، 51 .
(7) الكهف ، 110 .
(8) الأنبياء ، 108 .

ـ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ (1) .

ـ ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (2) .

ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (3) .

ـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (4) .

وتُظهر هٰذه الآيات الكريمة أن واحد صفة لله لأنه دال علىٰ بعض أحوال الذات ، فهو واحد صفته وهو رحمٰن رحيم رؤوف عظيم كريم تواب غفور وغيرها من صفاته الحسان ، أما الواحد فهو اسمه الذي يدل عليه سبحانه وتعالىٰ ، فعندما تقول سبحان الواحد فأنت تقصد ذات الواحد ، لأن الواحد اسمه الدال عليه أي : علىٰ كل الذات . ولو تأملنا الآيات التي ورد فيها اسم الواحد جل وعلا لاستيقنا أكثر ولوضحت الرؤيا أكثر لمن غفل عن هٰذا المعنىٰ :

ـ ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (5) .

(1) الحج ، 34 .
(2) العنكبوت ، 46 .
(3) فصلت ، 6 .
(4) التوبة ، 31 .
(5) يوسف ، 39 .

- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (1) .

- ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (2) .

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (3) .

- ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (4) .

- ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (5) .

هٰذه الآيات كلها تذكر اسم ٱلله الواحد المقترن باسمه القهار ، وفي كل هٰذه الآيات تختفي دلالة الصفة لتظهر دلالة الاسم مناسبةً للسياق فيها .

الرب الواحد توحيد الربوبية هو إفراد ٱلله بأفعاله ، ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير ، والعطاء والمنع ، والنفع والضر ، والإحياء والإماتة ، والتدبير المحكم ، والقضاء والقدر ، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها ، ولهٰذا فإن الواجب علىٰ العبد أن يؤمن بذلك كله (6) . قال تعالىٰ : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

---

(1) الرعد ، 16 .
(2) إبراهيم ، 48 .
(3) ص ، 65 .
(4) الزمر ، 4 .
(5) غافر ، 16 .
(6) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، ج 1 ، ص 15 .

تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾ [1] .

وكما هو الواحد واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله ، فهو الواحد في أقواله ، ويشمل القول المضمون والرسم ، فعلىٰ سبيل المضمون فإن أقوال الواحد هي المنهاج والشرع الذي يصلح لكل زمان وكل مكان ، لما فيه من رؤية العارف بأحوال البشر ، المحصي لقدراتهم ، المطلع علىٰ أسرارهم ، القادر علىٰ سماعهم ، والقوي علىٰ حاجاتهم ، الشاكر لطاعاتهم ، والقاهر لغرورهم .فنهجه واحد لأنه من الواحد عز وجل ، فكل الألواح والكتب التي أرسل الواحد سبحانه الرسل والأنبياء منذرين ومبشرين بها حملت في طياتها مضموناً واحداً ، بدءاً من صحف إبراهيم صلوات ٱلله وسلامه عليه ، ﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [2] ، إلىٰ قرآن محمد : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [3] ، فصحف إبراهيم ﷺ فيها من قرآن محمد ﷺ ، وقرآن محمد فيه من صحف إبراهيم لأنهما يمثلان القول الثابت من الواحد سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [4] ، ولـٰكن ما يختلف فيه أن القرآن هو خاتم الكتب لأن محمداً ﷺ خاتم الرسل مما يفضي ولابد إلىٰ أن يكون القرآن مفصلاً وجامعاً لكل المضامين التي يريدها الواحد جل وعلا ، ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5] ، وأن يكون محمد ﷺ للعالمين ، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

(1) يوسف ، 39ـ40 .
(2) الأعلىٰ ، 19 .
(3) النمل ، 6 .
(4) إبراهيم ، 27 .
(5) يونس ، 37 .

رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1) ، فمضمون القول واحد لأن المرسل واحد وباقٍ وقيوم ودائم هو ٱلله فكان لزاماً أن يكون المضمون واحداً ولو كان من غير ٱلله لوجد من يقرأ هـٰذا القول اختلافاً كبيراً ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (2) . أما المتلقي فمتغير وبناءً علىٰ تغيره هـٰذا أصدر أحكاماً متغيرة ، تتمثل بالإيمان من فريق والكفر من فريق آخر ، فأما الكفر فمصدره الادعاء بالاختلاف ، فكل رسول يرسل إلىٰ قوم يواجهه الكفار بالرفض لأنه يغاير ما يعرفون من عقائد ، مما يدفعهم إلىٰ التكذيب والكفر ، ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (3) ، ولم يختلف التكذيب بين المشركين والمؤمنين ، فعندما بعث ٱلله سيدنا إبراهيم إلىٰ قومه ممن كانوا يعبدون الأوثان من المشركين كذبوه ، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (4) ، وعندما بعث ٱلله عيسىٰ بعد موسىٰ كذبه اليهود من كانوا يؤمنون بالله الواحد القهار ، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

---

(1) الأنبياء ، 107 .

(2) النساء ، 82 .

(3) المائدة ، 70 .

(4) الشعراء ، 69ـ83 .

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [1] ، بل اختلف المؤمنون من اليهود والنصارىٰ أكثر من ذلك إلىٰ حد نفىٰ كل منهم شريعة الآخر عندما وصفها بما لا يليق بها وكما يخبرنا العليم الخبير جل في علاه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [2] ، واضحة هي دلالة الإطلاق في الآية أي عموم اليهود وعموم النصارىٰ وهم من ينطبق عليهم الاختلاف في الواحد وهو ما يؤكده قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ ، « فالواو للحال ، والكتاب للجنس . أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلوم والتلاوة للكتب ، وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب ٱلله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدِّق للثاني شاهد لصحته ، فإن التوراة مصدِّقة بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والإنجيل مصدَّق بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ » [3] .

وكذلك الأمر بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ ، فقد واجه الرفض من المؤمنين من اليهود والنصارىٰ علىٰ حد سواء ، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ

(1) البقرة ، 87 .
(2) البقرة ، 113 .
(3) تفسير الرازي 2 ، 291 .

ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [1] .

واختلاف المؤمنين في الواحد ما هو إلا بسبب المتغير الذهني الحاصل لديهم مع عجز عن إدراك حقيقة وحدة المضمون لقائل واحد سبحانه وتعالىٰ عما يشركون هو رب العالمين ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [2] ، وقوله تعالىٰ : ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . يدل علىٰ أن ذلك الإلـٰه واحد ، وأن كل العالمين ملكه ، وليس في العالم إلـٰه سواه ، ولا معبود غيره ، وقوله الرحمـٰن الرحيم يدل علىٰ أن الإلـٰه الواحد الذي لا إلـٰه سواه موصوف بكمال الرحمة والكرم والفضل والإحسان قبل الموت وعند الموت وبعد الموت [3] .

والخليفة بكل تأكيد هو متغير أيضاً لأن الباقي هو ٱلله الواحد سبحانه ، ولـٰكن يجب أن يسعىٰ الخليفة أن يكون متغيراً واعياً مدركاً لطبيعة التغير واتجاهه حتىٰ لا يشت عن الصراط الذي أراده الواحد له ، فالخليفة عليه أن يكون واحداً في الرحمة والكرم والفضل والإحسان ، فيجعل من اتصافه بهـٰذه الصفات أنموذجاً يُقتدىٰ به في كل حين وعلىٰ كل صعيد ، وأن يكون واحداً في اتباع منهج الواحد سبحانه حتىٰ يتأمل من حوله في امتثاله لهـٰذا النهج وتمثله لمنهج الواحد جل وعلا في النظر إلىٰ الأشياء وتأمل ما في صعدها ثم الحكم بما أمر الواحد جل في علاه واحداً أحداً فرداً صمداً !

اللهُمَّ إنك الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ! اللهُمَّ إنك الواحد الذي تتعدد صفاته الحسان ولا يتعدد ، وتتعدد معجزاته وهو الواحد لا يتعدد !

---

(1) آل عمران ، 64ـ70 .
(2) الفاتحة ، 2ـ3 .
(3) تفسير الرازي ، ج 1 ، ص 245 .

اللهُمَّ إنك الواحد الذي لا بداية إلا به والآخر الذي لا نهاية إلا به ، وإنك الواحد قبل الآحاد والآخر بعد الجموع ، والواحد قبل الحياة والواحد بعد الممات والواحد بعد البعث ، سبحانك لا إلـٰه إلا أنت الواحد الأحد !

اللهُمَّ إنك الواحد الذي لا شريك له في الملك ، والواحد الذي لا شريك له في العرش ، والواحد الذي لا شريك له في الخلق ، والواحد الذي لا شريك له في البعث والواحد الذي لا شريك له في الأمر !

اللهُمَّ يا الواحد نشهد إنك أنت الواحد القهار ، وإنك الواحد العزيز الجبار ، وإنك الواحد الملك المتعال ، وإنك الواحد الرحمـٰن الرحيم الذي كلما دعي بأسمائه الحسنىٰ استجاب ! اللهُمَّ يا الواحد ندعوك بأسمائك الحسنىٰ أن ترحمنا وتطهرنا من كل دنس وتفتح لنا السبل للإصلاح والفلاح والإعمار والكسب الحلال يا ٱلله !

✍ ✍ ✍

الصَّمَدُ جَلَّ جَلَالُهُ

الصمد : الكامل في سؤدده ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكم الذي قد كمل في حكمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، إنه ٱلله سبحانه وتعالىٰ . وهـٰذه صفة لا تنبغي إلا له ، ليس له كفؤ ولا كمثله شيء [1] .

الصمد : « الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا وَتَقْصِدُهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهَا وَمُهِمَّاتِهَا » [2] .

الصمد : هو الذي لا يكون في حاجة ، ولذا لا يوصف بما هو مادي وهو دائماً أعلىٰ وأعظم فلا يقارن بشيء سبحانه لا إلـٰه إلا هو واحد أحد صمد .

« اسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه » [3] .

الصمد : « الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » [4] .

الصَّمَدُ : هو « السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده ، والعظيم الذي قد عظم

---

(1) جامع الرسائل ، ج 1 ، ص 312 .

(2) شرح العقيدة الواسطية ، ج 1 ، ص 66 .

(3) أولياء الرحمـٰن ، وأولياء الشيطان ، ج 1 ، ص 72 .

(4) تفسير الطبري ـ ج 24 ، ص 691 .

في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو ٱلله سبحانه هـٰذه صفته ، لا تنبغي إلا له ، وقال آخرون : بل هو الباقي الذي لا يفنَىٰ »[1] .

الصمد : وهو من أسماء ٱلله الحسنىٰ الذي لم يرد إلا مرة واحدة في سورة تشتمل علىٰ أركان التوحيد ومبادئ الإخلاص لله تعالىٰ وهي سورة الإخلاص في قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] . نزلت هـٰذه السورة الكريمة علىٰ سيدنا محمد رسول ٱلله ﷺ لتجيب علىٰ سؤال الكفرة والمشركين حينما طلبوا من الرسول أن يصف لهم ربه ، فنزل قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ، وقل : فعل أمر لمحمد بأن يقول للمشركين إن ربه هو ٱلله ، الموصوف بأسمائه الحسنىٰ ، والله تعني المجرد من المشاهدة فهو يَرىٰ ولا يُرىٰ ، أي أنَّه لم يكن مادة ولا من مادة ، هو ٱلله الذي خَلق من يفكر فيه حتىٰ يدركه هو كما هو ، وذلك حتىٰ لا يكون اللبس مع الإلـٰه الذي يتخذه المشرك رباً ، وهو المخلوق من المادة التي خلقها ٱلله ، ولهـٰذا فإن الإلـٰه هو المأخوذ من الشيء ، والشيء من خلق ٱلله ، ولهـٰذا جاء قوله عز وجل للنبي الكريم صلوات ٱلله وسلامه عليه إجابة مأمورة (قل) ، هو الباقي الدائم الأعلىٰ والأعظم ، ولهـٰذا من صفاته أنه الخالق والخلاق ، أي خالق الشيء وخالق من الشيء أشياء .

نزلت هـٰذه السورة الكريمة لتجيب علىٰ سؤال الكفار لرسول ٱلله ﷺ ، بعدما سألوه عن إلـٰهه من يكون ، فنزلت هـٰذه السورة المباركة علىٰ الرسول

---

(1) المصدر السابق ، ج 24 ، ص 692 .

(2) الإخلاص ، 1ـ4 .

الكريم ﷺ ، تأمره بقراءتها وقولها إجابة لمن قدّم السؤال : (من إلـٰهك يا محمد) ؟

كان سؤالهم عن الإلـٰه ، وهـٰذا لسان حالهم ، حيث أنهم يؤمنون بالآلهة ، التي هي من اختياراتهم كالشمس والقمر والنجوم والنار ، أو من أيديهم الصانعة لها كالأصنام ، ولأن لسان حالهم وإيمانهم هو وجود الإلـٰه القريب لمشاهداتهم وحواسهم . لذا لم يرتق تفكيرهم إلىٰ ٱلله المجرد من المشاهدة المادية كما كانوا يعتقدون . فكانت الإجابة في قوله تعالىٰ قل لهم يا محمد أنه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (1) أي : أنا ٱلله الذي لا مثيل له مما يعتقدون ويتوقعون أو لا يتوقعون .

وبما أنه الواحد الذي لا يماثله شيء .

إذاً الواحد الذي لا يماثله شيء لا يمكن أن يشتق من شيء .

والقاعدة تقول : لا يشتق شيء من شيء إلا وهو علىٰ حالة من التماثل معه . ولذا من يقبل بأن اسم ٱلله مشتق من اسم إلـٰه فعليه أن يقبل بالتماثل مع المشتق منه ، وإذا قبل بذلك يجد نفسه علىٰ غير قاعدة .

ولأن الإلـٰه مخلوق (القمر والنجوم والشمس والنار والأصنام وغيرها مما اتخذ آلهة من دون ٱلله) . ولأن ٱلله هو الخالق . إذاً كيف يؤمن الإنسان باشتقاق الخالق من المخلوق ؟ ! !

ولذلك لا أحد يتماثل مع ٱلله عز وجل ، فالذي لم يكن له كفواً أحد ، ليس مثله شيء ولا تدركه الأبصار فلا يماثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ولا في الاسم . وعلينا أن نتبيّن الفرق بين الاسم والمسمىٰ ، فالاسم اسم ٱلله ، والمسمىٰ الآخر (الإلـٰه مسمىٰ) ، و (أسماؤنا مسميات) ،

---

(1) طه ، 14 .

أما ٱلله فلم يسمه أحد ، حتىٰ يقال عنه المسمىٰ ، فاسمه عز وجل في ذاته . ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (1) . إذاً بما أنه قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ﴾ والله لا يماثله شيء في الصورة ولا المضمون ولا الاسم . إذاً (لا إلـٰه إلا ٱلله) . أي : لا إلـٰه من دونه (لا معبود بحق من دونه) فلا وجود لمن يستحق العبادة غيره ، فالذي سُمي بالإلـٰه يقول ٱلله ليس هو أنا ولهـٰذا قال تعالىٰ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي : لا إلـٰه غيري ، وبالتالي من تعتقدون بأنه أنا فهو لم يكن كذلك ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ولهـٰذا نهىٰ ٱلله العباد عن اختيار آلهة من دونه ، حيث لا وجود لمن تعتقدون بأنه ٱلله غيري ، فأنا ٱلله . أما أولـٰئك الذين اتخذتموهم من دوني فهم ليس أنا ، وهـٰذه تحمل في مضمونها حكماً وجوبياً لتركهم ، ومن لم يترك هـٰذا الأمر ويتخلىٰ عنه سيكون مشركاً ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (2) . ولهـٰذا لا يعد الإلـٰه من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، بل الإلـٰه مسمىً من قبل البشر وبالتالي جاء الخطاب علىٰ لسان حال الذين أطلقوا هـٰذا المسمىٰ (المعبود) الذي يقبل التعدد . ولذلك فالله هو الواحد الأحد الذي تتعدد صفاته التي بها يُسمىٰ وهو لا يتعدد . وهنا يتضح الفرق بين اسم ٱلله وبين بقية أسمائه التي يتصف بها ويحق لنا أن نسميه بها ما يجعله المسمىٰ بصفاته الحسنىٰ .

أما الله تعالىٰ فهو الاسم الأعظم المطلق الذي لا يقتصر علىٰ صفة أو خاصية واحدة ، بل هو الذي تتعدد فيه الصفات التي يتضمنها ويحتويها في أسمائه الحسنىٰ ، والتي إن نعدها لا نحصيها ، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (3) ، وهـٰذا لا يعني أن نعمة ٱلله غير محصية ، بل تعني أن قدراتنا المحدودة لا تستطيع حصرها وعدها ، مع أنّ ٱلله أحصىٰ كل شيء وعده عدّاً

(1) الشعراء ، 9 .
(2) طه ، 8 .
(3) إبراهيم ، 34 .

كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [1] .

إذاً بالنسبة لله كل شيء مسجل إحصاءً وتعداداً ، أما بالنسبة لنا نحن بني الإنسان فغير قادرين علىٰ ذلك ، وإلا هل هناك من يستطيع أن يحصي ما تراه العين أو يُحسُّ به وما لا تراه العين ولا يُحسُّ به مع أنه موجود من حولنا وعلىٰ مقربة منا ، وكذلك يمتد إلىٰ ما يبعد عنّا إلىٰ مالا نهاية حيث قدراتنا القاصرة أمام مقدرته تعالىٰ ؟

ينتفي التماثل مع ٱلله في الفعل والاسم والذات والصفة وفي كل شيء ، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [2] . لا إلـٰه نفي لاعتقاد ظني في إلـٰه يفيد ويضر ، أو يقرّب من ويبعد عن ، مع تأكيد علىٰ الوحدانية (هو ٱلله) . واستثناء الإلـٰه الذي ينسب إلىٰ الذين ألهوه باختياراتهم أو لرغباتهم وحسب ظنونهم . ولذا فإن اسم الإلـٰه يرتبط بتأليه (تعلّق) من البشر لغير ٱلله . أمّا اسم ٱلله تعالىٰ فلا يرتبط بالإلـٰه إلا لسبب تقريب المعنىٰ والدلالة للذين يظنون باعتقاداتهم في الآلهة حتىٰ يتبين لهم المعنىٰ المرشد إليه وهو ٱلله .

إذاً ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ تعني : لا معبود بحق إلا ٱلله ، ولذا فإنَّ الإلـٰه ليس هو ٱلله ، وبما أنه ليس هو ٱلله . إذاً لا يُمكن أن يكون من اشتقاقاته ، (ليس من اشتقاقات اسم ٱلله) . الإلـٰه مسمىً بشري أطلقه البشر علىٰ ما يعبدون ، أما اسم الجلالة (الله) مسمىً ذاتي مصداقاً لقوله تعالىٰ في سورة الشعراء : ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ ولهـٰذا اسمه غير مشتق ، ولا يُشتق منه مسمىٰ . فلو سلمنا بأنه بالإمكان أن يشتق منه مسمىً نسلم أيضاً في الوقت ذاته بالتعدد ، وهـٰذا أمر مستحيل حيث ٱلله واحد لا يتعدد ولا شريك له .

---

(1) مريم ، 93ـ95 .

(2) الحشر ، 22 .

ولذلك جاء اسم ٱلله اسم علم ليدل علىٰ ذاته ، ومجموع صفاته الحُسنىٰ . وهـٰذا ما يخالف ما ورد في بعض المشتقات اللغوية التي تسند اسمه تعالىٰ إلىٰ اشتقاق من (ألَه) التي تعني التحيّر في وعدم الاهتداء إلىٰ ، ويقال : إنه مشتق من (الوله) وهو ذهاب العقل والحب الشديد ، الذي قد يؤدي إلىٰ ذهاب العقل من التعقل . ويقال : إنه مشتق من (لاه) ولهـٰذا جاءت (أله وألوهة وألاهة) وهـٰذه تدل علىٰ أن الإلـٰه هو المعبود بحق أو بباطل ، كما ورد في كتاب القول الأسنىٰ في شرح أسماء ٱلله الحسنىٰ [1] .

وعليه ، قل : فعل أمر ملزم القول لمن يقال له وهو مؤمن ، ولهـٰذا قاله رسول ٱلله ﷺ كما أنزل في سورة الإخلاص ، وهو القول الحق . والله واحد لا يتكرر ولا يتعدد ولهـٰذا فهو الواحد الأحد ، أي : هو الذي لا يبدأ العدد إلا به ولذا فهو الأول والآخر ، فلا وجود لإله يعبد وحده لا شريك له إلا هو ، أي لا وجود لغيره ، إنه الواحد الذي لا يثنىٰ ولا يجمع ، ولهـٰذا فهو واحد أحد .

والصمد : هو الواحد ، وهو الواحد الذي لا يتصف بالميلاد بالمطلق (لم يلد ولم يولد) ، ولأنه كذلك لا يتصف به أحد ، (لم يكن له كفواً أحد) فهو واحد في ذاته جل جلاله ، لا شبيه ولا مثيل في الصفات ، ولا قريب من أبوة وأمومة ولا وريث من أبناء وأحفاد ، إنه الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .

والصمد : هو الثابت علىٰ الوحدانية والخالي من الشبه والمثيل ، وهو الذي لم يلد ولم يولد ، لا إلـٰه إلا هو .

والصمد : هو الحي الباقي علىٰ الوحدانية فهو لا يثنىٰ ولا يجمع

---

(1) مجدي صور الشورىٰ ، القول الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ . القاهرة ، مكتبة العلم ، 1999م ، ى ص 29 .

ولا يشتق منه شيء لأنه لم يكن شيئاً لتشتق منه الأشياء ، إنه الخالق الذي خلق الشيء وخلق منه أشياء تثنىٰ وتجمع ، ولا تحصىٰ إلا منه وحده ، قال تعالىٰ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (1) .

الصمد : هو الذي تُستمد منه الصفات ولا يستمد منها ، والصامد الثابت الباقي علىٰ حالته التي هو عليها ، ولهـٰذا فالصمد المطلق هو الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، والصمد بالإضافة هو الذي يستمد صفاته من الصمد المطلق بثباته علىٰ توحيده واحد أحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير ، أما أولـٰئك الذين لا يصمدون علىٰ توحيده هم الذين لا يصمدون علىٰ الحق ، ومن لم يصمد علىٰ الحق لا يمكن أن يكون من المستخلفين فيها ، وذلك لأن الاستخلاف حق ، ومن فقد هـٰذه الصفة فقد أن يكون من الوارثين في الدارين ، حيث لا توريث إلا لموحد مؤمن بالصمد الذي لم يكن إلـٰهاً مخلوقاً أو مخلقاً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

وعليه الصمد هو الذي لم يكن له شبيه ولا مثيل في شيء في دائرتي النسبية والمطلق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ .

الصمد في لسان العرب : « الذي صَمَد إِليه كل شيء أَي الذي خَلق الأَشياءَ كلها لا يَسْتَغْني عنه شيء وكلها دالّ علىٰ وحدانيته » (3) ، هـٰذا المعنىٰ

(1) إبراهيم ، 34 .

(2) آل عمران ، 85ـ89 .

(3) لسان العرب ، ج 3 ، ص258 .

اللغوي المرتكز علىٰ محورية الالتجاء والحاجة والسيادة نلمحه بشدة في الدلالة القرآنية ولعلنا هنا نستطيع أن نتصور حجم الصورة وأهميتها من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه : « أَيَعْجِزُ أحدكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالَ : قُلْ هُوَ ٱللهُ أحد تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » (1) ، ذلك أن هـٰذه السورة كما يذكر المفسرون ودارسو النص القرآني أنها اشتملت علىٰ أركان التوحيد كلها ، والقرآن ثلثه توحيد وثلثه تشريعات وثلثه قصص وعبر ، ولهـٰذا اعتبر البعض سورة الفاتحة وكأنها قرأن كامل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (2) ، ذلك أن الفاتحة اشتملت علىٰ التوحيد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ واشتملت علىٰ التشريعات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وتضمنت القصص والعبر الربانية في قوله : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ الذين هم اليهود ، « حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمـٰن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مُرِّي بن قَطَرِيّ ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي ﷺ عن قول ٱلله عزَّ وجلّ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ قال : هم اليهود (3) .

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين هم النصارىٰ ، وهـٰذا هو محور القرآن كله ، « حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمـٰن ، قال : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مُرِّيّ بن قَطَرِيّ ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي ﷺ عن قول ٱلله : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، قال : النصارىٰ هم الضالون » (4) .

(1) صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 241 .
(2) الحجر ، 87 .
(3) تفسير الطبري ، ج 1 ، ص 186 .
(4) تفسير الطبري ، ج 1 ، ص 193 .

وسورة الإخلاص التي نحن بصددها التي اشتملت علىٰ اسم ٱلله الصمد فلم تعالج إلا قضية التوحيد وعدم الإشراك بالله وهي القضية الرئيسة التي كان الأنبياء أول ما يبعثون لتقريرها ، ويكفي أن نقرأ في سورة من سور القرآن مثل الأعراف في قول الأنبياء واحد بعد الآخر قوله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (2) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (3) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (4) . لذلك فإن فهم دلالة الصمد القرآنية الذي هو اسم عظيم من أسمائه لا يتأتىٰ إلا من معرفة مكانته في منظومة التوحيد القرآنية التي تشتمل علىٰ خمسة أركان أساسية :

أولاً : تفرد ٱلله سبحانه وتعالىٰ في الخلق بمعنىٰ أن ٱلله وحده هو الذي خلق هـٰذا العالم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (5) .

---

(1) الأعراف ، 59 .
(2) الأعراف ، 65 .
(3) الأعراف ، 73 .
(4) الأعراف ، 85 .
(5) الأنعام ، 102 .

ثانياً : إفراده تبارك وتعالىٰ في الملك بمعنىٰ أنه المالك الحقيقي ، وهـٰذا الجانب مبني علىٰ الجانب الأول فطالما أن ٱلله هو الخالق إذاً فهو المالك مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ (1) .

ثالثاً : تفرد ٱلله في الحكم والتشريع والأمر والنهي لأنه هو المالك الخالق : قال تعالىٰ : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

رابعاً : تفرد ٱلله تبارك وتعالىٰ بالعبادة والامتثال الكامل لحكم ٱلله وأمره : قال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (3) .

خامساً : تفرد ٱلله بأسمائه وصفاته وأفعاله فلا شريك له بهـٰذه المسميات الثلاثة : قال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (4) .

هـٰذه المنظومة التوحيدية يقع فيها دلالة الصمد في أكثر من محور فأما علاقة الصمد بتوحيد الخلق لله سبحانه وتعالىٰ أنه الخالق وهو الذي يستطيع أن ينجد خلقه ، والصمد من معانيه كما مر بنا من يلتجأ إليه في الحاجة ويتعلق الصمد بالجانب الثاني من التوحيد الذي هو الملك ، فالمالك لابد أن يكون هو السيد ومن معاني الصمد أنه مالك الملك الذي بيده مقضيات الحوائج فلولاه ما كنا في الأرض مستخلفين ولولاه ما كنا بعلوه في علو طائعين .

---

(1) المائدة ، 120 .
(2) يوسف ، 40 .
(3) الأنبياء ، 25 .
(4) الإسراء ، 110 .

فدلالة الصمد تتوافر فيها بشدة معاني التوحيد التي هي أساس دعوة الإسلام ، لهٰذا نرىٰ الإيقاع القوي في موسيقىٰ السورة المرتكز علىٰ دلالة فعل الأمر المتكرر ظاهرياً وفي البنية العميقة للسورة إذ ورد هٰذا الفعل ظاهراً في بداية السورة ثم أصبح يتردد بشكل خفي في داخل البنية العميقة للسورة للتأكيد علىٰ أهمية الأمر المنزل فيها . وهنا نتذكر الصيغة نفسها في عدة آيات متشابهة من حيث الغرض التبليغي الذي كان يؤمر به النبي أمراً مباشراً لا لبس فيه ، قال تعالىٰ : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (1) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ (2) .

وهٰذه الشدة في الخطاب مع الرسول مع علو مكانته وقدره عند ٱلله ذات أهمية بالغة في بيان أهمية الشيء المبلغ عنه وأمانة إيصال الرسالة من النبي ، ولهٰذا قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴾ (3) ، ذلك لأن الأمر الذي يراد تبليغه كما في سورة الإخلاص أمر علىٰ أهمية بالغة من الصلة بأصل الإسلام وعقيدة التوحيد .

ودلالة « الصمد » المتعددة النواحي بين السيادة والالتجاء وإجابة الحاجة والعناية والخلق قد ظهرت بسياقات مختلفة في النصوص القرآنية لم يرد فيها لفظ (الصمد) نعم لـٰكن وردت دلالته المرتبطة بهٰذه المعاني ، ولهٰذا نلحظ تشديد القرآن علىٰ محاربة دعوىٰ الإشراك بالله سواء أكانت من اليهود مع العزير أو النصارىٰ مع المسيح أو المشركين مع الأصنام فلا نجد نوعاً من أنواع الشرك إلا وقد ذكره القرآن الكريم منبهاً ومناقشاً ومحذراً ، فمع الأصنام نجد النبي

(1) الحجر ، 94 .
(2) المائدة ، 67 .
(3) الحاقة ، 44ـ46 .

إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي يمثل الخيار القرآني في رد هـٰذه العقيدة ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) ، ومع الشمس والقمر نجد القرآن يقول : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (2) ، ومع الملائكة والجن يؤكد ٱلله أنهم عباد له وليسوا آلهة فمن يتخذهم آلهة قد ضل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (3) . ومع عيسىٰ في قضية التثليث الذي جعلوه ثالث ثلاثة قال : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (4) .

الغلو هنا عند النصارىٰ كما كان عند اليهود افتراضهم لإله آخر غير ٱلله جاعلين التعدد مرتكزاً لهم في تفكيرهم العبادي بدل التوحيد الذي جاء به كل الأنبياء وهو الأمر الحق صلوات ٱلله عليهم وسلم تسليماً (5) .

تشكل النص القرآني وفق معطيات الدعوة الإسلامية التي واجهت في بدايتها قضية مهمة جداً ألا وهي قضية التوحيد ثم بعد ذلك بداية مرحلة جديدة وهي مرحلة التشريعات ، فخطاب التوحيد لم يكن خطاباً منغلقاً بل هو خطاب

---

(1) الأنعام ، 74 .
(2) فصلت ، 37 .
(3) سبأ ، 40ـ41 .
(4) النساء ، 171 .
(5) التحرير والتنوير ، ج 4 ص 103 .

اعتمد علىٰ مرجعيات سابقة وهٰذه المرجعيات السابقة تمثلت في التوراة والإنجيل وإن كانت قد حرفت ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (1) ، وقال : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (2) .

والخطاب القرآني في سبيل إثبات هٰذه الحقيقة يعتمد في تشكيله علىٰ تقابل صور متضادة تمثل في حقيقتها طرفين متنافرين يمثل أحدهما جانب الإيمان والآخر جانب الكفر ، فخطاب غير المسلم في الدنيا يحمل جوانب تصويرية متنوعة الهدف منها توجيه الخطاب الىٰ عملية التأثير الكلي في المتلقي بوصفه منكراً مواضيع الخطاب .

الصمد : هو ٱلله المقصود في الحاجات وهٰذه الحاجات بطبيعة الحال تكون مرتبطة ارتباطاً كلياً بالخليفة الذي يبحث دائماً عن المنجد الذي يلبي له كافة متطلباته ، فالعلاقة هنا علاقة عقائدية تتسم بنضج فكري ومعرفي تابعة إلىٰ فكرة التوحيد التي آمن بها الخليفة والمتأتية من الرسالة التي جاء بها الرسول محمد ﷺ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا

(1) آل عمران ، 93ـ100 .
(2) الرعد ، 16 .

تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (1) .

هـٰذه طلبات يطلبها الخليفة من أجل الاستمرار في الحياة ، فهي لم تكن طلبات مادية إنما هي طلبات روحية تتعلق بأخطاء بشرية ارتكبت فهي تتعلق بأمرين رئيسين :

الأمر الأول : يتعلق بالخليفة نفسه من نسيان وخطأ وعدم التحمل بما لا يطيق .

الأمر الثاني : فهو استدعاء للماضي القديم الذي تشرب بعقله من أخبار الأمم السابقة وكيف كانت نهايتهم المأساوية جراء ما عملوه في الحياة الدنيا .

وفي نهاية المطاف يطلب النصر علىٰ الكافرين وهو غاية الخليفة الصالح ومن دلالات الصمد القرآنية إجابة الدعاء ، قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) . فإجابة الدعاء من خواص الربوبية التي يختص بها الإلـٰه الواحد لأنه الحق الذي ليس كمثله شيء فهو يجيب المضطر الذي هو في حاجة إليه ، وهو أيضاً يجيب غير المضطر ، فالله يجيب كل إنسان إلا أن إجابة المضطر فيها دلالة علىٰ قدرته تعالىٰ بعدّه الملجأ الوحيد للمضطر الذي سلك كل السبل ولم يبق له إلا الصمد الذي يلتجأ إليه عند الحاجة (3) .

هنا يرتبط الدعاء ببنية مغلقة مكتفية بذاتها وتحيل إلىٰ فكر ينبثق علىٰ عنصر جديد هو الاضطرار بحيث يخرج الدعاء من الحالة التقليدية التي رسمها

---

(1) البقرة ، 286 .
(2) النمل ، 62 .
(3) الكشاف ، ج 5 ، ص95 .

الخليفة طيلة حياته إلىٰ حالة جديدة فرضتها عليه حالته الجديدة من مرض أو عوز فهنا يكون اللجوء إلىٰ الصمد الذي هو نعم المجيب لخليفته الذي ينظر له دائماً بعين الرضا في كل الأحوال ذلك أن المجيب هنا نوع خاص لا ثاني له فهو قريب ممن يدعوه ، ولهـٰذا ذكر ٱلله بعد لفظ الصمد ما يوضح دلالته بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [1] ، فخصائص المجيب هنا فريدة وخاصة جداً لا يوجد لها نظير في غيره وهـٰذا أيضاً ما توحيه لفظة الصمد الذي له السيادة المطلقة علىٰ كل شيء . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [2] ، أي : فقل لهم إني قريب ، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه علىٰ أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم [3] .

الصمد عز وعلا يعزز صمديته بخطابه هـٰذا ويؤكدها ، فالمسألة هنا ليست عملية قرب أو بعد فورود القرب هنا يرسم معلماً للخليفة وكيفية مخاطبته فخطاب الصمد هنا رسم أبعاداً واضحة المعالم لصمديته فيتردد القرب مع الإجابة في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [4] ، وكذلك مع السمع فقال : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [5] . وجاءت الاستجابة للذين اتسموا بالمهاجرة والمقاتلة في سبيل ٱلله في قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ

---

(1) الإخلاص ، 3ـ4 .
(2) البقرة ، 186 .
(3) البيضاوي ، ج 1 ص 221 .
(4) هود ، 61 .
(5) سبأ ، 50 .

أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (1) .

الصمد : هو ٱلله الواحد الأحد الذي بيده الحكم وهو الذي بيده العلو والرفعة عن كل هبوط ، وهو وحده القادر بالمطلق . ووحده هٰذه كلمة يؤكدها القرآن الكريم لما لها من أهمية في وحدانيته جلَّ جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٨٣ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾ (2) .

وفي دفاعهم عن عبادة الآباء والأجداد يذكر الحق تبارك وتعالىٰ ذلك بما قالوا : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ (3) ، وبأن العداوة والبغضاء قائمة إلا أن تؤمنوا بالله وحده : ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (4) . يرتسم هنا النص القرآني وفق معايير مجموعة من الأفكار التي

---

(1) آل عمران ، 195 .
(2) غافر ، 83ـ85 .
(3) الأعراف ، 70ـ71 .
(4) الممتحنة ، 4ـ5 .

ترعرعت في عقل المخاطب والتي نتج عنها إدراك حالة جديدة هي البحث عن الواحد الصمد من خلال ترديد لفظة (وحده) التي هي نهاية المطاف لكل الأفكار السابقة أي أن كل كلام سبق لفظة (وحده) مثل مجموعة من الحزم المتشعبة التي تناولت مختلف الأفكار والمعتقدات والتي انتهت بشعاع واحد ارتسم وطغىٰ علىٰ كل التوجهات والمقصودات وهو الصمد وحده .

الصمد : صفة من صفات ٱلله في العلو والوحدانية ، فهو صمد في علوه ورفعته ولهٰذا فهو بالمطلق صمد لا يمكن أن يطال ولـٰكن من يؤمن به ولا يشرك به أحداً يكون منه قريباً سميعاً مجيباً رحماناً رحيماً . فليستجيبوا له يجدوه مجي‌باً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [1] .

وعليه فالله الصمد بعلوه قريب وبرفعته قريب ، أما أولـٰئك الذين يتخذون آلهة من دونه فبرغم قربهم بين أيديهم فهم لا يسمعون ولا يستجيبون ولا يفيدون أحداً ، وهم في حاجة لمن يرعاهم من التلف والفساد والضياع والانتهاء ، ولهٰذا فالصمد وحده سميع مجيب ، وما أجمل أن يكون المعبود واحداً أحداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويكون في علوه لا يطال ولا يُمسُّ ولا ينظر إليه وهو يسمع ويرىٰ سبحانه إنه ربي الذي به آمنت وعليه توكلت وأوليت أمري وأمر أسرتي وما أملك إليه لا إلـٰه إلا هو النافع والحافظ من كل حسد وسوء وضرر ومن كل شعوذة وسحر وهو الغني القوي المجيب سبحانه صفاته لا تحصىٰ إنه ٱلله الصمد جل جلاله .

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ

---

(1) البقرة ، 186 .

بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (1) .

الصمد : هو مالك القوة بالمطلق ، الذي خلق السمٰوات والأرضين وما فيهما وما خلق منهما من مخلوقات إنه علىٰ كل شيء قدير ، ولهٰذا فالإنسان الذي خلق من الأرض خلق من القوة بالقوة ، ولذا في أساس خلقه القوة ، أما إذا حاد عن انتمائه للمصدر الذي منه يستمد القوة يجد نفسه وهناً ضعيفاً ، وإلا هل يعقل من خلق في أحسن تقويم إذا ما قورن بغيره من المخلوقات أن يكون ضعيفاً ؟ لا يمكن أن يكون ضعيفاً إلا في حالتين :

الحالة الأولىٰ : إذا ارتضىٰ أن يقارن نفسه مع الصمد المطلق فيجد نفسه وهناً ضعيفاً ولا مجال للمقارنة بين خالق ومخلوق ولٰكن للتوضيح فقط والحمد لله إننا من المؤمنين .

الحالة الثانية : إذا اعتمد في قوته علىٰ غير من أمده بها ، أو أنه استعان بغير ما أعطاه خالقه من مصادر عون (الكتاب المبين والرسالة الخاتمة) يجد نفسه علىٰ ضعف لا قوة له ، أي لا يملك الكلمة التي تمده بالحجة قوة ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ويقول شئت إذا لم يتذكر ويعود إلىٰ الذي بيده أمر المشيئة .

وعليه فالإنسان المستخلف في الأرض قوة من حيث الآتي :

أولاً : الفرد قوة والجماعة أقوىٰ والمجتمع أكثر قوة : قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ

---

(1) الأعراف ، 194 ـ 195 .

(2) هود ، 80 ـ 81 .

فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ
وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ
جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ
أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

الإنسان قوة هائلة ، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل . يستمدها من القيمة التي قوَّمه ٱلله بها . هٰذا التقويم هو الذي جعل من الفرد قوة ، ومن الجماعة قوة مضاعفة ومن المجتمع أكثر قوة .

وبما أن الإنسان خُلِق في أحسن تقويم .

إذاً هو مقوّم بما هو عليه من قوة .

ولهٰذا كل ما نراه قوياً هو ضعيف أمام قوة الإنسان العقلية والحسية والذوقية . وأيضا مهما نظرنا للإنسان بأنه قوة ، فهو الضعيف أمام قوة خالقه . ولذا فإن كل شيء ممكن هو في دائرة النسبية ، حيث لا مطلق إلا من عند ٱلله تعالىٰ .

فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر ، ويستقرئ ويستنبط ، ويخطط ويقدم فينجز ، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر .

ولذا فالقاعدة هي :

الإنسان قوة في دائرة الممكن .

---

(1) النحل ، 89ـ93 .

والاستثناء هو :

الإنسان ضعف في دائرة الممكن .

ولأن الضعف والوهن هو خروج عن القاعدة ، لذا فمن الواجب أن يتم العمل علىٰ العودة والإصلاح بدلاً من الإفساد ، وبالرغم من أن الإنسان قوة ؛ إلاَّ أن هناك بعضاً من الأفراد الذين يواجهون وهناً في طبيعتهم الخَلقية ، حيث المعتوه الذي يعاني من تأخر في قدراته العقلية ، والذي تعطّلت بعضٌ من حواسه ، ونجد البعض يعيش في تأزماته الحياتية ، هـٰؤلاء هم في حاجة لمن يقدم إليهم المساعدة الهادفة : الخدمية والتأهيلية والإصلاحية والمعرفية والروحية .

وعليه :

متىٰ يكون الأفراد أو الجماعات قوة ؟

1 ـ عندما يندمجون بقوتهم مع قوة الآخرين بإرادة .

2 ـ عندما يتمكنون من ممارسة حقوقهم .

3 ـ عندما يلتزمون بتأدية واجباتهم .

4 ـ عندما يكونون قادرين علىٰ حمْل المسؤوليات .

5 ـ عندما يكون لسان حالهم (نحن سوياً) . كقولهم لا للفساد ، نعم للإصلاح لا للكسل ، نعم للعمل .

6 ـ إذا تمكنوا من استيعاب بعضهم بعضاً دون تفرقة وتحسس .

7 ـ إذا تمكنوا من التطلُّع للآخرين .

8 ـ عندما يتهيئون لإحداث التغيير إلىٰ ما هو أفضل وأحسن وأجود .

9 ـ عندما يلعبون أدواراً وصلاحيات واختصاصات بمهارات متنوعة .

وبما أن كل فرد قوة ، إذاً يجب أن يكون لكل فرد دور يؤديه ، ومن ينحرف عن دوره تصبح قاعدة الوجوب إصلاحه ليعود إلىٰ مركزه الطبيعي ، وهو القوة الفاعلة مع بقية مفردات المجتمع . ونظراً لوجود الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات والمهارات والتخصصات ، فإن الأدوار تتنوع وفقاً لذلك .

10 ـ عندما يستثمرون إمكاناتهم المادية الاستثمار أمثل ، تمشياً مع كل حلقة من حلقات التطّور والتقدم التقني والعلمي .

11 ـ عندما تُشبع حاجاتهم المتطورة .

12 ـ عندما تسود العدالة في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات ، ويقدر الأفراد والجماعات حق قدرهم .

13 ـ عندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السلوك والفعل .

14 ـ عندما تصبح الثروة ملكاً عاماً لأفراد المجتمع دون أي حرمان من الملكية الحرة والاستثمار الحر .

15 ـ عندما تلغىٰ من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كل كلمات الإكراه والإجبار بغير حق .

16 ـ عندما تكون الثروة قوة تمكن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود .

17 ـ عندما يكون التعليم قوياً . وقوة التعليم ليس ألفاظاً ومقررات ، ولٰكن التعليم بما يحققه من منجزات إضافية علىٰ قوة أفراد المجتمع .

18 ـ عندما يرتفع المستوىٰ الصحي للأفراد والجماعات . فالصحة قوة ، والأفراد الذين يغفلون عن هٰذه القوة ، يضعف مستوىٰ أدائهم وإنتاجهم ، ومتوسط أعمارهم . لذلك كلما كانت قوة الإنسان وصحته سليمة ، تمكّن من تجاوز الصعاب ، والتطلّع بدون تردد إلىٰ الأمام ،

بما يحقق أهدافاً ، وينجز أغراضاً ، ويبلغ غايات .

وكما عرفنا أن الأفراد والجماعات قوة بوحدتهم وكيانهم ، نتعرّف أيضاً كيف أن القوة الكلية تتجزأ إلىٰ الآتي :

- قوة العقل .
- قوة الحواس .
- قوة النفس .
- قوة العاطفة .
- قوة الإرادة .
- قوة القرار .
- قوة التنفيذ .
- قوة المتابعة .
- قوة التقويم .
- قوة التصحيح .

يستمد الإنسان قوته من قوة خالقه ، ويستمد قدرتهُ من قدرتِهِ ، وكل معطيات القوة يمكن أن تكون بيده إذا عرف أنّ عقله قوة ، وقدراته قوة ، ومهاراته قوة . وإذا فكر وخطط ، ورسم الاستراتجيات أنجز أهدافه بكل قوة ، وإذا لم يستثمر ذلك فلن يكون إلا ضعيفاً .

ولأن الإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية فهو أقوىٰ علىٰ المستوىٰ الجماعي والأكثر قوة علىٰ المستوىٰ المجتمعي .

وعليه فالإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية ، وهو أقوىٰ بمشاركته الجماعة ، والأكثر قوة بتوحده مع المجتمع .

وعليه فالقاعدة هي :

1 ـ الفرد أقوىٰ بمشاركته الجماعة .

2 ـ الفرد أكثر قوة بمشاركته المجتمع .

والاستثناء هو :

1 ـ الفرد ضعف إذا ما قورن بقوة الجماعة .

2 ـ الفرد أكثر ضعفاً إذا ما قورن بقوة المجتمع .

ولهٰذا فإن القوة الاجتماعية تكمن في الأتي :

ـ قوة العلائق وترابطها .

ـ قوة المشاركة وحجمها .

ـ درجة التفاعل وتماسكها .

ـ قوة التنظيم وتشريعاته .

ـ قوة الدين وتسامحه .

ـ قوة العرف و أصالته .

ـ قوة القوانين وشفافيتها .

ـ ممارسة الديمقراطية بإرادة .

ـ اتخاذ قرارات واعية .

ـ تنفيذ القرارات بوعي .

ـ حمْل المسؤوليات وتحمُّل ما يترتب عليها من أعباء .

ـ مستوىٰ التطلع ودرجاته القيمية .

ثانياً : إيمان المجتمع مكمن القوة : قال تعالىٰ : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (3) .

ولأن الإنسان المستخلف هو مكمن القوة ، فقوته تُستمد من الدين الذي هو من الواحد الأحد الصمد . والذي ينبغي أن يتجسد في تنظيمه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من حيث الآتي :

(1) الأنفال ، 60 ـ 61 .

(2) التوبة ، 69 ـ 71 .

(3) البقرة ، 25 ـ 27 .

ـ التنظيم الاجتماعي من حيث قوة القيم والفضائل التي تغرس في نفوس الأفراد الصلابة وتجعلهم في حالة وحدة لا في حالة تجزئة وتفرد .

ـ التنظيم الاقتصادي من حيث قوة الإنتاج المُشبع للحاجات المتطورة ، والمنافسة التي تُمكِّن أفراد المجتمع وجماعاته من التطلُّع إلىٰ كل مفيد ونافع .

ـ التنظيم السياسي من حيث قوة اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته وتقييم النتائج المترتبة علىٰ تنفيذه ، ولهٰذا ينبغي أن يُبنىٰ القرار علىٰ قوة قاعدة معيارية مستمدة من إطار مرجعي طبيعي كالدين والعرف حتىٰ يكون التمسك بها إرادياً .

وعليه القاعدة هي :

1 ـ قوة التنظيم السياسي من قوة الإيمان بالواحد الصمد .

2 ـ قوة التنظيم الاجتماعي من قوة الإيمان بالواحد الصمد .

3 ـ قوة التنظيم الاقتصادي من قوة الإيمان بالواحد الصمد .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف التنظيم السياسي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد .

2 ـ ضعف التنظيم الاجتماعي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد .

3 ـ ضعف التنظيم الاقتصادي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد .

ولذا إذا أرِيدَ للمجتمع أن يكون قوياً مؤمناً بالواحد الصمد ، عليه بتمكين أفراده من ممارسة الحرية بأسلوب الشورىٰ في المجالات الآتية :

المجال الاجتماعي .

المجال الإنتاجي .

المجال السياسي .

المجال النفسي .

المجال الذوقي .

المجال الثقافي .

وعليه فالقاعدة هي :

1 ـ اعتماد القوة في الكلمة .

2 ـ اعتماد القوة في الفعل .

3 ـ اعتماد القوة في السلوك .

والاستثناء هو :

1 ـ عدم اعتماد القوة في الكلمة .

2 ـ عدم اعتماد القوة في الفعل .

3 ـ عدم اعتماد القوة في السلوك .

ثالثاً : العقل قوة : سورة البقرة : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ

(1) البقرة ، 44 .

(2) البقرة ، 242ـ245 .

مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (2) .

ولأن ملكة التمييز قوة ، فإن تنميتها تجعلها في حالة فطنة ، ولذا فإن تنميتها تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن . ولهٰذا في ملكة التمييز الفطنة دائماً في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة ، وتحقيق نجاحات علىٰ المستوىٰ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وعليه فالقاعدة هي :

1 ـ ملكة التمييز قوة .

2 ـ تنمية ملكة التمييز فطنة .

والاستثناء هو :

1 ـ ملكة التمييز ضعف .

2 ـ عدم تنمية ملكة التمييز غفلة .

ولذا فإن تنمية ملكة التمييز يؤدي إلىٰ الأتي :

ـ زيادة درجة الوعي والفطنة .

---

(1) يوسف ، 2 ـ 3 .

(2) الأنبياء ، 59 ـ 67 .

- تبيُّن الحق عن ثقة .
- معرفة ما يجب والإقدام عليه .
- معرفة ما لا يجب والإحجام عنه .
- استبصار مكامن القوة ومكامن الضعف .

وتكمن قوة العقل في الطريقة التي يُفكر بها الإنسان ، وفيما يفكر . وإذا ما تمكّن الخليفة من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها الإنسان ، وفيما يفكِّر ، واكتشف مكامن القوة والضعف فيه ، يستطيع أن يرشده إلىٰ كيف يُفكر بقوة فيما هو أصح .

إن عقل الإنسان ، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية ، ونقلها إلىٰ الدماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ .

والصمد بالإضافة في تدبره للأمر ، ينبغي أن لا يقف عند حد السلوك والفعل المُشاهد والمُلاحظ ، بل عليه أن يدرك مصدر هـٰذا السلوك والفعل ، وهو العقل وما يحويه من قوة هائلة . هـٰذه القوة هي التي جعلت مجموع قوة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوة المجمّعة ، وليس من حاصل القوة المتفردة .

وعليه : هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هـٰذه القوة ، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع) ، ومن ثمَّ نجد المبررات التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكاً سلبياً ، أو سلوكاً إيجابياً ، كما نتمكَّن من تصحيح مسارات بعض الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها ، وبذلك نستطيع خلق نُقلة في عقله أو عقل الجماعة ؛ أي في خلق النقلة في كيفية التفكير وفيما يُفكر أو تفكر فيه ، وبما يعود عليهم من منافع وفوائد قيميّة . وهـٰذه الخطوات هي :

1 ـ تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة ، وكل معلومة أو فكرة تتحرك في مسارها الخاص ، بما يُعطي ترابطاً عصبياً بين المعلومة المختزنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان . فعلىٰ سبيل المثال : الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه ، كلما مرَّ بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجيناً تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة .

2 ـ في كل مرة يحدث فيها ترابط عصبي ، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة ، ويُسّجله في جهازه العصبي ، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل . مثلاً : الفرد الذي قام بفعل السرقة وعوقب علىٰ فعله ، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هـٰذا الفعل .

3 ـ أما الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأول مرة ، ولم يقم بتكراره ، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز علىٰ تكرار السلوك والفعل ، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية .

لذا يأتي دور الخليفة ، الذي يسعىٰ إلىٰ إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافا سالباً ، حيث عليه أن يدرك أن أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن ، تحتاج إلىٰ طريقة فعّالة لإحداث التغيير ؛ ذلك لأنها كوّنت روابط عصبية قوية في العقل البشري ، ما يجعل الضرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير إلىٰ ما هو أفضل ويمكن من الصمود والعلو والرفعة التي تقرب الخليفة من مستخلفه جل جلاله .

عليه :

ـ قوِّ إرادتك .

ـ صحِّ نفسك من غفلتها .

ـ نمِّ قدراتك .

ـ هيئ استعداداتك .

ـ استثمر إمكاناتك .

ـ استرجع ماضيك وأخضعه للتقييم .

ـ استقرئ حاضرك وقارنه مع أهدافك .

ـ تطلّع لمستقبل أفضل .

ـ تحدَّ الحاضر واقبل بتحدي الصعاب .

ـ أقدم علىٰ العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط ، تذكر فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين ، وفكر في الكيفية التي عليها كان الخلق حتىٰ تدرك الحق ويأتيك اليقين من بين الكتاب الذي بين يديك فهو مجمع الآيات الإعجازية التي تهدي للحق والسبيل المستقيم .

رابعاً : الحواس قوة : قال تعالىٰ : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [1] ،

---

(1) الأنعام ، 96ـ101 .

وقال تعالىٰ : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [1] .

الإنسان مقوَّم بحواسه ، فبها يُميّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويلحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن .

ولذا فإن القاعدة هي :

قوة الحواس .

والاستثناء هو :

ضعف الحواس .

ولأن الحواس قوة ؛ فهي تكمن في الآتي :

1 ـ قوة البصر .

2 ـ قوة البصيرة .

3 ـ قوة الاستماع .

4 ـ قوة الإحساس .

5 ـ قوة الذوق .

6 ـ قوة اللمس .

7 ـ قوة الشم .

---

(1) الفرقان ، 44ـ50 .

8 ـ قوة الحاسة التامّة .

وبما أن الإنسان قوة ليس له علاقة بالضعف إلا إذا قورن بخالقه . إذاً الذين يركنون إلىٰ الضعف هم الذين ضعف إيمانهم واختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قوياً . ولأن الأفراد والجماعات قوة مندمجة بوحدتهم ، فهم بها قادرون علىٰ إحداث النقلة كلما تمكنوا من اكتشاف القوة فيهم .

1 ـ **البصر قوة** : قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (3) .

البصر نعمة من نعم ٱلله علينا ، فهو القوة ، التي تمدنا بقوة النظر والمشاهدة ، حتىٰ تُمكننا من الانتقال والامتداد الحر ، وتمكن البحاثة من متابعة ردود الأفعال واستقرائها بوعي وتقصٍ دقيقين ، حتىٰ الوقوف علىٰ العلل والمسببات الكامنة والظاهرة التي تؤثر علىٰ المتغيرات ذات العلاقة بالموضوع قيد الدراسة أو البحث .

ولذا كلما نظر الأخصائي الاجتماعي أو النفسي للفرد أو للجماعة ، وأعينهم تنظر إلىٰ أسفل وهم في حالة خشية يعرف جيداً أن ما في أعينهم من خشية هي القوة التي تُمكّن العملاء من مشاهدة الأخصائي ولو خلسة .

---

(1) يوسف ، 96 .
(2) طه ، 125 .
(3) النجم ، 12ـ19 .

ما يستوجب الفطنة من الأخصائي والمشاهدة الواعية حتىٰ لا تتم الغفلة عن كل مهم ونافع لدراسة الحالة سواء كانت حالة فردية أو حالة جماعية أو مجتمعية .

وهٰكذا عندما ينظر إلىٰ الفرد والجماعة والعملاء وهم في حالة من الارتخاء ، عليه أن يعرف أنهم في حالة تجميع قوة خارقة ، تمكّنهم من إخفاء الحقيقة عنه . لذا ينبغي عليه أن لا يغفل عن أهمية المشاهدة وقوتها ، وأن يعرف بأنه أمام قوة ، وحتىٰ وإن اعتبر نفسه قوة فعليه أن يعرف بأنه أمام قوة تمتلك المشاهد مثلما هو يمتلكها فلا يستهان بمن هو أمامه من المبحوثين الذين يمتلكون القوة .

ولهٰذا فإن القاعدة هي :

قوة البصر .

والاستثناء هو :

ضعف البصر .

وعلىٰ الأخصائي الاجتماعي أو النفسي أن يعرف أن من يستطيع أن يُظهر الضعف والوهن أمامه من العملاء فهو قوة ، فلو لم يكن قوة ما تمكّن من إظهار ضعفه أمام الأنظار ، لأجل أن يحقق غاية في نفسه ، ولذا علىٰ الأخصائي الاجتماعي أن يكون يقظاً وفطناً وواعياً بمن هو أمامه من قوة وإلا سيقع في دائرة الممكن غير المتوقع .

وعليه فإن الضعف والوهن ليس دائماً في المكوّن الكمي للزبائن أو العملاء أو الجماعة أو المجتمع ، بل الضعف في معظم الأوقات يتمركز علىٰ العقول التي تفكر ، والعيون التي تنظر ، فمن المهم أن يعرف الخليفة كيف يفكر الأفراد وكيف تفكر الجماعة ؟ وفيما يفكرون ؟ وكيف يستطيعون تحديد أهدافهم ؟ وكيف يخططون لإنجازها ؟ وكيف يُهيئون أنفسهم لذلك ؟ وكيف

يستثمرون إمكاناتهم ؟ وكيف يتقون الواحد الصمد فيما يقدِمون عليه من أفعال وأعمال ؟

2 ـ **البصيرة قوة** : قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [2] .

البصيرة هي مرتكز قوة الذاكرة التي يستمد البصر منها قوته ، ولذا فهي القوة التمييزية التي بها يتمكن الإنسان من التمييز بين ما يجب ويقدم علىٰ أدائه ، وبين ما لا يجب وينسحب عن أدائه أو يجتنبه التزاماً بأمر النهي عنه ، وطاعة تامة للواحد الصمد .

والقاعدة هي :

قوة البصيرة .

والاستثناء هو :

ضعف البصيرة .

(1) يوسف ، 108 ـ 111 .
(2) القيامة ، 14 ـ 19 .

ولذا فإن البصيرة مُدركٌ عقليٌّ ، وليس مُدركاً بصريّاً ، فيها موازين العقل ومميزاته ومدركاته . بها يتمكّن الخليفة من التحليل والتشخيص والتعليل ، حتىٰ اكتشاف نقاط الوهن ، ومن ثمّ يعمل علىٰ تقويتها .

إن الغوص في هـٰذا المُدرك العقلي يُمكِّن من امتلاك الفطنة واليقظة التي بدورها تُحفّز علىٰ ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات بدون تردد أو تأخير .

بالبصيرة الواعية يتمكّن الخليفة من التقييم والتقويم الموضوعيين للرؤىٰ والأهداف ، ولما يجب ولِما لا يجب . وعليه :

ـ فكّر بعمق حتىٰ لا تضمر بصيرتك .

ـ قارن بين الدقيق والأدق منه حتىٰ تقوىٰ بصيرتك .

ـ فكّر في دائرة الممكن غير المتوقع مثلما تفكر في دائرة الممكن المتوقع .

ـ تمرَّن حتىٰ تمتلك القوة التي تُلفتك لنفسك وتُمكنك من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولك ، وتمكنك من معرفة الإبل كيف خلقت والسماء كيف رفعت والجبال كيف نصبت والأرض كيف سطحت ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [1] .

ـ شخّص كل حالة تطّلع عليها لتكتشف خفاياها ، وتختبر مقدرتك التي بها تتغذىٰ البصيرة .

---

(1) الغاشية ، 17ـ26 .

ـ استرجع محفظتك من الذاكرة وأخضعها للتقييم ثم قوّم حالتك حتىٰ تستبصر ما كنت عليه ، وما يجب أن تُغيره بقوة الإرادة .

ـ استوضح نفسك مثلما تستوضح شخصيات العملاء والأفراد الذين تتولىٰ حالاتهم بالدراسة حتىٰ تتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة ، وإحلال محلها قوة البصيرة ، وتُسهم معهم في كشف الخفايا التي تُعثر أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم حتىٰ تنير الدروب المظلمة أمام بصائرهم ، ويسترشدوا إلىٰ سبل الحياة الاجتماعية والإنسانية وفقاً لقاعدة ما يجب ، لأجل إحداث النقلة إلىٰ ما هو مُفضّل .

ـ اكشف قوة البصيرة لدىٰ المنحرفين حتىٰ يتمكنوا من استقراء واستنباط الألم النفسي الذي يقع علىٰ الضحايا وذويهم (ضحايا الانحرافات السالبة) حتىٰ يستيقظوا من الغفلة التي هم فيها .

ـ لا تترك البصيرة ملكة عقلية للتخزين فقط ، بل اجعلها في حالة حركة ويقظة مع ما يجري ويدور من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وذوقية وثقافية في المحيط الاجتماعي والإنساني .

ـ اصح ، وصحِّ البصر من الغفلة ؛ حتىٰ يتم التعرف علىٰ النفس وما يجري من حولها ، واجعل بنيك يستبصرون أمرهم بكل موضوعية وذكرهم بالماضي الذي أسهم في غفلة البعض عمّا يجب ، فانحرفوا وحادوا عن طرق الهدىٰ . قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن

(1) الحشر ، 2 .

رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [1] .

ـ فتش نفسك ببصيرة مثلما تفتش غيرك ، واكشف أسرارك بتجرد أمام نفسك واسترها أمام الآخرين ، وهكذا كُن مع الآخرين حتىٰ يستبصروا ما بهم دون خجل .

ـ تنزه في نفسك حتىٰ تستبصر من أنت ، وتستبصر ما لك وما عليك ، وتعمل علىٰ الإصحاح .

ـ تحدَّ عقلك بالتفكير فيه حتىٰ تستبصر بصيرتك .

ـ اعرف أن قوة البصيرة بقوة التفكير فيها ، فلا تغفل عنها ، وإن قبلت بالإغفال عنها ستجدها السبّاقة علىٰ ذلك وتكون أنت من الخاسرين . ولذا فإن البصيرة تضعف عندما تدخلها الغفلة ، ولهذا عليك بالانتباه والتيقظ . فالغفلة تجعلك لا تعي بما فيك ، وما لك من قوة (قدرات واستعدادات وإمكانات) . ولا تجعلك تعي بمن حولك من الناس ، أفراد وجماعات ومجتمعات أو حكومات . ولا تعي بما تحاط به من ظروف ومواقف وإمكانات وما يحيطك من أفكار ومعلومات .

---

(1) القصص ، 51ـ 59 .

3 ـ **الاستماع قوة** : قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (3) .

قوة الاستماع تكمن في دقة التتبع وتوجيه الأذنين عن وعي لكل كبيرة وصغيرة تُقال ، ولذا فهي ترتبط بقوة الإدراك حيث الاستماع القوي يؤدي إلىٰ المزيد من الإلمام بالموضوع .

وعليه :

ـ عليك بالاستماع إذا أردت أن تعرف ما يجري ، أو أردت أن تعرف

---

(1) الجن ، 1 ـ 13 .

(2) البقرة ، 181 .

(3) ال عمران ، 38 ـ 41 .

الحقيقة ، فما يرويه من يقص عليك القصص لا تستهين به فهو مهم سواء كان صائباً أو كان علىٰ درجة من درجات الخطأ أو الكذب . فإذا كان صادقاً : فالأخذ به يفيد كثيراً . وإذا كان كاذباً ، فأخذ الحيطة والحذر منه هو الآخر يُفيد كثيراً ، ولذا فإن مثل هٰذا الأمر يُفطِّن إلىٰ أهمية الإصلاح بعد معرفة المستوىٰ القيمي الذي عليه من يروي لك رواية أو يقص عليك قصة وعليك أن تتدبر وتتذكر وتفكر حتىٰ تتمكن من المعرفة الحق وإن عزمت فتوكل علىٰ ٱللَّه .

ـ استمع مباشرة لذوي العلاقات المباشرة بالحالة أو الموضوع المدروس ، واستمع أيضاً لذوي العلاقات بهم ، وعليك أيضاً أن لا تغفل عن الاستماع لِما يُروىٰ من المحيط الاجتماعي حتىٰ تعرف عن بينة ، وإن لم تفعل ذلك فقد يُغرَّر بك .

ـ تفهّم ظروف الناس إذا كنت مسؤولاً ، حتىٰ لا تصدر أحكاماً غير موضوعية ، وقدّر كل خصوصية ظرفية وفقاً للحالة والزمان والمكان ، أي قدّر الخصوصية وتذكر قوله تعالىٰ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، ولا تكن غافلاً عن قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [2] .

ـ هيئ أبناءك للاستماع إليك ، ولٰكن ليس كمستقبلين للمعلومات التي تصدر فقط ، بل كمشاركين في عمليات التدبُّر . وعليك أن تعرف مثلما ترغب في الاستماع إليك هم أيضاً يرغبون في استماعك إليهم بكل عناية وانتباه .

ـ رتب أفكارك وفقاً لأولويات ما تستمع إليه ، ولا ترتبها وفقاً لأولويات

---

(1) البقرة ، 256 .
(2) الكافرون ، 1ـ6 .

الموضوع الذي أعديته مسبقاً ، ففي بعض الأحيان لا يقبل الناس أو التلاميذ والمتعلمون الروتين ما يجعل بعضهم يسرحون وهم علىٰ حالة من الملل .

ـ الاستماع والانتباه عن وعي قوة تُحسس المستخلفين فيها بقوة التتبع التي يلاحقهم بها ، وفي مقابل ذلك إذا أحس العملاء بغفلة أو شرود من قبل المرشد لهم يصبحون غير مبالين بما يقال ، وقد يستهزئون بما يجري أثناء مقابلاته معهم .

ـ الاستماع الجيد يهيئ المستخلفين فيها للاستجابة ، فاستمع جيداً حتىٰ يتهيأ المتعلمون لك ، وإلا لن تبلغ المقاصد الدعائية لاتباع ما يجب في سبيل ٱلله تعالىٰ أي في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

ولذلك فالقاعدة هي :

قوة الاستماع .

والاستثناء هو :

ضعف الاستماع .

4 ـ **الإنصات قوة** : الإنصات سكوت من أجل الاستماع ، وسكون عن الحركة التي قد تؤثر علىٰ استقبال ما يُستمع إليه ، ولذلك فالإنصات بقوة هو إنصات بوعي وتتبع دقيقين . والسكوت هو متابعة بالعقل لأجل أن يتم استقبال الكلم .

ولذا فإن القاعدة هي :

الإنصات قوة .

والاستثناء هو :

الإنصات ضعف .

وعليه :

ـ أنصت بقوة حتىٰ لا تخسر شيئاً من الحديث الذي تنصت إليه ، وتابع منطلقات الكلم وأساليب إخراجه ودرجة شدته ومدىٰ علاقته بالمتكلم من حيث التفاعل مع ما يقال من عدمه .

ـ اسكت فالسكوت تجميع للقوة الشاردة من حالة التمرد والانطلاق بدون حدود إلىٰ السيطرة التامة حتىٰ الإلمام بما يتضمنه الموضوع وما يحتويه من متغيرات .

ـ أنصت حتىٰ يتمكن العقل من استقبال المعلومات ويتمكن من تبويبها وتصنيفها وترتيبها حسب أولويات الموضوع أو الحالة .

ـ تجاوب مع ما تنصت إليه بالسكوت والاستماع ، واعرف أن السكوت ليس بضعف ، فالضعف هو ما يخالف ذلك في الاتجاه (فالذي لا يستطيع أن يسيطر علىٰ حواسه هو الذي يكون علىٰ حالة من الضعف) .

ـ أنصت حتىٰ تتبين ، ولا تستعجل علىٰ الكلام فالكلام في غير محله ضعف ، والإنصات في محله قوة .

ـ تزامن في إنصاتك مع بداية الحديث ولا تتأخر عن ذلك حتىٰ لا تفوتك بدايات الكلام وحينها قد لا تتمكن من معرفة القواعد التي يُبنىٰ عليها ما تستمع إليه من حديث .

ـ أنصت فالإنصات قوة تحقق التوافق بين المُرسل للكلم والمستقبل له . كما تحقق التوافق بين الكامن من الحديث والظاهر منه .

ـ أنصت من أجل معرفة الحقيقة ومكامنها وخفاياها ، حتىٰ تتمكن من التحليل الموضوعي والتشخيص بكل مهارة وفن .

5 ـ الأحاسيس قوة :

الأحاسيس قوة إيقاظ المشاعر بما يدور في المحيط النفسي والمحيط الاجتماعي والمحيط البيئي ، من خلال كل ما يُلحظ أو يُشاهد أو يُسمع أو يُلمس أو يُشم أو يُذاق . إنها القوة المعرفية التي تمد الإنسان بالطاقة التي تجعله في حالة استيعاب أو في حالة إقصاء وتحديد مواقف قد تُتخذ في محلها وقد لا تتخذ في محلها .

وعليه :

ـ الإحساس قوة ، تحقق الفطنة وترتبط بالمدركات الواعية التي تجعل الأفراد والجماعات يميّزون ويتمكنون من الاختيار الحر .

التمييز الحسي قوة ، تكمن في درجة التبيّن ، التي تُمكّن من اكتشاف نقاط التداخل والخصوصية والاستقلالية بين المتغيرات الدخيلة والمتداخلة .

ـ التمييز الحسي قوة مقارنة بها تُصنَّف المعلومات وفقاً للدرجة والنوع والجنس ، وبما يميز كل خصوصية عن غيرها ، وبما يؤدي إلىٰ كشف نقاط التمركز المشتركة مع بعض الخصوصيات الأخرىٰ وكذلك نقاط التشتت عنها .

ـ التمييز الحسي قوة استيضاح للكلمة التي تحمل دلالة ومعنىٰ ومدىٰ علاقتها بالموضوع حتىٰ يتم فرز المتشابهات عن غيرها من المخالفات .

ـ بقوة الإحساس يستدل المرشد للحق علىٰ ما يَقبله من هم في حاجة إليه (أفرادا أو جماعات) وما يَرفضونه ، قبل أن يبدأ في عمليات التبشير أو التعليل والتحليل والتفسير .

ـ بقوة الحس يتم التعرف علىٰ ما هو سلبي والعمل علىٰ تفاديه ، وما هو إيجابي والعمل عليه أو العمل به .

ـ الحس قوة استدلالية تربط المشاهد المحسوس بالملاحظ المجرد الذي

يُمكِّن من ربط علاقات بين الأشياء كما يُمكِّن من فصلها بمستدلات إثباتيه .

ـ الحس قوة برهنة ، يستند علىٰ معطيات ويصل إلىٰ نتائج تُدرك بقوة المنطق والحُجّة .

ـ الحس قوة لغة وتفاهم بها تُكتب الكلمات بالملامسة ، وبها تُقرأ حتىٰ من قبل فاقدي البصر .

ـ ترتبط الأحاسيس بالوجدان الكامن الذي يتألم بما يترك أثراً سالباً علىٰ النفس ، وبما يترك أثراً موجباً عليها ، ولكل منهما استجابة تختلف باختلاف الأثر ونوعه ودرجة حدته أو درجة مرونته .

ـ الأحاسيس قوة تأهب تستقبل المعلومة وتقدمها للترجمة الفورية التي تمكنها من التمييز لتستجيب سلبياً أو تستجيب إيجابياً ، وفي كلا الحالتين فالعقل هو الذي يتخذ القرار المناسب لكل فعل وفقاً لقاعدة (لكل فعل رد فعل) .

ـ قوة الأحاسيس قوة دافعة لتكوين علاقات مع الآخرين ، ولذا كلما سلمت الحواس التي بها يتم الإدراك تكوّنت علاقات موجبة بين الأنا والآخر ، فالحب المتبادل بين الأطراف قوة ترابطية تجعل لغة مشتركة ومنطقاً مشتركاً بين المثنىٰ والجمع وكأنهما طرف واحد ما يجعل لغة (النحن) هي اللغة السائدة بينهما ، وجعل كل منهما يحس بالآخر وكأنه في وسط صدره . ويجعلهما علىٰ حالة من التأهب لاستقبال بعضهما في المكان والزمان المناسبين للمقام الذي جعلهما في حالة وحدة ، وجعل الشوق بينهما شعوراً ظاهراً . ولهـٰذا عندما تُحب أحداً تجد مكانه في القلب ، وعندما تكرهه أيضاً ستجده مكروهاً في القلب . ولذا فإن القلب في مثل هـٰذه الحالات لا يعد مجرد مضخة للدم ، بل إنه المركز الذي فيه يعيش الحب بين المحبين وهو الذي فيه يحدث الفراق ، لتبقىٰ فيه الأحزان من بعده عائشة ، حتىٰ تهزم بقوة

الإيمان . ولذلك في القلب المكامن التي تُستثار بما يُفرح وتُستثار بما يُحزن ، ولهٰذا فلكل منهما أثره السالب وأثره الموجب علىٰ الفعل والسلوك . ولكي تتأكد ضع يديك أو إحداهما علىٰ منتصف صدرك ستجد من تُحب بقوة الإحساس أنه متمركز هناك ، وإذا ما حدث لحبيب مكروه لا قدر ٱلله فلا تحس به إلا حيث وضعت يديك علىٰ صدرك . وإلا هل هناك من يحس بحبيبه في رأسه ؟ .

ولذا فإن القاعدة هي :

1 ـ اتزان الأحاسيس .

2 ـ قوة الأحاسيس .

والاستثناء هو :

1 ـ عدم اتزان الأحاسيس .

2 ـ ضعف الأحاسيس .

6 ـ **اللمس قوة** : قال تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ

(1) الحجر ، 47 ـ 48 .

(2) الزمر ، 61 .

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [1] .

الحس اللمسي قوة بها نتمكن من التمييز بين ما يليق بنا من نعومة وبين ما لا يليق بنا من خشونة ، وبين ما يُدخل السرور في أنفسنا وبين من يَحفُّها بالحُزن والأسىٰ مع مراعاة أن لكل مناسبة المظهر الذي يليق بها . ولذا فاللمس قوة إدراكية بها نتعرّف ، وبها نحتكم ، وعليها نصدر الأحكام . ولذلك يكمن الحس في قوة التأهب لممارسة أو أداء ما يجب ، والابتعاد عمّا لا يجب ، وفيه أيضاً تكمن الفطنة من الغفلة حتىٰ يتم الاختيار عن إرادة .

ولذا فإن القاعدة هي :

اللمس قوة .

والاستثناء هو :

اللمس ضعف .

وعليه :

ـ اللمس فعل حركي مقصود ، لأجل التمييز بين ما هو ناعم أو خشن ، وبين ما هو أكثر نعومة أو أكثر خشونة .

ـ يترتب علىٰ الفعل اللمسي القبول والارتياح نفسياً وذوقياً للشيء الملموس . أو الرفض ، عندما يكون الملموس غير مقبول ، أو أن يكون مخيفاً أو ضاراً .

ـ يتأثر الفعل اللمسي بالملموس استجابة أو رفضاً ، تعلقاً واستجماماً بمحققات الرضاء الرفيع ، أو سكوناً وانسحاباً من بعده ورفض بكل إرادة .

ـ حاسة اللمس تُنمي حرارة الالتصاق بعاطفة الأمومة والأبوة ، فاحتضان

(1) المجادلة ، 3ـ6 .

الطفل علىٰ صدر أمه ، يحقق له الدفء والاستئناس . ولهٰذا فالملامسة تحسس المتلامسين بالطمأنينة والقبول أو تحسسهم بالرفض . ولذا فإن عاطفة الحب تنمو بين المحبين بكل ودٍّ واحترام في ظل تقوىٰ ٱلله الواحد الصمد جل جلاله .

ـ التلامس قوة لارتباط المشاعر والأحاسيس تدفع بني الإنسان بقوتها الفاعلة إلىٰ الكلام بالألسن والعيون وعندما تعجز الألسن عن الكلام يصبح الصمت أكبر دليل علىٰ المحبة وعلىٰ التفاهم بدون تردد كما هو حال الحديث بالعيون مع الأطفال الذين تملأهم البراءة من الواحد الأحد .

7 ـ **الذوق قوة** : قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (2) . ولأن الذوق رفعة وحسن معاملة قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ (3) .

الذوق ملكة عقلية وقوة يتمكن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية ،

---

(1) الدخان ، 51ـ59 .

(2) النبأ ، 19ـ30 .

(3) النساء ، 86 .

التي تُمكنه من كشف العلاقات التي تتجسد في المُذاق ، وكشف العلاقة التي تربطه بالمجرد ، فهي لا تقتصر عند حد المشاهدة ، بل تمتد لتشمل ما هو ملاحظ ، ولذا ترتبط هـٰذه الملكة الذوقية بقوة الإحساس مع ملكتي التفكر والتذكر .

في الملكة الذوقية تنعدم الغفلة وتسود الفطنة ، حتىٰ تتمكن كل خلية من التناغم مع جميع الخلايا المتماثلة معها في المكون البشري ، ما يجعل الذوق محقق الرفعة بين الأنا والآخر بالتماثل .

تتوحد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال الذي يسعىٰ إلىٰ طي الهوة مع الأمل حتىٰ تتم ملامسة القيم التي تُعزز الإرادة ، وتحقق التفاعل الوجداني ، بين الرغبات والطموحات التي تُمكن الفرد من اكتشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرد . قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (1) .

الذوق مكوّن قيمي ، له من المعايير والمقاييس ما يمد الإنسان بوضوح الرؤية ونضج القرار المترتب علىٰ ذلك ، ولهـٰذا الجمال قيمة ذوقية لا يكمن في ذاته ، بل يكمن في الجميل مشاهداً أو مُجرداً ، حركة أو سكوناً ، إظهاراً أو إدغاماً ، تجويداً أو لحناً ، لوناً أو نغمة ، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته ، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه .

وعليه :

ـ تذوق وفطِّن الآخرين إلىٰ ذلك ، فالذوق حاسة عقلية وملكة تنمو كلما

(1) الأعراف ، 31 ـ 32 .

تُنشَّط وتُستثار ، وتضعف وتنتهي كلما تُهمل .

ـ لا تستغرب فالذوق قوة ذهنية تستفز كل من يفكر ذوقياً حتىٰ تجعله متوجاً علىٰ قمم التأمل وتُمكنه من التقييم الموضوعي بعد تعمق وانتباه عميقين .

ـ ميّز بذوقٍ رفيع فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يميز بين ما فيه رفعة وبين ما لا رفعة فيه .

ـ عليك بمراعاة الذوق العام واحترامه إذا أردت أن تنال الاحترام والتقدير من الآخرين .

ـ اعتبر وقدِّر الخصوصيات الاجتماعية التي يرتسم الجمال فيها كما هو يرتسم بها ، ولا تغفل عمّا يُدخل البهجة والفرحة في النفوس ، ولا تُعمم معاييرك الاجتماعية ومقاييسك الفنية وتفرضها علىٰ معايير ومقاييس الآخرين بالإكراه ، فلا أكراه في الدين .

ـ اعتمد الذوق قيمة لتبعث في نفوس الناس من حولك القوة التي تمدهم بالرفعة ولا تنظر لهم بنظرة دونية خالية من كل ذوق .

ـ إبدأ مع الناس من حيث هم بلطف ولباقة ذوقية إذا أردت أن تغير أحوالهم أو حالاتهم إلىٰ ما يجب أن يكونوا عليه ، وكما أمر به الواحد الأحد جل جلاله .

ـ كُن فطناً فالذوق قوة قيمية يتمركز علىٰ كل الأشياء الجميلة التي نتفاعل معها .

ـ اعرف جيداً : أن الإحساس بأثر القيم التي تُشكِّلها ملكة الذوق ، يختلف من شخص لآخر مما يترتَّب عليه تفاوت في درجات التذوق لها ، فالشخصية الواقعية مثلاً : هي التي تعتمد علىٰ العقل في تقدير وتقييم الأشياء فتقْدِم علىٰ أداء الأفعال بعد أن تتبيّن وتعرف ما يجب وما لا يجب ، فتكون

العلاقة بينها وبين الآخرين علاقة أخذ وعطاء . أما الشخصية الأنانية : هي التي تعتمد علىٰ المصلحة الخاصة ، فتقيّم الأمور برؤاها دون مراعاة للمحيطين بها ، ما يجعل علاقتها معهم علاقة مصلحة .

ولهٰذا فالقاعدة هي :

قوة الذوق .

والاستثناء هو :

ضعف الذوق .

8 ـ الشم قوة : قال تعالىٰ : ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [3] .

الشم قوة قيميّة ، تأسست علىٰ سلامتها وأهميتها أضخم شركات الورود والزهور المتنوعة والمتعددة وأسست أكبر المصانع للعطور الفواحة من أجل إدخال البهجة في نفوس البشر ، وإنعاشهم بما يُمدهم بالارتياح ويوقظ فيهم روح التطلّع للآخر حتىٰ ملامسة الجمال فيه ومن حوله .

قوة الشم تبعث الروح في الأنفس والأبدان لتمدها بالحياة وتنقلها كالنحلة تطير من زهرة لزهرة لتستنشق من عطرها الفواح مثلما تمتص الرحيق منها .

---

(1) المطففين ، 26 .
(2) الواقعة ، 88 ـ 89 .
(3) يوسف ، 92 ـ 95 .

وتتسع صدورنا وتتمدد حتىٰ ننتعش بقوة التنفس التي تزّود الجسم بالأكسجين ، وتتحكم في تدّفق السائل الليمفاوي ، الذي يحتوي علىٰ كريات الدم البيضاء التي تحمي الجسم من المواد السامة .

ولهٰذا فالشم قوة ، من يفتقدها يفتقد لمقومات الحياة . فالشم لو لم يكن قوة ما كان له أثر موجب علىٰ تغذية الدم بالأكسجين وعلىٰ نقلنا من حالات الضيق النفسي وانكماش رئتينا إلىٰ حالة المتعة المترتبة علىٰ التعطر الذي به نتمكن من بلوغ الصحوة والإدراك الحق .

الشم قوة مخترقة لكل كبيرة وصغيرة ، ولذا فهي في حالة حركة بين شهيق وزفير حتىٰ يتمكَّن الإنسان من التمييز بين ما هو محقق للنشوة من رياحين معطّرة ، وبين العفونة التي تضيق بالصدور وتجعل النفس نافرة .

وعليه تهيئة المكان المناسب للمقابلات المحترمة يعد ضرورة ، بما يُمكِّن الناس من الراحة وترويض أنفاسهم باتزان ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (1) . الرائحة الطيبة تبعث الأمل في الأنفس والرائحة العفنة تضيق منها الصدور .

وعليه :

- تطيّب .
- تطهّر .
- كُن نظيفاً .
- حافظ علىٰ حُسن المظهر .

(1) الأعراف ، 31ـ33 .

ـ جدد الهواء في حُجرات المنازل والعمل واللقاءات العامة حتىٰ تنشرح النفوس وتتفاعل علىٰ الحق .

ولذا فالقاعدة هي :

قوة الشم .

والاستثناء هو :

ضعف الشم .

9 ـ **الحاسة التامّة** : قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [2] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [3] .

الحاسة التامة هي : التي تتداخل فيها جميع الحواس ، البصر والبصيرة

---

(1) يونس ، 57 ـ 58 .

(2) الحج ، 46 .

(3) الإسراء ، 31ـ38 .

والاستماع والإنصات والذوق والتذوق والحس والإحساس والشم واللمس .

ولذا فهي العملية التفاعلية للحواس ، حول ما يُشاهد أو يُلحظ أو يُدرَك أو يُستمَع له أو يُذاق أو يُشم أو يتم التفكير فيه . إنها الحاسة (القمَّة) التي فيها تعمل جميع الحواس في وقت واحد وبكل قوة ، حتىٰ تتجسد الحركة في الفعل والسلوك الذي يجعل المتحركين في حالة نشوة ، ويقوي الإدراك ، وتقوي البصيرة ، ويتحقق التفاعل ، ويتحقق الرقي الذوقي الذي يجعل الإنسان قمة .

وعندما يتم التداخل بين الحواس ، يكون الشيء الذي نفكر فيه ذا قيمة . ولهٰذا لا تحدث النقلة بحاسة واحدة ، بل تحدث بسلامة الحواس واكتمالها في وحدة واحدة تامة .

وعليه ، فالمس مع عقلٍ ، واسمع مع بصرٍ ، وشُم مع ذوقٍ ، وتذكّر مع تفكرٍ ، وشاهد مع ملاحظة حتىٰ تكون في نُزهة ورفعة عالية وتنال الاعتراف والتقدير من الآخرين .

ولذا فإن القاعدة هي :

الحاسة التامة .

والاستثناء هو :

الحاسة القاصرة .

ومع أن القاعدة هي : الحاسة التامة ، والاستثناء هو : الحاسة القاصرة . إلا أنّ بعض الحالات قد أظهرت نجاحات هائلة باستخدامها الحاسة الرئيسة فقط . وهٰذه تذكرنا بالشاب الألماني الذي أصيب في حادث بشلل رباعي تعطّلت عنده معظم حواسه ، وبإصراره تمكّن من أن يكون من أكبر مستحدثي برامج الكمبيوتر ، فهو يعقد الصفقات مع الشركات والمؤسسات ، وهو ملقىً فوق سريره لا يستطيع الحِراك ولا يستطيع التحدث ، فقط يبرمج

جهاز الحاسوب بعقله ، ووفقاً لمتطلبات عملائه . إنها نعمة العقل التي جعل ٱلله بها الإنسان مميزاً عن غيره من المخلوقات حتىٰ استخلفه به علىٰ الأرض ليقول الحق ويتبع الحق ولا يفعل شيئاً غير الحق .

خامساً : النفس قوة : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(1)] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [(2)] ، والنفس قوة سواء في الاتجاه الموجب أو في الاتجاه السالب وإلا هل يعقل أن يكون لها أثر موجب أو سالب لو لم تكن قوة ؟ قال تعالىٰ : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [(3)] .

النفس قوة باطمئنانها ، وبتأديتها للعمل الصالح ، وإقدامها علىٰ قول الحق وسلوكها لأفعال الخير ، وكذلك عندما تحسن التصرف والمعاملة وتهتدي إلىٰ الطريق المستقيم . وفي مقابل ذلك تأتي النفس الضعيفة الأمارة بالسوء وإلحاق الضرر بالآخرين ، وعندما تُظهر مالا تخفي ، وعندما تَشُح في وقت ينبغي أن يكون فيه العطاء ، وكذلك عندما تركُن إلىٰ إصدار الأحكام الظنية بغير حق . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ

---

(1) يوسف ، 53ـ56 .
(2) الفجر ، 27ـ30 .
(3) يوسف ، 18 .

وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1] .

ولهٰذا فالفرد قوة بنفسه ، والجماعة قوة بمجموع الأنفس التي تكوّنها ، والمجتمع أكثر قوة ، ولذلك يعمل الخيرون والمصلحون علىٰ معرفة ماهية هٰذه القوة وكيفية عملها ، من أجل استعادتها إلىٰ القاعدة (الإنسان قوة) .

تكمن قوة الأنفس في قدرات قابلة للنمو ، واستعدادات مهيأة للعمل الفعّال ، ومشاعر يخشاها الخوف .

ولذا فالقاعدة هي :

1 ـ قوة النفس .

2 ـ قدرات قابلة للنمو .

3 ـ استعدادات مهيأة للعمل الفعّال .

مشاعر يخشاها الخوف .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف النفس .

2 ـ قدرات غير قابلة للنمو .

3 ـ استعدادات غير مهيأة للعمل الفعّال .

4 ـ مشاعر يُداهمها الخوف .

ولهٰذا يجد المصلح ومن يريد أن يفعل خيراً أمامه قوة إما موجبة يستفيد من طاقاتها وإمكاناتها ، فيسخرها في خلق النُقلة للأفضل . وإما قوة سالبة ، يعمل علىٰ تصحيح معلوماتها الخاطئة بمعلومات صائبة ، وكذلك يعمل علىٰ

(1) النساء ، 128 ـ 129 .

تعديل سلوكها وتقويمه إلىٰ ما يجب . ومع ذلك قد لا يُوفق ما لم يعرف مصادر القوة عند الأفراد الذين يتولىٰ حالاتهم بالرعاية والعناية .

وعليه تستمد النفس قوتها من قوة العقل وقوة الحواس وسلامتها ؛ فالأفراد والجماعات الذين يُفكرون بوعي سليم يستطيعون تحديد أهداف واضحة ويرسمون خططهم بموضوعية ويحشدون الإمكانات المتاحة ويسعون إلىٰ البحث عن المزيد المفيد والنافع في طاعة ٱلله الواحد الصمد الذي بيده كل شيء .

سادساً : **العاطفة قوة** : قال تعالىٰ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

(1) هود ، 42ـ45 .

(2) القصص ، 7ـ13 .

الحنان والمحبة هما القوَّتان التوأم مولوداً لقوَّة العاطفة ، ولهٰذا لا حنان ولا حب لو لم تكن العاطفة سابقة عليهما . فالعاطفة قوة تقع في دائرة الممكن السالب والممكن الموجب (المتوقع وغير المتوقع) ، وهي التي تمد المولود بدفء الأمومة ودفء الأبوة ، وتمده بحرارة الالتصاق .

ولذا فإن القاعدة هي :

1 ـ قوة العاطفة .

2 ـ قوة الحنان .

3 ـ قوة المحبة .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف العاطفة .

2 ـ ضعف الحنان .

3 ـ ضعف المحبة .

ولذا علىٰ المبشرين والمنذرين بالحق أن لا يغفلوا عن أهمية العاطفة الإنسانية وأن يعملوا علىٰ تقويتها بما يُفيد الفرد والجماعة والمجتمع . ولهٰذا من باب الوجوب والضرورة يسعىٰ الواعظ والمرشد والمصلح إلىٰ تقوية العاطفة الواعية بأهمية الأبوة والأمومة والأخوة والعمومة وحق الجيرة في الاحترام والمساعدة الهادفة .

ولأن العاطفة قوة فلا ينبغي الإغفال عنها أثناء تناول الحالات أو المواضيع بالبحث والدراسة .

العاطفة إذا لم تستثمر في أوجهها تدخل في دائرة غير المتوقع السالب ، ما يجعل الضعف يدخل إلىٰ نفوس الأفراد بدلاً من دخول القوة إليهم . ففي المواقف السالبة عاطفياً لا يتمكن الأفراد من اتخاذ قرارات واعية ،

ولا يتمكنـون مـن رسـم سيـاسـات مـوضـوعيـة ، ولا يتمكنـون مـن تصميـم استراتيجيات لصناعة المستقبل النافع والمفيد . فبعض الأطباء الجراحين المهرة لا يوفَّقون في القيام بعمليات جراحية لزوجاتهم أو أبائهم أو أبنائهم ، بسبب سيطرة قوة العاطفة علىٰ قوة المهارة والخبرة . مثل هـٰذه الحالة تُقرأ من زاويتين :

الزاوية الأولىٰ : هـٰؤلاء الأطباء يقدَّرون علىٰ أنهم يمتلكون قوة عاطفة تجاه أبائهم وأزواجهم أو أبنائهم .

والزاوية الثانية : أن الضعف قد ألم بهم والضعف ليس بقاعدة ، ولهـٰذا يتغلب الاستثناء الذي هو في حاجة لتقويته بالمعالجة .

وعليه :

- كُن قوياً بقوة عاطفتك لا بضعفها .
- كُن محباً بصحوة نفسك لا بغيبوبتها .
- كُن حنوناً بمودتك لا بجحودك .
- ثق أنك قوة .
- تحكّم في عاطفتك دون أن تطمسها .
- ميّز بين الحب الثابت والعاطفة المهتزة واتقِ ٱلله فيما تقول وتفعل وتعمل وتسلك .

سابعاً : الإرادة قوة : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ

أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] .

الإرادة قوة من يمتلكها يمتلك زمام أمره . فهي النشاط الواعي الذي يقدم عليه الإنسان الحر عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردد ، ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكل وعي وتحمّل ما يترتب عليه من أعباء يدل علىٰ ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية ، ومع ذلك لا إرادة إلا بقدرة ، وقرار ، وتنفيذ ، ومسؤولية ، وتهيؤ نفسي .

ولهٰذا قوة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرية .

وعليه فالقاعدة هي :

1 ـ قوة الإرادة .

2 ـ اتخاذ القرار .

3 ـ تنفيذ القرار .

---

(1) البقرة ، 30ـ34 .

(2) البقرة ، 129ـ133 .

4 ـ حمْل المسؤولية .

5 ـ تنمية القدرة .

6 ـ التهيؤ النفسي .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف الإرادة .

2 ـ عدم اتخاذ القرار .

3 ـ عدم تنفيذ القرار .

4 ـ التخلي عن حمْل المسؤولية .

5 ـ عدم تنمية القدرة .

6 ـ عدم التهيؤ النفسي .

ثامناً : قوة الإرادة تقوّي المناعة : قال تعالىٰ : ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (1) .

(1) طه ، 65ـ76 .

وقال تعالىٰ : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [1] .

بما أن الإرادة تقوّي المناعة .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ قوة الإرادة .

2 ـ قوة المناعة .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف الإرادة .

2 ـ ضعف المناعة .

وعليه :

وفقاً لقاعدة المتوقع خذ بالقاعدة .

ووفقاً لقاعدة غير المتوقع لا تهمل الاستثناء .

---

(1) الأنبياء ، 59 ـ 72 .

ولهٰذا كلما قويت إرادة الأبناء والمتعلمين والمسؤولين قويت مناعتهم .

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار ، والاستسلام لِما لا يجب . ولهٰذا علىٰ الخليفة أن يعمل علىٰ تقوية مناعة الناس حتىٰ لا يستسلموا للمؤثرات السلبية ، ويضلوا طريق الهداية التي من أجلها استخلفوا في الأرض ليصلحوا فيها ولا يفسدوا ولا يسفكوا الدماء بغير حق .

لذلك علىٰ الخليفة ، أن يستثمر قوة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع علىٰ مبادئ وقيم تجعلهم علىٰ حالات من الاعتبار والرقي في المهارة والمسلك ، حتىٰ لا يكونوا علىٰ حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلىٰ كل سالب أو ضلالة .

ولهٰذا ، يستثمر الخليفة قوة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة ، وتنمية أنماط التفكير الصائبة ، التي تُمكن الأفراد من إحداث النقلة إلىٰ مستويات الطموح المتطوِّرة عبر الزمن .

تاسعاً : **القرار قوة** : القيوم المطلق هو القائم علىٰ كل أمر وهو الذي بيده القرار المطلق بالأمر (كن) أما القيوم علىٰ القول والفعل وحمل المسؤولية وممارسة الحقوق وأداء الواجبات فقراره لا ينفذ إلا بقوة مادية بشر وإمكانات ، وفي جميع الأحوال القرار قوة ولا تنفذه إلا قوة ، والقرار سلطان والسلطان قوة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [1] .

تكمن قوة القرار في اتخاذه بمسؤولية ، وفي درجة الوعي والإلمام به

---

(1) الرحمٰن ، 33ـ36 .

وبالمعطيات التي تستوجب إقراره . ولذا كل قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلىٰ أن يتم الإقدام علىٰ تنفيذه ، حينها يصبح القرار نافذاً وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة .

ولهـٰذا فالقاعدة هي :

1 ـ قوة القرار .

2 ـ الإلمام بالمعطيات .

3 ـ التنفيذ الإرادي .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف القرار .

2 ـ عدم الإلمام بالمعطيات .

3 ـ التنفيذ غير الإرادي .

وعليه : لا تحدث الأشياء إلا بقرار . ولا تنجز المهام والأعمال إلا به .

ولهـٰذا القرار في دائرة الممكن المتوقع هو الوعي بما يجب .

والقرار في دائرة الممكن غير المتوقع هو عدم الوعي بما يجب . ما يجعل البعض يقدمون علىٰ أداء ما لا يجب . وهنا يفسح المجال أمام الخليفة لممارسة دوره الذي أقره له الواحد الصمد ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [1] .

ولأن كل شيء بقرار ، والقرار لو لم يكن سابقاً علىٰ وجود الأشياء والمخلوقات ما كانت ، ولهـٰذا كان الوجود بقرار ، والعدم بقرار . والبعث بقرار ، وإصدار الأمر بقرار ، والنهي بقرار ، وهـٰكذا العقاب والثواب ، والغنىٰ والفقر ، والعلم والحكمة ، والجهل والغفلة .

وبما أن كل شيء بقرار .

إذاً لا شيء بدونه .

ومع أن كل شيء بقرار ولا شيء بدونه ، إلا أن القرار لا يخرج عن كونه متوقعاً أو غير متوقع . ولهـٰذا كل القرارات علىٰ مستوىٰ المستخلفين في الأرض هي في دائرة (الممكن) .

وبما أننا نعرف أن كل شيء يقع في دائرة الممكن . إذاً لا داعي للاستغراب .

وعليه : (كل شيء بقرار) ، يســاوي (كل شيء ممكن) .

ولهـٰذا لا ممكن إلا بقرار .

ولا قرار إلا بممكن .

وبما أنه لا مستحيل في دائرة الممكن . إذاً علينا بقبول تحدي الصعاب دون خوف ودون تراجع .

ولذا فإن القاعدة هي :

1 ـ اتخاذ القرار .

2 ـ تحدي الصعاب .

---

(1) الكهف ، 103ـ110 .

والاستثناء هو :

1 ـ عدم اتخاذ القرار .

2 ـ عدم تحدي الصعاب .

وعليه من لا يتحدىٰ الصعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلٌ رفيعٌ . وكذلك في عصر العولمة من لا يسرع إلىٰ تحدي الصعاب لن يجد له مكاناً ليضع قدميه عليه ، أمام الحركة السريعة للمتنافسين . ما يجعل البعض علىٰ الرصيف جالسين في دائرة المستقبل .

ولهٰذا كلما كان القرار الإرادي قوياً وكان تنفيذه قوياً ، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُقلة .

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوة القرار بقوة اتخاذه وقوة تنفيذه .

ولذا فإن قوة القرار تكمن في الآتي :

ـ ما يحققه ويترتب علىٰ إنجازه .

ـ قوة الالتزام بتنفيذه .

ـ استيعابه كل من يتعلق الأمر بهم أفراداً أو جماعات أو مجتمعات .

ـ استيعابه للمتغيرات ذات العلاقة بالموضوع .

ـ تجاوز محققاته لِما كان متوقعاً .

ـ أحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغراباً لكل من لا يتوقع .

أما قوة اتخاذ القرار فتكمن في :

ـ قوة القرار ذاته .

ـ قوة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ .

ـ قوة التنفيذ .

ـ قوة الهدف .

ـ قوة الخطة .

ـ قوة إعداد البرامج .

ـ وضوحه والمستهدف من ورائه .

ـ الإصرار علىٰ تجاوز السلبيات .

ـ الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه .

ـ بما يتركه من أثر موجب .

وعليه فإن اتخاذ القرار قوة تُمكِّن الخليفة من إحداث النقلة إلىٰ ما هو أفضل وأجود وأرفع وأصلح وأنفع .

بما أن اتخاذ القرار قوة تُكِّمن المجتمع من إحداث النقلة المحققة للإصلاح .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ قوة اتخاذ القرار .

2 ـ تَمكُّن الخليفة من إحداث النقلة .

3 ـ إحداث النقلة .

والاستثناء هو :

1 ـ ضعف اتخاذ القرار .

2 ـ عدم تمَّكن الخليفة من إحداث النقلة .

3 ـ عدم إحداث النقلة .

ولأجل ذلك ينبغي أن تُحدد الأهداف بكل وضوح ، وأن تُرسم السياسات المنفذة لذلك ، وأن تُحشد الإمكانات الهائلة وتستثمر علىٰ أفضل السبل ، وأن يكون التطلُّع إلىٰ المستقبل أملاً متطوراً جنباً إلىٰ جنب مع تطوّر الحاجات ، حتىٰ يتحقق الإشباع المرضي مع توفر الاختيارات لكل رغبة وفقاً للقيم والفضائل التي يرتضيها الواحد الصمد جل جلاله .

وبهٰذا تكون قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه ، بما أن قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه .

إذاً ضعف القرار في غموضه والتباس المستهدف منه .

ولذا فإن القاعدة هي :

1 ـ وضوح القرار .

2 ـ وضوح الأهداف .

والاستثناء هو :

1 ـ غموض القرار .

2 ـ غموض الأهداف .

عاشراً : الخليفة الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة :

بما أن الخليفة الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة .

إذاً الخليفة الذي لم يتمكن من اجتياز الصعاب يزداد ضعفاً .

ولذا فالقاعدة هي :

1 ـ اجتياز الصعب .

2 ـ ازدياد القوة .

والاستثناء هو :

1 ـ عدم اجتياز الصعب .

2 ـ انتقاص القوة .

وعليه :

ـ اقبل بتحدي الصعاب فأنت قوة .

ـ لا تخف فالضعف لا يستطيع الصمود .

ـ نمِّ قدراتك .

ـ اغتنم الفرصة فهي قد لا تتكرر .

ـ اعمل علىٰ النجاح فهو أيسر من الفشل .

ـ بادر وتقدم بعد كل نهاية .

القوة تستمد من الصمد المطلق الذي يتحكم في الحركة والسكون ويسخر السحاب والرياح لحمل الأمطار ونقلها إلىٰ الأرض الجرز ، وبقوته تسقط فتنبت عشباً وزرعاً مختلفاً ألوانه وثماراً متنوعة عليها يتغذىٰ من خلق ، قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (1) ، ومن معاني الصمد في اللغة القوة ، ومنها الأرض كقوة صلبة متماسكة والجمع صماد والصمدة صخرة شديدة التمكن في الأرض ، ولهٰذا الصمد القوي بالمطلق خلق الأرض قوة وخلق منها الإنسان قوة بعد أن بعث فيه الروح من عنده لتمده بالحركة ، والعقل الذي يمده بالتفكُّر والتذكُّر وليدخل الإيمان قلبه قوة تضاعف القوة التي منها خُلق ، ولهٰذا خلق في أحسن تقويم .

ولفظة القوة ترددت في النص القرآني الموحية بالشدة والعظمة للباري عز

(1) السجدة ، 27 .

وجل في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [1] .

قوله : ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ جاءت دليلاً وجوبياً ، فمن خلقك ليس لك بدٌّ إلا أن تعبده ، وعبادة ٱلله والتمسك بعبوديته يعني تخلصاً من عبودية من لم يكن لهم دور في الخلق بل لهم دور في إذلال المستعبد والتقليل من شأنه . إنّ ملّاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم ، فإمّا مجهز في تجارة ليفي ربحاً . أو مرتب في فلاحة ليعتلّ أرضاً . أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته . أو محتطب . أو محتش . أو طابخ . أو خابز ، وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق في دائرة التقليل من شأن من ارتضىٰ بأسباب الحاجة أن يكون عبداً لغير ٱلله ، وأمّا المالك الصمد فيريدهم أن يكونوا أحراراً ، يعملوا من أجل أنفسهم ليكونوا أعزاء شرفاء وهم في استخلافهم يصلحون ولا يفسدون . إنه الغنيّ عن العباد وهو المعطي الذي لا يكل ولا يمل في عطائه ورحمته علىٰ العباد ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [2] .

إن ٱلله سبحانه وتعالىٰ ينزل الرزق الىٰ الناس من السموات والأرض وبعبادتهم له يكون لهم سميعاً مجيباً عليماً ، فهو سميع بطلبهم وهم يدعونه تضرعاً ، ومجيب لأنه استمع لهم وعرف نواياهم التي بها يدعونه خوفاً وطمعاً ، ولأنه مالك الملك فيجيب بالعطاء لمن أولىٰ أمره إليه ولم يشرك به في دعائه أحداً ، وعليم لأنه يعلم بحالهم وما تكنه صدورهم وما تتطلبه حاجاتهم

(1) الذاريات ، 56ـ60 .
(2) الإسراء ، 20 ـ 21 .

فيقدِّر لهم ما يشبع حاجاتهم المتنوعة والمتعددة والمتطورة ، والحمد لله الواحد الصمد الذي نعبده ولا نعبد سواه ، وله نركع ونسجد ولا نركع ولا نسجد لسواه ، ولهٰذا فأنا عبد الله الذي قبل به رباً واحداً أحداً صمداً لا شريك له في الأمر والملك سبحانه ما أعظم شأنه ، ولأنني بشر أخطئ وأصيب اللهُمَّ اجعل لي في كل خطأ استغفاراً وتوبة وتصديقاً تاماً لقولك تعالىٰ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ (1) .

و﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ دائم المغفرة وكثيرها للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا علىٰ الحق فكيف نتركه وإن كنا علىٰ الباطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا جل وعلا بعد ما عكفنا عليه دهراً طويلاً فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب إليهم المنافع ولذلك وعدهم علىٰ الاستغفار بأمور هي أحب إليهم وأوقع في قلوبهم من الأمور الأخروية أعني ما تضمنه وأحبيتهم لذلك لما جبلوا عليه من محبة الأمور الدنيوية (2) .

ومن دلالات الصمد الأخرىٰ أنه فوق كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ (3) ، ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ، وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهارًا ، يحفظون أعمالكم ويحصونها ، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يُضيعون (4) .

---

(1) نوح ، 10 ـ 12 .
(2) الآلوسي ، ج 21 ص 313 .
(3) الأنعام ، 61ـ62 .
(4) تفسير الطبري ، ج 11 ، ص 409 .

وفوقية الصمد علوه في غير مقارنة مادية فإن قلنا ذلك أوجدنا له شكلاً وصورة وهو سبحانه المصوِّر الذي لا يصوَّر ، وهو فوق كل شيء ، وهٰذا يعني في علوه عن التشبه والمقارنات ، فالشيء لا يقارن إلا بمثله ، والله الصمد لم يكن شيئاً ، بل هو خالق الأشياء جميعها ، ولهٰذا لا يحق أن نضرب الشبه والأمثال بين الأشياء في مقارنة مع خالق الأشياء بمشيئته جل جلاله . ولهٰذا لا يمكن أن يكون خالق الأشياء شيئاً ، بل إنه الواحد الأحد الصمد الذي يعلو عن أن يكون شيئاً . قال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

والصمد هو الغالب الذي لا يغالبه أحد جل وعلا ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [2] . وقهر الجبابرة بالعقوبة والخلق بالموت ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [3] ، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدبيره فلا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ

(1) الأنعام ، 102ـ 105 .
(2) يوسف ، 39 .
(3) الرعد ، 16 .

ٱلْحِسَابِ ﴾ [1] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [2] ، وهو لا شريك له ولا ولد إنه الغالب الكامل القدرة ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [3] .

الصمد هو الذي بيده أمر الولاية والعناية ، وهـٰذا الاعتناء تمثل بلفظة العين التي تشربت بالنص القرآني فكانت معبرة وموحية بقدرة الباري عز وجل في تسيير الأمور وتفعيل المعجزات ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [4] .

وقد تجلت العناية أيضاً في حفظ خير البشر محمد ﷺ بقوله تعالىٰ ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [5] ، بإمهالهم إلىٰ يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أي في حفظنا وعنايتنا ، فالعين مجاز عن الحفظ .

---

(1) إبراهيم ، 48ـ 51 .
(2) غافر ، 16 ـ 17 .
(3) الزمر ، 3ـ 4 .
(4) هود ، 37ـ39 .
(5) الطور ، 48 ـ 49 .

كذلك تبرز العناية كملمح رباني يريده الباري تبارك وتعالىٰ في عرض معجزاته و تبليغها للناس فوجود يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت حمل رسالة عظيمة تتحدث عن العناية الإلهية التي حفظته في ظلمات ثلاث ، فالمشهد هنا يتسم بالعظمة والانبهار ويحيل الىٰ التفكر ملياً بهـٰذه العناية الربانية التي صورت معلماً بقي شاخصاً في الذهن ، وهـٰذه دلالة للصمد في قصة يونس عليه الصلاة والسلام الذي لم يفكر بالالتجاء إلا الىٰ الصمد وحده ، فكانت الاستجابة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (1) . لم يلتجئ يونس إلا الىٰ ٱلله لأنه يعلم أنه الصمد وحده الذي لا يكشف ما به إلا هو .

وهـٰكذا كانت القوة الربانية صامدة بقوة الواحد الأحد الصمد كما هو الحال مع الأنبياء صلوات ٱلله وسلامه عليهم ، قال تعالىٰ في ذكر بعضهم في سورة الأنبياء : ﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (2) .

---

(1) الأنبياء ، 87 ـ 88 .

(2) الأنبياء ، 83 ـ 90 .

الصمد الذي صَمَد إليه كل شيء أَي الذي خَلق الأَشياءَ كلها لا يَسْتَغْني عنه شيء وكلها دالّ علىٰ وحدانيته [1] . يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [2] .

ٱلله هو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة ، وأَصل الخلق التقدير فهو باعْتبار تقدير ما منه وجُودُها وبالاعتبار للإيجادِ علىٰ وَفْقِ التقدير خالقٌ ، والخَلْقُ في كلام العرب ابتِداع الشيء علىٰ مِثال لم يُسبق إِليه وكل شيء خلَقه ٱلله فهو مُبْتَدِئه علىٰ غير مثال سُبق إِليه أَلا له الخَلق والأَمر تبارك ٱلله أَحسن الخالقين [3] .

فقد استعمل القرآن الكريم الفعل (خلق) للدلالة علىٰ ما كان قد خلقه سابقاً من مادة موجودة أصلاً ، فقال ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [5] .

إن قانون الحياة قائم علىٰ الذكر والأنثىٰ في أصل إيجاده كما قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [6] . وقانون السابق في الخلق عليها كسبق الأرض علىٰ خلق آدم عليه

---

(1) لسان العرب ، ج 3 ص 258 .
(2) الأنعام ، 73 .
(3) لسان العرب ، ج 10 ، ص 85 .
(4) الروم ، 21 .
(5) النساء ، 1 .
(6) القيامة ، 37 ـ 39 .

الصلاة والسلام ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) . فكل أشكال المخلوقات الموجودة من مادة أخرىٰ يشملها قانون ثنائية (الذكر الأنثىٰ) قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (3) . ولأن كل مخلوق هو مخلوق من شيء فكان خلق الإنسان من صلصال وخلق الجان من نار ، قال تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (4) .

وجاء الخلق بدلالة الإيجاد من غير أصل ولا احتذاء ويدخل تحت هٰذا النوع من الإيجاد خلق السموات والأرض كقوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (5) .

ثم يعود النص القرآني فيستعمل ذات الفعل بدلالة إيجاد أشياء وأنواع وأجناس أخرىٰ لم توجد بعد ولا نعرفها فيقول تعالىٰ : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (6) ، وقوله تعالىٰ ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى

---

(1) النور ، 45 .

(2) الرعد ، 3 .

(3) الذاريات ، 47ـ49 .

(4) الرحمٰن ، 14ـ16 .

(5) البقرة ، 29 .

(6) النحل ، 8 .

ﭐلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [1] . نلحظ استخدام الفعل المضارع (يخلق) الدال علىٰ الحال والاستقبال والذي يشير الىٰ إيجاد مخلوقات لا نعرفها ولا نشاهدها في حياتنا الآن ، ولذا فالصمد هو الخلاق العليم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2] .

ثم يعود النص القرآني ليستعمل اسم الفاعل من خلق (خالق) والناس يقولون لا خالق إلا ٱلله ، والمراد أن هـٰذا اللفظ لا يطلق إلا لله إذ ليس أحد إلا وفي فعله سهو أو غلط يجري منه علىٰ غير تقدير غير ٱلله تعالىٰ .

ويقول تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [3] . أي : أن ٱلله يخلق أشياء جديدة في الإنسان علىٰ مدار حياته من ناحية الفكر والبصر والسماع حتىٰ في عملية النطق لا تبقىٰ ثابتة بوتيرة واحدة من الولادة الىٰ الممات إنما تتشكل تشكلاً جديداً وفق معطيات الحياة التي يعيشها الخليفة .

وقصر ٱلله سبحانه وتعالىٰ صفة (الخالق) علىٰ ذاته فقال : ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [4] . الاستفهام هنا مستعمل في التهكم والتغليط [5] علىٰ من اتخذ إلـٰهاً غير ٱلله يخلق مثله ليتقرر بعدها بأسلوب إظهار اسم الجلالة من هو الخالق (قل ٱلله خلق) لتأكيد الدلالة علىٰ من خلق ويخلق وسيخلق ما يريد .

---

(1) الإسراء ، 99 .
(2) الحجر ، 85 ـ 86 .
(3) الأنعام ، 102 .
(4) الرعد ، 16 .
(5) التحرير والتنوير ، ج 7 ص 356 .

ولأن خلق أشياء جديدة في كل مخلوق غير محسوسة ومنظورة وكأنها لا توجد بينما الرزق الذي يأتي به تعالىٰ للإنسان منظور ومحسوس فعبر تعالىٰ عنه بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [1] ، فجعل تعالىٰ خلقه لأشياء متجددة في الإنسان علىٰ صفة الثبوت واللزوم إلىٰ موته باستخدام اسم الفاعل (خالق) ولأنها من ثبوتها ولزومها للإنسان لا يشعر بفضل ٱلله عليه فيها بينما الرزق فيه دلالة ملموسة علىٰ نعمة ٱلله وفضله فعبر بالفعل المضارع (يرزقكم) الدال علىٰ تجدد النعم .

ويعود الخطاب القرآني فيستعمل صيغة المبالغة (خلاق) للدلالة علىٰ مراحل الإيجاد التي مر بها كل مخلوق حسب القوانين التي وضعها ٱلله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [2] ، وما يعلمه ٱلله الصمد بالمطلق هو ما لا نعلمه ولن نعلم إلا ما يعلمنا به أو يظهرنا عليه في مقابل إظهاره لنا ، وفي قصة خلق الخليفة مراحل متعددة من تراب ومن ماء ، ومن نطفة وهٰكذا سبحانه بيده الأمر وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ [3] ، وأشار بعدها أنه جمع بين الماء والتراب ليصبح طيناً فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ [4] . وفي مرحلة أخرىٰ من الإيجاد قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [5] ، إشارة منه تعالىٰ إلىٰ

---

(1) فاطر ، 3 .
(2) الحجر ، 86 .
(3) الروم ، 20 .
(4) الأنعام ، 2 .
(5) الحجر ، 26 .

تغير الطين الىٰ مرحلة اليبس وسماع صوت منه فيبس حتىٰ إذا نقر صلصل [1] .

ولهـٰذا شبهه تعالىٰ في آخر المراحل بالفخار فقال تعالىٰ : ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [2] ، يكشف لنا هـٰذا التشبيه الحسي عن القدرة الإلـٰهية المتمثلة في نفخ الحياة في الأموات وبعث الحياة في الجماد ، إن إيجاد الإنسان يشبه صنع قطعة من الفخار فالمواد الأولية واحدة في كليهما إلا أن المفارقة أن ٱلله سبحانه وتعالىٰ ينفخ الحياة في الإنسان فيصبح كائناً حياً بينما الفخار الذي يصنعه الإنسان يبقىٰ بلا حياة ، وهـٰكذا كل شيء خلقه تعالىٰ يمر بمراحل في إيجاده وهـٰذا الذي دل عليه استخدام صيغة المبالغة (خلاق) .

أما إذا أراد ٱلله جل وعلا أن يخلق مخلوقاً بلا مراحل فإنه يخلقه بالقول أي ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ولهـٰذا عندما خلق ٱلله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خارجاً عن قوانين الخلق التي فطر بها خلقه سبحانه وتعالىٰ جاء بالقول : ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [3] . وعبر عن تكوين ٱلله لعيسىٰ بفعل يَخْلق : لأنه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة لإيجاد مثله .

أما في قوله ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [4] . قال هنا : ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لأن العمل سيتم علىٰ وفق القانون الأصلي للخلق علىٰ مراحل ، وكل ما في الأمر أن ٱلله تبارك وتعالىٰ أصلح له زوجه بعد أن كانت عاجزة عن الولادة كشفاء المريض بعد

---

(1) الكشاف ، ج 3 ص 310 .
(2) الرحمـٰن ، 14 .
(3) آل عمران ، 47 .
(4) آل عمران ، 40 .

مرضه ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (1) . نلحظ أن الخلق جاء في كثيرٍ من الآيات في مقام إثبات الألوهية والربوبية له تعالىٰ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (2) .

أفمن يخلق هـٰذه الأشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة علىٰ شيء أفلا تذكرون فإن هـٰذا القدر لا يحتاج إلىٰ تدبر وتفكر ونظر . ويكفي فيه أن تتنبهوا علىٰ ما في عقولكم من أن العبادة لا تليق إلا بالمنعم الأعظم ، وأنتم ترون في الشاهد إنساناً عاقلاً فاهماً ينعم بالنعمة العظيمة ، ومع ذلك فتعلمون أنه يقبح عبادته ، فهـٰذه الأصنام جمادات محضة ، وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون علىٰ عبادتها ، وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها وطاعتها (3) . والنظر الىٰ ما خلق ٱلله تعالىٰ لمعرفة عظيم صنعه ومن ثم التفكر في من يستحق العبادة ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (4) .

الصمد هو المُطَاعُ في كل شيء وهو العزيز الحكيم ، وهو الرفيع العلي في قوته وصمده وعدله وحكمه وهيمنته وقدسيته ، وتتشكل الإطاعة من سلسلة متصلة بعضها مع بعض تبدأ بالصمد تبارك وتعالىٰ ثم يأتي بعده مبلغ البشرية محمد ﷺ وهـٰذا التسلسل رسم لنا طريق التبليغ الذي أقره الباري عز وجل : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (5) .

---

(1) الأنبياء ، 90 .
(2) النحل ، 17 .
(3) الرازي ، ج 9 ص 368 .
(4) الأعراف ، 185 .
(5) آل عمران ، 32 .

ولأنه الصمد الذي في رفعته لا يُطال بأي حال ولو اجتمعت الجن والإنس وهو العادل في حكمه وملكه ألا يكون هـٰذا العظيم الصمد عز وجل أولىٰ بان يطاع ويعبد ؟ أم أن بعض العباد ليست لهم عقول في رؤوسهم ؟ وإلىٰ متىٰ سيظلون في غفلتهم ولهوهم عن ذكر ٱلله الذي بذكره تطمئن القلوب وتلين مع الرحمـٰن الرحيم ؟

ويتجلىٰ مع الإطاعة السمع كي لا يكونوا كالصم المكذبين من الكفرة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ (1) ، وهنا ننتقل إلىٰ مرحلة جديدة من الإطاعة فقد دخل عنصر ثالث ضمن التدرج الذي واكب الخطاب القرآني ورسمه ضمن بنية جديدة يكون علىٰ أساسها تنفيذ الأوامر الإلـٰهية ، يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (2) ، والمراد بأولي الأمر منكم : الذين تولوهم الأمر الذي يجب أن تفعلوه مباشرة بأنفسكم بإرادة ، ولـٰكن لأسباب الاشتراك مع الآخرين فيه ، كان لزاماً أن يتم اختيار من يتولىٰ الرعاية المشتركة للأمر المشترك ، ومن يتم اختياره للأمر لا ينوب عن من ولَّوه إدارة الأمر فيما لم يوله إليه من أمر . ولذا فالفرق كبير بين قوله (أولي الأمر منكم) وبين أن يقول أولي أمركم ، فأولو أمركم هم آباؤكم وأخوتكم البالغون مستوىٰ تحمل مسؤولياتكم وأنتم قصر ، ولذا فالحاكم الذي يستولي علىٰ السلطة ليحكم العباد كرهاً ، لا ينبغي أن يطاع ، فهو غير مقصود بقوله (أولي الأمر منكم) فأولو الأمر منكم هم الذين يتم اختيارهم لرعاية الأمر الذي يتخذ من قبل الذين لهم علاقة به .

---

(1) الأنفال ، 20 .

(2) النساء ، 59 .

وعليه لا طاعة بالمطلق إلا للصمد تعالىٰ والرسول الكريم وحتىٰ الوالدين طاعتمها في غير معصية ٱلله . ولهـٰذا قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (2) .

اللهُمَّ يا الصمد يا مستغنياً بذاتك عن الصاحبة والولد اجعلنا وزوجاتنا وولداننا ووالدينا صامدين علىٰ طاعتك ووحدانيتك واجعلنا منزهين عن الإفساد في الأرض التي خلقتنا منها وارتضيت لنا الاستخلاف والإصلاح فيها . اللهُمَّ أنت قاضي الحوائج فاهدنا إلىٰ ما يُمكِّنا من قضاء حوائجنا وبكل ما يفيد وينفع ، وبما فيه رضاك عن أقوالنا وأفعالنا وأعمالنا ، اللهُمَّ يا الصمد نفوض لك الأمر في الظاهر والباطن وفي السر والعلن ، فأنت الصمد الذي تُطعِم ولا تُطعَم وأنت تقضي بالحق حتىٰ يحق ، وتدمغ الباطل حتىٰ يُزهق ، فأطعمنا من لذيذ رزقك وارونا من سائغ رحمتك وأقر عيوننا ببديع نورك .

اللهُمَّ يا الصمد نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا ، وتستر عيوبنا وتجعلنا صامدين علىٰ الحق واتباعه ، وصامدين علىٰ الإحسان واتباعه ، وصامدين علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللهُمَّ يا الصمد اجعلنا مؤمنين طائعين لكتابك الحكيم ولرسولك الكريم الذي صليت وملائكتك عليه وقلت وقولك الحق : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ اللهُمَّ صلِّ وسلم علىٰ سيدنا محمد في كل مكان وزمان وسراً وعلانية !

اللهُمَّ يا الصمد إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ، فأكرمنا بالجنة ، وأبعدنا عن النار ، وأزح عن صدورنا كل همٍّ ، وغم !

(1) محمد ، 33 .
(2) النساء ، 80 .

القَادِرُ جلّ جلاله

القادر : من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، وفي لسان العرب : « القادر هو مقدِّر كل شيء وقاضيه » (1) .

« القادر علىٰ كل شيء » (2) .

القادر : هو الذي تُستمد منه القدرة ولا يُستمد من قدرة ، ولأنه القادر فهو الغالب بالمطلق الذي تذل أمامه الصعاب وهو لا يذل ، ولذا فهو المغالب لكل قدرة ، أي أنه مغالب بالقوة التي تمده بالقدرة المطلقة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (3) ، عباده هم خلائقه من بني آدم ، الذين منهم الوارثون ومنهم دون ذلك ، والوارثون هم المستخلفون فيها بالحق لإحقاق الحق فيها بالإصلاح والإعمار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما أولئك الذين من دونهم فهم المفسدون فيها بغير حق ، كفراً وعصياناً وشركاً بالله الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً لا إلـه إلا هو جل جلاله .

وهو القاهر فوق عباده بالقدرة التي لا تضاهيها قدرة ، قال

(1) لسان العرب المحيط لابن منظور ، ج 2 ، ص 30 .

(2) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ ، ج 1 ، ص 56 .

(3) الأنعام ، 18 .

تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [1] .

القادر اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ وصفة من صفاته تعالىٰ المتعلق بصفات الذات ، والقادر : اسم فاعل من قَدَر يَقْدر [2] . أي فاعل القدرة المطلقة .

القادر هو الذي يفعل ما لم يستطع غيره فعله ، ولذا فهو فعَّال لما يريد ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [3] .

القادر لا يُعرَّف إلا بقدرته علىٰ القول والفعل ، وعلىٰ إنطاق من يريد بقدرته أن يكون ناطقاً ، ومن يكون مغرداً ومن يكون أصم وأبكم ، ومن يكون ساكناً ومن يكون علىٰ حالة من الحركة ، وهو القادر علىٰ أن يحيي ويميت سبحانه لا إلـٰه إلا هو محقق الحياة والممات إلىٰ يوم يبعثون .

القادر هو الذي تستمد القدرة منه ، فاتصف بها بالمطلق لا شريك له ، إنه بها خَلق الشيء وخلق من الشيء أشياء بدون نهاية ، وهو الذي بقدرته جعل له في الأرض خليفة ، ليصلح فيها ولا يفسد ولا يسفك الدماء بغير حق .

والقادر بالإضافة هو المستخلف فيها وهو من حمل الأمانة من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ومع أنه حمْل عظيم ، إلا أن تحمُّله يزيد المؤمنين به عظمة .

---

(1) الأنعام ، 61ـ65 .
(2) النهاية في غريب الأثر ، ج4ص41 .
(3) هود ، 107 .

قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [1] .

قل يا محمد : إن ٱلله هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم أيها الكفرة الفجرة المشركون عذاباً لا تتوقعونه من أين يأتيكم ، فالقادر قادر علىٰ أن يأتي بالعذاب من جميع الجوانب ، وكيفما يشاء ، ولأنه يشاء كيفما يشاء قال : (مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) فإن كان من فوقكم فتكون الضربة القاسمة من أعلىٰ (من جند السماء) وإن كانت من أسفل فتكون من (جند الأرض الصالحين) الذين يفعلون ما يؤمرون ، مثلما يفعل الملائكة الذين هم علىٰ النار ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

القادر هو المختص بالآتي وبما ليس بالآتي :

إنه المختص بالخلق : بقدرته خلق الشيء وخلق منه الأشياء وهي النعم التي لا تعد ولا تحصىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [3] . وجعل الخليفة المستمد قدرته من قدرته تعالىٰ قادراً علىٰ أن يصنع مما خلق ٱلله له من نعم أشياء جديدة تفيده في حياته مثل المأكل والمشرب والملبس والمركوب وغيرها كثير .

ولأنه القادر البصير ، جعل خليفته مبصراً ليرىٰ ما خلق حتىٰ يهتدي للتي هي أحسن ، ولـٰكن وللأسف هناك من اتقىٰ ربه وشهد له بالوحدانية وعمل

---

(1) الأنعام ، 65 .

(2) التحريم ، 6 ـ 7 .

(3) إبراهيم ، 34 .

صالحاً فكان له خليفة ، وهناك من بصر وكفر وجعل له شريكاً في الملك ، ولهـٰذا فإن القادر يملك القوة التي بها يحيي ويميت ومع ذلك يمهل ولا يهمل وهو الغفور الودود .

ولأنه القادر السميع ، فجعل بقدرته عباده يسمعون الحق ، ومع ذلك فمنهم من اتبعه بالهداية والفلاح وهناك من ضل السبيل ، فالذي اهتدىٰ بأمر ٱلله إليه كان خليفة مباركاً من عند القادر ، ومن ضل كان مفسداً بغير حق فيناله عذاب شديد إلا من استغفر وتاب لربه سيجده تواباً رحيماً واحداً أحداً لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه القادر العليم بالمطلق ، جعل علمه بين العباد في دائرة الممكن وجعل فوق كل ذي علم عليم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [1] .

والقادر المطلق علمه مطلق في حالتين :

في الظاهر : الظاهر هو ما ليس بكامنٍ ما يجعله خاضعاً للملاحظة والمشاهدة والتعرف عليه بشكل مباشر أو غير مباشر . ولذا فالمعلومة الظاهرة تُسهم في تحليل ظواهر من بعدها ، وهـٰكذا تُحلل المعلومات وفق البيانات المشاهدة ، والملاحظة والمحسوسة ، سواء كانت سلوكاً ، أو شكلاً ، أو كماً ، أو فعلاً ؛ والظاهر هو الذي يتم التوقف عنده من أجل التعرف عليه ، ومع ذلك ليس كل ظاهر واضحاً ، بل معظم الظواهر تحتاج إلىٰ توضيح ، سواء كانت ظواهر طبيعية أو اجتماعية . والتوضيح هو تبيان ذلك الظاهر بما ظهر به عن الكامن ، وبما ظهر عنه من أفعال ، أو أقوال ، أو إنتاج ، فالإنسان قيمة كامنة في الإنسان الشكل ، وهـٰكذا السلوك تصرف ظاهر من الشكل الذي له كامن .

(1) يوسف ، 76 .

الظاهر هو الذي لم يعد مخفياً عن المشاهدة والملاحظة ما يجعله بيّناً للمعاملة والتعامل الموضوعي ، وهو الذي من وراء ظهوره غاية ، ما يجعله قابلاً للامتداد والحركة ويتجسّد في السلوك والفعل بالنسبة لِما يتعلق بالحياة البشرية . الظاهر ما ليس بكامن ، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين النية والفعل ، فالنية ساكنة كامنة إلىٰ حين تتوفر معطياتها فتمتد من حيز سكونها إلىٰ الظهور في الفعل والسلوك . ومثل النواة التي فيها تكمن النخلة وعندما تغرس النواة في التربة المناسبة لنموها تظهر النخلة منها للمشاهدة والملاحظة وتنتهي النواة وتصبح هي الأخرىٰ محمولة (كامنة) في النخلة عندما تتمر .

ولأنه القادر الودود ، جعل وده بين العباد محبة له ، وبينهم محبة ، من أبوة وأمومة وأخوة وعمومة ومخولة وجيرة وذوي قربىٰ في الدين لله الواحد الأحد . ومع ذلك هناك من جعل المحبة والمودة بين الناس فأصلح ، وهناك من نصب العداء وفرق بين المرء وزوجه ، فكانت اللعنات تلاحقه أينما حل ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (1) .

قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (2) أي : ما عظموه حق تعظيمه . القَدِيرُ والقادِرُ من أسماء ٱلله عز وجل ومن القادر تستمد القدرة ، وقوله تعالىٰ إِن ٱلله علىٰ كل شيء قدير من القُدْرة فالله عز

(1) آل عمران ، 59ـ61 .
(2) الأنعام ، 91 .

وجل علىٰ كل شيء قدير والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ شيء [1] ، وتتشعب المادة اللغوية للفعل قدر لعدة دلالات تتمركز حول فكرة أساسية محورية هي الإتيان بالشيء علىٰ وجهه التام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان .

وقد وردت المادة اللغوية قدر وتفرعاتها في القرآن الكريم مائة وتسع عشرة مرة فهي ذات كثافة ترددية عالية وهـٰذا يدل علىٰ أهمية المادة اللغوية وحملها لكثير من الدلالات القرآنية التي تكاد تستوعب معظم موضوعات القرآن ، ويمكننا استنتاج الدلالات الآتية من تردد الفعل قدر في فهم اسم الجلالة القادر ، ومن خلال استقراء المادة القرآنية وبحسب كثرة ترددها تبين أنها تدل علىٰ الدلالات الآتية :

1 ـ أن ٱلله هو الفاعل لما يشاء علىٰ قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه وقد مثل هـٰذه الدلالة لفظ قدير ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] ، ولهـٰذا لا يصح أن يوصف بالقدير المطلق إلا ٱلله تعالىٰ ، لأنه لا يستطيع أحد بإتيان الأمر علىٰ تمامه إلا ٱلله تبارك وتعالىٰ .

2 ـ إعطاء الشيء علىٰ مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسب ما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل ٱلله ضربان : ضرب أو جده بالفعل ، ومعنىٰ إيجاده بالفعل أن أبدعه كاملاً دفعة لا تعتريه الزيادة أو النقصان إلىٰ أن يشاء أن يفنيه أو يبدله كالسموات وما فيها ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزائه بالقوة علىٰ وجه لا يتأتىٰ منه غير ما قدروه فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون ، وتقدير الحيوان الذكوري للإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات . فتقدير ٱلله علىٰ وجهين : أحدهما بالحكم منه

(1) لسان العرب ، ج 5 ، ص 74 .
(2) البقرة ، 148 .

أن يكون كذا أو لا يكون كذا ، إما علىٰ سبيل الوجوب وإما علىٰ سبيل الإمكان ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (1) ، والملاحظة المهمة حول هٰذه الدلالة أنها ترتبط دائماً بالرزق الذي يقدره ٱلله لمن يشاء من عباده .

3 ـ **دلالة التقدير** : هٰذه دلالة قياسية في دائرة الممكن الموزون والمكيل وقياسات الطول والعرض المتري ، والقادر هو المالك للمادة والروح والنفس والبدن ، هٰذه المادة مرتبطة بإيجاد السموات والأرض وإحكام صنعة الأشياء قال تعالىٰ : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (2) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (3) .

أما اسم ٱلله القادر فلم يتردد إلا سبع مرات وهو اسم فاعل للفعل قدر واسم الفاعل كما نعلم يدل علىٰ من اتصف به مع ثبات في هٰذه الصفة ودوام اتصالها به ، ولهٰذا نلحظ أول شيء يمكن قراءته من تتبع الآيات التي ورد فيها اسم الفاعل قادر أنها جاءت لإثبات صفة القدرة لله تعالىٰ من غير انفكاك عنه ولهٰذا قيل : إن القدرة من صفات المعاني التي تتعلق بالذات الإلهية لأنها لا تنفك عن الذات الإلهية حالها حال الإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، فهٰذه الصفات لا تنفك عن ذات ٱلله تعالىٰ ومنها القدرة فهي صفة أزلية يتأتىٰ بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ، ولهٰذا ارتبط اسم القادر بسياقات تدل علىٰ الخلق وإعادة الخلق أو الإتيان بالأمر المستحيل مثل قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ

---

(1) الشورىٰ ، 12 .
(2) الأنعام ، 96 .
(3) يس ، 38 .

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (1) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (2) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (3) ، كما ارتبط لفظ قادر في مسألة الإتيان بالآيات المعجزة سواء آيات حسية إعجازية كونية أم آيات كتابية قرآنية ، يقول تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (4) .

والأدلة علىٰ أن ٱلله قادر تنقسم إلىٰ عقلية ونقلية ، والأدلة تتحدد وفق أربع نقاط :

أ ـ أنه تعالىٰ لو لم يتصف بالقدرة لكان عاجزاً ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هـٰذه الحوادث المحكمة الصنعة المرتبة المتقنة وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة .

ب ـ لو كان عاجزاً لكان ناقصاً ، والنقص علىٰ القادر محال .

ج ـ لو كان عاجزاً لكان ناقصاً ، ولو كان ناقصاً لكان محتاجاً إلىٰ من يكمله ، ومكمله يحتاج إلىٰ مكمل أخر . . . . وهـٰكذا فيلزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطل .

د ـ ٱلله صانع بديع ، والمصنوع حادث ، وصدور الحادث عن السابق لا يتصور إلا بطريق القدرة التي في ملك القادر .

يتبين من الأدلة العقلية السابقة أن إثبات القدرة لله تعالىٰ مرتبط بنفي العجز

---

(1) الإسراء ، 99 .
(2) يس ، 81 .
(3) الأحقاف ، 33 .
(4) الأنعام ، 37 .

عنه ، هـٰذا العجز أثبته القرآن لبني آدم منذ الخلق الأول إذ تعلق بأحد ابني آدم الذي ظهر عجزه في إدراك ما غاب عن حسه المشاهد حتىٰ تحققت له ذلك برؤية الغراب ، قال تعالىٰ : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ (1) . فبعد أن قتل أخيه هابيل تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه من السباع فحمله في جراب علىٰ ظهره ، هنا العجز ليس بمعنىٰ عدم القدرة أو الاتكال علىٰ الغير إنما هو عجز في التفكير كيف يتصرف بهـٰذه الجثة ، هـٰذا الأمر يوحي لنا بأن مدارك الإنسان في بدايته مازالت أولية ، فدفن الجثة من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة .

ويتردد العجز في أساليب الخطاب التي تعتمد علىٰ رسم صورة ذهنية معتمده علىٰ واقع حسي مدرك ، أي أن هـٰذا النوع من الخطاب يرتسم من خلال صورة يدركها الذهن إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (2) ، فالصورة هنا أطرف وأدق مثل في تصوير ضعف الشركاء ومهانة الآلهة المدعاة وهـٰذه الآية مثلت الضعف في أبين صورة وأبرزت عجز هـٰؤلاء الذين ادعىٰ المشركون أنهم آلهة قادرون يمنحون ويمنعون .

أما الأدلة النقلية علىٰ قدرة القادر فكثيرة في كتاب ٱلله ، ويكفي أن ننظر في المواضع السبعة التي ورد فيها لفظ القادر ليتبين لنا أنها جاءت بسياقات تتعلق بإثبات قدرته تعالىٰ علىٰ إحداث الأشياء ويصور منها أشياء إعجازية ،

---

(1) المائدة ، 30 ـ 31 .

(2) الحج ، 73 .

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1) ، فالمخاطبون هنا تصوروا عجز ٱلله عن الإتيان بآية ينصر بها رسوله فأثبت الباري قدرته علىٰ ذلك ، وكذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (2) . فالمشركون هنا يتشككون في قدرة ٱلله تعالىٰ علىٰ إعادتهم للحياة بعد موتهم وتحولهم إلىٰ رفات ورميم فرد عليهم الخطاب القرآني بأن الذي خلق السموات والأرض لا يعجز علىٰ أن يعيدهم مرة أخرىٰ ، فالتحدي صفة تلازم سياق الآيات التي ورد فيها اسم ٱلله تعالىٰ القادر ، إذ تخيل المخاطبون في كل هـٰذه السياقات عجز الإله عن إحداث ما يريدون من أشياء فكان الجواب في كل سياق أن ٱلله يستطيع أن يفعل بقدرته ما تخيلوا استحالته ، ولأهمية هـٰذه الصفة بتعلقها بالذات الإلـٰهية لمسنا التردد الكبير لأصل هـٰذه المادة واشتقاقاتها في القران الكريم ومنه القدير الذي تفرد بنسبة عالية صفة لله تعالىٰ ، القَدِيرُ وهو القادرُ علىٰ كل شيء من القَدْرِ والقَدَرِ وهو القضاءُ والجمعُ أقدارٌ وقَدَرَ علىٰ خلقه الأمْرَ يَقْدِرهُ ويَقْدُره قَدْراً وقَدَراً وقَدَّرَه له وعليه وقَدَرَ لهَ الرِّزْقَ (3) ، هـٰذا التنوع الكبير لهـٰذه المادة القرآنية جعلت المعتزلة وهم إحدىٰ الفرق الإسلامية الأولىٰ في التأصيل لعلم الكلام يعدون صفة القدرة أصل الصفات ويستدلون عليها بحدوث العالم . يقول القاضي عبد الجبار « اعلم أن أول ما يعرف استدلالاً من صفات القديم عز وجل إنما هو كونه قادراً وما عداه من الصفات يترتب عليه لأن الدلالة التي دلت علىٰ أنه تعالىٰ هو المحدث للعالم دلت علىٰ هـٰذه الصفة

---

(1) الأنعام ، 37 .

(2) الإسراء ، 98ـ99 .

(3) المخصص ، ج 4 ، ص 304 .

التي هي كونه تعالىٰ قادراً من غير واسطة وليس كذلك باقي الصفات »[1] .

إن أكثر الموضوعات صلة باسم ٱلله تعالىٰ القادر وبصفة القدير هو موضوع القدر في القرآن الكريم وفي الفكر الإسلامي الذي هو من الموضوعات الشائكة والخطيرة وهو وثيق الصلة بموضوع الصفات الإلـٰهية التي تمثل القدرة مركزاً جوهرياً فيها سواء عند المعتزلة أو غيرهم من الفرق الإسلامية فهل الإنسان مخير أم مسير ؟ وفق قدر ٱلله وتقديره وما هي الصلة بين إرادة ٱلله وإرادة الإنسان ، فإذا كان مجبراً علىٰ فعله فكيف يحاسبه ٱلله تعالىٰ وإن كان مختاراً فما موقع هـٰذا الاختيار من إرادة ٱلله وهل يصح أن يفعل الإنسان شيئاً لا يريده ٱلله ؟ إن نظرة أولية في النصوص التي وردت فيها مادة القدر والتقدير تؤشر حقيقة أساسية أن ٱلله بيده كل شيء وأنه لا يحدث شيء إلا بعلمه وإرادته يقول تعالىٰ ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾[2] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[4] ، ويقول تعالىٰ في إثبات قدرته ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ

(1) شرح الأصول الخمسة ، ص 151 .
(2) الرعد ، 26 .
(3) القصص ، 82 .
(4) فصلت ، 10 .
(5) هود ، 107 .

ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (1) ، إلا أن نصوصاً أخرىٰ تثبت قدرة للإنسان و إرادة له ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (3) ، ووصف أحد مشركي قريش بالقدرة إذ قال عنه ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (4) . فهنا يقدح السؤال كيف تتعلق قدرة بقدرة الإنسان التي أثبتها القرآن ؟ وبدون الدخول في التفاصيل التي لاتهمنا كثيراً فإن إثبات القدرة للإنسان لا يتعارض مع إثبات القدرة لله تعالىٰ لأن ٱلله شاء أن يكون الإنسان قادراً يستطيع أن يفعل ما قدره ٱلله له فهو يستطيع أن ينشي وينظر ويسمع لأن ٱلله أراد له ذلك ولٰكنه لا يستطيع أن يطير مثلاً لأن ٱلله لم يقدر له ذلك وقدر للغير من خلقه .

أما مظاهر قدرة ٱلله تعالىٰ التي وردت بسياق القدرة فكثيرة ومنها :

أولاً : الخلق والإيجاد :

وفي موضع واحد اجتمع إيجاد الحياة والإعادة وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ

---

(1) البقرة ، 253 .
(2) النمل ، 40 .
(3) الكهف ، 29 .
(4) المدثر ، 19 .

هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] . إن لفظة قدير وردت بسياقات الخلق الاعتيادية في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2] . ووردت بسياقات أخرىٰ تدل علىٰ الخلق المعجز مثل خلق عيسىٰ عليه السلام فقال تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] . وكذلك الحال مع زكريا في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [4] .

كذلك خلق العوالم العظيمة يتجلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [5] ، هـٰذه الآية دالة علىٰ انفراد ٱلله تعالىٰ بالإلـٰهية وهي آية خلق العوالم العظيمة وما فيها مما هو مشاهد للناس دون قصد الامتنان .

والآيات : جمع آية ، وهي العلامة والدليل علىٰ شيء . والسياق دال علىٰ أن المراد الآيات الإلـٰهية . والسموات : العوالم العليا والكواكب وما تجاوزَ الأرضَ من الجو .

---

(1) الحج ، 5ـ6 .
(2) النساء ، 1 .
(3) المائدة ، 17 .
(4) مريم ، 7ـ9 .
(5) الشورىٰ ، 29 .

والأرضُ : هي الأم التي منها خلقنا ونعيش عليها مع ما خلق علىٰ ظهرها وفي باطنها ، وأمّا الموجودات التي في السموات العُلىٰ من الملائكة والأرواح فلا يطلق عليها اسم دابّة . ويجوز أن تكون في بعض السماوات موجودات تدبّ فيها فإن الكواكب من السماوات ، وحتىٰ عدد الأجنحة يذكره الباري عز وجل ، وفي أدق تفاصيله من ناحية الزيادة والنقصان إذ يقول تعالىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] ، تجلت قدرته العظيمة في أدق التفاصيل فأي قدرة هٰذه التي حيرت العقول فقدرته هي في كل الأحوال فهو القادر علىٰ خلق السماوات والأرض وما فيهما من حيث ندرك ومما لا ندرك شيئاً ، إنه القادر المطلق الذي مدنا بقدرة منه عقلاً وسمعاً وحساً ، إنه تعالىٰ قادر علىٰ إعادة خلق ما يشاء فيهما .

ثانياً : إعطاء الحياة وإعادة الحياة :

ففي مطلع قائمة الموضوعات التي أثارت الخليفة ولا تزال تثيره قضية الحياة والموت ، فلم تنقطع تساؤلاته منذ أن عرف وجوده أحس بكيانه عن سر الحياة والموت ، وماهية كل منهما ، والقرآن الكريم بوصفه شريعة المسلمين ومنهجهم في هٰذه الحياة تكثر الإشارة فيه إلىٰ آيتي الحياة والموت في مختلف مجالاته التي عالجها وذلك لأن موضوع الحياة والموت يلمس قلب الخليفة بشدة وعمق ، ويحقق الغرض المرجو منه بأعظم تأثير ، كما أن ظاهرة الحياة والموت بارزة ومكررة في كل ما يقع عليه حس الخليفة . لذلك تحدث القرآن الكريم عن الحياة والموت بمختلف المجالات الفكرية ، ومن خلال أشكال تعبيرية متنوعة ، فالله تعالىٰ هو الذي خلق الحياة والموت ، قال

---

(1) فاطر ، 1 .

تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [1] . والله تعالىٰ بحكم ألوهيته للكون كله وخلقه للحياة والموت ، هو الذي بيده وهب الحياة وعدمها بالموت : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [2] . ولا أحد من خلق ٱلله يملك قدرة الإحياء ولا الإماتة إنه الأمر بالمطلق بيده تعالىٰ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [3] . فالله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يملك الحياة والموت ولا سواه يملك ، ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4] ، والحياة والموت صفة عظيمة من أفعال ٱلله عز وجل .

ومضمون هٰذه الجملة يؤذن بتعليل تسبيح ٱلله تعالىٰ لأن من له ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي حقيق بأن يعرف الناس صفات كماله .

أما الإحياء والإماتة ممّا يشتمل عليه معنىٰ مُلك السماوات والأرض لأنهما من أحوال ما عليهما ، وتخصيص هٰذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما علىٰ دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض ولظهور أن هٰذين الفعلين لا يستطيع المخلوق ادعاء أن له عملاً فيهما ، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون ، وللتعريض بإبطال زعمهم إلـٰهية أصنامهم ، ومن هٰذين الفعلين جاء وصفه تعالىٰ بصفة (المحيي المميت) وجلّ ثناؤه هو علىٰ كل شيء ذو قدرة ، لا يتعذّر عليه شيء أراده ، من إحياء أو إماتة .

أمر عظيم عرضه ٱلله تبارك وتعالىٰ في كتابه الكريم من أجل تفنيد مزاعم الكفار والوقوف علىٰ قدرته من أجل الاتعاظ والتذكر إذ يقول تعالىٰ ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى

(1) الملك ، 2 .
(2) النجم ، 44 .
(3) الفرقان ، 3 .
(4) الحديد ، 2 .

مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] .

هٰذه الآية تتناول كيفية الحياة والموت وحقيقة الحياة والموت وهي تؤلف جانباً من جوانب التصور الإسلامي ، فالذي كان كافراً بالبعث من خلال كلمة الاستبعاد التي هي ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ ﴾ والتي تدل علىٰ الاعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء ، واستعظام لقدرة المحيي ، ففي هٰذه الآية الكريمة استعرض ٱلله سبحانه وتعالىٰ مراحل إعادة الحياة وهي عملية عكسية تختلف عن إيجاد الخلق إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [2] ، ولاشك أن خلق السموات الأرض أعظم وأفخم من إعادة الشخص حياً بعد أن صار ميتاً والقادر علىٰ الأقوىٰ الأكمل لابد وأن يكون قادراً علىٰ الأقل والأضعف ، فهو قادر تعالىٰ علىٰ الإعادة ، كما أن ٱلله سبحانه وتعالىٰ عرض أمام النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كيفية إعادة الأموات بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3] ، طلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا ليس من قبل الشك في قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ بل لأجل أن يثبت ويتحقق علمه وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلىٰ بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلىٰ معاودة الاستدلال ودفع

(1) البقرة ، 259 .

(2) المؤمنون ، 12 ـ 14 .

(3) البقرة ، 260 .

الشُّبه عن العقل ، فإعادة الخلق صورة ترددت في النص القرآني من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) .

ثالثاً : التصرف في الأشياء :

إن التصرف في الأشياء يحدث في أمور عدة ذكرها القرآن الكريم تبين قدرة ٱلله وتصرفه في ما يشاء من الأمور التي قد يرىٰ الإنسان أنها بخلاف المصلحة إلا أنها عند ٱلله ليست كذلك ومنها تحويل القبلة التي ظن المسلمون أن أمرها يسيء إلىٰ عقيدتهم وصعب الأمر عليهم إلا أن الواقع والشيء الحقيقي بحكمة من ٱلله وتقدير منه لجعل المسلمين يتميزون عن غيرهم في وجهة عبادتهم : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) .

ولأن قول ٱلله حق والحق يتصف بالديمومة والبقاء فإن ٱلله لا ينسخ آية إلا وأن يأتي بغيرها تحل محلها ، ولهـٰذا نسخت رسالة موسىٰ برسالة عيسىٰ ونسخت رسالة عيسىٰ برسالة محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، أما غير ذلك فلا دليل قاطع إلا وأن الرسالة التي تنسخ يكون الاصطفاء لرسول من بعد الرسول الذي بعث بها لقومه أو قريته أو مدينته أو شعبه حتىٰ جاءت الرسالة الكافة للناس كافة ، ولهـٰذا فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ

(1) الأحقاف ، 33 .

(2) البقرة ، 148 .

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] . ونسخ الآية بيان انتهاء الحكم المستفاد منها ، والآية دلت علىٰ جواز النسخ ، فنزول الآيات هو لمصلحة العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من ٱلله ورحمة لـكن اليهود كانوا يتخذون من النسخ ذريعة للتشكيك في مصدر الأوامر والتكاليف الإسلامية ويقولون للمسلمين . وتتمثل قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ هنا بأنه حريص كل الحرص علىٰ عباده من خلال نسخ الأحكام والإتيان بأحكام جديدة تكون لمصلحة العباد وحافزاً لهم في بناء حياة طيبة .

ارتبط الملك مع القدرة من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] ، الآية هنا : تتحدث عن أهل الكتاب بعد زوال النبوءة منهم وانقراض الملك منهم بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنّه لا عجب أن تنتقل النبوءة من بني إسرائيل إلىٰ المسلمين وعلىٰ رسول عربيٍّ ، والمالك هو المختصّ بالتصرّف في شيء بجميع ما يتصرّف في أمثاله مما يُقصد له من ذواتها ومنافعها وثمراتها ، بما يشاء فقد يكون ذلك بالانفراد ، وهو الأكثر ، وقد يكون بمشاركةٍ ، والمُلك بالضم نوعٌ منه وهو أعلىٰ أنواعه ، ومعناه التصرّف

---

(1) آل عمران ، 93ـ100 .
(2) البقرة ، 106 .
(3) آل عمران ، 26 .

في جماعة عظيمة ، أو أمة عديدة تصرُّف التدبير للشؤون ، وإقامةِ الحقوق ، ورعاية المصالح ، ودفع العدوان عنها ، وتوجيهها إلىٰ ما فيه خيرها ، بالرغبة والرهبة والتدبر ، فقدرة الباري عز وجل تتجلىٰ في الإيتاء والنزع وهي دروس وعظات تستذكر علىٰ مر السنين .

رابعاً : إعطاء الأشياء علىٰ مقدارها :

يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (1) . يبين ٱلله سبحانه وتعالىٰ أنّ له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته ، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور ، وبعضاً بالصنفين جميعاً ، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولداً قط . فهو عليم بمن يستحق وقدير علىٰ من يشاء من تفاوت الناس في ذلك ، هـٰذا التقسيم يحيلنا إلىٰ تقسيم الخلق ، حيث خلق الخلق علىٰ ثلاثة أقسام : فآدم وحواء مخلوقان من تراب لا من ذكر ولا أنثىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (3) .

وعيسىٰ ، عليه الصلاة والسلام ، من أنثىٰ بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسىٰ ابن مريم ، عليهما الصلاة والسلام . وكل هـٰذه التقسيمات توحي بعظمة الباري تبارك وتعالىٰ في قدرته العظيمة وبحكمته الباهرة .

ثم خلق الإنجاب من الذكر والأنثىٰ معاً ، وهـٰذا لا يعني في ذلك مراعاة

---

(1) الشورىٰ ، 49ـ50 .
(2) الرعد ، 3 .
(3) الذاريات ، 49 .

الترتيب الزمني والأقدمية ، فعيسىٰ عليه الصلاة والسلام أمه من أب وأم أي أن الإنجاب من الأبوين جاء من بعد آدم مباشرة (من بنيه) ولـٰكن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام كان في وجوده آية والحمد لله رب العالمين . وقد كان الاستئناف من بعده بالإنجاب مصداقاً لقوله الدائم : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [2] .

خامساً : كشف الضر :

لا يكشف الضر إلا ٱلله سبحانه وتعالىٰ إذ يقول عز وجل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] . الخطاب للنبي ﷺ وهـٰذا مؤذن بأنّ المشركين خوّفوا النبي ﷺ أو عرّضوا له بعزمهم علىٰ إصابته بشرّ وأذىٰ ، فخاطبه ٱلله بما يثبّت نفسه وما ييئس أعداءه من أن يستزلّوه . ومن وراء ذلك إثبات أنّ المتصرّف المطلق في أحوال الموجودات هو ٱلله تعالىٰ بعد أن أثبت بالجمل السابقة أنّه محدث الموجودات كلّها في السماء والأرض ، فجُعل ذلك في أسلوب تثبيت للرسول ﷺ علىٰ عدم الخشية من بأس المشركين وتهديدهم ووعيدهم ، وبأنّهم لا يستطيعون إضراره ولا يجلبون نفعه . ويحصل منه ردّ علىٰ المشركين الذين كانوا إذا ذُكّروا بأنّ ٱلله

(1) الكهف ، 37 .
(2) الحج ، 5 .
(3) الأنعام ، 17 .

خالق السماوات والأرض ومن فيهن أقرّوا بذلك ، ويزعمون أنّ آلهتهم تشفع عند ٱلله وأنّها تجلب الخير وتدفع الشرّ ، فلمَّا أبطلت الآيات السابقة استحقاق الأصنام الإلـٰهية لأنها لم تخلق شيئاً ، وأوجبت عبادة المستحقّ الإلـٰهية بحقّ ، أبطلت هـٰذه الآية استحقاقهم العبادة لأنهم لا يملكون للناس ضرّاً ولا نفعاً ، كما قال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (1) .

فخالق الموجودات هو القادر المطلق وحده لزم من ذلك أنّه مقدّر أحوالِهم وأعمالِهم ، لأن كون ذلك في دائرة قدرته أولىٰ وأحقّ بعد كون معروضات تلك العوارض مخلوقة له . فالمعروضات العارضة للموجودات حاصلة بتقدير ٱلله لأنه تعالىٰ مقدّر أسبابها ، وواضع نظام حصولها وتحصيلها ، وخالق وسائل الدواعي النفسانية إليها أو الصوارف عنها .

والضُرّ بضم الضاد هو الحال الذي يؤلم الإنسان ، وهو من الشرّ ، وهو المنافر للإنسان . ويقابله النفع ، وهو من الخير ، وهو الملائم . والمعنىٰ إن قدّر ٱلله لك الضرّ فهلاّ يستطيع أحد كشفه عنك إلاّ هو إن شاء ذلك ، لأن مقدّراته مربوطة ومحوطة بنواميس ونظم لا تصل إلىٰ تحويلها إلاّ قدرة خالقها . والمثال الواضح علىٰ كشف الضر هو ما حصل للنبي أيوب عليه الصلاة والسلام ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ (2) .

سادساً : القدرة المعنوية :

وهي التي تتعلق بتصريف القلوب ومحبتها وكرهها وثباتها علىٰ الإيمان أو

---

(1) المائدة ، 76 .

(2) الأنبياء ، 84 .

زيغها إلىٰ الكفر مثل قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (1) . فالله سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ تغيير الأحوال من وجعل المودة تسري بين الناس جميعاً وخاصة بين المقربين إذ يقول تعالىٰ : ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) ، هنا الخطاب يتوجه إلىٰ المؤمنين عسىٰ ٱلله أن يجعل بينكم وأقاربكم من المشركين مودَّة بأن يوافقوكم في الدين ولا يشركوا بالقادر أحداً ، وعدهم ٱلله تعالىٰ بذلك لما رأىٰ منهم التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييباً لقولهم ، ولقد أنجز ٱلله سبحانه وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحابّ والتصافي ما تم . والله قدير علىٰ تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة لمن أسلم من المشركين . هنا القدرة تتجلىٰ في تغيير فكر متصلب متمسك بالديانة السابقة التي ينظر إليها وكأنها ورث لا يمكن التخلي عنه أو حتىٰ مجرد التفكير بالابتعاد عنه أو تغيير بعض ما يعتقد منه ، ونستذكر ضمن هٰذا السياق في تغيير طبيعة العلاقة بين الناس قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (3) . وهٰذه المودة ليست فقط بين المؤمنين والمشركين بل تعدت إلىٰ أقرب علاقة عرفها تاريخ البشرية وهي علاقة الأزواج إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (4) . هٰذه الآية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل ،

---

(1) الأنفال ، 63 .

(2) الممتحنة ، 7 .

(3) فصلت ، 34 .

(4) الروم ، 21 .

وهو نظام عجيب جعله ٱلله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشاذ . فقد جمع سبحانه بين الغرباء والأباعد وجعل بينهم هٰذه المودة التي توحي بالمحبة والرحمة وهما صفتان تبعثان علىٰ حسن المعاملة ، هٰذه المودة لا يستطيع أحد مهما بلغ من شأن أن يوجد ها بين الرجل والمرأة إن لم تكن في طاعة ٱلله ومرضاته .

سابعاً : إرسال الرسل :

بعثة النبي محمد ﷺ هٰذا الأمر العظيم الجليل الذي غير مسار التاريخ بكل تجلياته فكانت بعثته بعد بعثة النبي عيسىٰ عليه الصلاة والسلام والتي سبقتها فترة انقطاع للرسل لفترة زمنية ، كما سبقتها من قبل بعد موسىٰ عليه الصلاة والسلام إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (1) ، الخطاب هنا موجه لأهل التوراة والإنجيل ، وإنما أضافهم إلىٰ الكتاب والله أعلم علىٰ وجه التعيير ، يعني أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم ؟ كقوله : يا عاقل لم لا تفعل كذا وكذا ، وإنما تذكر العقل علىٰ معنىٰ التعيير أي إنك لا تعمل عمل العقلاء . فقد جاءكم النبي محمد ﷺ ليبين لكم الدين والأحكام والشرائع بعد انقطاع من الرسل والوحي فلا تقولوا ما جاءنا من بشير أو نذير فقد جاءكم النبي محمد ﷺ بشيراً بالجنة ونذيراً من النار والله سبحانه وتعالىٰ بقدرته العظيمة قادر علىٰ المغفرة والعذاب فضلاً عن ذلك بعث الرسل .

ثامناً : المغفرة والعذاب :

ومن مظاهر قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ التامة في التصرف الكلي المغفرة والعذاب بما يشاء فقال تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ

---

(1) المائدة ، 19 .

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، إن الناس قد علموا أنّ ٱلله ربّ السموات والأرض ، وخالق الخلق ، فإذا كان ما في السموات والأرض للهِ ، مخلوقاً له ، لزم أن يكون جميع ذلك معلوماً له لأنه مكوِّن ضمائرِهم وخواطرهم ، وعموم علمه تعالىٰ بأحوال مخلوقاته من تمام معنىٰ الخالقية والربوبية ؛ لأنه لو خفي عليه شيء لكان العبد في حالة اختفاء حاله عن علم ٱلله مستقلاً عن خالقه . ومالكيةُ ٱلله تعالىٰ أتَمّ أنواع الملك علىٰ الحَقيقة كسائر الصفات الثابتة لله تعالىٰ ،وإبداء ما في النفس : إظهاره ، وهو إعلانه بالقول ، فيما سبيله القول ، وبالعمل فيما يترتّب عليه عمل ؛ وإخفاؤه بخلاف ذلك ، والله علىٰ كُلّ شَيْء قَدِيرٌ ، ومنه محاسبتكم وجزاؤكم .

وورد في القدرة علىٰ العذاب والمغفرة قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) إذ المغفرة والعذاب فعلان له تعالىٰ يفعلهما بقدرته متىٰ شاء فمع فرعون مثلاً استعمل العذاب حتىٰ مع التوبة في قوله تعالىٰ : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (3) . والمنفي هو إيمانٌ ينجي مَن حصل منه في الدنيا والآخرة . وإنما لم ينفعه إيمانه لأنه جاء به في وقت حصول الموت . وهو وقت لا يقبل فيه إيمان الكافر ولا توبة العاصي ، بينما استعمل المغفرة مع الثلاثة الذين خلفوا إذ يقول تعالىٰ : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ

(1) البقرة ، 284 .

(2) المائدة ، 40 .

(3) يونس ، 91 ـ 92 .

﴿عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1] . وهم : كَعب بن مالك من بني سَلِمَة ، ومُرارة بن الربيع العَمْري من بني عَمرو بن عَوْف ، وهلال بن أمية الواقفي من بني واقف ، كلهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر .

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك سألهم عن تخلفهم فلم يكذبوه بالعذر ولـٰكنهم اعترفوا بذنبهم وحزنوا . ونهىٰ رسول ٱلله ﷺ الناس عن كلامهم ، وأمرهم بأن يعتزلوا نساءهم . ثم عفا ٱلله عنهم بعد خمسين ليلة .

والمغفرة لا تكون في الدنيا فقط وإنما تكون في الآخرة أيضاً من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [2] . أمر المؤمنين بالتوبة من الذنوب إذا تلبسوا بها لأن ذلك من إصلاح أنفسهم بعد أن أمروا بأن يجنِّبوا أنفسهم وأهليهم ما يَزِجّ بهم في عذاب النار ، لأن اتقاء النار يتحقق باجتناب ما يرمي بهم فيها ، وقد يذهلون عما فرط من سيئاتهم فهُدُوا إلىٰ سبيل التوبة التي يمحون بها ما فرط من سيئاتهم .

والتوبة : العزم علىٰ عدم العود إلىٰ العصيان مع الندم علىٰ ما فرط منه فيما مضىٰ ، ووصف التوبة بالنصوح مجاز جعلت التوبة التي لا تردد فيها ولا تخالطها نية العودة إلىٰ العمل المتوب منه بمنزلة الناصح لغيره ، والله سبحانه وتعالىٰ قدير علىٰ المغفرة ولا أحد يملكها أو يقدر عليها إلا هو الرحمـٰن الرحيم فهو يقبل التوبة وليس هنا ك أحد آخر يقبل التوبة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا

---

(1) التوبة ، 118 .
(2) التحريم ، 8 .

تَفۡعَلُونَ ﴾ (1) ، كما أن ٱلله سبحانه وتعالىٰ بين قدرته علىٰ المغفرة والرحمة فإنه بين قدرته علىٰ العذاب والعقاب سواء في الدنيا أم في الآخرة ، والملاحظ أن صور العذاب الدنيوي تمثل ركيزة أساسية في فهم وتصديق صور العذاب الأخروي ، فقد يقف الذهن طويلاً عند مشاهد من صور العذاب الأخروي مثل قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ (2) . إن هٰذه الآيات احتوت علىٰ صورة ذهنية يمكن وجودها في الحياة واشتملت علىٰ عناصر ثلاثة ، كانت هي المحور الرئيسي الذي يدور حوله التصوير ، فهي أقطاب ثلاثة متعلقة بعضها مع بعض وكل واحدة مكملة للأخرىٰ في رسم هٰذه الصورة الذهنية و في بداية بدية الآمر كانت لفظة (زلزلة) فهٰذه اللفظة توحي لنا بتخيل واسع يعتمد علىٰ إدراكنا لمعنىٰ الزلزلة في حياتنا إلا أن زلزلة الآخرة وصفها بالعظمة ، فكيف يمكن أن تكون ؟ زيادة علىٰ ذلك عمد الخطاب إلىٰ تعظيم صورة الآخرة بهٰذه اللفظة ، فهٰذه اللفظة عند البشر توحي إلىٰ أمر عظيم يتبادر للذهن عند سماعها بالنهاية المأساوية للحياة .

والعنصر الثاني هو المرضعة ، إذ الأمومة والحنان والخوف علىٰ الرضيع هي من صفات المرضعة وشفقة الأم علىٰ الابن أشد من شفقة الأب ، فشفقتها علىٰ الرضيع أشد علىٰ شفقتها من غيره ، وكل ذلك يدل بدلالة الأولىٰ علىٰ ذهول غيرها من النساء والرجال ، وقد ارتبط أيضاً بهٰذا العنصر لفظة الحامل ، فهي مساوية لحال المرضعة ووضع الحمل لا يكون إلا لشدة اضطراب نفس الحامل من فرط الفزع والخوف .

---

(1) الشورىٰ ، 25 .
(2) الحج ، 1 ـ 2 .

أما العنصر الثالث فهو قوله تعالىٰ ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ ﴾ فمن المعروف أن الإنسان لا يكون بهـٰذه الحال إلا لأمر أصابه أو إذا شرب منكراً مسكراً ، فهـٰذه الصورة معروفة لدىٰ البشر لـٰكن ورودها في هـٰذه الآية جاء بصيغة التشبيه البليغ الذي كسر إيضاحاً لكلمة (سكارىٰ) فمن شدة هول يوم القيامة يصبح الناس سكارىٰ أمام هول عظيم مرهوب عنيف تتزلزل له القلوب ، ففي هـٰذا المشهد صورة مصغرة ليوم القيامة كله ولـٰكنها مع صغرها ، فيها كل ملامح هـٰذا اليوم المشهود ، فخطاب التقوىٰ في هـٰذه الآية يجسده القرآن الكريم من خلال صور ومشاهد الآخرة المتتابعة والعناصر المؤلفة لها .

العقل لا يتخيل يوماً أن تترك المرضعة رضيعها وتنزل الأرض بالناس جميعاً إلا أن القرآن الكريم قدم صورة مصغرة لهـٰذه الحالة بالخسف الذي حدث مع قارون إذ زلزل الأرض من تحته حتىٰ غدا كأن لم يكن هو وما عنده : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (1) ، وهـٰكذا باقي مشاهد العذاب الدنيوي فهي صورة مصغرة لقدرة ٱلله علىٰ تحقيق ما توعد به .

كـذلـك مـن العـذاب الصعـق الـذي يحـدث يـوم القيـامـة إذ يقـول تعالىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (2) ، فالأموات يصعقون اضطراباً تدبّ بسببه فيهم الحياة فيكونون مستعدين لقبول الحياة ، فإذا نفخت النفخة الثانية حلّت

---

(1) القصص ، 80 ـ 82 .

(2) الزمر ، 68 .

الأرواح في الأجساد المخلوقة لهم علىٰ مثال ما بَلي من أجسادهم التي بليت ، أو حلّت الأرواح في الأجساد التي لم تزل باقية غير بالية كأجساد الذين صعقوا عند النفخة الأولىٰ ، ويجوز أن يكون بين النفختين زمن تبلَىٰ فيه جميع الأجساد . هـٰذه الصورة تقابل عذاب عاد في الدنيا : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [1] . الصعق يمثل هـٰذا الشكل من أشكال الموت دلالة خاصة وبارزة بين صنوف الموت في القرآن الكريم ذلك أنه ورد بدلالة الفناء الأخير والشامل قبل الموت يوم القيامة ، حيث لا يبقىٰ إلا ٱلله ، إن هلاك عاد صورة حسية قائمة علىٰ التشبيه نقلت لنا الأحداث وكأنها تجري أمامنا اليوم وفي الوقت نفسه ترسم لنا صورة الصعق الذي سوف يحدث يوم القيامة .

ارتباط مفهوم القدرة بالقوة لأن القادر لابد أن يكون قوياً فالله قادر وقوي في نفس الوقت إذ يقول تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [2] ، بعد أن جاء عذاب ٱلله سبحانه وتعالىٰ أو أمر بنزوله فبطبيعة الحال توحي كلمة العذاب أمراً مخيفاً مرعباً فيه من التهويل مالا يخفىٰ لـٰكن ٱلله تبارك وتعالىٰ أنجىٰ صالحاً والذين معه من ذلك العذاب الذين يكون هلاكه بالصيحة وبعد بيان العذاب وما آل إليه النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين يتوجه الخطاب إلىٰ الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ القادر علىٰ كل شيء والغالب عليه في كل وقت ويندرج في ذلك الإنجاء والإهلاك في ذلك اليوم . ومن ذلك تردد نفس المعنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [3] ، تلطف جل شأنه في حق عباده المؤمنين دون غضب عليهم بمحض مشيئته سبحانه لأنه تعالىٰ قوي قادر علىٰ أن يختص

---

(1) فصلت ، 13 .

(2) هود ، 66 .

(3) الشورىٰ ، 19 .

برحمته وكرمه من يشاء من عباده ، عزيز غالب لا يمنعه سبحانه عما يريده أحد .

وعليه القادر المطلق هو الذي لا يقف عند حدود دائرة الممكن التي تستوعب الامتداد العقلي لبني آدم فقط ، بل إنه الممتد إلىٰ ما لا نهاية في دائرة المستحيل ، ولكي أوضح ذلك علينا بتناول دائرتي الممكن والمستحيل بالمقارنة والتحليل والتفسير وفقاً للفرض المثبت الآتي :

(لا تتاح الأشياء للمخلوق إن لم تكن ممكنة ، وللقادر بالمطلق تتاح) .

هـٰذا صحيح . ذلك لأن المخلوق هو محدود المقدرة .

أما الخالق فهو القادر علىٰ كل مطلق .

ولهـٰذا فبالنسبة للخالق القاعدة هي :

(خلق المستحيل علىٰ المخلوق ، وهـٰذا يعني لا وجود للاستثناء بالنسبة للخالق) .

أما بالنسبة للمخلوق فالقاعدة هي :

(خلق الممكن من الممكن . وهـٰذا يعني أنّ لكل قاعدة استثناء) .

الاستثناء نحن بني الإنسان لا نخلق مستحيلاً ، ولـٰكننا ننظر إليه ، ونتعرف عليه ، ونتمكن منه وفقاً لقدراتنا واستطاعتنا علىٰ الحركة في دائرة الممكن .

وعليه فالمستحيل يُخلق من الخالق الأعظم ، والنظر إليه والتفكير فيه وبلوغه يحدث في دائرة الممكن من قبل المخلوق الأفضل . ولهـٰذا يقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (1) .

---

(1) الغاشية ، 17 ـ 21 .

ولذا لا ينبغي أن يغفل المخلوق عن دائرة الممكن والتفكير فيها ، والعمل وفقاً للقواعد التي تحتويها أو تتضمنها أو تشير إليها ، حيث لا مستحيل في دائرة الممكن .

وعلىٰ الخليفة أن يعرف ، أنّ علاقة قوية تربط بين الممكن والقدرة .

ولهٰذا فالممكن في نضج القدرة .

وغير الممكن في قصورها .

ولذا فالإنسان يتوقع ما هو ممكن ، ولٰكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته . فما يشاهد أو يُلحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه أو شمه أو سمعه فهو الواقع في حدود الممكن . وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة للمدركات والقدرات والأحاسيس حيث هناك البعض يمّيز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر .

فعلىٰ سبيل المثال : الوصول إلىٰ القمر كان في الزمان الماضي مستحيلاً وفقاً لقدرات الإنسان وعلومه ، وفي زماننا أصبح ممكناً ، ولهٰذا خلق القمر مستحيل كما أن خلق الوجود بأسره مستحيل ، وبملامسة دائرة الممكن لدائرة المستحيل يتم التعرف ، ويحدث التمكّن وفقاً للقدرة .

وعليه ، كلما ظهرت الأشياء أو المخلوقات ، إلىٰ حيز المشاهدة أو الملاحظة ، دخلت إلىٰ دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) ، ولا ظهور للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن .

ولا كمون للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن .

وبناء علىٰ ذلك يعمل الخليفة علىٰ الآتي :

- إظهار الممكن .

- إنجاز الممكن .

- بلوغ الممكن .

- التخطيط وفق الممكن .

- التطلُّع وفق الممكن .

والخليفة لا يستغرب حيث كل شيء ممكن :

- الممكن : برغم وجوده ؛ إلاَّ أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع) . وهو الذي كلما توفرت شروطه تم تحقيقه أو بلوغه .

وبما أن كل شيء ممكن .

إذاًفلماذا الاستغراب ؟

الاستغراب هو حدوث غير المتوقع في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقع . أي ظهور ما لم يكن في الحسبان ، وعليه يجب أن يضع الخليفة في حسبانه كل ما هو ممكن في دائرة المتوقع وغير المتوقع حتىٰ لا يفاجأ .

الممكن برغم وجوده المتجزئ إلا أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع) .

مثال : البحث عن العمل ، لو لم يكن ممكناً ، ما كان البحث عنه . ولهـٰذا البحث عن العمل ممكن ، والحصول عليه ممكن .

وعدم الحصول عليه أيضاً ممكن . هـٰذا الأمر هو المتوقع (ما يوضع في الحسبان) . لـٰكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان ، وأنت تبحث عن فرصة عمل ، فهـٰذا الأمر بالنسبة لك غير متوقع .

وعليه : فالحب متوقع ، والزواج متوقع ، والطلاق كذلك ، والإنحراف متوقع ، والإنجاب متوقع ، وأيضاً عدم الإنجاب متوقع . الخيانة متوقعة ، والطاعة والعصيان متوقعان ، الكذب والصدق متوقعان ، وأيضاً أن يُعطىٰ لك موعد ويُخَل به متوقع ، وفي مقابل ما ذكرناه من متوقعات يكون غير المتوقع وفي ذلك علىٰ سبيل المثال : أن تقدم الأم علىٰ ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهٰذا غير متوقع ، أو أن يقدم الأب علىٰ فعل الفاحشة مع ابنته ، فهٰذا غير متوقع أيضاً ، لأنه لم يوضع في حسبان القيم والأخلاق البنائية للأسرة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1] .

ولهٰذا : معايير المتوقع هي التي علىٰ ضوئها تكون القواعد ، وعلىٰ معايير غير المتوقع تكون الاستثناءات .

ولذا فالاستثناء ، هو الذي يقدم الخليفة علىٰ إصلاحه لأجل العودة إلىٰ قواعد مكارم الأخلاق .

وغير الممكن : هو المستحيل ، الذي لا يمكن الإقدام علىٰ فعله ، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزمن .

مثال :

ـ من غير الممكن أن نأتي بالشمس من المغرب .

---

(1) النساء ، 22ـ23 .

ـ من غير الممكن أن ندمج الشمس في القمر .

ـ من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين .

ـ من غير الممكن أن نفكر إن فقدنا عقولنا .

ـ من غير الممكن أن نحيي الموتىٰ بقدراتنا هـٰذه .

وقد يتساءل البعض : ماذا تعني بقدراتنا هـٰذه ؟

أعني : أنَّ إحياء الموتىٰ عبر الزمن كان ممكناً لبعض الرسل والأنبياء بإذن ٱلله تعالىٰ ، ولـٰكن في زمننا هـٰذا فهو غير ممكن ، لأن زمن الرسل غير مستمر معنا بعد الرسالة الخاتمة والرسول الكافة .

إذاً (كل ما لم يكن مستحيلاً ممكن) .

وبما أن كل شيء ممكن . إذاً فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل ؟

الممكن ، قابل للإثبات أو الاكتشاف . أي أنه في حاجة لمن يثبته ويبرهن علىٰ معطياته ومبرراته . ولذا فهو :

قابل للإثبات .

قابل للنفي .

قابل للرفض .

قابل للاكتشاف .

قابل للظهور .

قابل للكمون .

قابل للشك .

قابل للمقارنة .

قابل للترابط .

قابل للثبات .

قابل للاهتزاز .

قابل للدراسة والبحث .

قابل للتصحيح .

قابل للعلاج .

قابل للتقييم .

ـ ولهٰذا لو لم يكن ممكناً ما تم إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشك فيه ، ومقارنته ومعرفة ترابطه و ثباته واهتزازه .

ـ أما المستحيل فمثبت . وهو الذي نعلم به ولا نعرفه ، فعلىٰ سبيل المثال :

ـ نعلم بيوم الحساب ولٰكننا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك .

ـ الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله .

ـ القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها .

ـ الموتىٰ لا يعودون إلىٰ الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا .

ـ المستحيل مع أنه موجود إلا أنه لا ينفىٰ .

ـ عندما يكون اليوم السبت فإن الأحد سيأتي غداً وفقاً لعلمنا ولٰكن قد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه .

إذاً المستحيل : هو الذي لا يمتلك الفرد ولا الجماعة ولا المجتمع ولا الإنسانية كاملة أن تقوم به أو تفعله . إنه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا .

إذاً : المتوقع وغير المتوقع هما اللذان يقعان من قِبل أو من طرف المخلوق .

المستحيل هو الذي يقع من قبل الخالق القادر .

ولذا فكلاهما يحدث ، وفقاً لتوقعاتنا . إلا أن الممكن يتحقق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا علىٰ فعله .

وعليه المستحيل نتوقعه ولٰكن وقوعه من خارجنا ، أما الممكن نتوقعه ويحدث من داخلنا .

لذا علىٰ الخليفة أن يضع في حساباته بأن ظهور غير المتوقع ممكن وإذا لم يضع ذلك في حساباته فسيفاجأ به ، ولذا فالخليفة يعلم بأن (الصعب ليس بمستحيل) .

الصعب فعل يُنفىٰ ويُثبت ، ولهٰذا فهو ممكن ، وبالرغم من أنه ممكن إلا أنه ليس سهلاً . ولذا فهو في حاجه لبذل الجهد ، مع إعطاء الزمن الكافي والإمكانات الكافية .

وعليه :

من المستحيل أن يكون الإنسان عالماً بلا علم ، ومن الصعب أن يصبح الإنسان عالماً .

وبما أنه من الصعب أن يصبح الإنسان عالماً ، ومع ذلك فبالإمكان أن يكون .

إذاً القاعدة هي :

تحدَّ الصعاب إذا أردت أن تكون عالماً .

والاستثناء هو :

تنسحب من التحدي تبقىٰ جاهلاً .

ولهٰذا فإنَّ تقدم العلوم قاعدة . وتأخرها استثناء .

وقد يتساءل البعض : (متىٰ يكون المثبت مستحيلاً ؟) .

- مستحيل أن تأتي به جديداً .
- مستحيل أن تأتي بمثله بالتمام .
- مستحيل أن تمتلك القوة المماثلة للقوة التي أظهرته .

ولهٰذا فالمثبت مستحيل . أما إذا استطعت أن تأتي به جديداً ، أو تأتي بمثله ، أو أن تمتلك القوة والقدرة التي أظهرته ، فإن ذلك هو الممكن غير المتوقع (الصعب) .

وقد يتساءل البعض أيضاً : ما الفرق بين المستحيل والصعب ؟

المستحيل غير ممكن .

ومع أن المستحيل مثبت ؛ إلا أنه خارج دائرة المتوقع وغير المتوقع .

الصعب ممكن .

إنه القابل للإثبات أو النفي ، إلا أنه في حاجة لبذل المزيد من الجهد ، مع إعطائه الزمن الكافي والإمكانيات الكافية .

مثال : الأخصائي الاجتماعي الذي لديه فرضية تقول : (الحالة ميئوس منها) هٰذه فرضية غير مقبولة وفقاً لقاعدة الممكن ، ولذا لا يوجد شيء مستحيل في دائرة التعامل بين بني آدم ، لٰكن قد يكون علىٰ درجة من الصعوبة .

ولذلك فعلىٰ الخليفة أن يتحدىٰ الصعاب ، وأن يتجاوز قوة المواجهة مع الحالة التي يتعامل معها لأجل الإصلاح ، حتىٰ تصبح معه حالة غير ميئوس منها .

عليه :

فالقاعدة هي :

تحدي الصعاب .

والاستثناء هو :

الاستسلام للصعاب .

ولهٰذا لا تغفل عن الاستثناء ، بل اعمل عليه .

ولماذا النظر والعمل علىٰ الاستثناء ؟

لأن من يقعون في دائرته هم في حاجة للعلاج والإصلاح .

ولهٰذا ، من لا يغفل عن الاستثناء ، يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل .

عليه :

1 ـ انظر إلىٰ المثبت واعمل علىٰ الممكن .

2 ـ تحدَّ الصعاب ، فإن تحديها ممكن .

3 ـ خطط وفقاً لما هو متوقع ، ولِمَا هو غير متوقع ، حتىٰ لا تفاجأ .

4 ـ لا تستغرب أن يحدث أو يقع غير المتوقع .

5 ـ لا تصدر أحكاماً مطلقة علىٰ ما هو ممكن .

6 ـ شك حتىٰ ترىٰ اليقين (الحقيقة) . قال تعالىٰ : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا
تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا
بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا
مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] ، وقال تعالىٰ : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2] .

7 ـ تحدَّ الصعاب ، فإن تحديها يأتي بالجديد .

8 ـ خطط لمستقبل أفضل ، واعمل علىٰ صناعته قبل قدوم زمنه .

9 ـ انتبه إلىٰ الاستثناء ، تتفادىٰ الأضرار والمخاطر .

10 ـ انتبه إلىٰ الاستثناء ، تعيد إلىٰ القاعدة المنحرفين عنها .

وبناء علىٰ ذلك :

أ ـ جمّع قواك تفعل الممكن .

ب ـ = = تصنع الممكن .

ج ـ = = تُحدث النُّقلة .

د ـ = = يُعترف بك .

هـ ـ = = تنل التقدير .

و ـ = = تكسب الثقة .

ع ـ = = تُنجز الأهداف .

غ ـ = = تزدد إصراراً .

* وعليه بالقدرة جعل القادر الكلمة قولاً يُسمع ، والكلمة أساس كل

---

(1) الحاقة ، 38ـ52 .

(2) التكاثر ، 1ـ8 .

شيء يُمكن أن يكون ، فبها صدر الأمر الإلٰهي كن فكان ، وبها يتفاهم الإنسان مع أطرافه ، وبها تتخذ القرارات وتصدر الأوامر والنواهي ، وبها يتقدم الإنسان أو يتأخر ، ولذا فالكلمة فاعلة عندما تمتد في القول والفعل والسلوك .

ولأنها كلمة فعندما تصدر بالألسن تُسمع ، وتترك أثراً موجباً أو سالباً في الضمائر والقلوب . فهي التي تنقل القيم الموجبة والقيم السالبة ، وبها تُحمل التعاليم وتُقوّم الأخلاق ، وبها نزلت الرسالات السماوية علىٰ الرسل الكرام صلوات ٱلله وسلامه عليهم .

وبما أن الكلمة قول يُسمع .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ (الكلمة قول) .

2 ـ (القول يُسمع)

والاستثناء هو :

1 ـ (الكلمة لا تُقال) .

2 ـ (القول لا يُسمع) .

ولأن القول الذي يُسمع يترك أثراً .

لذا فأثر الكلمة في دائرة الممكن ، قد يكون حُجّة لنا ، وقد يكون حُجَّة علينا .

أن يكون حجة لنا ، فهـٰذه القاعدة .

أن يكون حجة علينا ، فهـٰذا الاستثناء .

ولـٰكن أي كلمةٍ هي حُجَّة لنا ؟

كلمة الحق .

وأي كلمة هي حُجّة علينا ؟

كلمة الباطل .

إذاً الحُجَّة دليل إثبات في دائرة الممكن السالب أو الموجب .

وعليه :

ـ قُل الحق .

ـ تحدث وجادل به .

ـ أنصت حتىٰ تتبين .

ـ عبِّر عما بداخلك بلسان صدق .

ـ أحكم بين الناس بالحق .

ـ أرسل الكلمة بود .

ـ استقبلها بوعي .

ولذا فعلىٰ الخليفة أن يراعي الآتي :

1 ـ أن يكون لسانه لسان صدق مع لباقة ولطف معاملة وبكل موضوعية مع بني جنسه .

2 ـ أن يقدم علىٰ حل المشاكل بحُجّة وأن يعدل .

3 ـ أن لا يحل مشكلة علىٰ حساب أخرىٰ .

4 ـ أن يضع في اعتباره عملية الإصلاح ضرورة إنسانية تستوجب منه الاستمرار في الحديث والحوار المنطقي .

5 ـ أن لا يتوقع الاستجابة المرضية منذ البداية .

6 ـ أن لا يطلب من الفرد ما لا يقدر عليه بإرادة .

7 ـ أن يحدد الأولويات عند القيام بعملية الإصلاح .

8 ـ أن ينمي مهاراته بالتفكير والتدبر الموضوعي .

9 ـ أن يستعمل الفكاهة إذا ما استدعت الضرورة لذلك .

❊ وبالقدرة جعل القادر الكلمة الحُجَّة تُرسم .

ولأن الكلمة التي تُرسم لها صورة وشكل ، كالشجرة التي تُحمل في الكلمة الدالة عليها ، وكالقلم ، والبحر ، والجبال والأرض والطيور والأزهار والحيوانات كل هـٰذه الكلمات ذات صورة وجمعيها تُرسم . وهـٰكذا الأشكال تتعدد أنواعها بتعدد صورها التي تُرسم وكذلك كلمة المثلث والمربع والمستطيل والدائرة كلمات دالة بالصورة والشكل .

فعندما يستمع المُستمع الذي سبق له وأن عرف وراءها ، عندما يستمع للكلمات الدالة عليها تُرسم في ذهنه أشكالها وصورها حتىٰ وإن لم تكن ماثلة أمامه ، فعندما يقال لك قلم يُرسم القلم في ذهنك ، وعندما يقال لك مقعد أو غزالة أو وردة أو شلال أو نهر ، كلها تُرسم في الذهن ما يجعل استيعاب الكلمة ذات الصورة والشكل أقرب إلىٰ الفهم والإدراك عن غيرها من الكلمات التي ليست لها صورة أو شكل ، وكل ذلك بالقدرة التي جعلت للمنطوق من القول صورة .

❊ وبالقدرة جعل القادر في الكلمة الحجة حركة .

لو لم يكن في الكلمة الحُجَّة حركة ، ما امتدت من ذهن القائل إلىٰ ذهن وعقل المستمع ، ولَمَا تركت أثراً يمكن أن يؤثر علىٰ النفس أو يؤثر فيها سلباً بالنكوص والانطواء والانسحاب ، أو إيجاباً بالفطنة والصحوة والتيقظ الذي يمد الأفراد بأخذ الحيطة والحذر ، والتطلّع لكل مفيد ونافع .

وبما أن في الكلمة الحُجَّة حركة .

إذاً للكلمة الحُجَّة مجال امتداد .

ولهٰذا فالقاعدة هي :

1 ـ الكلمة امتداد .

2 ـ الحُجَّة حركة .

والاستثناء هو :

1 ـ الكلمة انكماش .

2 ـ الحُجَّة سكون .

ولذلك ينبغي علىٰ الخليفة أن لا يغفل عن الآتي :

1 ـ أن يعمل بالكلمة الموجبة من أجل تصحيح الكلمة السالبة .

2 ـ استخدام الكلمات التي تَرتَسِم إيجاباً علىٰ وجوه العباد ، وذلك بما يترك أثراً موجباً .

3 ـ استخدام الكلمات التي لها دليل إثبات قابل للمطابقة والتقصي .

4 ـ استبدال الكلمات الجافة بأخرىٰ مملوءة بالعواطف والمشاعر والذوق الرفيع .

5 ـ استبدال الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة .

6 ـ استبدال الكلمة الفاقدة للحجة بالكلمة المتضمنة لها .

وبما أن الكلمة بين سكون وحركة ، وامتداد وانكماش .

إذاً تقع الكلمة في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) ولهٰذا تحدث الكلمة أو تقال أو تصدر وفقاً لما هو متوقع سالباً أو لما هو متوقع موجباً .

وفي مقابل المتوقع السالب والموجب قد تقع أو تحدث الكلمة وفقاً لما هو في دائرة غير المتوقع السالب أو غير المتوقع الموجب .

* وبالقدرة جعل القادر (الكلمة الحركة تترك أثراً ولا تُرسم) .

وبما أن الكلمة التي تُرسم هي التي لها صورة وشكل .

والكلمة التي لها حركة تترك أثراً قابلاً للتقصي .

إذاً الكلمة الحركة دليل إثبات قابل للمطابقة .

ولذا فإن القاعدة هي :

1 ـ الكلمة الحركة تترك أثراً .

2 ـ الأثر لا يرتسم .

3 ـ الأثر قابل للتقصي .

والاستثناء هو :

1 ـ الكلمة الحركة لا تترك أثراً .

2 ـ الأثر يرتسم .

3 ـ انعدام الأثر القابل للتقصي .

ولأجل إظهار الدليل أو إثباته تكمن الحركة في الكلمة ، ومن يتمكَّن من إثبات الدليل وإظهاره يتمكَّن من ملاحظة الحركة في الكلمة . ولهٰذا في الكلمات الآتية تكمن حركة وتُلحظ :

ـ هجرة .

ـ تقدم .

ـ انسحاب .

ـ وثب .

ـ هجوم .

ـ قفز .

ـ جلوس .

ـ قيام . . . . الخ .

ولهٰذا لا يمكن لأحد أن يرسم هجرة أو تقدماً أو انسحاباً أو قفزاً ، ولـٰكنه يستطيع أن يرسم المهاجرين والمتقدمين أو المنسحبين أو الذين هم علىٰ حالة من الوثب .

وعليه الكلمة الموضوعية تستوجب التحديد وإلا علق بها اللبس والغموض ، وقد تزوّر الحقائق إذا لم تُقدّم الكلمة كما هي وبوضوح وبكل قدرة موجبة .

ولهٰذا فكلمة هجرة في حاجة للتوضيح فهي غير محددة موضوعياً ما يجعل الشكوك والظنون تلاحقها حتىٰ يتم التبيُّن والتوضيح بدلائل وإثباتات علمية . فهل يا ترىٰ هي دالة علىٰ هجرة الطيور ، أم الهجرة الخارجية ، أم هجرة الأسماك من المياه الباردة إلىٰ المياه الدافئة ؟ أم أنها هجرة داخلية من الأرياف والقرىٰ والضواحي إلىٰ المدن ؟ أم أنها هجرة رسول ٱلله ﷺ من مكة إلىٰ المدينة ؟ أم هجرة ماذا ، أو من ؟

وأي قفز أو أي تقدم أو أي انسحاب تعني تلك الكلمات ؟ ولهٰذا فبالقدرة يتم التبين من أجل اليقين .

ولذا فالكلمة الحركة تقع في دائرة الممكن بين متوقع (سالب وموجب) وغير متوقع (سالب وموجب) وكل شيء نسبي ، فتقدم الجيوش الغازية يعد موجباً ، للدول الغازية ، ويعد سالباً للبلدان والدول المغزية (المعتدىٰ عليها) ما يجعل المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن ، حيث يكون من المتوقع انتصار الجيوش الغازية في أقصر وقت وبأقل خسارة ، وقد تحدث لهم الخسارة والهزيمة غير المتوقعة إذا انتصر الجيش المغزو عليه مما يجعل

الجيش الغازي في حاجة لإعادة حساباته التي سبق وأن وضع علىٰ ضوئها خطته في دائرة المتوقع فقط .

* بالقدرة جعل القادر جل جلاله (الكلمة الحُجَّة ترتسم) .

ولأن الكلمة التي تَرتسم لا تُرسم .

ولأن الكلمة التي تَرتَسِم تترك أثراً في دائرة الممكن . لذا فإن كانت الكلمة المرتسمة نتاج فعل سالب ، كالموت تترك أثراً يدل علىٰ الحزن ، وإن كانت نتاج فعل موجب كالفرحة تترك أثراً موجباً كالانبساط والابتسامة .

ولهٰذا فالابتسامة تَرتَسِم علىٰ الوجه وتترك بسطة عليه وعلىٰ النفس بهجة وسعادةً .

فالبهجة والسعادة من الكلمات التي تَرتَسِم ولا تُرسم مع أنها تترك أثراً موجباً .

والقاعدة هي :

1 ـ الكلمة تَرتَسِم .

2 ـ الارتِسام حُجّة .

3 ـ الارتِسَام يُشاهد .

4 ـ الفرحة تُلحظ .

والاستثناء هو :

1 ـ انعدام الكلمة المرتسمة .

2 ـ انعدام الارتسام الحُجّة .

3 ـ الارتسام لا يُشاهد .

4 ـ الفرحة لا تُلحظ .

الارتِسام يخضع للمشاهدة ، ولهٰذا فالابتسامة تشاهد ، والفرحة تُلحظ .

وهٰكذا تَرتسم الكلمة المُحزنة علىٰ الوجه فتترك أثراً في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) وبنسب تتفاوت من فرد إلىٰ فرد ومن جماعة إلىٰ جماعة ومن مجتمع لمجتمع .

فالموت علىٰ سبيل المثال مع ما يتركه من أثر محزن علىٰ الغالبية البشرية إلا أنه يعد لدىٰ البعض المنقذ من الآلام والمآسي والكروب ، وهٰذا لا يعني أنه لا يترك أثراً محزناً .

ولأن كل شيء نسبي ، فالموت لا يترك أثراً محزناً علىٰ المُتوفىٰ ، وفي معظم الأحيان يترك أثر حزن بنسب متفاوتة علىٰ ذوي العلاقة به .

أما الاستشهاد الذي فيه تتم مفارقة التعامل مع الآخر فيتم عن فرحة ، وفي كثير من الأحيان يترك الاستشهاد أثراً موجباً علىٰ ذوي العلاقة وفقاً لقاعدة النسبية في دائرة الممكن .

* بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة ذات معنىً ودلالة) .

بما أن الكلمة الحجة ذات معنىً ودلالة .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ الكلمة الحُجّة ذات معنىٰ .

2 ـ الكلمة الحُجّة ذات دلالة .

والاستثناء هو :

1 ـ الكلمة الحجّة بلا معنىٰ .

2 ـ الكلمة الحُجّة بلا دلالة .

وبما أن للكلمة معنىً ودلالة .

إذاً للكلمة مضمون .

ولهٰذا فالكلمة المضمون قاعدة .

والكلمة بدون مضمون استثناء .

وعليه تقع الكلمة المعنىٰ في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) .

فكلمة الدور علىٰ سبيل المثال ، والموقف والمبدأ ، والهدف ، والغرض والغاية ، كلمات ذات معانٍ ودلائل ولٰكنها لا تُرسم ، ولا تَرتَسِم ، وغير ذات حركة مباشرة ، ولهٰذا فهي في حاجة لمن يُعرِّفُ بها ، ما يجعل الباحثين يحددون لها تعريفات إجرائية يتم العمل بها في سلوك وفعل وحركة . وحينما يصبح للكلمة معنىً ودلالة وأثر حينها يستوجب التقصي العلمي والتتبع الموضوعي لكشف الأثر أو التعرُّف عليه .

والكلمة المنطوقة تُقرأ وتُكتب ، وتأخذ احتمالين : إما أن تكون صادقة وإما أن تكون كاذبة .

1 ـ الكلمة الصادقة تحتوي علىٰ مضمون إثبات التطبيق عبر الزمن . حيث تطبيقها في الزمن الحاضر نتيجة سلامة تطبيقها في الماضي . وإثبات تطبيقها في الآن دليل للرابطة القيمية معها ومع الأثر الموجب الذي تتركه باستمرارية التجديد ، ما جعلها في حالة امتداد وتطلّع للمستقبل في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) .

2 ـ الكلمة الكاذبة : هي التي تفتقد إلىٰ المصادق ، لاحتوائها علىٰ مضمون الإثبات السالب وذلك لانعدام العلاقة بينها وبين الموضوع ، ومع ذلك فلولا الكذب ما عشقنا الصدق وتمسكنا به .

وبما أن الكلمة الكاذبة مكشوفة المضمون وقد تكون غير مكشوفة

المضمون لمن قيلت له وقد يصدَّق قائلها إذا لم يسبق وأن عُرِفَ بهـٰذه الصفة وتستمر كاذبة إلىٰ أن يكشف أمرها .

وبرغم ذلك كله فالكلمة دائماً حرة ولا يمكن أن تُسجن مع أنها تؤدي بصاحبها أو قائلها في بعض الأحيان إلىٰ السجن . ومع ذلك قد يتساءل البعض :

هل الكلمة هي التي تجعل الإنسان كاذباً ، أم أنّ الإنسان هو الذي يجعل من الكلمة كاذبة ؟

في اعتقادنا لم تكن الكلمة هي الفاعلة ، بل الإنسان هو الفاعل الذي يجعل من الكلمة كاذبة . ولذلك الكلمة دائماً صادقة ، أمَّا صاحبها (مصدرها) فقد لا يكون كذلك . والكلمة دائماً حرة ، أمَّا صاحبها فلا ، فعندما تُقال الكلمة ، أو تُكتب ، أو حتىٰ تكون في الصدور ، تكون معروفة ، ولذلك قد يسجن صاحبها ، أو تُمزق الكتب والصحف التي كُتبت عليها ، وهي باقية لم تمزق حتىٰ وإن قتل مصدرها . ولم يستطع أحد إدخالها السجن ، إنها الحرة التي ينبغي أن تُحترم ، لأننا بها كنا ، وبها نتكلم ونتعلم ونتطوَّر ، وبها آمنَّا ، وبها نُحب ونكره ، ونحكم ونملك ونقاتل . فينبغي أن تُحترم في أي وقت وأي مكان إلىٰ النهاية .

❊ بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة مرونة) .

بما أن الكلمة مرونة فهي إذاً في أساسها قابلة للامتداد والحركة والأخذ والعطاء والنقد والبناء والهدم .

وبما أن الكلمة الحُجّة مرونة .

إذاً ليست بجامدة .

ولهـٰذا فالقاعدة هي :

ـ الكلمة الحُجّة مرونة .

والاستثناء هو :

ـ الكلمة الحُجّة بلا مرونة .

ولذا فالمرونة قبول بالآتي :

ـ بالآخر .

ـ بالتغيّر .

ـ بالتغيير .

ـ بالاستيعاب .

ـ بالاعتراف .

ـ بالتقدير .

ـ بالتفهّم .

ولذا فبالمرونة يتم القبول والتغيير والاستيعاب والاعتراف والتقدير والتفهُّم والشفافية والتوافق والمساواة والعدل والاحترام .

وبما أن كل شيء ممكن .

إذاً : ينبغي أن يكون الخليفة علىٰ درجة عالية من المرونة وإلا سيقع في المحظور القيمي الذي يستوجب منه تقبل الآخرين كما هم والعمل علىٰ نقلهم لِما يجب ، ولذا فإن الكلمة المرنة تُمكِّن من الآتي :

ـ استيعاب الناس وفقاً لحقوق تمارس ، وواجبات تؤدىٰ ، ومسؤوليات يتم حملها .

ـ تفهُّم الظروف والأحوال حيث لكل ظروفه الخاصة التي تميزه عن الغير وتميز الغير عنه .

ـ تقدير المواقف .

ـ الاستجابة المناسبة بما يغرس الثقة في الأنفُس .

وبما أن كل شيء ممكن : إذاً فلماذا لا يكون العباد علىٰ درجة عالية من المرونة ؟ ولأن المرونة تُمكّن من استيعاب الفرد والجماعة وتُمكّن من تفهُّم ظروفهم وأحوالهم .

إذاً فالقاعدة هي :

1 ـ الاستيعاب بمرونة .

2 ـ التفهُّم بمرونة .

3 ـ التغيير بمرونة .

والاستثناء هو :

1 ـ الاستيعاب بدون مرونة .

2 ـ التفهُّم بدون مرونة .

3 ـ التغيير بدون مرونة .

ولذا فإن الكلمة الحُجَّة هي :

ـ مرونة .

ـ تُحدث النقلة .

ـ تُسهم في صناعة المستقبل .

ـ تقع في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) .

ولأنها تقع في دائرة الممكن فلا ينبغي أن يستغرب الخليفة إن حدث التغيُّر أو التغيير ، بل عليه أن يستغرب إذا لم يحدث التغيُّر أو التغيير .

وعليه إذا حدث الاستغراب عليك بالآتي :

- تساءل عن مبررات حدوثه أو ظهوره .
- ضع الفرضيات وفقاً لدائرة الممكن .
- جمّع المعلومات المتعلقة بموضوع الاستغراب .
- حلِّل المعلومات موضوعياً .
- شخِّص الحالة قيد البحث والدراسة .
- قف عند النتائج بكل وضوح .
- قوِّم ما بذلته من جهود من خلال تتبع واعٍ لكل خطوة خطوتها وأنت خليفة .

وبناء علىٰ ما سبق :

تقع الكلمة المرنة في دائرة الممكن (المتوقع ، وغير المتوقع) ولهٰذا الكلمة المرنة في دائرة المتوقع هي ثابتة وفي دائرة غير المتوقع ليست كذلك .

فهي ثابتة من حيث : أنها حُجّة لها معايير ومقاييس موضوعية .

ومرنة من حيث : أنها قابلة للحركة من الكل إلىٰ الجزء إلىٰ المتجزئ .

فعلىٰ سبيل المثال : الحَجرة (الطوبة) الصغيرة لها شكل أو صورة من خلال ما تكون عليه من هيئة ، وإذا تمّ سحق الحَجرة الصغيرة ونُفخت من الطابق المائة ، فإنها ستتطاير مع الهواء حتىٰ تفقد شكلها والصورة التي كانت عليها ، وهٰذا لا يعني أن الحَجرةَ التي تم سحقها بكل عناية ودقة فقدت وجودها بل تطايرت فاتسعت دائرة انتشارها جغرافياً وقد لا تخضع للمشاهد بالعين المجردة . وهٰكذا كلمة الوقود (البنزين) ذات مدلول يشاهد وبها يتم امتلاء خزان الوقود سواء للطائرة أو للسيارة أو البواخر وكل ما يتحرك بالوقود ، وبعد قطع مسافات ينفد وينتهي الوقود (البنزين) من الخزان من خلال عمليات الاحتراق التي غيَّرت الشكل أو الهيئة التي كان عليها الوقود .

فأين البنزين الذي نفد ؟ إنه موجود في عالم الوجود ولـٰكن لم يعد علىٰ شكله السابق حيت احتراقه وفقدان عناصره الرئيسة وتبدُّله إلىٰ شيء آخر قد يصفه البعض بأنه علىٰ حالة هيولية (حالة تغيّر عناصره وتطاير قد لا يشاهد بالعين المجردة مع أنه يدرك بالملاحظة والمعرفة العلمية) .

* بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة مفعولة) .

الكلمة المفعولة تحتوي معطيات تنفيذها فيها .

ولذا فهي تختلف عن الكلمة التي تسبق أداء الفعل أو القيام به .

ولهـٰذا فالكلمة المفعولة تستثني الفعل الماضي والمستقبل وتتمركز علىٰ الفعل الآن (الحاضر) .

إنها الكلمة المثبتة عن واقع ، ولذا فالفعل في زمن وقوعه أقوىٰ وأصدق من الكلمة التي تسبق حدوثه .

والقاعدة هي :

1 ـ الكلمة تحتوي فعل ممارستها .

2 ـ الفعل يحمل الكلمة التي تدل عليه .

3 ـ الفعل يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة .

والاستثناء هو :

1 ـ الكلمة لا تحمل فعل ممارستها .

2 ـ الفعل لا يحمل الكلمة التي تدل عليه .

3 ـ الفعل لا يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة .

ولهـٰذا عندما يسبق الفعل القول ، تصبح الكلمة مفعولة ، كالزلزلة التي يفاجأ بها الناس وتُحدث دماراً ، فهي الفعل بدون سابق معرفة أو إنذار ، وفي

هـٰذه الحالة الفعل يسبق القول ، وفي هـٰذا الأمر يقول ٱلله تعالىٰ : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ . من هـٰذه السورة الكريمة عرفنا أن الزلزلة فعل حدث أولاً ، ثم جاء الناس من بعد ذلك يتساءلون : ما الأمر ؟ ! ماذا حدث ؟ ! (مالها) . بعدها يقال لهم إنها هزة أرضية شديدة . وهـٰكذا في حالة الصواعق التي تصيب البشر أو المباني أو الأشجار ، فهي تحدث أولاً (وقوع الفعل أو حدوثه) ، ويأتي الناس من بعدها يتساءلون بعد أن وجدوا الأثر أو وقفوا عليه ، وحينها سيقال لهم السر الذي كان وراء ما حدث .

وعليه :

- حدد أولويات الحديث لتتمكن من تحقيق الأهداف .
- تكلم بوضوح لتتمكن من استبصار الغايات .
- اجعل لكلماتك معنىً ودلالة لتجد من ينصت لما تقول .
- تأكد من أن أفكارك تنساب بمرونة ومع وافر الحجة .
- اجعل أفكارك عند قولها منطقية ومتتابعة .
- كن مرناً حتىٰ تترك أثراً في الآخر .
- اجعل أفكارك وكلماتك تطلُّعية لتُسهِم في صناعة المستقبل .

اللهُمَّ يا القادر اجعلنا علىٰ قدرة نكون بها قادرين علىٰ إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وتجعلنا من الموفين للكيل والميزان إذا اكتلنا أو وزنا ، وقدرة تجعلنا عادلين إذا حكمنا بين الناس ، واجعل لنا قدرة تُمكِّننا من مغالبة أي قوة ظالمة أو فاسقة أو فاجرة فاسدة ، اللهُمَّ اجعلنا علىٰ قدرة تحفظنا من الضعف الذي يسببه أبالسة الجن والإنس واجعل بيننا وبينهم سداً ، واجعلنا مصلحين لا مفسدين فيها ولا سافكي دماء بغير حق إنك أنت القادر سبحانك لا إلـٰه إلا أنت !

اللهُمَّ يا القادر اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ! اللهُمَّ متعنا بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوانا ما أحييتنا ، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا ، وانصرنا علىٰ من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا أحداً إنك القادر !

اللهُمَّ يا القادر قدّر لنا الخير كله واجعله أمامنا حيثما نسير يكون معنا في الدنيا والآخرة !

اللهُمَّ يا القادر إنا نسألك الجنة وما يقرّب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما يقرّب إليها من قول وعمل ! اللهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة !

اللهُمَّ يا القادر إنك علىٰ كل شيء قادر فقدر لنا أرزاقاً تغنينا في دنيانا وجناتٍ تغنينا في آخرتنا ، اللهُمَّ إنك قدَّرت لنا الحياة بماضيها وحاضرها ومستقبلها الذي لا نعلمه فاجعله كله لنا علىٰ خير ولا تجعل لنا فيه كدرة ولا غفلة ، ولا ضلالاً ، ولا شرّاً !

اللهُمَّ إنك القادر الذي لم يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ! اللهُمَّ اجعلنا بقدرتك قادرين علىٰ مغالبة من لا يريد بنا خيراً ، وقادرين علىٰ اتباع أوامرك وتجنب نواهيك ، وقادرين علىٰ التوجه إليك دون وسائط وأنت السميع المجيب ! اللهُمَّ اجبنا وكن بنا رؤوفاً رحيماً ! اللهُمَّ إنك القادر الظاهر والباطن فأظهرنا بقدرتك علىٰ علم من علمك الظاهر وعلمك الباطن !

اللهُمَّ إنك القادر العظيم ، فاجعلنا بقدرتك العظيمة من عبادك الصالحين الذين لو أقسموا بك لأبرزتَهُم !

المُقتَدِرُ جلّ جلاله

الْمُقْتَدِرُ : « هُوَ التَّامُّ الْقُدْرَةِ الَّذِي لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلا يَحْتَجِزُ عَنْهُ بِمَنْعَةٍ وَقُوَّةٍ وهو لا يرده شيء عن المراد »[1] .

المقتدر من أسماء ٱلله تعالىٰ ، يوحي بالتمكن والهيمنة والتنظيم والتخطيط ، فهو مالك هـٰذا الكون ومدبره ، وكل شيء يجري وفق إرادته وحكمته ، وتتردد مع لفظة المقتدر كل من القادر والقدير ، إلا أن لفظة المقتدر هي أبلغ ، وذلك أن الأصل في لغة العرب أن زيادة اللفظ تزيد المعنىٰ قوة . وقد وردت أربع مرات في القرآن الكريم ، وبالرغم من هـٰذا التردد القليل تمثل عظمة ٱلله تبارك وتعالىٰ في تسيير أمور كونه كما يشاء ، فهو يتعلق بأمور عدّة تكوّن بمجملها الدعائم الأساسية لهـٰذا الكون الواسع ، فالحياة علىٰ الأرض تمثل جانباً من جوانب اقتدار المولىٰ تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[2] فضلاً عن ذلك وردت هـٰذه اللفظة في موضع الانتقام من المشركين ، قال تعالىٰ : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾[3] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ

---

(1) الأسماء والصفات للبيهقي ، ج 1 ، ص 81 .

(2) الكهف ، 45 .

(3) الزخرف ، 41ـ42 .

﴿ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴾ (1) ، أما الآية الأخيرة التي وردت فيها فهي في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ (2) ، فهي تتحدث عن أهل الجنة ، فهم مقربون عند مليك معجز أمره في الملك والاقتدار ، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته . وكل ما في هـٰذا الكون يستسلم له ولا ينفك عن طاعته ، من أكبر كوكب في السماء إلىٰ أصغر ذرة من الرمل في الأرض ، هو من تقدير إلـٰه ملك جليل مقتدر ، فإذا كان كل شيء في السماوات والأرض وما بينهما منقاداً لهـٰذا التقدير ، فإن العالم كله مطيع لذلك الملك المقتدر الذي خلقه .

المقتدر : هو مالك معطيات كل قدرة بالمطلق ، فهو المقتدر بخلقه ، والمقتدر بإحيائه وإماتته وبعثه ، وهو المقتدر بقوته وهيمنته ، وهو المقتدر بسمعه وبصره ، وهو المقتدر بمكره لكل مكر ، وكيده لكل كيد ، ونصره لكل خليفة ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الرحمـٰن الرحيم .

والمقتدر المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه وقد كان ذلك من ٱلله تعالىٰ فيما أمضاه وإن كان يقدر علىٰ أشياء كثيرة لم يفعلها ، ولو شاء لفعلها ، فاستحق بذلك أن يسمىٰ مقتدراً . والمقتدر المطلق هو كامل المقدرة ، والمقتدر بالإضافة هو تام القدرة ، والفرق كبير بين كامل المقدرة بالمعطيات الإطلاقية حيث لا نقيصة فيه ، وبين تام المقدرة وهو الذي لم يبلغ الكمال استحالة ، ويملك معطيات الاقتدار في دائرة النسبية .

ولذا فالاقتدار أبلغ بكماله المطلق ، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه ومنها الملك والمليك في معناه ، قال تعالىٰ : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ

(1) القمر ، 42 .

(2) القمر ، 54 ـ 55 .

ﵟٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِﵞ [1] ، وقوله تعالىٰ : ﵟفِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭﵞ [2] .

والقَدِيرُ فَعِيلٌ ، والمُقْتَدِرُ مُفْتَعِلٌ من اقْتَدر وهو أَبْلغُ . والقَدِيرُ : هو الفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ علىٰ قَدْرِ ما تقضِي الحِكْمَة لا زائداً عليه ولا ناقِصاً عنه ولذلك لا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ به إلاَّ اللهُ ومن استمد صفاته منه . والمُقْتَدِرُ هو ٱلله تعالَىٰ ، فهُوَ الَّذِي ينتفي عنه العَجْزُ من كلّ وَجْهٍ تعالَىٰ شَأْنُه [3] . ووصف الخليفة فيه وارد ، إذ يقول أحد هـٰذا مقتدر ، ويقصد بذلك من ناحية المال أو من ناحية المنصب أو الوجاهة أو العطاء في القول وأداء الأفعال الحسان وهـٰذه من صفات الخليفة الذي استمد اقتداره من المقتدر الأعظم ، أي أنه المتمكن من التصرف في الأمور التي هو قادر علىٰ أن يفعلها نتيجة ما يملكه من قوة اقتدار ، إذ يقول تعالىٰ : ﵟوَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَﵞ [4] . والمراد من التمكين هنا أن ٱلله جل وعلا جعله ملكاً يتصرف في الأرض يأمر وينهي .

المقتدر : هو من يملك الأمر ويحسن التصرف دون غفلة فلا يفوته شيء ، ولا شيء إلا منه ، ومتىٰ ما أراد له مشيئة يقول له كن فيكون .

ومن مظاهر اقتداره ما أذكره :

أولاً : يظهر أدوات مقدرته لخلقه :

أظهر ٱلله سبحانه وتعالىٰ مقدرته في مواضع كثيرة وهي بالكمال كما جاء

(1) المؤمنون ، 116 .
(2) القمر ، 55 .
(3) تاج العروس ، ج 1 ص3377 .
(4) يوسف ، 21 .

في القرآن الكريم ، وهـٰذا الأمر متعلق بأمور كثيرة ، منها ما يتعلق بالكون الذي تعيشه المخلوقات ، ومنها ما يتعلق بالمعجزات التي ظهرت علىٰ يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومنها ما نعلمه ونستدل عليه ، ومنها ما لا نعلمه حتىٰ نستدل عليه ، فالكون بوصفه الفضاء المفتوح أمام من خلق في أحسن تقويم الذي يراه دائماً ويمعن نظره به متسائلاً من خلق هـٰذا الكون العجيب ؟ وعلىٰ أي نظام يسير ، ومن هو المخطط له حتىٰ يجري بهـٰذه الدقة العجيبة فلا يصطدم القمر مع الشمس ولا النجوم بعضها مع بعض وكل في فلك يسبحون ، وهـٰذه التساؤلات تقود إلىٰ نصوص من القرآن الكريم وأكثرها تحتوي علىٰ اشتقاقات الفعل (رأىٰ) مثل قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (1) هنا البارئ عز وجل يستعرض آيات قدرته وعجائب الكون الدالة علىٰ قدرة الخالق وحكمته وتدبيره ، فضلاً عن ذلك جعل البرق آية إنذار وتبشير معاً لأنهم كانوا يَسِمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه .

وإنشاء السحاب : تكوينه بإثارة الأبْخرة التي تتجمع سحاباً . ومع كل التساؤلات فالخليفة لا تساؤل له لأنه يعلم وراء كل مخلوق خالق ، والخالق بالمطلق هو أحسن من المخلوق دون مقارنة ظنية أو شكية ، ولهـٰذا فهو المؤمن بالحق قولاً واتباعاً بالعمل الصالح الذي ينتج خيراً كثيراً .

هنا يرىٰ الخليفة قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ من خلال ما يرىٰ أمامه من عظمة البارئ عز وجل وقدرته ، فالبرق فيه جانبان ، جانب يرغب فيه الخليفة ، ففيه إشارة إلىٰ نزول الغيث والذي فيه تتجلىٰ رحمة ٱلله تعالىٰ بإحياء الأرض ،

---

(1) الرعد ، 12ـ13 .

فيخرج منها ما يخرج رزقاً للإنسان وبقية الكائنات ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [2] هـٰذا جانب الرغبة ، أما جانب الرهبة فيتجلىٰ في البرق ففيه صوت شديد يفزع منه بعض البشر حين النظر إليه أو سماعه ، ومن عواقب البرق في بعض الأحيان مصاحبته بالصواعق التي تؤدي إلىٰ إهلاك المصاب .

والمعجزات التي رافقت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي جانب مهم من جوانب إظهار مقدرة الباري عز وجل ، منها ما كانت مادية ، ومنها ما كانت عقلية ، ونقصد بالجانب المادي أنها كانت ترىٰ بالعين المجردة ، كمعجزات موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، العصا وغيرها ، وولادة عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وما كان يعمله أمام الناس ، إذ كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن ٱلله ، أما الجانب الآخر فهو المعجزة العقلية وهي القرآن الكريم الذي أنزله ٱلله تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله الأمين محمد عليه الصلاة والسلام آيات مفصلات وفي كل آية قرآنية إعجاز مادي يستوجب الإدراك ومن أدركه آمن . لذا فعلىٰ الخليفة الذي آمن أن يبحث في دائرة العلوم والمعارف دون توقف حتىٰ يُمكن الناس من الاطلاع عليها ، فإن اطلعوا عليها آمنوا وإن آمنوا اهتدوا وإن اهتدوا كانوا من المستخلفين فيها بالإصلاح والعمل النافع .

نلتمس من تاريخ الأمم أن كل أمة جاء فيها رسول أو نبي كانت تطلب منه برهاناً علىٰ صدقه ، ومن حقها أن تطلب هـٰذا البرهان إن لم يحصل لها العلم بنبوته من طريق آخر ، وذلك للتثبت من صحة نبوته ، ولـٰكن دون تعنت

---

(1) الروم ، 24 .

(2) غافر ، 13 .

أو شطط ، فيأتي البرهان علىٰ صورة معجزة ما ، سواء كان ذلك ما طلبوه ، أو شيئاً آخر غير الذي طلبوه .

ينزل ٱلله سبحانه وتعالىٰ بحكمته العالية المعجزات علىٰ أيدي رسله المكرمين ، باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح ، الدال علىٰ صدق الرسول في دعواه بالرسالة . ذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة بشر لا يستطيعون الإتيان بها منفردين أو مجتمعين ، في حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم .

والمعجزة أمر ممكن عقلاً ، خارق للعادة ، يجريه ٱلله تبارك وتعالىٰ علىٰ يد من أراد أن يؤيده ، ليثبت بذلك صدق نبوته ، وصحة رسالته .

عند الحديث عن المعجزات المادية نتحدث عن معجزة النبي موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، فقد بعثه ٱلله تعالىٰ إلىٰ قوم كان السحر عندهم هو الأمر الشائع الذي لا يمكن مجاراته أو التغلب عليه أو حتىٰ الوقوف أمامه إلا أن قدرة المقتدر عز وجل كانت الحجة الدامغة أمام أنظار السحرة ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ (1) . وإبراز انقلاب العصا حيّةً في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسىٰ ، ودفع الشكّ عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربة لأنّ مشاهدَة الخوارق تسارع بالنفس بادئ ذي بدء إلىٰ تأويلها وتُدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بساتر خفي أو تخييل ، فلذلك ابتدأ بسؤاله عما بيده ليوقن أنه ممسك بعصاه حتىٰ إذا انقلبت حيّة لم يشك في

(1) طه ، 17ـ23 .

أنّ تلك الحيّة هي التي كانت عصاه . فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه .

والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء ، وأن الكلام الذي سمعه كلام من قبل ٱلله بدون واسطة متكلّم معتاد ولا في صورة المعتاد ، كما دلّ عليه قوله بعد ذلك : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [1] ، فقد اشتهر أهل مصر في ذلك الزمان بالسحر وبلغوا القمة فيه ، ولذلك فإن سحرة فرعون لما رأوا المعجزة علموا أنها ليست من نوع تخصصهم لخبرتهم بالسحر ، فآمنوا في الحين ، وهٰذه آية ومن ورائها آيات ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [2] .

أما المعجزة الأخرىٰ فهي معجزة (الرجز) يعني العذاب ، وتتضمن هٰذه المعجزة صوراً متتالية من الآيات الربانية ، طلب موسىٰ من فرعون أمرين :

الأمر الأول : استجابته للدعوة الربانية ، وإيمانه بالله هو وقومه .

الأمر الثاني : فهو السماح له بأن يخرج بني إسرائيل من مصر ويغادر بهم إلىٰ أرض الـكنعانيين (فلسطين) .

ولم يستجب فرعون لأي مطلب منهما ، وهٰذه آية من ورائها آيات ، وأخذت فرعون العزة بالإثم ، وعتا عن أمر ٱلله تبارك وتعالىٰ ، وتمادىٰ في

---

(1) التحرير والتنوير ، ج 9 ص 36 .
(2) طه ، 70ـ73 .

تكذيب موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، واستمر في إذلال بني إسرائيل وإهانتهم وتسخيرهم .

فأمر ٱلله تبارك وتعالىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام أن يعلن لفرعون وقومه أن ٱلله تعالىٰ سيوقع بهم ألواناً من العذاب ، عقوبة لهم ماداموا علىٰ كفرهم وعنادهم وإصرارهم علىٰ التمادي في الباطل ، وأعلن لهم موسىٰ ذلك وتوالت علىٰ مصر صنوف العذاب الرباني ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (1) .

أما النبي عيسىٰ عليه الصلاة والسلام فكان خاتمة أنبياء بني إسرائيل ، وقد أرسله ٱلله تعالىٰ إليهم ، وأنزل عليه الإنجيل وأيده بخوارق عادات باهرات ، فمنها ما كان إرهاصاً بنبوته ، ومنها ما كان معجزة مرافقة لرسالته ، ليشهد ٱلله تعالىٰ له بصدقه فيما يبلغ عن ربه .

فمن إرهاصاته ، ولادته من أم دون أب ، شهد له بذلك القرآن الكريم ، معلناً براءة أمه وحصانتها ، وموضحاً طريقة تكوينه في بطنها بوساطة نفخة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ . وكلامه وهو صبي في المهد ، ووصف حال أمه حين جاءت به إلىٰ قومها تحمله ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ

---

(1) الأعراف ، 130ـ136 .

جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [1] .

أما معجزاته ، فقد أرسل عليه الصلاة والسلام إلىٰ قوم يفاخرون بمهاراتهم بالطب ، وبلغوا فيه الحد الأقصىٰ ، فجاءت معجزته من ذلك القبيل يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن ٱلله ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] . آيات من ٱلله تبارك وتعالىٰ في خمس من المعجزات لعيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وهـٰذه المعجزات لا يستطيع أحد القيام بها إلا أن يكون مقتدراً وهـٰذه صفة المقتدر الأعظم الذي ليس له مثيل ولا يقارن بالمطلق ، إنه ٱلله جل جلاله ، وهـٰذه القدرة تتجلىٰ هنا من خلال عرض معجزات لا يمكن للبشر إطلاقاً القيام بها أو حتىٰ محاولة التفكير فيها ، فهنا يكون التسليم بها لا محالة .

أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فكانت بعثته إلىٰ قوم اشتهروا بالفصاحة والبلاغة ، فقد بعث بين فصحاء قريش ، وكانت العرب تتحاكم في الفصاحة بين أيدي قريش ، إذ كانوا يجتمعون في أسواقهم كعكاظ يلقون الخطب والقصائد ويتفاخرون بالفصاحة ويتحاكمون لدىٰ الحكماء هناك ،

---

(1) مريم ، 27 ـ 34 .
(2) آل عمران ، 49 .

لهٰذا كانت قريش أفصح العرب ، لأن العرب يفدون إليها جميعاً فتأخذ من جميع لغاتها الأفصح منها ، لهٰذا كانت معجزته ﷺ العظمىٰ في القرآن الكريم المشتمل علىٰ جميع أجناس البلاغة ، وقد تحداهم القرآن الكريم علىٰ أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عن الإتيان بمثله وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ (1) ، ثم تحداهم أيضاً بالإتيان بعشر سور مثله إن استطاعوا مع علمه المسبق بانعدام استطاعتهم ، ولٰكن لإعطائهم الفرصة في دائرة المستحيل بالمطلق ، قال تعالىٰ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (2) . بيَّن ٱلله سبحانه وتعالىٰ إعجاز القرآن الكريم ، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولا بعشر سور من مثله ، لأن كلام ٱلله لا يشبه كلام المخلوقين ، فضلاً عن ذلك أن الرقم عشرة لا يعني أنهم يستطيعون الإتيان فعلاً بعشر سور فإن مجموع السور العشرة شيء واحد . ألا وهو عجزهم عن الإتيان بأي شيء . ثم تحداهم بسورة واحدة من مثله وذلك في قوله جل وعلا : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (3) ، ومع هٰذا فإنهم عجزوا عن الإتيان بمثله وعن الإتيان بسورة واحدة من مثله ، كما خاطبهم بذلك في قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (4) ، فقد ثبت عجزهم عن معارضة القرآن الكريم ولجؤوا إلىٰ الحرب وقتال المسلمين ، وحينها استوجب الجهاد ، والجهاد آية من ورائه آيات عظام .

---

(1) الطور ، 33ـ34 .
(2) هود ، 13 .
(3) يونس ، 38 .
(4) الإسراء ، 88 .

وعليه ، كل شيء في الخلق آية ، وآيات الخالق لا يمكن أن يعدها أو يحصيها مخلوق مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (1) .

نتبيَّن عدداً من المعجزات تستوجب الوقوف عندها اتعاظاً بها في الحياة الدنيا وطاعة تامة بمن أنزلها وخلقها لا إلـٰه إلا هو . وهـٰكذا جميع آيات الكتاب الحكيم هي معجزات ومن هـٰذه المعجزات ما جاء في الآيات الكريمة السابقة الذكر في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي :

1 ـ الخالق هو ٱلله ولا خالق سواه ، والخليفة هو المؤمن بأن الخالق هو المقتدر الأعظم فلا غالب له أبداً .

2 ـ ومن آياته العظام خلق السموات ، التي فيها المجرات والحركة كل في فلك يسبحون ، والسماوات جمع السماء ، والخليفة وحده يؤمن بوجودها

(1) إبراهيم ، 32 ـ 42 .

يقيناً ، مع أنه لم يرها هي كما هي وهٰذه مليئة بالمعجزات العظام ، والمعجزة المضافة إليها أن يتم الإيمان بها دون أن ترىٰ بالعينين المخلوقتين آية من آيات الخالق .

3 ـ **ومن آياته خلق الأرض معجزة** : منها خَلق المعجزة وهي آدم الذي خلق هو من أديمها آية سبحانه إنه المقتدر جل جلاله . قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (1) ، ومن آية الخلق من التراب تتعدد الآيات العظام ، ولهٰذا سبق أن قلنا من كل آية تتولد الآيات وفي كل آية معجزات تتعدد سبحانه إنه المقتدر العظيم . ولذا أوضح في تعداده لبعض من الآيات معجزات تتعدد ، خلق الأرض آية ، وخلق آدم منها آية ، وجعله خليفة فيها آية ، وخلقه للنطفة آية ، وخلقه للعلقة آية ، وإخراج الطفولة منها آية ، وجعله النمو والكبر عبر الزمان آيات تتعدد ، من مولود إلىٰ طفل وصبي وشاب ورجل وكهل وشيخ وعجوز كل هٰذه آيات نراها بأم أعيننا مما يجعل في رؤيتها آيات تتنوع من ذكر وأنثىٰ وخلق الموت آية تلاحق جميع الأعمار وهو علىٰ كل شيء قدير مقتدر .

---

(1) غافر ، 67ـ77 .

وكما أنه خلق الحياة والممات آيات عظام كذلك خلق الخليفة مؤمناً من الذين خلقهم في أحسن تقويم ، وكان منهم الكافر والمشرك والضال والغافل والغني والفقير ، وكان منهم الأنبياء والمرسلون ، كل ذلك آيات فمن يهتدي يهتدي لنفسه ومن يضل يضل عن نفسه وهٰكذا تتولد الآيات من الآية بما لا يحصىٰ ولا يعد ، ومع ذلك تجد من يجادل في آيات ٱلله بغير حق ، أي بغير حجة تسنده أو دليل يستدل به وهٰذه في ذاتها آية حيث الخالق يخلق في أحسن تقويم ثم لا يؤمن به أو يشرك به أو لا يهتدي إلىٰ ما يجب الهداية إليه ، سبحانه إنه المقتدر العظيم الذي بحمده نهتدي وبحمده نشكره ونتوب إليه وبه نستعين علىٰ كل شيء بنية واثقة من مقدرته علىٰ تحقيق الفعل المراد وهٰذه آية والحمد لله رب العالمين .

4 ـ **ومن آياته أنزل من السماء ماء** : مع أن مصدر الماء لم يكن السماء ، إلا أنه جعل من البخر آية لرفع الماء من البحار والأنهار والمحيطات إلىٰ الأرض الجرز وحيث يشاء ، وفي هٰذه آيات تتعدد ، وهي آيات مبصرة تُرىٰ بجميع الحواس قال تعالىٰ : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ
مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ
كَٱلْأَعْلَٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَٰمَعْشَرَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَٰنٍ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ

ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [1] .

آيات عظيمة تتولد من آيات عظام ، انظروا ما خلق في السماوات والأرض وعليكم بإتمام سورة الرحمـٰن وآياتها العظام ولن تحصوها ولن تعدوها بالمطلق حيث وراء كل آية آيات عظام ، فما بالكم بآيات الكتاب كله سبحانه إنه المقتدر وهو علىٰ كل شيء قدير ، فله الحمد والشكر إنه ربي الذي لا إلـٰه إلا هو ، به آمنت وعليه توكلت وأوليت أمري وأمر أسرتي وما أملك إليه فنعم المولىٰ ونعم الوكيل والنصير .

5 ـ **إخراجه للثمرات رزقاً** : سبحانه قد خلقنا وخلق لنا رزقاً متنوعاً ومتعدداً مع تعدد آياته وتنوعها ، ولذا وإن تعدوا نعمة ٱلله لا تحصوها ، فاتقوا يا أولي الألباب واستغفروا ٱلله يغفر لكم من ذنوبكم ويجعلكم من المستخلفين والوارثين في الدارين . قال تعالىٰ : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ

---

(1) الرحمـٰن ، 17 ـ 60 .

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (1) ، إنها الآيات الكريمة المتولدة من الآيات العظام فانظروا كيف يضاعف الثمرات مع مضاعفة الحسنات سبحانه إنه المقتدر علىٰ ذلك والفعَّال لما يريد .

6 ـ **تسخيره للفلك لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِه** : من آياته العظام التي نزلت في الآيات السابقة الذكر من سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، الذي جعل منه تعالىٰ في ذاته آيات ، آيات في اصطفائه أبا الأنبياء ، وآيات في تحديه قولاً وعملاً للكفرة والمشركين ، وفي براءته من النار آيات عظام مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ (2) . ما أجمل الآيات تتولد وتتعدد وتتنوع من الآية الواحدة ،

---

(1) البقرة ، 265ـ269 .

(2) الأنبياء ، 59ـ72 .

وما أجمل إبراهيم نبياً يولد في قوله المعجزة من ربه الذي جعل أمر النار عليه أن تكون برداً وسلاماً .

وعليه فإنه سخر الفلك تجري في البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات بأمره آيات خلقها للتنقل والتواصل والنجاة كما هو حال نوح عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه تعالىٰ : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [1] . إنها الآيات التي تجعل الذين خلقوا في أحسن تقويم علىٰ أحسن خليفة في القول الصادق والفعل الخالص . وهـٰكذا كانت الفلك آيات في البحار والبحيرات والأنهار والمحيطات قال تعالىٰ : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ

(1) هود ، 36ـ45 .

كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [1] .

7 ـ **ومن آياته أنه سخر لمن يريدهم خلائف في الأرض الشمس والقمر دائبين** : كما سبق أن أوضحنا أن الشمس آية وكذلك القمر آية ، وهنا جاءت آية عظيمة مرتبطة بهما وهي أن كلاًّ منهما دائب أي طائع في حركته وزمانه للأمر الذي خلقه بالقول (كن) ، وفي هـٰذا الدَّأب تناهٍ في الطاعة دون الخروج إلىٰ معصية . ولهـٰذا فإن الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ ، والحسبان مبلغ الدقة التي لا تدخلها الغفلة أو المغالطة أو الخطأ ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾ [2] .

8 ـ **من آياته أنه سخر لمن يراد له أن يكون خليفة الليل والنهار** : نعم إن الليل والنهار آيتان عظيمتان مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ [3] . النهار مبصراً بضوئه للعمل والإصلاح

(1) الشورىٰ ، 32ـ44 .

(2) يونس ، 5ـ6 .

(3) الإسراء ، 12 .

والفلاح والعمار في الأرض ، والليل سكناً ولباساً للراحة لأجل العمل بعد أن يعود النهار مبصراً .

9 ـ **من آياته إيتاء العباد من كل ما سألوه** : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (1) . سبحانه إنه المقتدر الذي يملك بالمطلق ويعطي ما يشاء لمن يشاء متىٰ شاء ، رغبات الناس تتعدد وتتنوع وتتطور ، ومع ذلك فإن آيات المقتدر أعظم وهٰذه آيات كريمة تستوجب الحمد والشكر والعرفان بالطاعة والعبادة ، وفوق ذلك يتم استخلاف الإنسان في الأرض وحمل الأمانة وهو بها ظلوم جهول ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾ (2) .

10 ـ **ومن آياته النعم التي خلقها وهي لا تعد ولا تحصىٰ** : قال

---

(1) البقرة ، 58 ـ 61 .

(2) الأحزاب ، 72 ـ 73 .

تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (1) ، بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق ، الخالق مصدر لكل خلق ، والمخلوق ليس بمصدر خلق ، وذلك لأنه لا يخلق (يصنع) إلا من مخلوق (مصنوع) سابق عليه ، ولهـٰذا لا يعد مصدراً للخلق ، ولـٰكن من يستمد صفاته من صفات خالقه تكون روح الخلق فيه فيخلق مما خلق له الخالق أشياء ، أي إنه القادر علىٰ استمداد الشيء من الشيء ، ولـٰكن غير قادر علىٰ خلق الشيء من أساس وجوده وخلقه .

11 ـ من آياته أن الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم منه الظلوم الكافر : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (2) ، خُلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون الخليفة في الأرض التي منها خلق ، ولأنه منها خلق ، عليه أن يعمل علىٰ الإصلاح فيها ، إلا أن الفرقة كانت بين مصلح ومفسد ، وبين كافر ومؤمن ، وبين ضال ومهتدٍ ، وبين محسن وظالم ، ومنذ البداية كان الصراع بين ابني آدم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ (3) . الآية إعجازية دالة علىٰ كل ما هو قابل للتحقق ، ومن آياته أن الذي خُلق في أحسن تقويم

---

(1) النحل ، 17 ـ 20 .

(2) إبراهيم ، 34 .

(3) المائدة ، 27 ـ 31 .

عندما يكون ظلوماً ، يقصر تفكيره عن تفكير الغراب الذي لم يكن من المخلوقين في أحسن تقويم ، ولذا فالهداية نور بها يتم الاستيضاح دون لبس أو غموض ، وبعد أن وقعت الآيات وهي القتل بغير حق ، وعدم المعرفة بمواراة الجثمان جاء فعل الغراب آية ، ثم جاء فعل الندم آية ، وهٰكذا تتولد الآيات من الآية بفعل المليك المقتدر .

12 ـ **من آياته الدعاء والاستجابة** : الدعاء الخالص له الاستجابة الخالصة ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله كما جاء في الكتاب الحكيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (1) .

وعليه لكل دعاء استجابة ولٰكن زمن الاستجابة في علم الغيب ، أي متىٰ تكون الإجابة هٰذا الأمر بيد المجيب المطلق جل جلاله . الإجابة تأخذ أوجهاً فهي قد تتزامن مع الدعاء ، وقد تكون تالية له بوقت قصير ، وقد تكون ذات زمن بعيد ، ولٰكن شيئاً واحداً لا نغفل عنه وهو لابد أن تكون الإجابة من السميع المجيب . وإلا هناك من يظن أنه سميع ولا يجيب ؟ ! أستغفر ٱلله إنه الحق المجيب . قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(1) إبراهيم ، 35ـ42 .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (2) . أمَّا الكافر والمشرك فآلهتهم لا تستجيب وذلك لفقدانها صفة السمع ، وهي لا تنطق ولا تمتلك آية ، ولأن الاستجابة آية ، إذاً لا وجود لآية إلا من سميع قريب مجيب لا يغفل أبداً ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يموت ولا يبلىٰ . ولهٰذا قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (3) .

من خلال ما سبق بين ٱلله تبارك وتعالىٰ أدوات قدرته والتي يمكن أن نقسمها علىٰ قسمين : القسم الأول : وقتية مرتبطة بزمان ومكان مثل معجزات الأنبياء موسىٰ وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام ، أما القسم الآخر فهي معجزات دائمة ومستمرة وهي معجزة القرآن الكريم فهي خالدة إلىٰ أن يرث ٱلله الأرض ومن عليها . فكلها دلائل تشير إلىٰ اقتدار البارئ عز وجل المتمكن الذي بيده كل شيء .

ثانياً : موزع الأرزاق كما يشاء :

الرزق مفردة تتردد بين طيات القرآن الكريم ، وهي محور كبير يدور حوله كثير من خطابات الكتاب الحكيم ، فهي أمر عظيم تتجلىٰ من خلالها قدرة الباري عز وجل ، فالخلق أجمعون قدر لهم خالقهم تبارك وتعالىٰ أمورهم جميعاً منها أعمارهم ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ

---

(1) غافر ، 60 .
(2) هود ، 61 .
(3) الأحقاف ، 5 .

لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (1) . هنا عملية عرض لخلق الإنسان من بداية تكونه إلىٰ الموت ، إذ أن عمر الإنسان مقدر له فلا ينقص ولا يزيد ساعة واحدة ، يقول الحق تبارك وتعالىٰ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (2) . كذلك الرزق قدره ٱلله سبحانه وتعالىٰ بين الناس بمختلف ألوانهم ودياناتهم واعتقاداتهم ، إذ يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (3) . فمن رحمة ٱلله تبارك وتعالىٰ أنه يرزق حتىٰ الكفرة الذين لا يؤمنون بلقائه فقد أعطاهم من نعمة الدنيا علىٰ حسب ما قدر لهم ، وأعطىٰ المؤمنين خيري الدنيا والآخرة ، ولذا فهم الوارثون حقاً والمستخلفون حقاً إذ يبشرهم بقوله : ﴿۞وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (4) . فرحمته واسعة تتخطىٰ كل الحدود التي يفكر بها الخليفة فهي أمامه يجدها في الآخرة . أما توزيع الرزق ، فهو بموجب المشيئة المبنية علىٰ الحكمة وإن وجد فيه ما يقتضي الحظر كالكفر مثلاً . أما توزيع الرزق فلا يكون بالتساوي بين الناس جميعاً فهو مقتدر أن يرزقهم جميعاً بالتساوي لـكنه بمشيئته وحكمته وإرادته لا يرزقهم بالتساوي ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ

---

(1) الحج ، 5 .
(2) الأعراف 34 .
(3) الإسراء ، 20 .
(4) الأعراف ، 156 .

ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، هنا تتسم معاني الاقتدار بأوضح صورة قادر وقدير ومقتدر يتصرف كما يشاء ، ويعطي كما يشاء ، ويأخذ كما يشاء بيده الملك ، يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته ، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور ، وبعضاً بالصنفين جميعاً ، ويزوجهم ذكراناً ، ويخص آخرين بالعقم فلا يهب لهم ولداً قط . توزيع وفق ما يريد جل جلاله فهو المقتدر .

أما الغيث فهو جانب آخر من جوانب رحمة ٱلله سبحانه وتعالىٰ الدالة علىٰ اقتداره ، فهو لا يعطيه بالتساوي بين الناس إنما يخص به من يشاء وفق حكمته وإرادته العظيمة ، يقول تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (2) الغيث رحمة لأنه ماء والماء مصدر كل حياة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (3) فعندما يكون الماء مطراً تكون الرحمة فيه لإحياء الأرض ، وهٰذه الرحمة ليست مقيدة بأحد المخلوقات إنما هي مطلقة لهم جميعاً ، وذلك لأنها وراء كل رزق ، فهنا دلالة واضحة علىٰ قدرة ٱلله تبارك وتعالىٰ في إعطاء رحمته وتوزيعها كيفما يشاء متىٰ ما شاء .

وقد يمنع الرزق بسبب المعصية التي تكون سبباً في انقطاع الرزق ، كما ورد في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا

---

(1) الشورىٰ ، 49ـ50 .
(2) الشورىٰ ، 28 .
(3) الأنبياء ، 30 .

تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (1) إن ٱلله سبحانه وتعالىٰ يعطي العبد علىٰ سبيل الابتلاء والامتحان ، وليصرفه إلىٰ طاعة ٱلله ، وليواظب علىٰ شكره علىٰ ما أعطاه من نعم ، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالىٰ قد يقطع عنه تلك النعم ، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات ، وقد يزيده ابتلاء . روي أن رجلاً من ثقيف وكان مسلماً ، كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء ، وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيباً وافراً للفقراء ، فلما مات ورثها منه بنوه ، ثم قالوا : عيالنا كثير ، والمال قليل ، ولا يمكننا أن نعطي المساكين ، مثل ما كان يفعل أبونا ، فأحرق ٱلله جنتهم (2) هـٰذه القصة تتأطر ضمن إرادة المقتدر تبارك وتعالىٰ ، الذي يتجلىٰ من خلالها أن منع الرزق هنا وإن كان فيه سبب وهو المعصية لـٰكن مشيئة ٱلله هي التي جعلت من البستان المثمر رماداً يتطاير في الهواء .

ويقابل منع الرزق منح الرزق بإرادته ومشيئته ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (3) والاستغفار هنا هو الإيمان أي آمنوا إيماناً يكون استغفاراً لذنبكم فإنكم إن فعلتم غفر ٱلله لكم فإن غفر لكم فسيأتيكم الخير الواسع في الدنيا والآخرة ، فالله تعالىٰ هو المقتدر بأن يرسل عليكم الرزق من أموال وبنين وغير ذلك .

---

(1) القلم ، 17ـ 33 .

(2) تفسير الرازي ، ج 15 ، ص 445 .

(3) نوح ، 10ـ 20 .

ولأنه المقتدر كان عادلاً في توزيعه للرزق علىٰ كل ما خلق مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (1) ، إذاً بالنسبة للرزق لكل نصيبه فيه ، لا يخلق شيئاً إلا وعليه برزقه لا يظلم ربك أحداً . وهٰذه شرعة من اتبعها كان مهتدياً بالحق للحق ومن كفر فقد ضل سواء السبيل ، ولهٰذا كان الخليفة مصلحاً وكان الضال مفسداً ، وما ربك بظلام للعبيد .

ثالثاً : مقتدر بإنزال العقاب أو رفعه :

العقاب اسم يتردد ضمن سياق كثير من الآيات القرآنية ، وذلك لأن النص القرآني يحتوي بين طياته علىٰ ثنائية الثواب والعقاب ، فقد كان العقاب هو الحل الأخير لكثير من الأقوام التي لم ترتدع ولم تتعظ ولم تتراجع عن غيها بعد أن رأت آيات ٱلله سبحانه وتعالىٰ وقدرته علىٰ أيدي أنبيائه صلوات ٱلله وسلامه عليهم ، فالعقاب مقدَّر من ٱلله سبحانه وتعالىٰ فلا يمنعه إلا هو ، فكثير من الأقوام حل عليهم عقاب ٱلله سبحانه وتعالىٰ مثل قوم نوح عليه الصلاة والسلام كان عقابهم الغرق ، والطوفان آية مهيبة لقدرة الباري عز وجل في الخروج عن المتعارف لدىٰ الناس ، وتحول الأرض إلىٰ بحر هائج أمواجه تشبه الجبال العظيمة ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن

(1) هود ، 6 ـ 7 .

رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [1] الطوفان ما كان إلاّ عن مثل زلازل تفجرت بها مياه الأرض وأمطار جمّة تلتقي سيولها مع مياه العيون فتختلط وتجتمع وتصب في الماء الذي كان قبلها حتىٰ عم الماء جميع الأرض التي أراد ٱلله إغراق أهلها الذين حق عليهم القول ، منظر رهيب تتجلىٰ فيه قدرة الباري عز وجل يبدأ من الاختيار من كل شيء زوجين دلالة البقاء ، وعدم انتهاء الأمر نهائياً بل فيه عودة إلىٰ الحياة ، وفيه إعمار للأرض التي تريد دائماً الخليفة المؤمن والعادل الذي اختاره ٱلله تبارك وتعالىٰ ليستخلفه في الأرض ، فمنظر الطوفان تتجسد فيه أروع صور الاقتدار التي تدلل علىٰ عظمة الباري عز وجل فهٰذه السفينة تجري وسط هٰذه الأمواج العنيفة وهي تحمل ما عليها ، ثم بعد أن ينتهي الطوفان ترسو وتبدأ صفحة جديدة من تاريخ البشرية .

ونلحظ من قوله تعالىٰ : ﴿ ۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ ﴾ شيئين :

الشيء الأول : أن مفتاح الحركة بالنسبة للسفينة هو ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا ﴾ فكانت تجري في أمان بالرغم من تلاطم الأمواج ، وأن مفتاح الإيقاف هو (بسم ٱلله مُرساها) فوقفت بسلام في مكان النجاة المحدد بقوة المقتدر جل جلاله .

وقوم لوط كان عقابهم أن جعل ٱلله تبارك وتعالىٰ قريتهم عاليها سافلها ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [2] ، وقوم شعيب كان

---

(1) هود ، 40 ـ 45 .

(2) هود ، 82 ـ 83 .

عقابهم بالصيحة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (1) . وقوم صالح أخذتهم الرجفة ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (2) ، هنا تجلت قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ في إنزال العقاب علىٰ الأقوام التي لم تستجب لأوامر ٱلله سبحانه وتعالىٰ ونواهيه وبهـٰذا طويت حياتهم من الدنيا كلمح البصر ولم يعد لهم من ذكر سوىٰ أسماءهم وبقايا ديارهم التي توحي دائماً بقدرة الباري عز وجل في إنزال عقابه علىٰ المستحقين . بعد ذكر هـٰذه الأقوام وما حل بها نقصد قوم صالح ولوط وشعيب نأتي إلىٰ قصة يونس عليه الصلاة والسلام الذي آمنت قريته بعد أن كاد يحل بها العذاب ، فرفع عنها ونجت منه بالإيمان . وهي لمسة من ناحية أخرىٰ تزين الإيمان للمكذبين ، لعلهم يتقون العذاب الذي ينذرون . ولا تكون عاقبتهم كعاقبة قوم نوح وقوم موسىٰ المهلكين ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (3) قوم يونس بادروا إلىٰ الإيمان بعد أن فارقهم يونس ، توقعاً لنزول العذاب ، وقبل أن ينزل بهم العذاب ، وذلك دليل علىٰ أن معاملة ٱلله إياهم ليست مخالفة لما عامل به غيرهم من أهل القرىٰ ، وأن ليست لقوم يونس خصوصية ، وبذلك لا يكون استثناؤهم استثناءً منقطعاً . وإذ كان الكلام تغليطاً لأهل القرىٰ المعرضين عن دعوة الرسل ، وتعريضاً بالتحذير مما وقعوا فيه . فالمقتدر تجلت قدرته في رفع العقاب عن قوم يونس فلا أحد ينزل العقوبة أو يرفعها إلا هو المقتدر تبارك وتعظم .

المقتدر : هو رحمـٰن وجبار ، ورحيم وشديد العقاب ، أي أنه فعال

---

(1) هود ، 94ـ95 .

(2) الأعراف ، 78 .

(3) يونس ، 98 .

لما يريد ، إنه المقتدر علىٰ الثواب والعقاب والحاجة والإرزاق ، ولذا لكل فعل سبب وعلة ولهٰذا لا يمكن أن يظلم ربك أحداً ، إنه المقتدر بعدله ومغفرته سبحانه إنه ربي .

إنه المقتدر علىٰ الحياة والممات والبعث ، والمقتدر علىٰ الابتلاء وفك الابتلاء ، اللهُمَّ فك ابتلاءنا عنا وارزقنا رزقاً نافعاً وملكاً طاهراً ، وأبناء صالحين مصلحين يصلحون ولا يفسدون في الأرض التي منها خلقنا وفيها استخلفنا ولا تجعلنا وإياهم سافكي دماء بغير حق ، واجعلنا علىٰ العدل والطاعة والاهتداء للحق بالحق إنك الحق جل جلالك .

رابعاً : كشف الضر :

يتردد عندنا في الحياة صبر أيوب فيضرب المثل بصبره ، وتكتب القصائد الكثيرة بذكر صبر أيوب ، وكيف تحمل ما تحمل من المعاناة والآلام فلم تثنه عن إيمانه بالله تبارك وتعالىٰ بل زادته إيماناً ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (1) ، في هٰذه القصة العظيمة التي أرخت لحياة نبي من أنبياء ٱلله فوسمته بسمة من أعظم السمات ، ألا وهي سمة الصبر ، فالضر الذي أصاب النبي أيوب عليه الصلاة والسلام هو مقدر من الباري عز وجل وهو الذي يرفعه متىٰ أراد لحكمة ومشيئة تتعلق به تبارك وتعالىٰ ، وهٰذا مثل واضح وبيّن أراده ٱلله تعالىٰ من أجل الاتعاظ واللجوء إليه ، فهو المقتدر علىٰ كشف الضر ! اللهُمَّ فكَّ الضرَّ عنا ، وارحمنا بواسع رحمتك ، إنك سميع مجيب !

للبحر أهوال ومشقة يتعرض لها الخليفة فيلجأ إلىٰ ٱلله تعالىٰ كي ينقذه

---

(1) ص ، 41ـ44 .

مما تعرض له يقول تعالىٰ : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ (1) والضر هنا هو الغرق ، فالصيحات تتعالىٰ وتستغيث تطلب النجاة والوصول إلىٰ البر الذي هو المأمن فمن يصل بهم إلىٰ البر لا يوجد أحد غير هو المقتدر الذي ينقذهم مما هم فيه ، وهم في دعائهم يقصدونه هو لا غير .

والخليفة يتخلق بخاصية كشف الضر من خلال وجوده في المجتمع ومتابعة إخوانه والوقوف علىٰ أحوالهم ، والضر قد يكون أنواعاً ، منه الضر البدني وهي الأمراض التي تنتشر في بعض الأحيان فتصيب إنساناً دون آخر من باب الابتلاء . ومنه الضر المادي ، كأن يتعرض بيت من البيوت إلىٰ الهدم نتيجة للتعرية أو سقوط الأمطار بغزارة الذي يؤدي إلىٰ الفيضانات . فيسعىٰ الخليفة بكل السبل من أجل رفع الضر وإرجاع الأمور كما كانت .

ولهـٰذا فإن رفع الضر آية من آيات ٱلله العظام ، فهو يرينا الرحمة جنباً إلىٰ جنب مع الشدة والعقاب ، وذلك لأجل أن نهتدي ولا نضل ، ولأجل أن نعمل فلاحاً وإصلاحاً ولا نفسد فيها بغير حق ، ولا نظلم أحداً .

وعليه بالنسبة للخليفة إلحاق الضرر بالكافر يعده رحمة لا كما يعده الكافر علىٰ نفسه ، وهـٰكذا إلحاق الضر بالمؤمن يرضي الكافر ولا يغيظ المؤمن لأنه يعتبره ابتلاء والابتلاء يزول بالإصلاح والهداية ، ولهـٰذا إنه تنبيه للعمل الخيِّر والتمسك به ، فمن اهتدىٰ يهتدي لنفسه ومن ضل عنها ضل . فالمؤمن إذا وقع عليه ظلم حتىٰ ولو كان مقتدراً علىٰ رده وردع صاحبه يقول في نفسه ما أمر به ٱلله تعالىٰ أن يقال : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ

(1) الإسراء ، 67 .

فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) .

خامساً : إصلاح الخلائق :

المقتدر هو الذي يقدر علىٰ إصلاح الخلائق علىٰ وجه لا يقدر عليه غيره فضلاً منه وإحساناً ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (2) . القول السديد هو قول الحق ، وقول الحق إصلاحي ، ولأجل الإصلاح يجب أن يقال القول الحق حتىٰ لا تزور الحقائق بمشبهات ليست هي كما هي .

وتتقابل مع لفظة الإصلاح لفظة الإفساد ، فعندما يراد الإصلاح لابد أن يكون هناك فساد ، ولذا يستوجب إحلال الشيء المصلح محل الشيء المفسد ، ولأن ٱلله خلق الإنسان في أحسن تقويم فهو المدرك الذي يمتلك العقل الذي به يميز بين ما يجب الاتباع وبين ما يجب الابتعاد عنه وتجنبه ، ولأن ٱلله جعل كل شيء بالقوة علىٰ الإرادة ، فما يبدو لأحد موجباً قد لا يكون كذلك للآخر ، ولهـٰذا يدور الصراع حتىٰ يغلب أحدهم الآخر أو يهزمه ، وفي هـٰذا الأمر مغالبة ، والمغالبة تدس خلفها ردود الأفعال والضغائن والثأر في أوقات الغفلة أو المفاجأة . ولأن المقتدر جعل للتخيير والتسيير فسحة في القول والفعل في دائرة الإرادة والنسبية ، فكان الخليفة مؤمناً مهتدياً ، وكان الكافر مشركاً ضالاً ، وهـٰذا الأمر ورد منذ بداية الخليقة ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

(1) آل عمران ، 172 ـ 174 .
(2) الأحزاب ، 70 ـ 71 .

يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (1) فمنذ خلق أدم عليه الصلاة والسلام ترددت لفظة الفساد والتي أصبحت بدايتها عملياً بقتل قابيل لأخيه هابيل ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (2) فالفساد لابد له من إصلاح فلا يحق له أن يستشري بين الناس ويكون دينهم الذي يتوارثونه ، فلا بد أن يتدخل المقتدر جل جلاله ويكون التدخل عن طريق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وهٰكذا جاءت الرسالات السماوية لتبشر بما يريده الباري عز وجل من أجل الإصلاح المنشود ، ولهٰذا نجد نصوصاً كثيرةً في القرآن الكريم ترد علىٰ لسان الأنبياء تتضمن محاور الإصلاح التي يريدها المقتدر تبارك وتعالىٰ ، ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (3) يتسم كلام نبي ٱلله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه بالمراجعة أي أنه كان يكرر عليهم دائماً ما يريده المقتدر عز وجل مما يدل علىٰ أن الإصلاح المنشود لا يتم من خلال تبليغ واحد ، وإنما يحتاج إلىٰ تكرار وعرض للحجج والبراهين التي تبطل الفساد وتدحضه وتبين مواطن الخطأ والزلل التي فيه ، أما قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ

(1) البقرة ، 30 .

(2) المائدة ، 27ـ30 .

(3) الأعراف ، 85 .

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [1] بشارة من ٱلله تبارك وتعالىٰ أن هـٰذه الأرض لا تبقىٰ بيد الكفرة وأهل الفساد إنما مآلها إلىٰ الصالحين من عباده الذين استخلفهم فيها وجعلهم الوارثين ، فلهم الدور الكبير في عملية الإصلاح من خلال تبليغ ما أمر به ٱلله عز وجل ويكون ذلك بالقول السديد ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [2] فالقول السديد هو مطلق كأن يكون آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو أذاناً يسمعه الناس ، وهو قول الحق الذي لا يدخله الباطل ، وهو في مجمله نداء إصلاح وتبشير بخير آتٍ ، من ٱلله تبارك وتعالىٰ للمؤمنين بأن يتَّسِموا بالتقوىٰ وسداد القول ، ولابد لهم من النهي عن المنكر ، لأن فائدة النهي عن المنكر التلبّسُ بالمحامد ، والتقوىٰ جماع الخير في العمل والقول . والقول السديد مبعث الفضائل ، ويتردد الإصلاح أيضاً حتىٰ مع حال المؤمنين أنفسهم ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [3] فقوله ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ إشارة إلىٰ ما يثيب علىٰ العمل الصالح . فالله سبحانه وتعالىٰ كلما ذكر الإيمان والعمل الصالح ، رتب عليهما المغفرة والأجر ، وهـٰذه المعادلة تتسم بما جاء به الخطاب القرآني الذي ركز علىٰ هـٰذين الطرفين في معادلة الحق ، يقول تعالىٰ : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [4] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [5] ويمكن أن نطلق علىٰ طبيعة هـٰذا

---

(1) الأنبياء ، 105 .
(2) الأحزاب ، 70 ـ 71 .
(3) محمد ، 2 .
(4) الحج ، 50 .
(5) العنكبوت ، 7 .

الخطاب بخطاب الرغبة ، الذي يتحقق من خلاله ما يريده الباري عز وجل ، فضلاً عن ذلك أن العمل الصالح الذي يقابله العمل الفاسد تتطابق عليهما ثنائية الثابت والمهتز ، فالثابت (الحق) يبقىٰ كما هو لا يتغير مهما تعرض لأي شيء ، أما المهتز فهو في بعض الأحيان قد يضمحل وينتهي فلا يبقىٰ منه شيء سوىٰ الذكرىٰ ، فالثابت هو العمل الصالح والمهتز هو العمل الفاسد الذي في حاجة لأن يصلح .

وعليه : الثبات قوّة ، والاهتزاز ضعف :

الثبات قيمة تُقدّر بالفعل الذي هي عليه . أو بالفعل الذي به يتم الثبات .

والثبات لا يعني الجمود . والاهتزاز لا يعني الحركة .

ولهٰذا الثبات قاعدي . والاهتزاز استثنائي . ومع ذلك كل شيء نسبي .

ما تعتقد أنه علىٰ ثبات ، قد يفاجئك بحركته وامتداده ، وما تعتقد أنه في حالة سكون توقع أنه قد يتحرك في أي وقت من الأوقات بتمرد أو ثوران وامتداد . ومع ذلك أيضاً ، لا ثبات إلا بقوة مقتدر ، ولا اهتزاز إلا بقوة مقتدر .

ولهٰذا فالقدرة قيمة قاعدية للثبات والحركة . فمن يصمد (يثبت) بقوة في مواجهة القوة ، ومن يضعف أمام قوة تهزه من مستواه أو تحركه من مكانه لا يقارن بمن صمد وثبت .

ووفقاً لدائرة المتوقع وغير المتوقع ، الثابت والمهتز كلاهما في حالة حركة ، سواء كانت الحركة سالبة أم موجبة .

وعليه ، لا ثبات ولا اهتزاز ، إلاَّ لوجود قابل للمشاهدة أو الملاحظة (الإدراك عن وعي) .

فالثبات علىٰ المبادئ مسألة قيمية مفضلة عند بني الإنسان ، ولٰكن أية مبادئ ؟

تلك التي يرضاها الناس ، ويختارونها بإرادة .

ولهٰذا فالقاعدة هي :

الثبات علىٰ المبادئ .

والاستثناء هو :

الاهتزاز عن المبادئ .

وقد يوصف المهتز عنها بالمنحرف السالب . مما يجعل للمصلحين المستخلفين أدوراً متنوعة ومتعددة في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

ولذا قد استمدت المبادئ قوتها من الثبات ، واستمدت ضعفها من الاهتزاز .

وعليه كل شيء في حالة حركة .

فعلىٰ سبيل المثال : الأرض في حالة حركة . ولأن الأرض تتحرك ، إذاً كل ما عليها في حالة حركة ، حتىٰ وإن كان ساكناً في حياته أو في مماته .

ولهٰذا ، يتحّرك المحمول في حامله :

ـ الحافلة الناقلة للركاب علىٰ الأرض المتحركة تتحرك .

ـ الأم الحامل الراكبة في الحافلة المتحركة علىٰ الأرض المتحركة ، جنينها يتحرك في بطنها ، مثلما هي تتحرك مع الركاب في الحافلة .

وهٰكذا تتعدد المتحركات وتتنوع والحركة واحدة سواء كانت في المادة ، أو كانت في الفكرة التي تمتد من عقل مفكر إلىٰ عقل مفكر آخر . وإذا سكنت عند البعض فزمن سكونها لن يطول . ولهٰذا فهي في حالة حركة .

ولهٰذا ، فالعلاقة بين الثابت والمهتز . علاقة بين سكون وحركة .

وبما أن في السكون ثباتاً نسبياً .

و في الحركة امتداداً نسبياً .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ الثبات النسبي .

2 ـ الحركة النسبية .

والاستثناء هو :

1 ـ الثبات غير النسبي .

2 ـ الحركة غير النسبية .

ولأنه لا مطلق إلا من عند ٱلله .

إذاً كل شيء بالنسبة للبشر نسبي .

ولذا :

ـ فكر في الثابت .

ـ فكر في المهتز .

ـ شاهد الثابت .

ـ لاحظ المتحرك .

وهٰكذا تتعدد المتحركات وتتنوّع والحركة واحدة .

ولذا فإن المعلومة أو السلوك يقعان بين المهتز والثابت إلىٰ أن يصنّفان بمصادق .

فكّر في الثابت كما تفكِّر في المهتز :

بما أنه لا مطلق إلا من عند ٱلله .

إذاً بطبيعة الأمر بالنسبة لبني الإنسان كل شيء نسبي ، ولهٰذا حتىٰ القيم

هي ذات ثبات نسبي ، ومع أنها القابلة للتطوير والتغيير عبر الزمن ، إلا أنها الأكثر استقراراً .

ولهٰذا ، لا فرق بين الثبات والاهتزاز من حيث أن كلاًّ منهما نسبي .

والذي جعل كلاًّ منهما علىٰ حالة من النسبية ، هو التداخل بين الحركة والسكون . ولهٰذا ، الثبات علىٰ حالة من الاهتزاز . والاهتزاز علىٰ حالة من الثبوت ، ولو لم يكن الثبات نسبياً ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا وأصبح أجدادنا مسلمين بعد أن كانوا من الجاهلين قبل الرسالة المحمدية الخاتمة .

ولأنَّ كل شيء نسبي ، إذاً كل شيء ممكن . فلا تستغرب أن يحدث ما لم تتوقع أن يحدث .

وعليه : إذا وقع ما لم تتوقع ؛ فعليك بالتعامل معه وفقاً للرسالة الخاتمة ، حتىٰ لا تندم يوم لا ينفعك الندم ، وتأكد : أن الحق ثابت ، ودائم ، فلا تستغرب .

وعليك أن تعرف وفقاً لدائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) أن كل شيء قابل لأن يتغير كلما توفرت معطياته أو اشتراطاته .

وعليه فكّر في الثابت كما تفكر في المهتز ، فكل شيء يتغير . واعرف أن الزمن كفيل بذلك إذا توفرت العزيمة ورسمت الخطط . ووضع المستقبل هدفاً رئيساً لإحداث النقلة .

بطبيعة الأمر بما أن كل ثابت وكل مهتز هو نسبي .

إذاً التفكير فيهما يعد ضرورة قبل اتخاذ القرار . ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقع وغير المتوقع ، من حيث : أن ٥٠٪ من الدائرة هو ثابت أو متوقع ، وأنّ ٥٠٪ من الدائرة هو المهتز أو غير المتوقع . وأيضاً قد يكون الثابت سالباً ، وقد يكون موجباً ، وهٰكذا المهتز يمكن أن يكون سالباً ويمكن أن يكون موجباً .

ولذا فإن المتغير المتداخل يربط الثابت والمهتز في علاقة دائرة واحدة مثلما يربط المتوقع وغير المتوقع في علاقة دائرة واحدة وهي دائرة (الممكن) . ولهٰذا تتداخل الحركة مع السكون ، ويتداخل السكون مع الحركة .

وبما أن نسبة من السكون في حالة حركة . ونسبة من الحركة في حالة سكون .

إذاً لا وجود للقوة المطلقة بالنسبة للخلق . ولذا فكّر في الثابت حتىٰ تتيقن ، وفكر في المهتز مثلما أنت متيقن .

وبما أن هناك حركة .

إذاً بالطبيعة لا وجود للثبات المطلق ، ولا وجود للاهتزاز المطلق .

النسبية مرونة في الثبات والاهتزاز :

لو لم يكن كل شيء نسبياً ما استطعنا أن نصحح المعلومات الخاطئة التي تشربها المنحرف وأثرت في أقواله وأفعاله وسلوكه سلباً .

ولهٰذا فالقاعدة هي :

1 ـ مرونة النسبية في الثابت .

2 ـ مرونة النسبية في المهتز .

والاستثناء هو :

1 ـ انعدام مرونة النسبية في الثابت .

2 ـ انعدام مرونة النسبية في المهتز .

وبما أن النسبية مرونة في الثابت والمهتز .

إذاً المرونة حركة استيعابية .

وعليه :

1 ـ كن مرناً .

2 ـ ناقش كل كبيرة وصغيرة ، ولا تتشبث ، وجادل الناس بالتي هي أحسن ، ولا تظلم أحداً ، واتقِ ٱلله في نفسك وأهلك ودينك ووطنك وإلا ستندم يوم لا ينفعك الندم .

3 ـ ثِق : أنَّ المرونة تخلق النُّقلة ، والنقلة تصنع المستقبل الأفضل والأجود .

4 ـ ثِق : أنَّ كلَّ ممكن نسبي .

5 ـ تأكّد أنَّه لا وجود للثبات المطلق .

6 ـ تأكّد أنَّ الجمود يؤدي إلىٰ التخلف .

7 ـ كُن مرناً يتم استيعابك .

8 ـ كن مرناً تُقدَّر .

9 ـ لا تتشبّث حيث لا وجود بين أيدينا لمطلق .

10 ـ ثِق أنَّ كلَّ شيء يتغيّر إلىٰ النهاية .

11 ـ ثِق إن لم تتغيّر إلىٰ ما يُفيد سيتم تجاوزك أو يستهدفك الآخرون بالتغيير .

12 ـ ثق من يتغير عن قيمة سيتجه إلىٰ غيرها .

13 ـ ثق من يتطلّع إلىٰ قيمة نافعة سيترك أو يتجاوز عن أخرىٰ .

القيم ثوابت عنيدة : القيم ثوابت ؛ لأنها تستمد من مصادر ثابتة (الدين والعرف) ، ولهـٰذا يحتكم الناس بها . إنها مكمن القوة في دائرة المتوقع وغير المتوقع . فبدون القيم لا تجد المحبة بين الناس تربة صالحة لنموها ، وبدونها

لا يجد من يحافظ عليها ، ولا يجد من يكنُّ له التقدير والاحترام .

ولهٰذا فالقاعدة هي :

1 ـ القيم ثوابت .

2 ـ القيم عنيدة .

3 ـ القيم مكمن المحبة .

والاستثناء هو :

1 ـ القيم ليست ثوابت .

2 ـ القيم ليست عنيدة .

3 ـ القيم مكمن الكريهة .

ولهٰذا الكره اهتزاز ، والاهتزاز تبدل .

المحبة ثبات ، والثبات استقرار .

وعليه :

ـ استقرَّ تبنِ حياتك .

ـ استقرَّ تصنع لك عنواناً .

ـ استقرَّ تفكر في المستقبل .

ـ استقرَّ تحقق التغيّر ، وتصنع النقلة .

ولذا فإن التبدّل لا يُسهّم في بناء الحياة الأسرية والاجتماعية والإنسانية ولا يؤسس عنواناً ولا يصنع تاريخاً ويحقق مستقبلاً ، ولا يسهم في تنظيم المجتمع وعلائق أفراده وجماعاته .

ومع ذلك ليس دائماً التمسك بالقيم فضيلة ، القيم البالية التي لا تُسهم في صناعة المستقبل وتحدث النقلة ، التمسك بها يؤدي إلىٰ التخلف الثقافي

والحضاري ، ويطمس الشخصية المتطلّعة ، ويظهر الشخصية الانسحابية الضعيفة التي لا تستطيع تحدي الواقع وأسبابه وعلله التي تشد إلىٰ الخلف في زمن الاندفاع إلىٰ الأمام .

القيم التي يشب الناس عليها عبر الزمن قد يعتقد البعض أنها مسلمات لا يُقبل المساس بها حتىٰ وإن لم تواكب حركة التغير الاجتماعي والإنساني . ولهـٰذا القيم ثوابت عنيدة ، فالمتمسكون بها لا يطيقون فراقها أو الحياد عنها . فأمرها ليس هيناً ، وعلىٰ المستخلفين فيها مراعاة ذلك والعمل علىٰ تجاوزه بالمنطق والحجة والجدل بالتي هي أحسن ، وليس بالإكراه ، مع مراعاة البدء مع الناس من حيث هم ثم العمل معهم في اتجاه ما يجب ، لأجل إحداث النقلة بإرادة .

وعلىٰ الخليفة أن يضع في حساباته أهمية القيم بأهمية ما تحققه من منافع ومكاسب للأفراد والجماعات والمجتمعات ، وبمدىٰ أهميتها في تقوية الوحدة الاجتماعية وفي استيعاب الآخرين الذين لا يكون استيعابهم علىٰ حساب ما تحققه القيم السائدة من منافع للمجتمع الذي كان سبباً في إنتاجها ، ولا تكون علىٰ حساب الاستخلاف في الأرض والورثة في الجنة .

ولهـٰذا : الثوابت العنيدة قواعد . الحياد عنها ليس بالأمر الهين ، مع أنه ممكن ، وذلك لأن الزمان كفيل بمتغيراته أن يغير أو يؤثر في الثوابت .

الإنسان مواقف والاهتزاز لا يخلقها :

وبما أن الإنسان مواقف . والاهتزاز لا يخلق المواقف .

إذاً القاعدة هي :

ـ ثبات المواقف .

والاستثناء هو :

ـ اهتزاز المواقف .

ولهٰذا فالإنسان مواقف مع ما يُحب أو يُفضِّل ، ومواقف مما لا يُحب ومما لا يُفضّل . وذلك من أجل الآتي :

1 ـ إثبات الأنا المقدّرة قيمياً (التي تمارس حقوقها وتؤدي واجباتها وتحْمل مسؤولياتها) .

2 ـ إثبات الذات الاجتماعية المقدّرة (اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً) .

3 ـ إثبات الضمير الإنساني المقدّر (اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً) .

ولذا فإن ، تقدير المواقف قاعدة . وعدم تقديرها استثناء .

ولهٰذا عليك أن :

ـ تسعىٰ لنيل التقدير .

ـ تسعىٰ لنيل الاحترام .

ـ تسعىٰ لنيل الأعراف .

ـ تسعىٰ لنيل الاعتبار .

ـ تطلّع إلىٰ ما يجب .

ـ تفهّم ظروف الناس ولا تغتر .

ـ تمسّك بدين الكافة ولا تغفل عن ممارسة أقواله وأفعاله الحسان .

وعليه :

1 ـ لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الخيانة والضلال .

2 ـ لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في السرقة .

3 ـ لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الكذب .

4 ـ لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تعاطي المخدرات .

5 ـ لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تضييع الوقت .

6 ـ أفِق من غفلتك تجد الحقيقة بين يديك .

الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة :

بما أن الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة .

إذاً القاعدة هي :

1 ـ الثبات جوهريٌّ .

2 ـ الاهتزاز يعبر عن الصورة .

والاستثناء هو :

1 ـ الثبات ليس جوهريّاً .

2 ـ الاهتزاز لا يعبر عن الصورة .

ولذا عندما يُعبّر الثابت عن الجوهر يُعبّر المهتز عن الصورة .

ولهـٰذا يُزاح الشك عن الثابت ويَعلَقُ بالمهتز .

وتظهر الحقائق في الجوهر وتختفي في كثير من الأحيان عن الصورة .

ولذا فإن الظاهر غير الكامن ، فلا تغرَّنّك الأقوال والأفعال التي بها يتقرب البعض للبعض زلفىٰ . ولذلك علىٰ الخليفة معرفة الآتي :

ـ أن الحقيقة تكمن في الجوهر .

ـ أن الصورة قد لا تعكس الحقيقة .

ـ أن القيم ثوابت وفقاً لقاعدة الممكن .

ـ أن للثوابت معايير تقاس بها وتُقوّم .

ـ أنه لا معايير لمهتز .

ـ أن الشك يُمكّن من التعرّف والتبيّن .

ـ أن التفكير ضرورة قبل اتخاذ القرار .

ـ من لا يخطط لمستقبله يفاجأ .

ـ من لا يقارن لا يتمكّن من التمييز والتعرف علىٰ المفارقات .

ـ أن المعلومة تُحلل وفقاً لمتغيراتها .

ـ لا تشخّص الحالة إلا في الواقع التي هي عليه .

ـ أن كل شيء ممكن فلا استغراب .

لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن :

بما أنه لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن .

إذاً الممكن هو مجال الامتداد ، ومجال الحركة والزمان .

ولأنه ممكن فهو متوقع الحدوث ، وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل .

ولذا فالممكن ضروري الحدوث إلا أن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض الآتي :

ـ **الاحتمال الأول** : يكون الممكن مساوياً للمتوقع السالب أو الموجب .

ـ **الاحتمال الثاني** : يكون الممكن أقل من المتوقع السالب أو الموجب .

ـ **الاحتمال الثالث** : يكون الممكن أكثر من المتوقع السالب أو الموجب .

بناء علىٰ هـٰذه الافتراضات الثلاثة لا يُمكن أن يكون الامتداد إلا في مجال الممكن ، ولا ممكن إلا في دائرة الزمان .

ولذا فإن ما نشاهده أو نلحظه أو نحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه هو الواقع في حدود الممكن .

ولأنه في حدود الممكن النسبي ، يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجاله بالنسبة إلىٰ مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا ، فمنَّا من يميز بين الأشياء أكثر من بعضنا . وهـٰذا يدل أن بعضنا قدراته التمييزية أقل والبعض الآخر يساوينا أو يتفوق علينا .

وعلىٰ الخليفة أن يعرف :

كل شيء نسبي .

أن الثبات لا يعني الجمود .

أن المهتز يُمكن أن يثبت .

أن الإصلاح ممكن .

أن العلاج ممكن .

أن الممكن لم ولن يكون مستحيلاً .

وعليه :

- لا تكن أسيراً للصغائر .
- تطلّع لتُحوِّل خسائرك إلىٰ مكاسب .
- ثق أن السباحة لا تُعلَّم علىٰ الفراش .
- ثق أنك قادر فكل شيء ممكن .
- ثق أنك قوة فلا تركن إلىٰ الضعف .

- لا تعطل طاقاتك نتيجة عثرة واحدة في الطريق .
- ثق أن الأفعال أكثر حُجّة من الأقوال التي لم تكن حجَّة .
- تطلّع إلىٰ المستقبل .
- غيّر وتغير لتحدث النقلة .
- اعمل علىٰ صناعة مستقبلك ، وشارك الآخرين من أجله .

الثبات والاهتزاز في حالة تداخل :

لا غرابة أن نلحظ الثبات والاهتزاز في الشيء الواحد نتيجة إدخال متغيرات عليه ، فالرياح علىٰ سبيل المثال : كمتغير علىٰ ثبات شجرة النخيل يجعلها في حالة اهتزاز ، وإذا اشتدت الرياح حتىٰ تصبح عاصفة قد تؤدي إلىٰ إسقاط النخلة أرضاً . ومع ذلك وإن سقطت علىٰ الأرض فلن تسقطها الرياح من أذهاننا فهي الثابتة فيها . وهٰكذا شخصية الإنسان المحترم الذي نال التقدير من الكثيرين فقد تهتز شخصيته في وقت من الأوقات وتحت ظروف معينة ، وقد يحاول أمام البعض أن يُظهر تمسكه وثباته علىٰ بعض القيم إلا أنه سيكون مهتزاً أمام الكثيرين . وهٰكذا يثبت المهتز ويهتز الثابت بإدخال المتغيرات عليه أو بتعرضه لمواقف تجعله في حالة اهتزاز بين التقدير والتقليل والتحقير .

ولهٰذا الإنسان ثابت ومهتز :

ثابت من حيث إنه إنسان (كجوهر) .

ومهتز في سلوكه (كظاهر) ، ومهتز من حيث لونه ، ونوعه ، ومراحل نموه ، وقدراته واستعداداته .

ولذلك يثبت الجوهر وتهتز الأقوال ، والأشكال ، والأفعال ، والسلوكيات .

وعليه :

- فكّر في الثابت .
- فكّر في المهتز .
- شاهد بتركيز .
- لاحظ بوعي .
- انتبه بإدراك .
- افطن بعقل .
- تدبر بحكمة .

والخليفة له دور كبير في عملية الإصلاح ، فهو المحور الأساس لهٰذه العملية إذ يتطلب منه أن يكون واعياً في عملية الإصلاح ، لأن المستخلفين يختلفون كل واحد عن الآخر في كل شيء ، في التصرف والتفكير والحاجات ، وعملية الإصلاح تتطلب ثنائية الرغبة والرهبة التي تعد القاعدة في التعامل ، فقد أكد عليها القرآن الكريم في كثير من الآيات ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ (1) .

سادساً : المقتدر لا يحتاج إلىٰ أحد :

الحاجة هي طبيعة بشرية يتسم بها الناس ، فمن غير الممكن أن يستغني الناس عن بعضهم البعض وخاصة في أمور الحياة ومتطلباتها ، فهٰذا الطبيب

(1) السجدة ، 16 ـ 20 .

وهـٰذا المهندس وهـٰذا المعلم كلٌّ حسب عمله يحتاجه الناس ، وهـٰذه الصورة التي عليها الناس جميعاً تتغاير عندما تتجه الوجوه إلىٰ السماء بقصد الدعاء ، هنا تتبلور ملامح الحاجة لكل من خلال استعمال مفردة (ربنا) التي وردت في سياق كثير من الآيات القرآنية ، فهي تدل علىٰ اللجوء الكامل إلىٰ ٱلله تبارك وتعالىٰ وبيان شدة الحاجة إليه ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (1) هنا يعلّم ٱلله تبارك وتعالىٰ الدعاء فيستعرض صنفين ، الصنف الأول يدعو ٱلله جل وعلا فيطلب حظ الدنيا ، ولا يلتفت إلىٰ حظ الآخرة ، وهـٰذا يترتب عليه أمر آخر وهو فقدان النصيب في الآخرة وذلك بقصوره الطلب من الدنيا ، أما الصنف الآخر يطلب الأمرين جميعاً ، أما بالنسبة إلىٰ الصنف الأول يرتسم فيه النهي عن الاقتصار علىٰ طلب الدنيا ، والذمّ لمن جعلها غاية رغبته ، ومعظم مقصوده ، أما الصنف الثاني ففيه طلب الأمرين الدنيا والآخرة والحسنة فيهما كل ما يريده الخليفة ويتمناه فهي مطلقة غير مقيدة بشيء ، قال تعالىٰ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (2) دعاء تكرر فيه لفظة ربنا ، مما يدل علىٰ أن الخليفة يلح في الدعاء ، فضلاً عن ذلك كثرة ما يريده الخليفة من طلبات إلا أن بداية الآية تفتح لنا منفذاً في الولوج بقضية طلب الحاجات وهي قضية نستعرضها من خلال قوله تعالىٰ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

(1) البقرة ، 200ـ202 .

(2) البقرة ، 286 .

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ فتكليف النفس إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمةً ، أو ما دون مدىٰ طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها ، فهل هـٰذا الكلام ينطبق علىٰ المقتدر ؟ بطبيعة الحال يكون الجواب لا . إذاً فطلب الحاجات مقتصر علىٰ البشر فهم الذين يحتاجون ٱلله تبارك وتعالىٰ في كل شيء ، أما هو جل في علاه فلا يحتاج إلىٰ أحد فهو الغني الكريم ، وهو مالك الملك بالمطلق وهو علىٰ كل شيء قدير ، نعود إلىٰ لفظة (ربنا) والتي تقابلها إن جاز القول لفظة (عبادي) إذ يقول تعالىٰ : ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [1] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [2] فقوله : (يا عبادي) مؤذن بأن بعده إعداداً للقبول وإطماعاً في النجاة ، وهـٰذا لا يليق إلا بالمقتدر جل جلاله الذي يريد الخلاص لعباده والفوز بالجنة والابتعاد عن النار .

سابعاً : المقتدر إن شاء فعل :

تبرز مقدرة الباري عز وجل في تصرفه في كثير من الأمور من خلال مشيئته العظيمة التي يحدد من خلالها ما يحصل وما سوف يحصل ، وقد وردت المادة اللغوية (شاء) وتفرعاتها في القرآن الكريم مئتين وستاً وثلاثين مرة ، فهي ذات كثافة ترددية عالية وهـٰذا يدل علىٰ أهمية المادة اللغوية وحملها لكثير من الدلالات القرآنية التي تكاد تستوعب معظم موضوعات القرآن المتعلقة بالمشيئة ، فهـٰذه الكثافة العالية توحي لنا بالمقتدر جل جلاله في الاختيار ، ونقصد بذلك مشيئته ، يقول تعالىٰ : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ

(1) العنكبوت ، 56 .
(2) الزمر ، 53 .

ءَاخَرِينَ ﴾ [1] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [2] وقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [3] هـٰذه الآيات الكريمة بمجملها يدق فيها المقتدر ناقوس الخطر للمستخلفين في الأرض ، فذهابهم قائم ، وبقاؤهم قائم . فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قادر أن يبدلهم بخلق آخر ، ولم يمتنع عليه ذلك كما قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ بمتعذر أو متعسر ، فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ، ومن كان هـٰذا شأنه كان حقيقاً بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء .

وقادر إن شاء فعل مرتبطة ارتباطاً كلياً بالتهديد والوعيد الذي تشكل منه الخطاب القرآني وهـٰذا ما رأيناه في سياق الآيات المتقدم .

ثامناً : مرتب الأقدار بحكمته :

يهيئ ٱلله تبارك وتعالىٰ الأمور وفق مشيئته وتخطيطه العظيمين ، ويتجلىٰ ذلك في الأمور التي تتطلب وقتاً طويلاً ، ويقصد بالوقت الطويل الأحداث التي تجري وفق نسق مترابط تكون الغاية منها عرض مقدرة ٱلله تبارك وتعالىٰ ورحمته ، من ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام ، فقصة يوسف لها خصوصية لم تجتمع لقصة غيرها في القرآن الكريم ، فهي قصة دائرية ، إذ نرىٰ من القراءة الأولىٰ أن بدايتها رؤيا ، يقول تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ

---

(1) الأنعام ، 133 .
(2) فاطر ، 16 .
(3) إبراهيم ، 19 .

عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [1] ونهايتها تحقيق لهـٰذه الرؤيا بقوله تعالىٰ : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [2] ، وهـٰذا يفضي بنا إلىٰ القول أنها قصة رؤيا ، إذ أن للرؤىٰ في تحريك أحداثها دوراً كبيراً ، فضلاً عن ذلك أن هـٰذه القصة اشتملت علىٰ مواقف كثيرة تبلورت حولها قدرة ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، فمنذ البداية أي من الرؤيا مروراً بالبئر ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [3] ووجوده في بيت عزيز مصر : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [4] والمراودة : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [5] وسجنه : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ [6] ، وتفسيره للرؤيا : ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ

(1) يوسف ، 4ـ5 .
(2) يوسف ، 100 .
(3) يوسف ، 15 .
(4) يوسف ، 21 .
(5) يوسف ، 23ـ24 .
(6) يوسف ، 35 .

يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ (1) ومن ثم يكون علىٰ خزائن مصر : ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (2) وبعد ذلك يقود قبيلته إلىٰ الخصب والنماء : ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (3) ذكر نعمة ٱلله عليه بتوجهه إلىٰ مناجاة ربه بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا والنعمة العظمىٰ في الآخرة ، فذكر ثلاث نعم : اثنتان دنيويتان وهما : نعمة الولاية علىٰ الأرض ونعمة العلم ، والثالثة : أخروية وهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام وجعل الذي أوتيه بعضاً من الملك ومن التأويل لأن ما أوتيه بعض من جنس الملك وبعض من التأويل إشعار بأن ذلك في جانب مُلك ٱلله وفي جانب علمه شيء قليل .

هـٰذه الأحداث المتتابعة تبين قدرة المقتدر عز وجل في عرض قدرته العظيمة ، فضلاً عن ذلك عرض خصائص كثيرة تتعلق بالأعمال الصالحة التي يجب أن يكون عليها الخليفة من بر الوالدين والصبر والعفاف والتقوىٰ وغيرها . والمهم في ذلك أن الباري عز وجل شاء أن تكون حياة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام بهـٰذا التتابع ، فيكون قدره عليه الصلاة والسلام بهـٰذه الطريقة المرتبة من صغره إلىٰ أن أصبح عزيزاً لمصر وهي من حكمة المقتدر عز وجل المقترنة بمقدرته .

تاسعاً : مقتدر علىٰ المغالبة :

الكائنات كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته ، فجميع نواصي

(1) يوسف ، 47ـ49 .
(2) يوسف ، 55ـ56 .
(3) يوسف ، 101 .

المخلوقات بيده ، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه ، فما شاء ٱلله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا به . فمن قوته واقتداره أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1) وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (2) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (3) ، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين والكفار الظالمين من أنواع العقوبات ، وأنه لم يغن عنهم كيدهم ومكرهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب ٱلله من شيء لما جاء أمر ربك ، وخصوصاً في هٰذه الأوقات ، فإن هٰذه القوة الهائلة والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هٰذه الأمم هي من اقتدار ٱلله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه ، فمن آيات ٱلله أن قواهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئاً في صد ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة ، مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك ، ولٰكن أمر ٱلله غالب ، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي . ومن تمام عزته وقدرته وشمولهما : أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعاتهم ومعاصيهم ، وهي أيضاً أفعالهم ، فهي تضاف إلىٰ ٱلله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة علىٰ الحقيقة ، ولا منافاة بين الأمرين ، فإن ٱلله خالق قدرتهم وإرادتهم ، وخالق السبب التام خالق

---

(1) الأعراف ، 54 .
(2) لقمان ، 28 .
(3) الروم ، 27 .

للمسبب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه ، علىٰ قلة عددهم وعدَدِهم علىٰ أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد والعدة ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2] .

وفي معركة بدر تلك المعركة العظيمة التي غيرت مسار الدعوة الإسلامية ، وزرعت الثقة في نفوس المسلمين وألهبت روح التضحية والفداء ، وعززت مجدهم وفتحت لهم أبواباً كثيرة لنشر الدين الإسلامي ، وكل ذلك كان رغم العدد القليل للمسلمين وضعف إمكانياتهم القتالية ، إلا أن نصر ٱلله كان هو الأعلىٰ ومقدرته العظيمة فوق كل شيء ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [3] فإن أمر ٱلله تبارك وتعالىٰ نافذ لا محالة ، يقول تعالىٰ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [4] .

عاشراً : الجنة والنار بيده :

فمن آثار مقدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار ولأهل الجنة من أنواع

(1) الصافات ، 96 .
(2) البقرة ، 249 .
(3) آل عمران ، 123ـ126 .
(4) يس 82ـ83 .

العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهىٰ . ويمكن القول أن لفظة النار ولفظة الجنة ترتبط بأسلوب التبشير والإنذار القرآني ، فالخطاب القرآني بشير ونذير ، ولهٰذا وصف ٱلله رسوله بأنه كذلك فقال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (1) ، إلا أن الخطاب القرآني حدد بالضبط مناط تبشيره ومناط إنذاره ، فقال تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ (2) .

فما يحدث لأهل النار هو من آثار قدرته التي لا تدانيها قوة ، والتي كانت دائماً محور الخطاب عندما يخاطب الباري جل جلاله الكفار وغيرهم من العصاة ، إذ يقول تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (3) ففي القرآن الكريم نجد كثيراً من النصوص التي تتحدث عن النار وأهوالها ، فضلاً عن ذلك وصف النار فمن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (4) ، وصف تتزلزل له الأقدام وتخفق له القلوب وترتجف له الشفاه وتعلو الأنفاس ، أي جحيم هٰذه التي ينتظرها المجرمون ؟ ومن قدّرها بهٰذه القدرة المخيفة ورسمها بهٰذه الصورة المرعبة ؟ فلا يمكن أن يكون الجواب إلا المقتدر تبارك وتعالىٰ ، فقد وردت علىٰ لسان المشركين ، في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ

---

(1) سبأ ، 28 .

(2) مريم ، 97 .

(3) البقرة ، 39 .

(4) الصافات ، 62ـ68 .

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (1) .

ومما يرد من أوصاف النار وأهلها يبين عظمة المقتدر جل جلاله ومنه :

ـ تعرض جهنم على الكافرين يوم القيامة فتظهر بارزة لهم : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ (2) .

ـ تسع جهنم مستحقيها من الجن والإنس : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (3) .

ـ لها أبواب : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (4) .

ـ لها خزنة لإحقاق كلمة العذاب على الكافرين : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (5) .

ـ عليها ملائكة فيهم الغلظة والشدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (6) .

---

(1) البقرة ، 165 .
(2) الكهف ، 100 .
(3) هود ، 118ـ119 .
(4) الحجر ، 43ـ44 .
(5) الزمر ، 71 .
(6) التحريم ، 6 .

ـ مبنية علىٰ أعمدة وموصدة الأبواب : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (1) .

ـ لها سرادق : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (2) .

ـ لها طبقات طبقة فوق طبقة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (3) .

ـ جوها لا يطاق : فحر نارها ينفذ إلىٰ المسام ودخانها أسود ، لا يخفف حرها بل يزيد فيه ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (4) .

ـ تزداد سعيراً كلما خبت : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (5) .

ـ لها أصوات منكرة مرعبة : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (6) . وقولـه

---

(1) الهمزة ، 8ـ9 .
(2) الكهف ، 29 .
(3) النساء ، 145 .
(4) الواقعة ، 41ـ44 .
(5) الإسراء ، 97 .
(6) الفرقان ، 11 ـ 12 .

تعالىٰ : ﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (1) .

ـ يلقون فيها من مكان ضيق مقرنين : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (2) .

ـ عذابهم فيها متواصل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (3) .

ـ لها خزنة تعنفهم وتذيقهم أصناف العذاب : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (4) .

ـ لهم فيها ألوان العذاب الأليم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (5) .

ـ لا صبر ولا طاقة لهم بالعذاب : ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (6) .

ـ الزبانية يسحبونهم في الحميم والنار والأغلال في أعناقهم ويضربون

(1) الملك ، 7ـ8 .
(2) الفرقان ، 13 .
(3) الزخرف ، 74ـ75 .
(4) الزمر ، 71 .
(5) النساء ، 56 .
(6) الطور ، 16 .

بمقامع من حديد : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (1) .

ـ لهم فيها زفير وشهيق : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (2) .

ـ تلفح النار وجوههم ويشوَّهون فيها : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ (3) .

ـ فراشهم وغطاؤهم من النار : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (4) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ (5) .

ـ طعامهم من شجر الزقوم ، يخرج من أصل الجحيم ، وهو شجر صغير الورق ، مرّ الطعم ، وثمره نار ، يضطرهم الجوع إلىٰ أكله ، لعدم وجود غيره ، فيحرق معدهم ، وشرابهم من المهل ، ما يمهل في النار حتىٰ يذوب : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ (6) .

ـ شرابهم الحميم (الماء المغلي) والغساق (صديد أهل النار) فيقطع الأمعاء من شدة حرارته : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن

(1) غافر ، 71 ـ 72 .
(2) هود ، 106 ـ 107 .
(3) المؤمنون ، 104 .
(4) الأعراف ، 41 .
(5) الزمر ، 16 .
(6) الدخان ، 43 ـ 46 .

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (1) .

ـ حرم عليهم طعام وشراب أهل الجنة : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (2) .

ـ يتمنون الرجوع إلىٰ الدنيا ، حين يقفون علىٰ العذاب : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (3) .

ـ يتمنون الموت ، ليتخلصوا من العذاب ، وأنىٰ لهم ذلك : ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (4) .

ـ يدعون ٱلله ليصرف عنهم العذاب أو يخففه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (5) .

ـ هم فيها خالدون : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ (6) .

أما الجنة فقد أعدها ٱلله تبارك وتعالىٰ للذين استخلفوا في الأرض والوارثين الذين آمنوا بالله وبرسوله وبرسالته الإسلام وقد وصفهم القرآن الكريم بأوصاف منها :

ـ المتقون : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ

(1) إبراهيم ، 15ـ17 .
(2) الأعراف ، 50 .
(3) الأنعام ، 27 .
(4) الزخرف ، 77 .
(5) غافر ، 49 .
(6) البقرة ، 161ـ162 .

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (1) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (2) . والجنة عرضها عرض السموات والأرض مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (3) .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ (4) . وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ (5) .

ـ الأبرار : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ (6) .

ـ المقربون : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ (7) .

ـ عطاؤهم غير مقطوع : ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ (8) .

ـ ممتعون : ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ (9) ، وقال

(1) آل عمران ، 15 .
(2) الزمر ، 73 .
(3) آل عمران ، 133 .
(4) محمد ، 15 .
(5) الرحمـٰن ، 62ـ64 .
(6) آل عمران ، 198 .
(7) الواقعة ، 88ـ89 .
(8) مريم ، 62 .
(9) الطور ، 22 .

تعالىٰ : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (1) .

ـ مرزقون : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (2) .

ـ مدللون : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (3) .

ـ لهم أزواج مطهرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (4) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (5) .

ـ مخدومون ومخيرون : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (6) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (7) . قال تعالىٰ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (8) ، وقال تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن

(1) الصافات ، 45ـ47 .
(2) البقرة ، 25 .
(3) الإنسان ، 14 .
(4) النساء ، 57 .
(5) الصافات ، 48ـ49 .
(6) الإنسان ، 13 .
(7) الطور ، 24 .
(8) الكهف ، 31 .

كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [1] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [2] .

ـ حامدون : يحمدون ٱلله علىٰ ما آتاهم من النعم ، التي وعدوا بها : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [3] .

ـ عاملون للصالحات : لما فيها من نعيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [4] .

ـ خالدون : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [5] .

وعليه فمن صفات المقتدر يستمد الخليفة صفات مقدرته في دائرة النسبية ، فهو المقتدر علىٰ التسامح ، والمقتدر علىٰ القول الحق ، والمقتدر علىٰ الفعل الحق ، وهو المقتدر علىٰ إزهاق الباطل ودمغه بالحجة الحق ، وهو المقتدر علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو المقتدر علىٰ أن يفعل ما يريد تحت إرادة المقتدر الأعظم جل جلاله ، وهو الذي يتذكر مقدرة ٱلله عليه كلما أحس بأن له مقدرة .

اللهُمَّ يا المقتدر هب لنا القدرة التي تُمَكِّننا من الطاعة التامة والاستماع

---

(1) محمد ، 15 .

(2) الغاشية ، 13ـ16 .

(3) الزمر ، 74 .

(4) الكهف ، 107ـ108 .

(5) البقرة ، 25 .

للقول واتباع أحسنه والاحتكام به ! اللهُمَّ بقدرتك اهدنا في من هديت وهيئنا لما ارتضيت لنقوم به ونحن قادرون ولا تجعلنا من الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ولا تجعلنا يا المقتدر عاجزين عن إحقاق الحق وإزهاق الباطل !

اللهُمَّ يا المقتدر اجعل لنا من قدرتك حظاً نستعين به علىٰ عبادتك وطاعتك وندفع به حب الشهوات الدنيوية فلا تكون أكبر همنا ولا تكون مخالفة لأوامرك فنكون بذلك مقتدرين علىٰ الدعوة إلىٰ سبيلك بالحق وقادرين علىٰ الثبات علىٰ شرعك ومنهاجك القويم أمام كل مفاتن الزمان ومغرياته وفتنه فنكون ظاهرين بالحق علىٰ الباطل مظهرين له وللعدل في كل أفعالنا وأقوالنا !

اللهُمَّ يا المقتدر اجعل لنا القدرة التي بها نتحدىٰ الصعاب ونتجنب الوقوع في الخطايا ونقدم علىٰ أفعال الخيرات إنك قريب سميع مجيب الدعاء يا خالق الأرض والسماوات العلا وما بينهما وما تحت الثرىٰ !

اللهُمَّ يا المقتدر اجعلنا من المتخلقين المتحققين باسمك المقتدر ، فنكون ممن يُقدِّر الأمور بقدرها الصحيح فلا يكون في أعمالنا إفراط ولا تفريط ، ولا في أقوالنا زلات وخطايا ، ولا في أنفسنا غلظة علىٰ من تحب وعلىٰ من يجب الإحسان إليهم في غير معصيتك !